الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية، قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الرقم الترتيبي:...../2001
رقم تسجيل الطالب:.....

العـــــلاقات الجـــزائرية المغـــربيـــة 1830-1847
(الغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجا)

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث
شعبة التاريخ

إعداد الطالب: محمد السعيد قاصري

أعضاء لجنة المناقشة:	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
1- الرئيس:	إسماعيل زروخي	أستاذ محاضـــر	قسنطـــينة
2- المقـــرر:	احميده عمـــيراوي	أستاذ محاضـــر	قسنطيـــنة
3- عضـــو:	يـــحي بـــوعزيز	أستاذ .م. بالدروس	وهـــــران
4- عضـــو:	يوســف مناصريـــة	أستاذ . م.بالدروس	بـــــاتنة

نوقشت يوم 2001/03/21 الموافق 26 ذو الحجة 1421 هـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العلاقات الجزائرية المغربية

1830 – 1847

(الغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجا)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى والدتي العزيزة

فاطمة التي رعتني بعطفها وحنانها

وإلى والدي العزيز عمار الذي ضحّى من أجل

راحتي وسعادتي، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور احميده عميراوي الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة وقاسمني المشاق في إنجازها بتوجيهاته ونصائحه القيمة.

كما أشكر كل من قدم لي يد المساعدة من أساتذة وطلبة وزملاء، وكذا إدارة معهد الحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر التي سهرت على راحتي طيلة فترة البحث، وإلى كل الساهرين على إدارة مكتبات جامعتها، والمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة.

كما أتوجه بالشكر إلى الأمناء العاملين لكل من مكتبة جامعة محمد الخامس بالرباط، وجامعة محمد بن عبد الله بفاس، والخزانة العامة والحسنية بالرباط على الخدمات والتسهيلات التي قدموها لي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المختصرات المستخدمة في البحث:

العربيـــة:

- وثائق الخزانة الحسنية بالرباط: وثائق، خ، ح، ر.
- مخطوط الخزانة العامة بالرباط: مخ، خ، ع، ر.
- مخطوط مكتبة الحامة بالجزائر: مخ، م، ح، ج.
- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: ش، و، ن، ت.
- المؤسسة الوطنية للكتاب: م، و، ك.
- ديوان المطبوعات الجامعية: د، م، ج.
- كلّية الآداب والعلوم الإنسانية: ك، آ، ع، إ.
- دبلوم الدراسات العليا: د، د، ع.
- الطبعـــة: ط.
- العـــدد: ع.
- المجـــلد: مج.
- الجـــزء: ج.
- بلا تاريخ: بلا، ت.

الأجنبية:

- REVUE , AFRICAINE. R.A.
- NO, DATE. N.D.
- OFFICE DES PUBLICATIONS UNIVERSITAIRES. O.P.U.
- GRAND, DICTIONNAIRE, ENCYCLOPEDIQUE, LAROUSSE : G.D.E, LAROUSSE.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

معاني بعض المفاهيم الواردة في البحث:

– **الأخبية**: مفردها خباء، وهو ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر للسكن، ويظم الخباء الواحد حوالي 33 شخصا، وقد يمكن تسميته بالخيمة.

– **التخوم**: الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود، والتخوم تعني الأراضي غير ثابتة المعالم عكس الحدود، لكونها متداخلة في تشكيلتها الاجتماعية.

– **الخفيف**: ورد في وثائق الخزانة الحسنية، وهو يعني الرصاص.

– **الدورو الإسباني**: كلمة إسبانية ومعناها الصلب، وهو قطعة نقدية إسبانية، والدورو يساوي خمسا من الفرنكات وأربعين سنتيما.

– **الريال**: كلمة إسبانية وهي قطعة نقدية إسبانية تساوي أربع دورو، والريال ينقسم إلى: الدوس، بيسيطه، دوفلون، بواجه.

– **الصّكة**: الضرب الشديد أو القوي الذي يكون ليلا على العدو.

– **الطبجية**: أصل الكلمة تركية، وتعني رجال المدفعية.

– **الظهير الرحماني**: الظهير بمعنى الكتاب أو الخطاب أو الرسالة، والرحماني نسبة إلى السلطان عبد الرحمان، والظهير الرحماني يقابله المرسوم الملكي اليوم .

– **القدّاحات**: مفردها قداحة، وهي حجر القدح أو الفولاذة التي تقدح بها النار بضربها على الصوانة وبينهما مادة قابلة للاحتراق، أو هي عبارة عن علبة صغيرة من معدن لها فتيلة تُلتّ بالبترين الذي يوضع في مكان منها، ومخمص حجر صغير يقدح بواسطته دولاب صغير، فيرسل شررا يشعل الفتيلة.

– **الكميت**: كميت من الخيل، جمع كمت وهو ما كان لونه بين السواد والاحمرار.

– **الكراع**: جمعها أكارع، وهي تعني الخيل والبغال والحمير.

– **المثقال**: هو عبارة عن وزن يساوي عرفا درهما ونصف وقد يزيد عن ذلك، من حيث وزنه يصل إلى: 4.669غ.

– **المُدّ**: ضرب من المكاييل، سمي بذلك لأنه يمد المكيل بالمكيل نفسه، ويتجزأ إلى نصف مد وربعية وثمنية، وهو يساوي 18 لترا إفرنجيا، في حين يساوي المد الفاسي 24 لترا.

– **المحلة، الحامية**: نعني بها الفرقة العسكرية البرية التي يزيد عدد جنودها عن 150 جنديا.

– **المخزن**: هي تعني في الغرب الجزائري بقايا الأتراك الذين لعبوا دور كبير في شؤون الحكم بالمنطقة مثل مخزن وهران وتلمسان، بينما في المغرب الشرقي لها معاني عديدة أبرزها: تمثل القبائل التابعة للسلطة المركزية عكس قبائل السائبة، كما تعني أيضا الجيش المغربي الذي هو جزء من بلاط السلطان عبد الرحمان.

– **الوساق**: هو عبارة عن وزن يساوي ستون صاعا، والصاع يصل إلى حوالي 50 لترا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقدّمة

التعريف بالموضوع:

لقد عرفت منطقة المغرب العربي عدّة أحداث تاريخية، لما لهـــا مـــن أهميـــة حضاريـــة واقتصاديـــة وجيوسياسية، ولذلك كانت محل اهتمام القوى الأجنبية عبر التاريخ، ونتيجة للتطور الذي عرفته أوربـــا إثـــر الثورة الصناعية، وبروز حاجتها الماسّة إلى البحث عن مناطق النفوذ، تزايد اهتمامها بالمنطقـــة منـــذ مطلـــع القرن 18 وطيلة القرن 19، لتصبح كلها مستعمرة أوربية أثناء النصف الأول من القرن 20.

وفي أثناء فترة الثلاثينيات من القرن 19 تعرّضت الجزائر –إحدى بلدان المغرب العـــربي– للاســـتعمار الفرنسي، في الوقت الذي حافظت فيه دول الجوار على سيادتها، وفي ظل هذه المستجدّات خصّصت العلاقـات الجزائرية المغربية 1830–1847 كموضوع للدراسة.

ولصعوبة الإلمام به، أفردت منطقتي الغرب الجزائري والمغرب الشرقي كنمـــوذج لهـــذه العلاقـــات، علاقات ابتعدت فيها عن الدراسة الكلاسيكية لمحور العلاقات بل تناولتها وفقا للظروف التي عرفتها المنطقتـــان خلال الفترة المعنية بالدراسة.

أهميته ودواعي اختياره:

يعتبر موضوع العلاقات الجزائرية المغربية 1830–1847 (الغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجا) من أهم المواضيع التي لفتت انتباهي أثناء مرحلة دراستي العليا بالجامعة، لما يكتسيه من أهمية بالنســـبة للشـــعبين الشقيقين خلال هذه الفترة الحرجة من مراحل تاريخهما، وتكمن أهميته ودواعي اختياري له في النقاط الآتية:

1. جدّة الموضوع: فبعد عملية البحث التي قمت بها في فهارس المكتبات هنا هناك، بالإضافة إلى الاتصـالات التي قمت بها مع الكثير من الأساتذة الباحثين في الجزائر والمغرب، وإجاباتهم المشجّعة لي وجدت أنّ الموضـــوع يستحق الدراسة.

2. لا شكّ أنّ فترة البحث تعتبر بمثابة الأرضية الصلبة التي جرت عليها معظم الأحداث التاريخية التي وقعـــت بين المغرب والجزائر، خاصة بعد سقوط نظام الحكم العثماني بالجزائر العاصمة، وبقاء نظام الحكم العلـــوي في المغرب، هذا التباين الملحوظ بينهما بالإضافة إلى التركيبة الاجتماعية لهما، أفرز عدّة تحولات على علاقتـــهما فرأيت الجدوى في دراستها.

3. إدراك البعد الحقيقي لتاريخ المغرب العربي عامة، والجزائر والمغرب خاصة، وتوجيه محور البحث لإعـــادة إحياء ما يمكن تسميته بمغرب الشعوب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4. اقتصار كتابة تاريخ المغرب الحديث والمعاصر عامة والجزائر والمغرب خاصة على ثلّة من المؤرخين الأجانب ومن المستشرقين الذين لم يراع أغلبهم جانب الموضوعية في طرحهم، فأردت إعادة الاعتبار لتاريخنا ودراسته بأقلام مغاربية موضوعية.

5. محاولة الوقوف على بعض الحقائق التاريخية وتصحيح بعض المغالطات منها، وتزويد المكتبة الجزائرية بمولود علمي جديد يكون لطلبة الجامعة بمثابة الباب الذي يدرسون من خلاله تاريخ شعوب المغرب العربي.

إن هذا الموضوع وإن طرقته بحوث جزئية ومقالات متخصصة وبلغات أجنبية فهو لا يزال حاضرا وقضاياه تحتاج إلى البحث بإشكاليات أخرى.

إشكالية البحث:

سأسعى بالبحث في هذا الموضوع إلى محاولة الإجابة عن الكثير من الأسئلة العالقة والتي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

1. إذا كانت مدينة الجزائر تعرضت سنة 1830 للاحتلال الفرنسي، فما هو موقف سلطان المغرب من المأساة التي حلت بالجزائر؟ وإلى أي مدى نجح في تلبية مطالب سكان منطقة الغرب الجزائري الذين استنجدوا به بعد سقوط نظام الحكم العثماني بها؟

2. كيف استقبل الشعب المغربي نبأ الاحتلال وما هو الأثر الذي تركه لدى مختلف التشكيلات الاجتماعية بالمغرب؟

3. مع مطلع سنة 1833م عرف الغرب الجزائري ظهور قوة جزائرية متميزة مثّلها الأمير عبد القادر الذي قاد حركة الجهاد الجزائرية وربط المنطقة بشكل مباشر مع المغرب على أساس الولاء الروحي للسلطان والاعتراف بالتبعية له. فما هي أسس هذا التوجه الجزائري؟ وما هي طبيعة الدولة التي أنشأها في ظل هذه التبعية؟ وكيف واجهت فرنسا هذا التوجه الجديد؟

4. كيف كانت ردود فعل التشكيلات الاجتماعية المغربية من ظهور حركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري في مراحلها الأولى؟ وما هو حجم الدعم الذي قدّمته لها قبل أن تنتقل إلى المغرب الشرقي سنة 1843م؟ وما هي الخطوات التي اتبعتها فرنسا في سبيل حياد المغرب سلطة وشعبا عن ما يحدث في الغرب الجزائري قبل سنة 1843م؟

5. ما هو دور المغرب الشرقي في الجهاد الجزائري؟ وإلى أي مدى نجح في احتضان المجاهدين والمهاجرين الجزائريين الذين لجأوا إليه؟ وكيف تمكنت فرنسا من فرض نفسها على المغرب عقب هزيمة إيسلي 1844؟

6. ما هي الآثار التي ترتبت عن اتفاقيتي طنجة 1844 ومغنية 1845 بالنسبة لحركة الجهاد بالغرب الجزائري والمهاجرين الجزائريين بالمغرب الشرقي وقبائل التخوم؟ وبماذا نفسّر ولاء قبائل المغرب الشرقي والريف المغربي للجزائريين من دون ولائها للسلطان؟ وما هي استراتيجية السلطان في التعامل مع هذه المستجدّات؟

7. كيف نجحت فرنسا في فك رابطة الولاء والبيعة التي اعترف بها عبد القادر للسلطان؟ ومن تحييد هذا الأخير عن ما يحدث في الغرب الجزائري ومن تحقيق تقارب ثمّ تعاون ثنائي على حساب حركة الجهاد الجزائرية؟ ما هي إستراتيجيتها في ذلك؟ وما هي نتائجها على كلا المنطقتين؟

خطة البحث:

قسّمت هذا البحث إلى مقدّمة وستة فصول وخاتمة، فالمقدّمة: تناولت فيها التعريف بالموضوع وأهميته ودواعي اختياره ثمّ تطرّقت إلى إشكالية البحث وخطته ومناهجه وطرائقه والمصادر والمراجع الأساسية المعتمد عليها مع الإشارة إلى الصعوبات التي واجهتني.

الفصل الأول: عنونته بالاحتلال الفرنسي وأثره على الغرب الجزائري (1830-1832) وتناولت فيه موقف سلطان المغرب من الحملة الفرنسية على الجزائر ومن سقوط المدينة نفسها، ثمّ قدّمت بطاقة تعريفية لكل من الغرب الجزائري والمغرب الشرقي مبرزا بعد ذلك آثار الاحتلال على الغرب الجزائري مع التركيز على مبايعة سكان الغرب الجزائري لسلطان المغرب.

الفصل الثاني: عنونته بعلاقة الأمير عبد القادر بالمغرب (1833-1836) وتناولت فيه مبايعة عبد القادر الذي ظهر بالغرب الجزائري كقوة جزائرية سدّت الفراغ الإداري بالمنطقة وعلاقته بالمغرب، وموقف هذا الأخير من حركة الجهاد الجزائرية، وحجم الدعم الذي قدّمه لها في مراحلها الأولى، لنخلص إلى موقف فرنسا من التضامن الجزائري المغربي.

الفصل الثالث: عنونته بـ التعاون المغربي- الجزائري (1837-1840)، وتناولت فيه دور علماء فاس في الجهاد الجزائري، وأثر معاهدة التافنا 1837 على أطراف الصراع في الغرب الجزائري، مع إبراز البعد الروحي لعلاقة عبد القادر بالسلطان المغربي، والإمدادات العسكرية المغربية للجزائريين خلال هذه الفسترة، لنخلص أخيرا إلى موقف فرنسا من استمرارية التعاون المغربي الجزائري.

الفصل الرابع: وعنونته بـ: دور المغرب الشرقي في الجهاد الجزائري (1841-1844)، وتناولت فيه السياسة الفرنسية تجاه حركة الجهاد الجزائرية التي دشّنها الجنرال "بيجو" وردود الفعل المغربية الشعبية والرسمية حولها. ثمّ تناولت لجوء عبد القادر إلى المغرب الشرقي ودور هذا الأخير كقاعدة خلفية للمجاهدين والمهاجرين الجزائريين. ثمّ تطرّقت إلى الصراع المغربي الفرنسي وآثاره على حركة الجهاد الجزائرية خاصّة بعد إمضاء المغرب لاتفاقية طنجة 1844.

الفصل الخامس: وعنونته بـ: التقارب المغربي الفرنسي وأثره على حركة الجهاد الجزائرية (1844-1846)، وتناولت فيه أثر اتفاقية مغنية على التواجد الجزائري في المغرب الشرقي وأثره على حركة الجهاد الجزائرية بالمنطقة، وموقف المغرب الشرقي من هذه الحركة في هذه الفترة، لنخلص إلى التعاون المغربي الفرنسي وتصفية حركة الجهاد بالغرب الجزائري.

الفصل السادس: وعنونته بالتعاون المغربي الفرنسي وتصفية حركة الجهاد الجزائرية بالمغرب الشرقي (1846-1847). وتناولت فيه لجوء عبد القادر من جديد إلى المغرب الشرقي وما نتج عنه من تصادم مغربي مغربي ومغربي فرنسي ومغربي جزائري، الذي أفرز في الأخير بتصفية القواعد الخلفية للمجاهدين الجزائريين بالمغرب الشرقي.

الخاتمة: تناولت فيها النتائج العامّة التي توصّلت إليها من خلال البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مصادر ومراجع البحث:

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة معتبرة من المصادر والمراجع المتنوّعة بتنوّع موضوعاتـــه، يمكـــن ترتيبها من حيث أهميتها على النحو الآتي:

1- المصادر والمراجع باللغة العربية: تتمثّل فيما يلي

1) **الوثائق المخطوطة:** اعتمدت على 27 وثيقة مخطوطة منها 23 وثيقة نسختها من وثائق الخزانـــة الحســـنية بالرباط، ووثيقتين في شكل ميكروفيلم نسختهما من أرشيف الخزانة العامّة بالربـــاط، والوثيقتـــين المتبقّيتـــين نسختهما من قسم المخطوطات بمكتبة الحامّة بالجزائر، ولقد استفدت كثيرا من هذه الوثائق النادرة.

2) **المخطوطـــات:** صنّفتها إلى صنفين

أ) مخطوطات الخزانة العامّة بالرباط: ومن أهم مخطوطاتها:

مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام لأبي العلاء إدريس، الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية للمشـــرفي، الجيش العرمرم لأكنسوس. وإن كان أصحابها من المقرّبين من بلاط السلطان، فإنّها وضّحت لنا الكثـــير مـــن الحقائق التاريخية.

ب) مخطوطات مكتبة الحامّة بالجزائر: رغم أنّها تفتقر إلى مخطوطات الفترة الحديثة والمعاصرة إلاّ أنّني عثرت هـــا على مخطوط: نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته، الذي كُتب بخطّ يد شقيق الأمير عبد القـــادر محمـــد السعيد. وقدّ وضّح لنا بشكل جيّد المراحل الأخيرة التي عرفتها حركة الجهاد الجزائريـــة بـــالمغرب الشـــرقي، بالإضافة إلى مخطوط ياقوتة النسب الوهّاجة للمشرفي، وبعض الرسائل المخطوطة.

3) **المصادر المطبوعة:**

مذكّرات الأمير عبد القادر التي كتبها بخطّ يده وحياة الأمير عبد القادر لهنري تشرشل، وتحفة الزائـــر لنجـــل الأمير عبد القادر، وطلوع سعد السعود للمزاري الذي كان له دور كبير في الأحداث الـــتي عرفـــها الغـــرب الجزائري بعد سنة 1830.وإن كانت هذه المصادر لا تخلو من بعض الأخطاء التاريخية فإنّي قمت بتصحيحـــها واستفدت منها بشكل جيّد.

كما اعتمدت على عدّة مصادر مغربية من أهمّها إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حـــاضرة مكنـــاس لابن زيدان، والبيان المعرّب عن ما فات الأجنبي حول المغرب للسليماني، والاستقصاء في أخبار المغرب الأقصـــى للناصري. وبالرغم من تحامل مؤلّفيها على حركة الجهاد الجزائرية فإنّي استفدت منها بعدما أخضعتها للتحليـــل والمقارنة.

4) **المعاجم والقواميس:**

اعتمدت على معاجم وقواميس في التعريف ببعض الأعلام والأماكن والمصطلحات الواردة في البحث، ومنها المنجد في اللغة والأعلام لكرم البستاني، والأعلام للزركلي وموسوعة أعلام المغرب لمحمد حجّي. ومعجم البلدان لياقوت الحموي،ولسان العرب لابن منظور.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5- المراجـــــع:

اعتمدت في بحثي على مراجع كثيرة ومن بين التي خدمت موضوع بحثي بشكل كبير: مسألة الحـــدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية ليحي جلال وآخرون وكتابي العلاقات الدبلوماسية والمقاومة الجزائريـــة لإسماعيل العربي، ومهمّة "ليون روش" في الجزائر والمغرب، فضلا عن كتاب المغرب عـــبر التـــاريخ لإبراهيـــم حركات، جذور اتحاد المغرب والجزائر 1832-1845 لعمر بوزيان، ومظاهر يقظة المغرب الحديث للمنـــــوني، كما استفدت من الرسائل الجامعية الآتية: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر لإبراهيم ياسين، ومسألة الحدود المغربية الجزائرية للمكّي جلول، ومشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر لأحمد العمّـاري، هذا فضلا عن الدوريات التي خدمت الموضوع بشكل كبير جدّا.

2- المصادر والمراجع باللغة الفرنسية: من أهمّها كتاب:

« Le Gouvernement marocain et la conquête d'Alger » لمؤلّفه إسماعيل هامت الذي أفادني كثيرا مـــن خلال الوثائق التاريخية الثمينة التي تضمّنها، إذ استخدمت نسبة كبيرة منها في بحثي بالإضافة إلى:

« Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête d'Algérie 1830-1847 »

لمؤلّفه كوسي بريساك و « Histoire du Maroc » لهنري تيراسي. كما استفدت من:

« Grand dictionnaire encyclopédique » في الترجمة للأعلام الأجنبية الواردة في البحث.

هذا فضلا عن الدوريات الأجنبية خاصّة المجلّة الإفريقية « Revue africaine»، وجريـــدة الأخبـــار « Journal El-Akhbar » خاصّة الأعداد الصادرة فيما بين 1845-1847 إذ وظّفت منها حوالي 11 عـــددا، ورغم أنّ هذه المصادر والمراجع فيها نوع من التحيّز للطرف الفرنسي فإنّها وضّحت لنا الكثير مـــن الحقـــائق التاريخية. وما يمكن الإشارة إليه في الأخير أنّني ألزمت نفسي بردّ كلّ النصوص إلى أصحابها و لم أنسب لبحثـــي إلاّ ما كان خالصا من جهدي.

مناهج وطرائق البحث: تنحصر مناهج وطرائق البحث في الموضوع المختار في النقاط الآتية:

1- جمع ما تمّ التوصّل إليه من مادّة علميـــة مـــن مختلـــف المكتبـــات ودور الأرشـــيف، ســـواء بـــالجزائر أو بالمغرب.

2- تحليل ونقد ومقارنة المادّة العلمية ببعضها البعض، آخذا بعين الاعتبار الإطار الزمـــاني والمكـــاني الـــذي كُتبت فيه.

3- استنتاج ما تمّ تحليله ومقارنته وإخضاعه للموضوعية في الطّرح والحدس التاريخي.

4- توظيف الجغرافيا التاريخية والإقليمية والديبلوماسية، وعلم المصطلح وعلم الخرائـــط والعلاقـــات الدوليـــة بفرعيها السياسية والقانونية.

5- ترجمة النصوص والوثائق التاريخية التي كُتبت بلغات أجنبية إلى اللغة العربية بالاعتماد على معاجم أجنبيـــة مع تحرّي الدقّة في نقل المعنى المراد ترجمته صحيحا. وعلى هذا الأساس استعنت في سبيل إنجاز هذا البحث على المناهج الآتية: المنهج التاريخي المقارن، المنهج التحليلي الوصفي، والمنهج الاستقرائي الاستنتاجي.

الصعوبات التي واجهتني:

لقد كانت فترة البحث شاقّة وصعبة جدّا نتيجة للصعوبات التي واجهتني، إلاّ أنّ إرشادات وتوجيهات الأستاذ المشرف مكّنتني من تجاوز الكثير منها. ماعدا ثلاثة صعوبات واجهتني بحدّة وهي:

1- صعوبة جمع المادّة العلمية، وانطلاقا من الإطار الجغرافي للموضوع واجهت صعوبة السفر إلى المملكة المغربية، إذ قضيت أكثر من سنة وأنا أتنقّل ما بين مدينة مقرة (مقر سكناي) بضواحي مسيلة والقنصلية المغربية بالجزائر العاصمة في سبيل الحصول على التأشيرة.

2- التناقض الملحوظ والاختلاف الكبير بين المصادر والمراجع التي اعتمدّت عليها، فوجدت من الصعوبة بمكان التوفيق بينها والخروج برأي مرجّح، إذ كنت لا أنتهي من كتابة الفصل الواحد إلاّ بعد مرور أكثر من ثلاثة أشهر.

3- وأهمّ مشكل واجهته هو الإرهاق الذي لازمني طيلة فترة البحث، الذي ترده صعوبة التوفيق بين وظيفة التدريس والبحث، وعليه فإنّ نسبة 90% من البحث تمّ إنجازها ليلا.

ولكن بحمد الله وعونه تجاوزت هذه الصعوبات واستطعت إخراج البحث في هذه الحلّة، وأخيرا لست أزعم أنّ ما جاء في هذا البحث هو عين الكمال، وإنّما هو جهد متواضع أتقدّم به إلى لجنة المناقشة لتبدي رأيها فيه. وإنّي أعتذر عن كلّ خطأ وقعت فيه أو زيادة أو نقصان في غير محلّها. وشكرا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الاحتلال الفرنسي وأثره على الغرب الجزائري (1830-1832)

- مقدّمـــة
- لمحة مختصرة عن الحملة الفرنسية على الجزائر:
  - أسبابها.
  - حجم الحملة الفرنسية ونتائجها الأولية.
- موقف سلطان المغرب من الحملة الفرنسية على الجزائر.
- موقف سلطان المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر.
- صدى احتلال الجزائر في المغرب.
- التعريف بالمغرب الشرقي والغرب الجزائري وأوضاعهما أثناء الاحتلال:
  1. المغرب الشرقي: الموقع الجغرافي والفلكي، تركيبته البشرية، أوضاعه الإدارية والاقتصادية.
  2. الغرب الجزائري: الموقع الجغرافي والفلكي، تركيبته البشرية، أوضاعه الاقتصادية والإدارية.
- آثار الاحتلال الفرنسي على الغرب الجزائري:
  1. الزحف الفرنسي على وهران.
  2. تدخـــل البـــاي التونســـي
  3. مبايعة سكان الغرب الجزائري لسلطان المغرب:
     - دوافعهـــــا
     - مراحلهـــــا:
  1. المرحلة الأولى: أحداثها، ردود الفعل الفرنسية، نتائجها.
  2. المرحلة الثانية: أحداثها، ردود الفعل الفرنسية، نتائجها.
- الخاتمـــــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقدّمة

يمثل تاريخ 5 جويلية 1830 أكثر من حدث بالمغرب العربي عامة وبالجزائر خاصة، إذ بموجبه فقدت الجزائر جزءا كبيرا من سيادتها الخارجية وأصبحت خاضعة للسيطرة الاستعمارية، في الوقت الذي حافظت فيه كل من تونس والمغرب الأقصى على سيادتهما، فاحتلال مدينة الجزائر صاحبه زوال نظام الحكم العثماني وهو ما ساهم في ظهور فراغ سياسي إداري كبير جدا، حاول أكثر من طرف -فرنسا، المغرب، تونس- استغلاله لصالحه.

إن احتلال مدينة الجزائر وما صاحبه من مآسي عرفها سكان المدينة، فان المغرب عامة والمغرب الشرقي خاصة عرفا الكثير من المواقف الرسمية والشعبية، عبّر من خلالها المغاربة عن تضامنهم الكبير مع الشعب الجزائري، فإلى أي مدى نجحت هذه المواقف في التعبير عن مأساة الجزائر ؟ وما هو حجم التضامن المغربي الذي قُدم للشعب الجزائري ؟

وانطلاقا من التنظيم الإداري الذي كان سائدا في الجزائر قبل 1830 – بايلك الشرق، بايلك الوسط دار السلطان، بايلك الغرب – وباحتلال مدينة الجزائر وجزء كبير من بايلك التيطري، حافظ بايلك الشرق على جزء كبير من سيادته الداخلية، في الوقت الذي عرف فيه بايلك الغرب الجزائري الكثير من الاضطرابات جعلته محل أنظار الأطراف السابقة، وأهم شيء عرفته المنطقة هو ما قام به سلطان المغرب الذي رمى بكل ثقله في المنطقة.

إن ما قام به سلطان المغرب ولّد الكثير من ردود الفعل المتضاربة والمتداخلة تارة والمتقاربة والمتباعدة تارة أخرى، فهل ما تم يُعتبر تدخلا إمبرياليا؟ أم احتلالا مغربيا؟ أم توسعا جغرافيا؟ أم هو عملية إنقاذ مغربية؟

لم تبق فرنسا مكتوفة الأيدي أمام ما حدث في الغرب الجزائري، بل قامت بتبني ردود فعل صارمة ضد المغرب تارة بالتهديد وتارة أخرى بالوعيد، فإلى أي مدى نجح سلطان المغرب في تلبية مطالب سكان الغرب الجزائري؟ وكيف واجه ردود الفعل الفرنسية ؟ وما هو مصير المنطقة خلال هذه الفترة ؟ أسئلة في غاية الأهمية ارتأيت الإجابة عنها في العناصر الآتية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لمحة مختصرة عن الحملة الفرنسية على الجزائر:

تندرج الحملة الفرنسية ضمن المخططات الاستعمارية الفرنسية ولذلك فجذورها التاريخية تعود إلى ما قبل الثورة الفرنسية (1789 —1814) وما كان يطمح إليه أقطاب الحركة الاستعمارية وعلى رأسهم نابليون بونابرت[1]. الذي كان يحلم بجعل البحر المتوسط بحيرة فرنسية، وعليه فالحملة كانت منظمة وهادفة استندت إلى معطيات عدة، أثمرت في الأخير بحتمية وقوعها ويمكن حصر هذه المعطيات في العناصر الآتية:

- **أسبابها:**

اختلف مؤرخو العلاقات الدولية والدراسات التاريخية حول الأسباب الرئيسية للحملة الفرنسية فكل منهم يراها من منظوره الخاص، ورغم هذا الاختلاف فانه يمكن رصد أسبابها في ما يلي :

- **السياسية والعسكرية:**

نتيجة للمكانة السياسية والهيبة الدولية التي حظيت بها الجزائر خلال الفترة العثمانية (1518-1830)[2] جعلتها محل أطماع ساسة الدول الأوربية الذين رأوا فيها ذلك الخطر المحدق بهم،وعليه فالضرورة اقتضت منهم الاجتماع والتشاور في شأنه وكيفية التصدي له، ومن أهم الخطوات التي قاموا بها نذكر:

- مؤتمر فيينا 1815 : رغم أنه انعقد لحل مشاكل القارة الأوربية فإن ذلك لم يمنع المؤتمرين من التطرق إلى الخطر الجزائري —الجهاد البحري — وكيفية استخلاص الأسرى الأوربيين بالجزائر وتدمير قوة الأسطول الجزائري الذي يهددهم بين الحين والأخر[3].

- التعاون البريطاني الهولندي ضد الجزائر : ففي يوم 16 أوت 1816 هاجمت قواتهما البحرية ميناء الجزائر، فأرغم هذا الهجوم عمر باشا على القبول بشروط الصلح التي فرضت عليه[4].

- مؤتمر اكس لاشابيل 1818 : بالرغم من أن محوره كان حول مسألة جلاء الجيوش الأجنبية عن فرنسا، فان هذا لم يمنع الدول الأوربية من تجديد عزمها على التصدي للخطر الذي تشكّله الجزائر ولذلك سعت في البحث عن الذرائع التي تسمح لها بتنفيذ مؤامرتها، فافتعلت ما عرف بالصراع الأوربي العثماني على السواحل اليونانية الذي شاركت فيه الجزائر بقطع من أسطولها في معركة "نافارين" سنة 1827[5]، حيث تحطمت القطع

1- هو نابليون بونابرت (1769-1821) ولد في أجاكسو من أسرة بونابرت، إمبراطور فرنسا (1804-1814) مثّل الجناح العسكري للثورة الفرنسية، انهزم في معركة واترلو 1815، نُفي إلى جزيرة سانت هيلانة بالمحيط الأطلسي حيث توفي ؟! عام 1821، يراجع: تاريخ نابليون الأول، مج.3،ص-ص. 71-78، المنجد في اللغة والأعلام، ط.31، ص.567.

2- مولود قاسم، نايت بلقاسم : شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج.1، ط.1،دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1405هـ/1985م، ص-ص.29-30.

3- محمد، زروال : العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830، مطبعة دحلب، الجزائر، ص.59، ويراجع أيضا: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)، ص.31.

4 - عبد الجليل، التميمي : بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر تونس ليبيا 1816- 1871، ط.2، د. م. ج، الجزائر، 1985، ص.62.

5- أحمد، الشريف الزهار : مذكرات، (1161هـ-1246/1754-1830)، تحقيق أحمد توفيق المدني ش.و.ن.ت، الجزائر،1980،ص.165

العسكرية المشاركة فيها وهو ما أحدث فراغا عسكريا كبيرا على السواحل الجزائرية فاستغلته القوى الاستعمارية لصالحها.

وأمام هذا الوضع الذي أصبحت عليه الجزائر نشطت الديبلوماسية الفرنسية بالجزائر في شخص القنصل الفرنسي دوفال (DEVAL) الذي افتعل مؤامرة المروحة مع الداي حسين، والتي رأت فيها فرنسا إهانة لشرفها وهيبتها بل واعتبرتها واترلو ثانية. ونتيجة لهذه المعطيات قام كل من رئيس الوزراء "دى بولينياك" والقادة العسكريون بتقديم مشروع الحملة للملك "شارل العاشر "في أوت 1829، وفي ظل الحصار البحري المفروض على الجزائر منذ 1827 وبوادر الثورة المنذرة بسقوط عرش الملك وافق عليها آملا في أن تضع حدا للغليان السياسي والشعبي الذي ساد فرنسا آنذاك[1].

- الاقتصادية :

شارك فيها أكثر من طرف : الملك "شارل العاشر" و السماسرة اليهود ورجال الأعمال فحاولت فرنسا استغلال امتيازاتها بالجزائر التي تعود إلى سنة 1578[2] وتحويلها إلى حقوق شرعية وغايتها أن تصبح الجزائر سوقا تجارية ومصدرا للثراء الفرنسي، وفي الوقت نفسه حاولت التخلص من دفع الضريبة المعهودة للجزائر والمقدرة بحوالي مائتي ألف فرنك سنويا[3].

لقد ساهمت مسألة الديون اليهودية لـ: "بكري" و" بوشناق" في توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية، بل هي التي كانت وراء حادثة المروحة فالقنصل "دوفال" أجاب عن سؤال الداي حسين بشأن تماطل فرنسا في دفعها بـ « إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم»[4]. فبفعل براعة هذا التمثيل وما نتج عنه تحرك اللوبي اليهودي بفرنسا وعملائه وأتباعه من السياسيين والماسونيين لدفع فرنسا إلى التحرك العسكري واحتلال الجزائر[5].

- الدينية:

وجد دعاة الحركة الاستعمارية في الدين المسيحي الورقة الرابحة لنجاح مخططاتهم، وجلب أكبر عدد ممكن من الأنصار على غرار ما قام به البابا " أوربان الثاني"[6] عندما دعا إلى الحروب الصليبية عام 1095م باسم المسيح[7]، ولذلك فالحملة الفرنسية ما هي إلا حلقة من حلقات الصراع الإسلامي المسيحي، ولتثمين هذا الطرح نكتفي بالإشارة إلى ما جاء على ألسنة البعض الذين روّجوا للحملة.

1- عبد المجيد،نعنعي، عبد العزيز، سليمان نوار : التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص.157.

2- جمال، قنان : معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، م. و. ك، الجزائر، 1983، ص. 42.

3- سعد الله، أبو القاسم : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط.2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981، ص.260.

4- حمدان بن عثمان، خوجة : المرآة، تعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري ط.2، ش.و. ن.ت، الجزائر، 1982، ص.180.

5 - سعد الله، فوزي : يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة، الجزائر، 1996، ص.206.

6 - حكم في الفترة ما بين (1088-1099) نادى بالحملة الصليبية الأولى، أعقبه سبعة بابوات آخرين. راجع: المنجد في اللغة والأعلام، ص82.

7- سعيد عبد الفتاح، عاشور : الحركة الصليبية، ج.1، ط.1، مكتبة الإنجلو مصرية، مصر، 1963، ص.130.

ففي خطاب لـ "شاطو بريان" أمام البرلمان الفرنسي بتاريخ 19 أفريل 1816 ذكّر فيه بإحياء الروح الصّليبية قائلا : « لقد رأيت أيها السادة أنقاض قرطاجنة والتنقيب بين تلك الآثار مع الذين خلفوا أولئك المسيحيين المساكين الذين قدم سان لويس حياته فداء تحريرهم... أليس يتعين على الفرنسيين الذين خُلقوا للمجد والأعمال العظيمة أن يكملوا العمل الذي شرع فيه أسلافهم ؟ ففي فرنسا وقعت الدعوة للحرب الصليبية الأولى وفي فرنسا يجب أن ترفع راية الصليبية الأخيرة[1]».

ويشاطره الرأي وزير الحربية الذي جاء في إحدى تقاريره: «إنها حرب صليبية هيأتها العناية لينفذها الملك الفرنسي الذي اختاره الله ليثأر من أعداء الدين والإنسانية (المسلمين)»[2]، ويضيف مخاطبا الملك لعل الوقت سيجعل من حظنا نحن الفرنسيين تمدين الجزائريين بجعلهم مسيحيين، وممّا سبق ذكره يمكن أن نخلص إلى النقاط الآتية :

- تضافر الجهود الأوربية والفرنسية في القضاء على الإيالة الجزائرية.
- دور اليهود الفعّال في دفع فرنسا لاحتلال الجزائر حفاظا على مصالحهم.
- تعاون رجال الأعمال مع السانسيمونية العالمية[3] والميركانتلية في التخطيط للحملة.
- توظيف الدين المسيحي والدعاية الإعلامية[4] في محاولة إبراز إيجابيات الحملة.

حجم الحملة الفرنسية ونتائجها الأولية:

بعد حصار بحري دام ثلاث سنوات تحرك الأسطول الفرنسي[5] باتجاه العاصمة الجزائرية والذي أسندت قيادته إلى الجنرال "دوبرمون"[6]، وبالاعتماد على تقرير بوتان الذي أعدّه سنة 1808 تم النزول بسيدي فرج يوم 14 جوان 1830، ورغم الدفاع المستميت الذي أبداه الجزائريون فإنّ جيوش فرنسا تمكّنت من الزحف على العاصمة نفسها، وأمام الأضرار التي لحقت بالبلاد والعباد طلب الداي حسين الأمان لنفسه وأهله وماله، فأجابه قائد الحملة بضرورة التوقيع على شروط الاستسلام يوم 05 جويلية 1830[7] وهو ما تم فعلا. إذ بعد هذا التاريخ تصبح مدينة الجزائر تحت السيطرة الفرنسية. ومن النتائج الأولية للحملة نذكر:

1- مبارك بن محمد الهلالي، الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج.3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص.283.

2- صالح، عوض: معركة الإسلام والصليبية في الجزائر 1830-1962، ج.1، الزيتونة للأعلام والنشر، تونس، 1989، ص.65.

3- مصطفى، الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة، حنفي بن عيسى، م. و. ك، الجزائر، 1983، ص.267.

4- يراجع البيان الفرنسي الذي وُزّع على الجزائريين قبل الحملة في:

- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ص-ص. 277-280.
- نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، ص-ص.26-28.
- مذكرات أحمد الشريف الزهار: ص.177.

5- كان مجهزا بـ 675 سفينة حربية وتجارية، منها: سبع بواخر تحمل على متنها 37.331 عسكري، منهم 110 قادة أركان و4008 فارس و20815 رماة مدفعية و 10354 بالهندسة العسكرية. يراجع: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1821-1840).ص.53.

6- دامريمون داني " DAMREMONT , DENIS " (1783-1873)، ولد بمدينة شومون، التحق بالمدرسة الحربية في فون تان بلو سنة 1803: أصبح ملازما سنة 1804 في كتيبة الحيالة، رُقي إلى رتبة عقيد سنة 1813، ثم مارشالا سنة 1821، شارك في الحرب الإسبانية سنة 1823، عين حاكما عاما للجزائر سنة 1837، توفي في معركة قسنطينة الثانية. يراجع: الأبرالي دو جيوي ن ليس دامريمون

- G.D.E, Larousse, Tome2. p. 2932.

7- يراجع مضمون هذه المعاهدة في : المرآة، ص. 203. نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، ص- ص. 69- 70.

- احتلال مدينة الجزائر –العاصمة– وبالتالي زوال نظام الحكم العثماني بها ورحيل الداي حسين وعائلته عنها.

- استباحة المدينة من طرف الجند الفرنسي الذين عاثوا فيها فسادا، فانتهكت الحرمات وأزهقت الأرواح، وتلطخ الشرف الجزائري بالعار الفرنسي.

- الاستيلاء على الخزينة الجزائرية التي قدرها الفرنسيون آنذاك بـ: 55,684,527 فرنكا فرنسيا، أما الحسابات التي أجراها الخاصة –جهات غير رسمية– للخزينة فقد أثبتت أن قيمتها 400,000,000 فرنكا فرنسيا[1]، بالإضافة إلى الاستيلاء على دور الأرشيف وتهريبه إلى فرنسا.

- تهديم المساجد وتحويل ما تبقى منها إلى مستودعات للأسلحة، فطمست معالم المدن الجزائرية، هذا فضلا عن نفي رجال الدين الإسلامي ومصادرة أملاكهم والأملاك التابعة للأوقاف الإسلامية، ولقد كان لليهود دور كبير في إرشاد الجنود إلى الأماكن الثرية من المدينة التي سلبت ونهبت لحساب اليهود تحت هتافات "Vive les français"[2].

موقف سلطان المغرب من الحملة الفرنسية على الجزائر:

نظرا للأهمية التي تكتسيها شخصية سلطان المغرب المولى عبد الرحمن بن هشام ونظرا للدور الذي سيلعبه في أحداث الموضوع المراد معالجته[3]، فالضرورة تقتضي منا أن نعرف بشخصه فمن هو السلطان عبد الرحمن؟

التعريف بالسلطان:

هو عبد الرحمن بن هشام بن محمد الحسيني، ولد في سنة 1168هـ/1790م بالمغرب، عهد إليه عمه المولى سليمان بالخلافة قبل وفاته، فتولى حكم المغرب في الفترة الممتدة ما بين (ربيع الأول 1238هـ-محرم 1276هـ/سبتمبر 1822م-أوت 1859م)[4]. ومن أهم صفاته: كان من أعظم الملوك عبادة، تاركا للشهوات المعتادة، مائلا إلى التقشف في اللباس، حتى كأنه رجل من آحاد الناس، زوارا لبعض الأولياء الأموات منهم والأحياء[5]، كما كان رحمه الله صواما قواما ومن أتقى ملوك الإسلام وأقومهم طريقة، ذا علم وورع وكمال وهدى وجد ونجدة وشجاعة وصدق لهجة واقتصاد في الأمور وتدبر ونظر في العواقب[6].

لا شك أن هذه الصفات هي التي جعلت المولى سليمان يفضله عن باقي أبنائه ويكسب ثقته، فرآه أهلا لتحمل المسؤولية العظمى ومباشرة مهام الحكم بجد وعزم، عرفت فترة حكمه اضطرابات عديدة بالمغرب

---

1 - فوزي، سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، المرجع السابق، ص-ص. 228-230.

2 - المرجع نفسه، ص-ص. 228-230.

3 - العلاقات الجزائرية المغربية 1830-1847 (الغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجا)

4 - خير الدين، الزركلي : الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج.4، ط.7، 1986، ص.11.

5 - محمد بن جعفر بن إدريس، الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس، ج.3، طبعة حجرية، منها نسخة مصورة ب :ك،آ،ع،إ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1997، ص.232.

6 - أبو العباس أحمد، الناصري : الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى الدولة العلوية، القسم الثالث، ج.9، تحقيق وتعليق ولديه : محمد وجعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1956، ص-ص. 3-4.

وأزمات اقتصادية وأمراض دورية مزمنة كالطاعون والكوليرا والمجاعة خلال السنوات الآتيـــة : 1826، 1834، 1847، 1854، 1859[1]. والتي أدت إلى قيام عدة ثورات أقل ما يقال عنها إنها تمرد وعصيان وخروج عن طاعة السلطان، ولعل أكبر حدث خارجي زامنه السلطان هو الاحتلال الفرنسي للجزائر والاعتـــداءات الفرنســية المتكررة على المغرب الشرقي من جهة البر، والتحرشات الإسبانية والإنجليزية والدانمركية من جهة البحر.

ومن أهم الإنجازات التي قام بها : إعادة بناء مرسى طنجة، تجديد الحرم الإدريسي بفاس وبناء مسجده وتوسيعه، بناء البرجين العظيمين بمدينتي سلا وأشبار الكبير، بناء قصبة العنجرات وبوزنيقة بين الرباط والـــدار البيضاء، كما اهتم بالجانب العلمي فأغدق على العلماء والكتاب بالأعطيات -المنح-. ورغم ما عرفه المغـــرب في عهده من ويلات حاول السلطان أن يتجاوزها فكان عهده حافلا بالنشاط والازدهار، وهناك من الشعراء المغاربة من عبّر عن شخصية السلطان في الأبيات الشعرية الآتية[2] :

كـــل ملـــوك العـــراق ... وملـــك مصـــر والشـــام
فمـــا لهـــم مـــن مرام ... لـــو حضـــر ابـــن هشـــام
أو خـــاض بحـــر نـــداه ... يكفيـــك قطـــر الغمـــام...
إمـــام فضـــل ولكـــن ... فـــاق ملـــوك الأنـــام
فـــرد كـــل مضـــل ... عـــن الهـــدى بالحســـام
يعـــز كـــل مـــذل ... فيـــه جميـــع المـــرام
مـــا سمـــع الدهـــر قـــط ... بمثلـــه في الكـــرام

توفي يوم الاثنين 29 محرم 1276هـ/1859م، ودفن أول صفر بضريح جده الأعلى المولى إسماعيل بمكناسة الزيتون[3].

- موقفه من الحملة :

انطلاقا من طبيعة العلاقات التاريخية التي كانت قائمة بين إيالة الجزائر والدولة العلوية قبل ســنة 1830 فإن السلطان اتخذ مواقف عدة من الجزائر منذ الحصار البحري الـــذي فـــرض عليـــها إلى غايـــة الاحتـــلال (1827-1830)، ويمكن رصد مواقفه في الفقرات الآتية:

التزم المولى عبد الرحمان الحياد منذ أن وصلته أخبار حادثة المروحة سنة 1827 وإعلان فرنسا الحصـــار البحري على الجزائر[4]، إلا أنه لم يمنع أولئك الذين اندسوا في صفوف الشعب المغربي وقدّموا خدماتهم لصـــالح

---

1 - محمد الأمين، البزاز: *تاريخ الأوبئة والمجاعات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشـــر*، منشـــورات، ك.آ.ع، إ، الربـــاط، سلســـلة رســـائل وأطروحات، رقم 18، المغرب، 1970، ص-ص. 163-229.

2 - عبد الرحمن، ابن زيدان: الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصاديـــة، الربـــاط، 1356هـــ/1937م، ص. 88، والشاعر هو العلامة الأديب أبو عبد الله محمد بن سعيد بن علال السوسي المرتي المتوفي عام 1264هـ.

3- مدينة حصينة تقع على الطريق الرابط بين فاس وسلا على شاطئ البحر المحيط، أكثر أشجارها الزيتون، ويقال أنها نسبة إلى قبيلة زناتة، لعبت دور كبير في تاريخ المغرب القديم والحديث، يراجع: معجم البلدان، ج5، ص210.

4 - يعود تاريخ الحصار إلى 16 جوان 1827، ونزول القوات الفرنسية بسيدي فرج كان يوم 14 جوان 1830، واحتلال مدينة الجزائر كان يـــوم 05 جويلية 1830، يراجع: (الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827-1830)، ص-ص. 11-23.

فرنسا، فالكثير من رجال الطرقية - الطيبية، الشاذلية، الدرقاوية- تنكّروا في زي مُتسوّلين يجوبون شوارع العاصمة الجزائرية لجمع المعلومات عن حالتها الداخلية ثم يدخلون بها المغرب حيث تُسلّم للبعثات الدبلوماسية الفرنسية العاملة بالمغرب[1].

وفي صيف 1828 تمكّن الجزائريون من الاستيلاء على بعض المراكب التجارية الفرنسية فاقتادوها إلى ميناء تيطوان والعرائش، وهو ما دفع بنائب القنصل الفرنسي "دي لابورت" (DE LAPORT)[2] إلى تقديم احتجاجاته إلى السلطات المغربية بالامتناع عن استقبالهم. إلا أن السلطان رفض ذلك بل أمر عامله بتطوان محمد أشعاش[3] باستقبالهم والسّماح لهم ببيع غنائمهم ونلمس ذلك في الخطاب الذي أرسله له بتاريخ 14سبتمبر 1828م «فأعلم أن أهل الجزائر إخواننا ... وأهل محبتنا فلا يحمل بنا طردهم ... ولاحظهم بطرف خفي بما يحتاجون إليه من الفرشك وغيره وإن وجد سبيلا لبيع شيء من غنيمتهم سرا بحيث أن لا يكون شعور الآخر فلا تمنعهم»[4].

أمام هذا الرفض المغربي جدد "دي لابورت" مطالبه لدى السلطان خلال شهر جانفي 1829، بل أضاف إليها مطلبا جديدا وهو منع وكيل الجزائر بتطوان عبد الكريم بن الطالب من حمل وساق الغنائم إلى الجزائر التي بيعت في تطوان، وفي ظل هذا النشاط الدبلوماسي الفرنسي أرسل السلطان بتعليمات إلى كل من محمد أشعاش وعامل العرائش تضمنت منع الجزائريين من بيع غنائمهم، في الوقت الذي أخبر فيه السلطان نائب القنصل الفرنسي بقراره هذا، واللافت للانتباه هنا أن قرار المنع جاء بعد عملية البيع، وعليه فهو يندرج ضمن سياسة السلطان لتجاوز مطالب فرنسا.

ومع مطلع شهر أفريل 1829 وفي ردهما عن إشعار فرنسا السلطان بإرسال حملة عسكرية لمعاقبة الداي حسين، أكد باشا طنجة السعيدي العربي وأمين ديوانه الطيب البياس -البياز أحيانا- بأن المغرب غير منشغل بها، ووعدا بأن الفرنسيين سيجدون في كل البلاد المساعدة التي تحتاجها سفنهم وأشخاصهم، وفي الوقت نفسه أعربا عن قلق المغاربة من هذه الحملة، وفي رسالته إلى محمد أشعاش بتاريخ 21 أفريل 1829 حذّر السلطان من الخطر الفرنسي وأمر بالتزام الحذر والحيطة تجاه التحركات الفرنسية.

---

1 - الملكي، جلول: مسألة الحدود المغربية الجزائرية من (631هـ-1263هـ/1234م-1847م)وأثرها على العلاقات بين البلدين، د. د. ع، الجزائر، 1413هـ /1993م، ص.127.

2 - دي لابورت (1777-1861): مستشرق فرنسي ولد بمدينة باريس تخرج من مدرسة اللغات الشرقية ذهب مع نابليون إلى مصر، شغل موظفا بقنصلية فرنسا في كل من طرابلس، بيروت، المغرب (1830-1832)،من أهم آثاره أبحاث في اللغة العربية،حرائب طرابلس البربر يراجع: المستشرقون،ج.1،ص170.

3 - هو ابن القائد الحاج عبد الرحمان بن عبد القادر أشعاش، التحق بسلك خدام السلطان فولاه على مدينة تطوان عام 1242هـ، كان ذا شخصية بارزة غلب عليها طابع القوة والسطوة -استبد في حكمه- أنجد السلطان عدة مرات أثناء الفتن الداخلية التي تعرض لها، تسوفي بتطوان يوم 24 محرم 1261هـ، دفن بزاوية سيدي عبد الله الحاج البقال المتصلة بدار أشعاش، يراجع: تاريخ تطوان، مج3، ص-ص.276-294.

4 - وثائق، خ،ح،ر: رفض السلطان لطلب الفرنسيين في شأن منع الجزائريين بيع غنائمهم وسلبها منهم، المحفظة رقم. 1، الوثيقة رقم 5، بتاريخ 4 ربيع الأول 1244هـ.

في منتصف ماي 1830 وصلت القنصل المغربي بجبل طارق "يهودا بن عليل" رسائل من الداي حسين موجهة إلى المولى عبد الرحمن، فأكد "دي لابورت" في تقريره إلى كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية الفرنسية "دي بولينياك" (DePolignac) بأن هذه الرسائل إذا كانت في شأن موضوع الحملة فإنها ستستقبل ببرودة، لأن السلطان عازم على التمسك بالحياد، وقد عبّر فيما بعد وزير الخارجية "سباستياني" (Sebastiani) عن هذا الحياد في رسالته إلى الملك "لويس فيليب"[1] بتاريخ 20 فيفري 1831 بـ « كان هذا الأمير [أي السلطان] يظهر مصفقا لحملتنا ضد داي الجزائر الذي لم تكن علاقته به جيدة، وقد استجاب بسرعة إلى الخدمات التي طلبناها منه، بل أفهمنا بأننا نستطيع الحصول منه على أكثر من ذلك، من دلائل الرعاية بدون خوف من المساس بالمشاعر الدينية لرعاياه »[2].

إن التحركات الفرنسية أثمرت في الأخير بتلقي "دي لابورت" تأكيدا من باشا طنجة بأن كل السفن والرعايا الفرنسيين الذين يمكن أن تدفع بهم الظروف إلى الشواطئ المغربية المتوسطية سيتلقون كل الدعم والمساندة. وأبلغه أنه سيكتب إلى القبائل الواقعة عبر هذه الشواطئ بتنفيذ ذلك، فكان جواب محمد تكرت — أحد زعماء هذه القبائل — في صالح الطرف الفرنسي والذي أخبر فيه باستعداد القبائل في تنفيذ تأكيدات باشا طنجة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى قَبِل السلطان في الأخير بتقديم المساعدة للفرنسيين، فأمر الطيب البياس بالسماح للسفن الفرنسية أن تأخذ كل مواد التموين المصرح بتصديرها، وعلى اثر ذلك تم عقد صفقة تقدر بأربعمائة وثمانين ثورا، إلا أن النشاط الذي أبداه وكيل الجزائر بتطوان حال دون أخذها في الوقت المناسب، وبوصول أخبار احتلال مدينة الجزائر إلى السلطان بتاريخ 27 جويلية 1830 صعبت من مهمة الحصول عليها، لكنه في خلال شهر أوت 1830 أمر السلطان باشا طنجة وأمين ديوانه بأن يُسرحا للفرنسيين ما تم الاتفاق عليه[3].

موقف سلطان المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 :

اختلفت الروايات التاريخية حول الموقف الرسمي الذي تبناه البلاط المغربي-السلطان- من احتلال مدينة الجزائر، فهناك من يرى أن السلطان اتخذ موقفا سلبيا تجاه ما حدث يكمن في أنه كتب إلى "كلوزيل"[4] (CLAUZEL) مُعبرا له عن فرحته بالانتصار الذي حققه على الجزائر، وآملا في توسيع حدود بلاده على

1 – لويس فيليب (1773–1850)ملك فرنسا (1830–1848) كان ضعيف الشخصية، ترك تسيير شؤون فرنسا لوزيره جيزو الحاكم الفعلي منذ عام 1840، جاءت به ثورة 1830 وطردته ثورة 1848، يراجع : المنجد في اللغة والأعلام ص. 501

2 – إبراهيم، ياسين : (موقف المغرب من الحملة الفرنسية على الجزائر)، المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912، ج.2، الجامعة الصيفية، جويلية، المحمدية، المغرب، 1987، ص.121.

3– يحي، جلال و آخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص.10.

4– الكونت برترون دو كلوزال (CONTE , BERTRAND. DE CLAUZEL) (1772–1842) اشتغل ضابطا في الأركان العامة للجيش الفرنسي، ساند نابليون في ثورته، اشتهر بحروبه في اسبانيا (1810–1813)، عين سنة 1727 قائد الجزائر بمقاطعة واغال، شغل منصب خليفة الجنرال بورمون، حاكم عام الجزائر (1835–1837). يراجع: التاريخ العسكري والإداري، ج.1، ص203.

حساب الغرب الجزائري دون عائق[1]، وفي الوقت نفسه أقدم- بعدما وصلته أخبار الاحتلال- على تغيير مقر إقامته، فانتقل من مراكش إلى مكناس[2] وظل يراقب تطور الأحداث من هناك.

لكن أثناء عملية البحث وجدت وثائق عدة تخالف الرأي الأول، وهي تثمّن موقف السلطان الإيجابي؛ فبمجرد أن سمع خبر احتلال العاصمة الجزائرية وجم السلطان فقام وقعد! وكتب مباشرة إلى محمد أشعاش بشأن هذه الكارثة ما نصه:«وصلنا كتابك صحبة كتاب ابن عليل (أحد وجهاء يهود طنجة) على شأن الواقعة التي ساءت الإسلام والمسلمين،وأغرت عيون أهل التقوي والدين من استيلاء عدو الله الفرنصيص على ثغر الجزائر... إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجر المسلمين في هذه المصيبة العظمى[3]».

ونتيجة للاضطهاد الذي حلّ بالجزائريين هاجرت عشرات الأسر الجزائرية نحو المغرب هؤلاء الذين أصبحوا يعرفون بالمهاجرين الجزائريين، فوردت هذه الأسر -العائلات- على المغرب في شكل أفواج متوالية يمكن أن نميز منها ثلاثة أفواج رئيسية: الفوج الأول هاجر مع بداية الاحتلال وتكون من أولاد الصابوني وأولاد بني مرزوق وأولاد العشعاشي وأولاد امباصو وأولاد المير وأولاد مولاي عبد القادر، الفوج الثاني هاجر مع الأمير عبد القادر أثناء لجوئه إلى المغرب الشرقي سنة 1843، الفوج الثالث كان يهاجر بين الحين والآخر بسبب سياسة الاستيطان والطرد الذي تعرضوا له، فكيف كان موقف السلطان من مهاجري الفوج الأول؟

بمجرد وصول خبر السفينتين الحاملتين لأهل الجزائر إلى المغرب -تيطوان- أخبر عامل المدينة محمد أشعاش السلطان بحالهم، فأصدر هذا الأخير ظهيرا رحمانيا بشأنهم يوصيه فيه بالإحسان إليهم والعطف عليهم جاء فيه:« وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود المركبين الحاملين لأهل الجزائر ردها الله دار إسلام... فكل من ورد منهم قابله بالبشاشة والقبول، وأجبر خواطرهم بالإكرام ولين الجانب، فإن جبر القلوب واجب »[4].

لم يكتف السلطان بذلك بل سرعان ما كتب إلى عامل المدينة نفسه بضرورة الانتفاع بمواهبهم وتوظيفهم في الخدمات والمهن التي يتقنونها، لكي لا يبقوا عرضة للضياع والإهمال، ونص ما جاء في كتابه:«وبعد فقد بلغنا أن أهل الجزائر الذين يردون منها، ردها الله دار إسلام فيهم البحرية والطبجية والعارفون بصنع البنبه والكورة والمدافع والمهارس... فبوصول كتابنا هذا إليك اخترهم وأضف كل فريق إلى أهل خطته وأعلمنا بهم، فإنهم إن أهملوا بقوا عرضة للضياع »[5].

1- يحي، جلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية. المرجع السابق، ص.17. ويراجع أيضا: مسألة الحدود المغربية الجزائرية، المرجع السابق، ص.128.

2- HENRI, TERRASSE : HISTOIRE DU MAROC. Tom.2 ; editions atlantides, casa blanca ; n.d.p.431.

3- وثائق. خ.ح.ر: استياء سلطان المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر، محفظة، 1 وثيقة رقم 34، بتاريخ 10 صفر 1246هـ/ 31 جويلية 1830م. ينظر الملحق رقم: 1

4 - مديرية الوثائق الملكية: رسالة السلطان بشأن معاملة المهاجرين الجزائريين، مجموعات وثائقية، دورية، تصدرها مديرية الوثائق الملكية، مج.1، المطبعة الملكية، الرباط، 1396هـ/1976م. ص-ص. 459-460، ينظر الملحق رقم 2.

5 - وثائق. خ.ح.ر: توظيف المهاجرين الجزائريين في الأعمال الحربية، محفظة رقم 1، وثيقة رقم 37، بتاريخ 23 جمادى الفرد 1246هـ/20 أكتوبر 1830م.

وخوفا من تحول هذا التوظيف إلى عمل إجباري في حقهم أعقب السلطان كتابه بكتاب آخر إلى أشعاش يوصيه فيه أن لا يكلفهم دون رغبتهم فهم أحرار، وذلك بتاريخ 19 نوفمبر 1830 جاء فيه:« فهم أحرار، ومن أراد من الطبجية أو البحرية أن يدخل مع أهل خطته عن طيب نفس منه فأقبله ولا تكره أحدا، ومن أراد أن يبقى عند نفسه فهو في سعة »[1].

وأمام هذا الاهتمام المتزايد للسلطان بالمهاجرين الجزائريين، تزايد عددهم فوصل في نهاية القرن التاسع عشر إلى حوالي ثلاثمائة عائلة جزائرية، لها ملكيتها الخاصة بالمغرب وفي مختلف الميادين، هذا فضلا عن العناصر التي حظيت بثقة السلطان عبد الرحمن، كالقاضي الهاشمي بن بومدين بروكش، محمد الوالي، الفقيه أحمد بن عبد القادر بن الطيب وأحمد بن عبد القادر بن الطاهر، فشكل هذا الوفد هيئة قضائية إدارية جزائرية للنظر في كل ما يتعلق بأحوالهم الشخصية، وتقديم متمنياتهم في الأعياد الدينية والاستقبالات الرسمية لدى السلطنة المخزنية، وقد ضمّت جماعتهم وقتئذ خمسة أعيان هم: علي بن عبو، الحاج عبد القادر بن الكندوز، محمد بن العربي، محمد بن التهامي ومحمد بن أحمد الهاشمي[2].

لم يقتصر تعامل السلطان مع هؤلاء المهاجرين بل تعدى ذلك إلى الداي حسين، فعقب إمضائه لمعاهدة الاستسلام سنة 1830 والتي جاء في شرطها الثالث: حرية اختيار الداي لمكان انتقاله عبّر السلطان عن استعداده لاستقباله هو وحاشيته بمدينة تطوان التي حلت بها الأسر الجزائرية وذلك في كتابه إلى محمد أشعاش بتاريخ 22 جانفي 1831 الذي جاء فيه:« فقل له يكتب بأنا أذنا له في ذلك فإن سكناه ببلاد المسلمين أولى ليسمع آذانهم ويلزم جماعتهم ولا يبقى غريبا ببلاد الكفر ... وإن ورد فلا يرى إلا ما يسره إن شاء الله »[3].

فكيف كان موقف الداي من هذا الاستدعاء؟

فضّل الداي حسين التوجه إلى بلاد النصارى أولا وبعد تنقلات عدة استقر به المقام في مصر[4]. فعبّر السلطان عن تأسفه لهذا التوجه وعن ما لحق الداي من معاناة في كتابه إلى محمد أشعاش يوم 23 جانفي 1831 جاء فيه«ولو أراد الله به خيرا لقاده إلى بلاد الإسلام...ولا سيما وهو رجل سلب ملكه وذهبت دولته... وحيث أراد الله به خلاف الخير سير له سببه فقاده إلى بلاد الكفر حيث لا يسمع آذانا ولا كلمة شهادة نعوذ بالله» [5].

---

1 - إسماعيل مولاي، عبد الحميد العلوي: تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد، ج.1، ط.1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1406هـ/1985م، ص- ص.108-109.

2 - المرجع نفسه، ص- ص. 110-111.

3 - وثائق خ،ج،ر: موافقة السلطان على رغبة باشا الجزائر في القدوم إلى المغرب قصد الإقامة مروبا من المعتدين الفرنسيين بالجزائر، محفظة 1، وثيقة رقم 33، بتاريخ 8 شعبان 1246هـ.

4 - الداي حسين آخر دايات الجزائر العثمانية، حكم في الفترة (1818-1830)، طلب في البداية اللجوء إلى مالطا إلا أن القائد العام الفرنسي رفض -قد يكون لتخوفه من إمكانية ربط الداي لعلاقات مع الإنجليز- فعين له نابلي التي أخر إليها يوم 15 جويلية 1830، ومنها إلى ليفورن ثم إلى باريس، عاد إلى القاهرة. توفي بالإسكندرية سنة 1838. يراجع: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)، ص.89.هناك ثلاثة نقاط اختلاف حول الداي تتعلق بـ : تاريخ مغادرته للجزائر، الأماكن التي انتقل إليها، ووفاته بمصر.

5- وثائق، خ.ج.ر: وصول الإعلام بما حصل للداي الجزائر على يد المستعمرين الفرنسيين، محفظة1، وثيقة رقم 40، بتاريخ 9 شعبان 1246هـ.

– صدى احتلال الجزائر في المغرب :

أحدث نبأ احتلال مدينة الجزائر صدى قوي في المغرب إذ عبّر الشعب المغربي عن تضامنه مع الشعب الجزائري و بمختلف شرائحه فيصور لنا "جوليان"[1] الأثر الذي أحدثه نبأ الاحتلال لدى المغاربة:«إن عيون كل المغاربة مُركّزة على غزو العاصمة الجزائرية، لقد أدخل نبأ سقوط المدينة الحزن على قلوب المغاربة»[2] في الوقت الذي تم فيه الترويج للشائعات والتي مفادها: أن الأمل معلق على تلك القطع الحربية الإنجليزية المقدر عددها بسبع وخمسين بارجة أن تتدخل لصالح الجزائر، أو أن يتحرك جيش التيجانيين المكون من ثمانين ألف شخص لنصرتها[3]. ويمكننا رصد المواقف الشعبية في الفقرات الآتية:

لقد كان للشعراء والأدباء دوركبير في التصدي للهجمة الشرسة التي تعرضت لها الجزائر، وذلك من خلال محاولة شحذ الهمم وإيقاظ الضمائر وحث الناس على الجهاد، ومن أبرز هؤلاء ابن إدريس [4]، الذي ألّف قصيدة حماسية هائلة و الأدل على ذلك أن السلطان أمر الأئمة والوعاظ بقراءتها في المساجد عقب كل صلاة وعلى كراسي الوعظ في أدنى البلاد وأقصاها ولأهميتها أورد منها هذه الأبيات[5]:

يا ساكني الغرب الجهاد الجهاد	فالكفر قد شاركم في البلاد
والشرك قد نصب أشراكه	مستعبدا بكيده العباد
ويا حماة الدين ما صبركم	والمشركون يطلبون البلاد
ما هذه الغفلة عن ضدكم	وأنتم في الحرب أسد البلاد
إن بني الأصفر أعداءكم	أطمعهم نومكم في السواد

ويواصل ابن إدريس قصيدته متأسفا عن ما لحق الجزائر من انتهاك للحرمات والأعراض فيقول[6]:

آه على مساجد رجست	بعد الصلاة حان خمر وناد
أه على صوامع أبدلت	بعد الآذان نقر ناقوس ومساد
آه على مدارس أصبحت	بعد دروس العلم مأوى العناد

1- جوليان شارل آندري،مستشرق فرنسي من جامعة السربون،له مؤلفات تاريخية ومقالات كثيرة نشرها في المجلة الإفريقية، يراجع: المستشرقون، ج 1،ص،221.

2- JAQUES, GALLIE : la petite histoire du Maroc ; Tome1, Casablanca, MAROC.1950.P.189.

ويراجع أيضا: (التدخل المغربي في الجزائر غداة احتلال العاصمة الجزائرية سنة1830)، ص.261.

3- شارل آندري جوليان: (التدخل المغربي في الجزائر غداة احتلال العاصمة الجزائرية سنة1830)، البحث العلمي، ع3 السنة الأولى، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1964، ص.261.

4- محمد ابن إدريس بن محمد العمراوي الأزموري الفاسي: ولد بفاس حوالي 1209هـ/1794م نشأ في بيئة علمية راقية ودينية محافظة، درس في جامع القرويين بفاس، تتلمذ على أشهر علماء عصره: حمدون بن الحاج في الأدب والعروض والخانجي في العلوم الشرعية، اشتغل بحرفة نسخ الكتب لأنه كان فقيرا، نالت قصائده إعجابا واستحسانا في البلاط المغربي، فعينه المولى عبد الرحمن كاتبا له، ثم سرعان ما استوزره على نفسه، تعرض إلى الكثير من المحن والشدائد نتيجة المؤامرات التي حيكت ضده، توفي بفاس يوم 4 محرم 1264هـ/12 ديسمبر 1847م، بعد مرض عضال. يراجع: الناصر الفاسي: (محمد ابن إدريس وزير مولاي عبد الرحمن وشاعره). الأعلام،مج6،ص،27

5- الناصر، الفاسي: (محمد بن إدريس وزير مولاي عبد الرحمن وشاعره) البحث العلمي، ع1، السنة الأولى، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1964، ص165.

6- الناصر، الفاسي: (محمد بن إدريس وزير مولاي عبد الرحمن وشاعره) المرجع السابق، ص167.

آه على مكاتب قد خلت وعادها بعد النفاق الكساد
آه على حواضر وقرى ووجنة للكفر فيه مراد
آه على الحرم قد هتكت ولم يغر لهلكها ذو فؤاد
آه على ثغور عز غدت بعد التبسم كساها الحداد

وإلى جانب ابن إدريس نجد محمد غريط[1] الذي لعب هو الآخر دورا كبيرا في استنهاض الهمم ولفت الانتباه إلى ما حل بالجزائر، فأنشد قصيدته النونية، يناشد فيها مسلمي المغرب الوقوف إلى جانب إخوانهم بالجزائر، ومن أهم ما جاء فيها[2]:

يا معشر المسلمين استيقظوا وخذوا من العدو حذركم سرا وإعلانا
فليس يؤمن غدرهم وإن بعدوا فكيف إذا أصبحوا للحد جيرانا
وتنقذوا أهلها من العدو فقد أراهم من شنيع المكر ألوانا
والدين أوجب أن نسعى لنصرتهم بالنفس والمال أشياخا وشبانا

ويظهر لنا في هذا الشأن أيضا، الفقيه المصلح أبو الحسن التسولي[3] الذي ألّف خطبة جهادية راقية جدا اشتملت التحريض على الجهاد والاستعداد له، ومما ورد في شأن خطر العدو وضرره، قوله: «فإن فساد الكفر لا يعد له فساد، يبث الشرك والتثليث وينسخ كلمة التوحيد، ويمحو أثر قائلها من الأرض والبلاد»[4] ثم دعا إلى جمع الشمل وتوحيد الكلمة استعداد لقتاله إلى أن يقول: «فحرضوا أنفسكم وأشياعكم عليه بقلب وقالب وجازم الاعتقاد، وأكثروا من الأهبة والنفر إليه، وبادروا له بغاية الاستعداد»[5]، ولم يكتف التسولي بتسطير هذه الخطبة ونشرها بين الناس، بل بادر بالتنقل عبر مختلف مدن المغرب ليوضح للناس خطر العدو الفرنسي وكيده. وهناك أيضا أحد أدباء مدينة تيطوان[6] الذي حاول أن يصور لنا ما آل إليه أمر أهل الجزائر الذين حلوا بمدينته في قصيدة استفهامية تعجبية، جاء فيها[7]:

1- محمد بن محمد غريط الأندلسي، أصله من الأندلس، هاجر أسلافه وسكنوا مكناسة بالمغرب، تعلم بها ثم انتقل إلى فاس، فولاه السلطان عبد الرحمن رئاسة وزارته، ولكنه لم يلبث أن أعفي منها، كان من الكتاب الفضلاء، فكتب للوزير الجديد محمد الصفار، وله نظم كثيرة، مات بفاس سنة 1280هـ، يراجع: أجوبة التسولي عن أسئلة الأمير عبد القادر، ص65.

2- عثمان، شيبوب: (هل يعيد التاريخ نفسه، موقف الملوك وموقف الشعوب)، الأصالة، ع28، السنة الرابعة، ذو القعدة، ذو الحجة، 1345هـ، نوفمبر- ديسمبر 1975م، مطبعة البعث، قسنطينة، ص-ص7-8.

3- أبو الحسن علي بن عبد السلام بن علي التسولي، السيراري، النبراسي البلسوري الملقب بمديدش، ولد بتسول إحدى مدن المغرب العربي المنسوبة إلى قبيلة تسول من قبائل البربر، يرجع تاريخ ولادته إلى أواخر القرن 12هـ وأوائل القرن 13هـ، نشأ وترعرع بفاس، تتلمذ على شيوخ جامع القرويين، لعب دورا كبيرا في الدفاع عن الجزائر، ساند حركة الجهاد الجزائرية التي قادها الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري، كانت له اتصالات كثيرة معه في شأن الكثير من المسائل الفقهية، توفي بفاس صبيحة يوم السبت 15 شوال 1258هـ، دفن بضريح الشيخ أحمد بن علي والده. يراجع: أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، ص-ص.45-47.

4- علي، التسولي: أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، ط.1، دراسة وتحقيق عبد اللطيف أحمد، الشيخ محمد صالح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص-ص.36-39.

5- علي، التسولي: المصدر نفسه، ص.46.

6- أديب مجهول.

7- أبو حامد العربي، المشرفي: الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، مخ، خ.ع.ر، رقم 1463، د، ص.201.

أحقا ما أشيع عـــــن الجزائر وإرهاب البواطن والظواهر
لئن نـــــزل الهوان بها وذلت فقد شمل البوادي والحواضر
وكيف يلذ في بلد مقـــــام إذا هان الهوان على الأكابر...
لئن ثبت المقال كما سمعنـــا فقد طاب الرحيل إلى المقابر

ونتيجة لهذه النظرة التشاؤمية التطوانية، ظهرت الحمية الدينية لدى أحد أدباء الجزائر[1] الـــذي أجابـــه بقصيدة شعرية محاولا التخفيف من هذه النظرة، ومن أهم ما جاء فيها[2]:

هـــي الأقلام شظفها المحابر لتسمعك اليقين عن الجزائر
أتاها مـــا أراد الله حينـــا فكانت شمس في الجزائـــر
إلى أن جاءها والأمـــر أمـــر مليك لا يمـــاري في المـــآثر
وألبسها ثياب العز فجـــرا فاصبح وجهها كالنر زاهـــر
وأنفـــق في سبيل الله مـــالا وجهز جيشا للقاء الكوافـــر
فجادلنا وجادلهـــم بمـــال وطعن في الصدور وفي الحناجر
وكم رمت الحصون عليهم من صواعق لا تعرف خلال زاخر
فقل للعالم النحرير نفســـي فداؤك لا تخف بالله ناصـــر
ولا تحـــزن فإن الله معنـــا إذا التقت العساكر بالعساكـــر

وانطلاقا من هذه الأصداء المختلفة والتي سبق وأن ثمنها السلطان، فإن أهل المغرب عامـــة والمغـــرب الشرقي خاصة تلقوا جماعات المهاجرين الجزائريين وآزروهم وعاملوهم معاملة الأخ لأخيه، جـــاعلين نصـــب أعينهم ما روي عن الرسول -ﷺ-:« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منـــه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3]. ومما سبق ذكره نسجل الملاحظات الآتية:

- إن الحياد الذي إلتزمه السلطان من الحملة، كان نابعا من ذلك الطرح الفرنسي الذي أكد له بـــأن الحملة هي مجرد عملية تأديبية لشخص الداي حسين، وليس الهدف منها الاحتلال والأدل على ذلك هو أنـــه سرعان ما غير موقفه تجاه ما حدث للجزائر، في الوقت الذي نسجل فيه تلك المواقف السلبية الـــتي تبناهـــا بعض الطرقيين من أتباع الطريقة الطيبية، الشاذلية، التيجانية من الاحتلال، فهل هذه المواقف كانت نابعة مـــن سوء تفاهم بينهم وبين أتراك الجزائر؟ أم نتيجة لمعطيات أخرى؟

- التأكيد على الموقف الإيجابي الذي تبناه السلطان ورعاياه تجاه ما حل بـــالجزائر، ونتيجـــة لذلـــك فالمغرب كان قبلة للمهاجرين الجزائريين الذين وجدوا كل الدعم والمساندة من إخوانهم المغاربة، بل واقتطعوهم

1- هو الشيخ الأديب سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري.

2- أبو حامد العربي، المشرق: الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، المخطوط السابق، ص.202.

3- رواه البخاري، رقم الحديث 6026، يراجع: فتح الباري للعسقلاني، مج، 10، دار المعرفة، بيروت،بلا، ت.

أراضي وملكيات خاصة بهم في كل من طنجة، تطوان، العرائش ووجدة والأدل على ذلك هو التواجد الجزائري الحالي في المغرب الشرقي الذي يقدر بحوالي ستة آلاف وثمانمائة وعشرين جزائريا[1].

- أثار الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر ضجة كبيرة في الأوساط الرسمية والشعبية، فألّف الأدباء والشعراء قصائدهم والفقهاء والعلماء خطبهم، وهذا شيء إيجابي ظهر بالمغرب يمكن عَدّه من مظاهر اليقظة الفكرية التي عرفها المغرب.

- ظهور حركة إصلاحية نشطة بالمغرب لمواجهة الخطر القادم من الشرق، وتحركات الأساطيل الأجنبية على السواحل من الغرب، ولذلك تطلب من المغرب ضرورة التعامل مع هذه التطورات بشيء من الحذر والحيطة، وأمام تزايد نشاط هذه الأساطيل في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، أقدم السلطان على ما يمكن عَدّه بانتحار بحري، عندما جمّد نشاط الأسطول المغربي![2]، هذا العمل الذي سيجر عواقب وخيمة على المغرب من ناحية البحر خلال فترة السلطان عبد الرحمن.

وانطلاقا من الإطار الجغرافي للموضوع المعالج رأيت من الضرورة بمكان وضع بطاقة تعريفية مختصرة لكل من المغرب الشرقي والغرب الجزائر، لكي يتسنى لنا فهم الأحداث التاريخية التي عرفاها خلال فترة البحث (1830-1847).

التعريف بالغرب الجزائري والمغرب الشرقي وأوضاعهما أثناء الاحتلال:

أ-المغرب الشرقي:

1-1- الموقع الجغرافي والفلكي:

المغرب الشرقي هو ذلك الحيز الجغرافي الواقع شرق المغرب الأقصى، يحدّه من الشمال البحر المتوسط فهو يشرف على شريط ساحلي طوله حوالي 300 كم يمتدّ من مدينة تطوان غربا إلى تخوم مدينة تلمسان شرقا، ومن الجنوب الصحراء حتى حمادة الغير الجزائرية، ومن الشرق الجزائر ومن الغرب المغرب الغربي[3]؛ يتربّع على مساحة جغرافية غير ثابتة المعالم آنذاك قد تصل إلى حوالي 40000كم^2. فهو إذن يضمّ منطقة الريف الشرقي في الشمال، جبال الأطلس الأوسط في الوسط، والأراضي الصحراوية في الجنوب، يغلب عليه الطابع الجبلي الهضبي، أمّا فلكيا فهو يقع بين خطي طول 1°-6° غربا وبين دائرتي عرض 32°-35° شمالا[4].

يتوفّر على عدّة مجاري مائية أهمّها نهر ملوية وروافده، ينبع من الأطلس الأوسط ويصب في البحر المتوسط، فهو يقسّم المغرب الشرقي إلى قسمين: منطقة شرق النهر ومنطقة غرب النهر، مناخه متذبذب، ففي الشمال ممطر وبارد، أمّا شرقا فهو حار جاف بينما صحراوي في الجنوب، ومن أشهر مدنه الساحلية: تطوان،

1- ص، ش، ع، ن: (نزاع بين جمعية وقنصلية الجزائر بمدينة وجدة)، الخبر، يومية، ع.2776، السنة التاسعة، 17 شوال 1420هـ/ 23 جانفي 2000م، ش، و، ن، ت، الجزائر، 2000. ص.2.

2- محمد، المنوني: مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1985 .، ص-ص.14-15.

3 - المعهد التربوي الوطني الجزائري :الأطلس العالمي، بلا. ت، ص-ص.31-34.يراجع أيضا: المنجد في اللغة والأعلام، قسم الخرائط، ص17 يراجع: G.D.E, LAROUSSE, tome7, p6669

4 - ينظر في الخريطة بالملحق رقم 1.

الحسيمة، مليلية، الناظور، أما مدنه الداخلية فمنها: تازا، شرق فاس، جرادة، فقيق، ومدينة وجدة التي تعتبر العاصمة الإدارية و السياسية للمنطقة.

1– 2 التركيبة البشرية:

من الصعب تحديد العدد الإجمالي لسكانه نظرا لعدم وجود إحصائيات رسمية حولها ولغياب عنصر الاستقرار لدى السكان، وإذا كانت بعض الإحصائيات قد حددت سكان المغرب عامة بـ 6مليون نسمة، فإن البعض حددها بـ5 مليون نسمة كالقنصل الدنمركي هست و الطبيب الإنجليزي لمبريرمع مطلع القرن التاسع عشر[1]، وانطلاقا من هذه الإحصائيات التقريبية فان سكان المغرب الشرقي عام 1830 لم يكن يتجاوز 2 مليون نسمة، هذا عن عدد السكان.

أما التركيبة البشرية فهي ذات طابع قبلي، متجذرة ومتفرعة إلى قبائل ثانوية لها امتداد وتجذر بالغرب الجزائري، ومن أبرز هذه القبائل : المهاية،بني يزناسن، كبدانة، المطالسة أولاد ستوت، بني سعيد، بني بويحي، قلعية،الحياينة[2]، ولكل قبيلة منهم ولاء روحي لإحدى الطرق الصوفية المنتشرة هناك مثل :القادرية، التجانية،الطيبية، الشاذلية، الدرقاوية، الرحمانية، وهذه الطرق مندمجة في إطار تنظيمي يسمى الزاوية[3]، تميزت علاقات هذه القبائل تارة بالتعاون وتارة أخرى بالتنافس والتناوش نتيجة لتضارب مصالحها ولاختلاف تعاليمها الدينية حول التطورات التي تسري عليها.

1–3 الوضع الإداري :

يتشكل النظام الإداري في المغرب عامة من: دار المخزن، الهيئة الوزارية، الحكام والقضاة وكل هيئة تتفرع إلى أجهزة ثانوية، كلها تمثل ما يعرف بالبلاط المغربي أما مراكز اتخاذ القرار فإنها تعود إلى السلطان نفسه وما يؤكد ذلك هو ما جاء على لسان وزيره محمد بن إدريس في قوله:« الإبرام والتنفيذ إنما هو للسلطان خاصة... فإذا أراد أن يولي أو يعزل أو يسرح أو يسجن أو يعطي أو يمنع أحدا فلا يشارك أحدا في شيء من ذلك.ولا يقدر أحدا سواء كان وزيرا أو غيره أن يتعقب عليه حكما أو يرد عليه أمرا وهم يكونون بين يديه كالميت بين يدي غاسله فهم إنما يخبرونه بما حدث وراء الباب فيرى في ذلك رأيه ولا يشاور فيه غيره»[4].

وطالما المغرب الشرقي جزءا من دار السلطان فلا شك انه ستجري عليه أحكامه. لكن وانطلاقا من الموقع الجغرافي الذي تميز به وتركيبته البشرية المتداخلة والمتناقضة فانه كان هناك قسم كبير من سكان

---

1 – محمد الأمين البزاز: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، المرجع السابق ص،27.

2– ينظر في الخريطة بالملحق رقم 2.

3– الزاوية :مكان يجتمع فيه مجموعة من الأتباع –الناس– حول شخصية دينية مرموقة تطبق طريقة صوفية معينة يعتنقها ذلك الشخص، ظهرت الزاوية كمركز ديني بعد الرباط –مكان لتجمع المجاهدين قبل التوجه للجهاد – وعليه فالزاوية مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة، فيها رقعة جغرافية معينة خاصة بها،تمارس الكثير من النشاطات الاقتصادية وأحيانا لها ارتباطا قويا بالسلطان وأحيانا أخرى تنوب عنه.

4 – عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر (1832–1845)، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1988 ص. 54.

المنطقة خارج عن طاعته، ويندرج هذا ضمن البلاد السائبة ، والتي لا تصلها أحكامه، فالتنظيم الإداري يعود هنا إلى شيوخ القبائل والزوايا الدينية الذين كان لهم نفوذ روحي كبير لدى هذه القبائل، فالفضل إذن يعود إلى هؤلاء الأعيان الذين يشرفون على فض النزاعات والخصومات على مستواهم المحلي دون الرجوع إلى سلك السلطان.

1-4- الوضع الاقتصادي:

مارس سكان المغرب الشرقي نشاطات اقتصادية مختلفة، يأتي النشاط الزراعي في المرتبة الأولى، لاسيما زراعة الحبوب كالقمح والشعير والفول والبشنة والسرغو، وبعض المحاصيل الزراعية الصناعية الأخرى، كالتبغ والطماطم والزيتون، تمارس هذه المحاصيل بطريقة تقليدية بسيطة جدا على ضفاف نهر ملوية وبمنطقة الريف، ونتيجة للتقلبات المناخية فإن الإنتاج متذبذب من سنة إلى أخرى، كما امتهنوا أيضا تربية الحيوانات مثل: الماشية، الثيران، الإبل، الأحصنة والخيول، هذه الأخيرة التي كان لها شأن عظيم في نفوسهم، لأن طبيعة التضاريس وغياب الأمن فرض عليهم التجند واليقظة للحراسة على ظهور الخيول والأحصنة، وهناك صنف آخر من السكان امتهن حرفة الصيد البحري.

أما النشاط الصناعي فهو الآخر يغلب عليه الطابع التقليدي ومن أهم المصنوعات المنتشرة آنذاك: النسيجية، الصوفية، الجلود، الزرابي، الفخارية، النحاسية و لما كان النشاط الزراعي والصناعي موجها نحو الاستهلاك المحلي فالنشاط التجاري كان محدودا[2]، وهو يتم مع الغرب الجزائري والقبائل الصحراوية الجنوبية، وفي ظل انتشار الفوضى وقطاع الطرق ونبأ احتلال الجزائر حالت دون تطوره.

وعلى العموم فاقتصاد المغرب الشرقي كان لا يلبي حاجيات سكانه، وأمام خطر الجفاف الذي يؤدي إلى كوارث اقتصادية وخيمة، كالمجاعات والأمراض الدورية التي تعصف به، كما حدث له في سنوات 1825، 1834، 1847[3]، ترتفع الأسعار ويكثر السلب والنهب وتعم الفوضى وهنا تتدخل السلطة المركزية لإنقاذ الأرواح، واضعة نصب أعينها شرط الخضوع التام للسلطان والولاء له، لأن الجوع من جيش المخزن[4]. ونتيجة لذلك تهدأ القبائل الثائرة وتصبح خاضعة للسلطان. ومما سبق ذكره يمكن أن نخلص إلى الملاحظات الآتية:

---

1 - تنقسم الأراضي بالمغرب إلى قسمين : بلاد المخزن الخاضعة للسلطان وبلاد السائبة الخارجة عن طاعة السلطان، تنتشر هذه الأراضي بالمناطق الوعرة، خاصة بالريف والأطلس والصحراء والمناطق المحاذية للجزائر ورغم إقرار سكانها بالسيادة الاسمية للسلطان فان زعماؤها الحقيقيون يعتبرون أنفسهم كالسلطان قوة وبأسا، فهم ينظرون إليه كمجرد زعيم قبيلة معادية نعيش بعيدا عنه. يراجع :

- تاريخ الشعوب الإسلامية، ص.555.
- تاريخ إفريقيا الشمالية، ج.2، ص-ص.315-316.

2 - التبادل كان يتم بـ: المثقال، الدرهم، الدورو الإسباني.

3 - محمد الأمين، البزاز: تاريخ الأوبئة والمجاعات في المغرب في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر، المرجع السابق، ص.138.

4 - عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر (1832-1845)، المرجع السابق، ص. 57.

– ازدياد حرص المولى عبد الرحمن في الاهتمام بالمغرب الشرقي، فبعد ظهور بوادر التوتر بين الجزائر وفرنسا سنة 1827، عين السلطان ابن عمه إدريس بن حمان لودي الجراري[1]، سنة 1828 عاملا على وجدة[2]، وعندما احتلت فرنسا الجزائر أصبح يقوم بدور المراقب الأول لمجريات الأحداث في الثغور الأمامية من وجدة وأحوازها، خاصة وأن السلطان أوصاه بتوفير الأمن وإخماد الفتن حتى لا يصل من تلك الناحية إلا الخير.

– المغرب الشرقي كتلة طبيعية صعبة المسالك حالت دون بسط سيطرة المخزن عليها، وهو ما سيجعل منها ملجأ آمنا للمجاهدين الجزائريين بعد سنة 1843.

– التركيبة البشرية المعقدة جعلت من الصعوبة بمكان السيطرة عليها أو فهم معانيها وتلبية رغباتها فهي تارة تمنح الولاء للسلطان وتسحبه منه تارة أخرى.

– التجذر والامتداد البشري والروحي لقبائل المغرب الشرقي في الغرب الجزائري، وهذا ما سيعزز العلاقة التي ستربط بين الشعبين في كلا المنطقتين.

– غياب الأمن والاستقرار في المنطقة سيكون فرصة ثمينة لبناء جسر بري لعبور المساعدات المغربية نحو الجزائر تحت حراسة القبائل المغربية التي أعطت ولاءها للمجاهدين الجزائريين، وهذا ما سيدفع بفرنسا إلى التبكير بإثارة فكرة وضع الحدود بين البلدين.

2– الغرب الجزائري:

2–1 الموقع الجغرافي والفلكي:

الغرب الجزائري –المراد تحديده– هو ذلك الحيز الجغرافي الذي يقع غرب مدينة الجزائر بما فيه بايلك التيطري، يحده من الشمال البحر المتوسط– يشرف على شريط ساحلي طوله 500 كم يمتد من تخوم مدينة الجزائر شرقا إلى التخوم المغربية البحرية غربا– ومن الجنوب الأطلس الصحراوي القصور، العمور، أولاد نايل ومن الشرق الجزائر العاصمة وجبال التيطري ومجانة، ومن الغرب المغرب الشرقي، يتربع على مساحة جغرافية غير ثابتة المعالم آنذاك تقدر بحوالي 650.000 كم^2، أما فلكيا فهو توضع بين خطي طول: 2° غربا و3° شرقا، وبين دائرتي عرض 32°–37° شمالا[3].

أما تضاريسه فإنه يغلب عليها الطابع الجبلي الهضبي، يتوفر على مجاري مائية أبرزها: واد الشلف، واد التافنا، واد السيق، تنبع من الأطلس التلي وتصب في البحر المتوسط، مناخه متوسطي في الشمال وجاف بارد

---

1 – هو أبو العلا إدريس بن حمان بن العربي الودي الجراري عينه السلطان عبد الرحمان على إقليم وجدة سنة 1243هـ خلفا لأبي عمه سيدي محمد بن الطيب، كان نسيج وحده وفريد دهره في جودة الرأي وإدارة الأمور على وجهها الصحيح، ولذلك ولاه السلطان على هذا الإقليم الصعب المتاخم لحدود أتراك الجزائر، يراجع: الاستقصا، ج9، ص-ص،15-16 .

2- HENRI, TERRASSE : Histoire du maroc., Tome2, op. cit, P. 317.

ويراجع أيضا: تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد، ص99.

3- كرم، البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، قسم الخرائط، ص.07، ويراجع أيضا:

- الأطلس العالمي، ص-ص.30،31.
- النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، ص. 261.
- G. D. E LAROUSSE, Tome1.p290. ينظر الخريطة باللحق رقم 3.

في الجنوب، ومن أشهر مدنه الساحلية: تنس، مستغانم، وهران، أما مدنه الداخلية: معسكر، تلمسان: عين الصفراء، وتُعدّ مدينة وهران هي العاصمة السياسية للمنطقة.

2-2 التركيبة البشرية:

من الصّعب تحديد العدد الإجمالي لسكانه، نظرا لعدم وجود إحصائيات رسمية حولها، ولغياب عنصر الاستقرار لدى السكان، وإذا كانت بعض الإحصائيات قد حددت سكان الجزائر عامة بـ 10 مليون نسمة[1]، فإن البعض حددها بـ 03 مليون نسمة، وإذا اعتمدنا نصف الإحصائيات الأولى، فإن عدد سكان المنطقة التقريبي لا يتجاوز 2,5 مليون نسمة، هذا عن العدد، أما التركيبة البشرية، فهي ذات طابع قبلي بالدرجة الأولى، ومن أبرز هذه القبائل: الدوايـر، الزمالة، أولاد سيدي الشيخ، الحميان، أولاد نايل، أولاد نهار،السواحلية، بني عامر، أولاد زائر، الحساسنة، بني مناصر، بني ماطر، ذوي يحي...الخ[2]، وكل قبيلة لها انتماء روحي لإحدى الطرق الصوفية المنتشرة هناك مثل: القادرية، التّجانية، الدرقاوية، الشاذلية، الطيبية، الحنصالية...وهذه الطرق مندمجة في إطار تنظيمي يعرف بالزاوية. تميزت علاقات السكان تارة بالتقارب وتارة بالتباعد نظرا لسياسة الحكام الأتراك بالمنطقة.

2-3 الوضع الاقتصادي:

امتهن سكان الغرب الجزائري نشاطات اقتصادية متعددة، من أهمها النشاط الزراعي ومن أشهر المزروعات: القمح الشعير، الفول، بالمناطق السهلية، وغلال الأشجار كالزيتون والمشمش والتين في المناطق الجبلية، هذا فضلا عن زراعة بعض الخضر والفواكه بالإضافة إلى تربية الحيوانات التي اشتهر بها سكان الإقليم كالأغنام والماعز والأبقار والإبل والخيول والأحصنة، وما يعكس لنا هذا الاهتمام المتزايد هو عددها الذي وصل إلى حوالي 3 مليون رأس[3] كما امتهنوا أيضا حرفة الصيد البحري، إن كل هذه النشاطات كانت تتم بطرق تقليدية بسيطة جدا، ولذلك فالإنتاج كان متذبذبا.

أما النشاط الصناعي فإنه كان مزدهرا خاصة بالمدن مثل: صناعة الحرير، صياغة الذهب صناعة النحاس، الفخارية، الخزفية، الأسلحة، البارود، أما بالأرياف فهناك الصناعات التقليدية العريقة المنتشرة بكثرة، وهي صناعات محلية ذات أبعاد جمالية راقية جدا[4]. ويشهد النشاط التجاري هو الآخر ازدهارا كبيرا، وتعتبر مدينتي وهران وتلمسان مركزين تجاريين لسكان المنطقة، والتبادل التجاري كان يتم خاصة مع المغرب الشرقي ويكمن في السلاح الأبيض، السلع، العاج، التوابل، الكبريت، والمنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية

1 - حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، المصدر السابق، ص50

2 - ينظر الخريطة بالملحق رقم 4.

3 - العربي، إسماعيل: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط.2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982، ص. 25، والرقم الذي أشرت إليه هو تقريبي بناء على أن عدد الماشية الإجمالي بالجزائر وصل إلى 8مليون رأس حسب المؤلف نفسه.

4 - مبارك بن محمد الطلالي، الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج. 3، المرجع السابق، ص.303.

وخشب البنادق، والملح والزيتون[1]. فتلمسان كانت تُصدّر وحدها ما قيمته نصف مليون فرنك فرنسي من الزيوت[2]. والتعامل يتم بالنقود الذهبية والفضية[3].

وعلى العموم فإن اقتصاد الغرب الجزائري كان أكثر حضا من اقتصاد المغرب الشرقي وهو في مجموعه كان محتكرا من طرف اليهود ورجال المخزن، ومع بداية الاحتلال يشهد هذا الوضع اضطرابا كبيرا سيقضي تدريجيا على هذه القاعدة الاقتصادية الهائلة.

2-4 الوضع الإداري:

إن جزائر العهد العثماني كانت تنقسم إلى أربع مقاطعات رئيسية، بايلك الشرق، بايلك الغرب، دار السلطان، بايلك التيطري، فالوضع الإداري للغرب الجزائري ما هو إلا جزء من الكل، والقبائل السابقة الذكر تنقسم فيه إلى ثلاثة أقسام هي: قبائل المخزن، قبائل الرعية، قبائل مستقلة لا تنالها أحكام الحكام الأتراك، وهناك تصنيف ثان لهم وهو: قبائل السهل وقبائل الجبل، وتصنيف ثالث سكان المدينة وسكان الريف[4] الذين يمثلون نسبة 90% من مجموع السكان[5]، فسكان المدن (السهل) هم التابعون رسميا إلى السلطة، اعتمدوا على قوة السيف فهم الأجواد، أما سكان الريف فقد اعتمدوا على الدين والأعراف واشتهروا بالقوة والبأس في الحروب.

انطلاقا من هذا النمط الإداري ومن تضاريس المنطقة المعقّدة وسياسة الأتراك المتبعة في استخلاص الضرائب وفرض النظام العام، فإن الغرب الجزائري كان منطقة ثائرة ميّزها الصراع العنيف تارة بين جيش المخزن والرعية وتارة أخرى مع الأسر المتعاقبة على حكم المغرب الأقصى طيلة ثلاثة عقود من الزمن، وعليه فسكان الغرب الجزائري تمرنوا على القوة وركوب الخيل لمواجهة الخطر الخارجي القادم من المغرب بين الحين والآخر، ولمواجهة تحركات جيش المخزن.

إن هذا النظام الإداري المتداخل والمتناقض سيزداد تعقيدا بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر وبداية فقدان السيادة على المنطقة، ولذلك فالغرب الجزائري سيشهد اضطرابات كثيرة من جراء هذا الاحتلال وقبل معرفة ذلك يجدر بنا تسجيل الملاحظات الآتية حول ما سبق ذكره:

-إن الطابع الجبلي لمنطقة الغرب الجزائري سيكون نقطة إيجابية لصالح حركة الجهاد الجزائرية فيما بعد، إذ سيكون القاعدة الرئيسية والصلبة لإعلان الجهاد ضد العدو الفرنسي الذي سيكون عاجزا عن التصدي لهم.

---

1 - عبد الرحمن بن محمد، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج. 4، ط.7، د.م.ج، الجزائر، 1415هـ/1994م، ص.246.

2 - المرجع نفسه، ص.246.

3 - النقود الذهبية مثل: السكة الجزائرية أو السلطاني وقيمتها 28.56 فرنك، السلطاني الجديد وقيمتها 8.89 فرنك، والنقود الفضية مثل: قشرش صغير وقيمته 1.60 فرنك، دورو الجزائر وقيمته 3.723 فرنك. يراجع: النظام المالي في الجزائري في أواخر العهد العثماني، ص-ص.207-208.

4 - الطاهر بن عرف الله: (التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للريف الجزائري "1830-1962")، الذاكرة، ع 2 السنة الثانية، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1415هـ/1995م، ص-ص.140-141.

5 - احميده عميراوي: (معاهدة الدوائر والزمالة 16 جوان 1835) الثقافة، ع 88، السنة الخامسة عشر، شوال ذو القعدة 1405هـ/جويلية أوت 1985م، ص-ص. 125-126.

– التركيبة البشرية المعقدة والمتقاربة أحيانا والمتباعدة أحيانا أخرى تعتبر نقطة ضعف في المنطقة ستعمل فرنسا جاهدة على استغلالها وذلك بضرب هذه القبائل ببعضها البعض، وهو ما سيساعد فرنسا على تفكيك وحدة الغرب الجزائري.

– إن قبائل التخوم الغربية مثل: أولاد سيدي الشيخ، بني سنوسن، أولاد زاير، السواحلية، بني عامر... الخ لهم امتداد وتجذر كبير في المغرب الشرقي، هذا فضلا عن التشابه في الانتماء الروحي إلى طرق صوفية واحدة، سيجعل منها نقطة إيجابية ستساهم في تثمين التعاون الجزائري المغربي فيما بعد.

– الاختلاف الواضح بين سكان الغرب الجزائري خاصة بين بقايا الأتراك الكراغلة، قبائل المخزن، والرعية، سيؤدي إلى ظهور روح انتقامية ستفقد فيها المنطقة أمنها وسلامتها، بل تصبح تعيش على واقع شبيه بالحروب الأهلية اليوم.

–إذا كان المغرب عامة والمغرب الشرقي خاصة حافظا على سيادتهما بعد سنة 1830 فان ما عرفته الجزائر كان عكس ذلك، خاصة في الغرب الجزائري الذي ظهر به فراغ إداري كبير جدا بسبب سقوط نظام الحكم التركي ولذلك كان حقل تجارب لأطراف عدة : فرنسا، تونس، المغرب لمحاولة ملء هذا الفراغ السياسي الإداري، وانطلاقا من الموضوع المعالج سأكتفي بالإشارة إلى العلاقة التي ربطت الغرب الجزائري بالمغرب في تساؤلات عدة : كيف كان موقف سلطان المغرب من أحداث الغرب الجزائري بعد سنة 1830؟ وإلى أي مدى نجح في إعادة الأمن والاستقرار إلى المنطقة؟ وما هو موقف فرنسا من هذه التطورات ؟ أسئلة سأجيب عنها في العنصر الآتي:

أثار الاحتلال الفرنسي على الغرب الجزائري:

خلال الفترة الممتدة من سنة 1830 إلى سنة 1832 يشهد الغرب الجزائري ثلاثة أحداث رئيسية هي بمثابة أثار للاحتلال الفرنسي للجزائر يمكن تناولها فيما يلي:

1–الزحف الفرنسي على وهران:

بعد سقوط مدينة الجزائر في يد القوات الفرنسية وجّهت حملة عسكرية نحو وهران حيث الباي حسن[1] ونتيجة للطابع الذي اكتسته الحملة وأمام ضعف الباي عن الدفاع آثر الاستسلام للفرنسيين الذين تمكّنوا من اقتحامها خلال شهر أوت 1830. ونصّبوا الباي نفسه حاكما عليها بمساعدة الإدارة الفرنسية، ولكن نتيجة للتطورات التي عرفتها فرنسا إثر ثورة العرش ضد الملك شارل العاشر[2]. آثروا الانسحاب من وهران وتركوا الباي حسن يعمل تحت رايتهم.

---

1 – آخر بايات وهران في العهد العثماني (1787 ــ 1831)، سلّم مدينة وهران والمرسى الكبير للقوات الفرنسية دون مقاومة تذكر إحرقا على منصبه، لكنه ما فتئ أن طُرد من وهران إلى الجزائر ومنها إلى الإسكندرية عام 1831.

2 – شارل العاشر (1757 ــ 1836)، اسمه الكونت دارتوا (C..D'ARTOIS) شقيق لويس 16، خلف أخاه لويس 18، تولى العرش يوم 16 سبتمبر 1824، عن عمر يناهز 67 سنة، استمر في حكمه إلى غاية ثورة جويلية 1830، التي أجبرته على التنازل على العرش لخليفة لويس فيليب، لم يكن محبوبا من طرف الناس، هو الذي تلقّب بشارل العاشر. يراجع: المنجد في اللغة والأعلام، ص.326، التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، ص.ص، 180–181.

في ظل هذه الظروف قام الباي حسن ونتيجة لأسباب عدة[1] بالاتصال بالشيخ محي الدين الذي يمثل أقوى القبائل الجزائرية آنذاك طلبا للحماية، إلا أن هذا الأخير وكذا شيوخ بني هاشم رفضوا تقديم الحماية وقبوله في صفوفهم! وهو ما شجّع الباي أكثر للارتماء في أحضان العدو الفرنسي بعدما شعر بأنه مقطوع الصلة مع حاشية من الجيش الإنكشاري عن بقية أبناء الوطن،فظلّ يحكم باسم الفرنسيين إلى مطلع سنة 1831 في ظل الإدارة الفرنسية التي سرعان ما استرجعت مكانتها بوهران عقب نجاح ثورة جويلية 1830 وبمجيء "لويس فليب"،هذا الأخير الذي عيّن "كلوزيل" خلفا لـ" دي بورمون "[2] وما إن تسلّم زمام الأمور أجبر الباي على مغادرة وهران.

2- تدخل الباي التونسي:

يأتي هذا التدخل بطلب من الجنرال " كلوزيل" الذي اتصل بالتونسيين بشأن مدينة وهران فأرسل له الباي أحمد[3] مفاوضين هما: الضابط محمد آغا ثولاك وحسونة مورالي، وبعد مفاوضتهم مع "كلوزيل" توصلوا إلى التوقيع على معاهدة 18 ديسمبر 1830 م[2]، التي تنص في إحدى بنودها على بيع إقليم وهران إلى باي تونس شريطة التعهد بدفع ثمن ذلك، فقبل الباي أحمد هذا العرض الزهيد، ومن مظاهر هذا القبول هو إقدامه على إرسال ابن أخيه سيدي أحمد والقائد خيرالدين مع مجموعة تتكون من 216 جنديا التي توجهت نحو وهران،وبتاريخ 11 فيفري حطّت رحالها بالمدينة. استمر تواجدها بها مدة من الزمن، إلا أن الصعوبات التي واجهتها حالت دون نجاح هذه الصفقة التجارية، فغادرتها يوم 16 فيفري1830 [3]. ومن بين هذه الصعوبات نذكر:

- غياب عنصر التفاهم بين القائد العسكري الفرنسي بوهران "لوفول" (LE FOL)، وقائد الحامية التونسية حول الأهداف المُسطّرة لكل منهما.

- عجز قائد الحامية التونسية عن دفع المبلغ المالي المتفق عليه والمقدر بثمانمائة ألف فرنك فرنسي وعجزه أيضا عن دفع مستحقات جيشه الذي لم يكن يفكر إلا في ملئ جرابه الذي هو جراب الشّحاذ[4].

---

1 - منها كبر سنه الذي يفوق 88 سنة، علاقاته السيئة بالتشكيلات الاجتماعية، حرصه على حب المال والجاه والاستبداد في تحصيلهما، يراجع: الجزائر الأمة والمجتمع، ص-ص.214-215.

2- لويس أوغست دي بورمون،ولد بفرنسا في النصف الثاني من القرن 19،شغل مناصب عسكرية عدة منها :مارشال ميدان سنة 1804،شارك في المعارك الفرنسية ضد أعداء بلاده،رفض استسلام نابليون في معركة واترلو 1815،لعب دور كبير في الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، وعقب نجاح ثورة جويلية بباريس و مجيء لويس فيليب استبدله هذا الأخير بـ:كلوزيل.

يراجع:G.D,E.Larousse, Tome2, p-1432.

3 - أحمد باي: باي تونس 1837، ألغى النخاسة، أصلح الجيش وأدخل الأنظمة الحديثة وعمل على وضع أسس دولة عصرية مستقلة، يراجع: المنجد في اللغة والأعلام، ص 28.

4- CHARLES.ANDRE. Julien : Histoire De L'Algérie Contemporaine, Conquête et Colonisation.Tom.1. Presse Universitaire De France ,108 Boulevard Saint Germain Paris. 1964, p-p,68-69.

يراجع نص المعاهدة في: المرآة، ص-ص. 263-265 وهي مُذيّلة أيضا بشأن تعيين سيدي مصطفى على إقليم قسنطينة.

5 - مصطفى، طلاس: فارس الجزائر الأمير عبد القادر، ط.2، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ص.216.

4- المهدي، البوعبدلي:(موقف ملك المغرب من الجزائر إثر الاحتلال الفرنسي): المرجع السابق، ص. 31، ويراجع أيضا: الجزائر الأمة والمجتمع، ص. 224، الحركة الوطنية الجزائرية. ج.1. ص169.

– طبيعة هذه التشكيلة العسكرية التي لم تأت مجاهدة في سبيل الله وإنما جاءت تحت حماية ورعاية العدو، وهدفها مادي دنيوي، زيادة على ذلك فإن أفرادها كان يغلب عليهم التهور واللامبالاة ولذلك تسابقوا على النهب والسلب وانتهاك الحرمات والأعراض وهو ما ولّد رد فعل جزائري عنيف ضدهم.

وفي ظل فشل مسعى "كلوزيل" دعته الإدارة الفرنسية لتعيين خلف له وهو الجنرال"برتزين" الذي عيّن بدوره الجنرال "فودواس"(Faudoas) على مدينة وهران، إلا أن هذا الأخير سرعان ما عاد إلى باريس تاركا الجنرال "بوابيه" (Boyer)[1] خلفا له و الذي اتخذ من الحرب الدموية هدفا له.

3–مبايعة سكان الغرب الجزائري لسلطان المغرب:

يندرج هذا العنصر ضمن أهم الآثار التي عرفها الغرب الجزائري عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر، ونظرا لأهميته بالنسبة للموضوع المعالج سأحاول معالجته بشيء من الحيطة والحذر نظرا للاختلافات والتناقضات التي وقفت عليها.فهناك من ذهب إلى القول: أن ما قام به السلطان يعتبر احتلال عسكري[2] وهناك من عَدّه ضمن رغبة السلطان التوسعية على حساب الغرب الجزائري[3] وهناك من صنّفه ضمن التدخلات الإمبريالية العالمية آنذاك، وهناك من رأى فيه غير ذلك، فهل هو إذن تدخلا عسكريا ؟ أم احتلالا مغربيا؟ أم توسع سلطاني؟ أم إنقاذ مغربي؟

سأحاول الإجابة عن هذه التساؤلات العالقة انطلاقا من وثائق تاريخية عالجت الحدث وللإحاطة بذلك حاولت طرح تساؤلات عدة: ما هي الأسباب التي كانت وراء ذلك؟ كيف تم الاتصال بالسلطان؟ وما هي الخطوات التي قطعها في سبيل إنقاذ الغرب الجزائري؟ وكيف كانت ردود الفعل الفرنسية حولها؟

- دوافعهـا:

نتيجة للفوضى الإدارية التي عرفها الغرب الجزائري إثر احتلال مدينة الجزائر، ظهرت فكرة الاتصال بسلطان المغرب فـ"هنري تشرشل" يرى أنها طرحت من طرف محيي الدين[4] الذي قال للذين اجتمعوا حوله لتنصيبه على رأس السلطة في المنطقة «وليس هناك حاجة أن نذهب بعيدا للبحث عن هذا الملك، إن سلطان المغرب قد عبر عن عاطفته نحونا، ويجب أن يعرف أن هذا الخطر الذي يهددنا اليوم قد يهدده هو غدا، إن حضوره بيننا سيشجع ويدعم حالا الخير ويصرف الشر... وإذا حاربنا تحت لوائه فسنتقدم نحو انتصار مؤكد لأن لوائه هو لواء الله ورسوله»[5].

---

1 – بوابيه (Boyer)، (1774 – 1864)، حارب في صفوف جيش نابليون في كل من مصر وسوريا وفي الحرب ضد إسبانيا سنة 1810، تولى إمارة المقاطعة الغربية منذ عام 1831، ثم استبداله بالجنرال تريزيال، شغل وزارة الحربية في الفترة مابين 1841 – 1847، يراجع :
G .D , E .Larousse, N°2. P.1450.

2 – إسماعيل، العربي في كتابه: العلاقات الديبلوماسية الجزائرية، ص.221، أوغست كور في مقاله :
(L'occupation marocaine de Tlemcen)R. A.N° 52

3 – المكي، حلول في رسالته بعنوان : مسألة الحدود المغربية الجزائرية، ص – ص.128 – 134

4– هو محيي الدين بن المصطفى بن أحمد بن المختار...الخ، والد الأمير عبد القادر، ولد حوالي سنة 1190هـ، كان عالما زاهدا، بعد استقرار العاصمة الجزائرية اجتمع عليه الأعيان والأشراف ليولّوه منصب الإمارة إلا أنه امتنع عن ذلك وأشار عليهم بالرجوع إلى سلطان المغرب،توفي رحمه الله يوم الأحد 3ربيع الأول1249 هـ، يراجع: مذكرات الأمير، ص97.

5 – حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله،ش.و.ن.ت، الدار التونسية للنشر،تونس1974،ص.53.

إلا أن ابن عوده المزاري[1] يذهب إلى القول بأن: «الباي حسن هو الذي استنجد بسلطان المغرب، فبعث له ليتولى على المغرب الأوسط ويضيفه للأقصا (كذا)، ويكون هو من جملة نوابه، فهو أول من الروم»[2].أما "أوغست كور" فيرد ذلك إلى شخص محمد بن نونة الذي قاد هذه المؤامرة المغربية بواسطة العملاء المغاربة المندسّين في صفوف الجزائريين بتلمسان فهو الذي حمل مغاربة تلمسان على الاتصال بالسلطان وعرض فكرة الخضوع والطاعة له[3].

وتذهب بعض المصادر[4] إلى القول بأن هذه المبادرة كانت من لدن أهل الحل والعقد والعلماء والأشراف والأعيان والعرب والبربر الذين اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم لينظروا في شأنهم، فاتفقوا على الدخول في طاعة المولى عبد الرحمن ومبايعته.

إن هذه الروايات التاريخية تُجمع على الطابع الجماعي الذي طُرحت فيه الفكرة ماعدا رواية المزاري التي تبدو غير صحيحة والأدل على ذلك هو أنه عندما أرسل السلطان خليفة عنه إلى المنطقة، كاتبه الباي حسن متسائلا عن سبب قدومه ورافضا الولاء والطاعة لهذا الوافد الجديد. فأجابه السلطان بما نصه على لسان أحد عماله «وبعد فقد وصلنا كتابكم وصحبته كتاب الباي خشن(كذا)ومن معه وعرفنا مضمن ذلك، فأجيبوه عن كتابه، إن ما ذكرت على سبب قدومنا لهذه النواحي، فإن أهل هذه الناحية خشوا على أنفسهم من وقود نار الفتنة فقدموا على حضرة مولانا سائلين حمايته وعنايته »[5]. وعليه فهل يُعقل أن الباي حسن يراسل السلطان ثم يتنكر له؟

أما رواية أوغست كور ففيها نوع من الإلزامية –الفرض– وخص وفد تلمسان بالذكر فقط، فهي تحمل نوع من الخصوصية،وانطلاقا من الطابع الجماعي الذي اكتساه طرح هذه الفكرة، فكيف تم الاتصال رسميا بالسلطان؟ وما هو موقفه منهم؟

تشكل الوفد الجزائري من الأعيان والأشراف الذين انحدروا من مستغانم، معسكر،وهران وتلمسان، فترأس مصطفى بن إسماعيل والمزاري جماعة وهران، ومحمد بن نونة جماعة تلمسان وشكلوا قافلة كبيرة تظم

---

1 – محمد المزاري (1774–1862)، ولد بمدينة معسكر، تولى مناصب عديدة في خدمة مخزن وهران في عهد الأتراك، ثم خليفة لعمه مصطفى بن إسماعيل، انضم إلى حركة الجهاد الجزائرية، إلا أنه سرعان ما تخلّى عنها بانضمامه إلى الفرنسيين، فاستخلفه الجنرال "بيجو" سنة 1843 على رأس الدوائر والزمالة. يراجع: طلوع سعد السعود. ص–ص 288–293.

2 – طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة، يحيى بوعزيز، ج.1، ط.2، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص.88.

3- OUGEST.Cour : (L'occupation Marocaine de Tlemcen , Septembre 1830- Janvier 1836) R.A , N° 52. Année 1908. O.P.U. Alger. p ,32.

4 – الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، مخ.خ.ع.ر. رقم 1463، ص.203.

- تلخيص من مجموع الابتسام عن دولة إبن هشام، مخ.خ.ع.ر،رقم 144 ح،ص.383.
- المرآة، ص.94.
- الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى،ص.27.

5- Ismail , HAMET : Le gouvernement Marocain Et La Conquête D'Alger. Présenté par : Ali, Tablit. Thala Edition. Les Editions CHIHAB , n ,d. P.24.

حوالي 200 شخصا[1]، و50 فارسا محملة بالهدايا وبكتاب إلى السلطان، اتصل الوفد أولا بعاهل وجدة إدريس الجراري فأخبروه بشأنهم وبواسطته تم إرسالهم إلى السلطان عبد الرحمن الذي كان مرابطا بمكناس[2]، وصل الجزائريون خلال شهر ربيع الأول 1246 هـ الموافق لـ: شهر أوت، سبتمبر 1830.

لقد عرض الوفد الجزائري كتابه على السلطان ومما جاء على لسانهم «جئنا لنبايعك على النصر والطاعة، نبايعك بأنفسنا ونتوب عمن وراءنا، وأن أهل الوطن كلهم أرادوا الدخول في طاعتك، وعندنا من المال ما نساعد به محلتك ومن السلاح وآلة الحرب، ونعينك على من عصاك، فقد أبينا الدخول في عقد أهل الكفر، ونحن أهل الإسلام، والمسلم لا يكون تحت ذمة الكافر»[3]!

وبعد أن عرف السلطان مقصدهم أكرم نزلهم وحظوا عنده بمكانة مرموقة، والأدل على ذلك هو الخطاب الذي أرسله ابن إدريس إلى عامل وجدة بشأنهم، ونص ما جاء فيه« وقبلهم مولانا وقابلهم بالإحسان والإكرام...وقد أكرم سيدنا كل واحد بما يناسبه من الكسوة، ووضع لهم في كل بلد دخلوه مهرجانا، وأدخلهم سيدنا لوسط داره وجميع جناته وأماكن المملكة التي لا يدخلها إلا الخاصة، غايتهم أنهم نالوا من العناية فوق الضن»[4].

امتنع السلطان عن الإجابة عن مطلب الوفد الجزائري مع أنه كان يميل إلى إجابتهم وأهم خطوة أقدم عليها هي تقديم عريضة الوفد إلى علماء الشرع ليبتّوا فيها[5]، فوقع اختلاف كبير فيما بينهم حول من تحق له السلطة الشرعية التي تخلف سلطة الداي المنهارة ؟. وعلى إثر ذلك انقسم علماء فاس إلى قسمين: القسم الأول وهم الأكثرية رفض قبول البيعة وعلى رأس هؤلاء قاضي الجماعة بفاس مولاي عبد الهادي[6]، ومن الأدلة التي اعتمد عليها أنصار هذا القسم:

- سكان الغرب الجزائري تابعون شرعا إلى السلطان العثماني.
- الجزائر قانونيا مازالت ولاية عثمانية،ويجب موافقة السلطان العثماني على هذا الامتياز بالتخلي[7].

1- هناك اختلاف في عدد الوفد الذي توجه إلى المغرب، فهنري تشرشل يورد في مؤلفه - حياة الأمير عبد القادر،ص.53 - 10 أعضاء من أعيان المرابطين والشيوخ وحامية تتكون من 50 فارسا،بينما تذكر بعض المراجع الأخرى 200 شخص.

2- هناك اختلافا أيضا حول المكان الذي التقى فيه السلطان بالوفد، هل هو فاس أم مكناس، إلا أن معظم المصادر تجمع على مدينة مكناس، وهذا هو الأرجح.

3 - أبو العلا، إدريس: تلخيص من مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام، المخطوط السابق،ص -- ص. 76 -- 77.

4 - الناصر الفاسي :(محمد بن إدريس ووزير مولاي عبد الرحمن وشاعره)، المرجع السابق،ص -- ص.169 -- 170.

5- HENRI TERRASSE : Histoire du Maroc,Tom.2,OP.CIT,P320.

6 - القاضي عبد الهادي العلوي بن النيامي الحسيني العلوي، من أكبر العلماء والفقهاء تفقها على مذهب الإمام مالك، وصهر السلطان عبد الرحمن وابن عمه، تولى قاضي الجماعة بفاس ونواحيها، أفتى ضد صحة بيعة أهل الغرب الجزائري وأعطى لها صفة حق تملكي بدلا من أن يعطيها حق تعاقدي كما هي في أصلها الصحيح عند الماوردي.-- يراجع: سلوة الأنفاس، ص. 117

7 - يقال بأن السلطان عبد الرحمن كاتب السلطان العثماني في ما إذا كان تخلى عن الجزائر، إلا أن السلطان العثماني لم يعلن رسميا تخلصه عن الجزائر إلا في سنة1847 عندما لم يذكر اسم الجزائر في أول حوليته نشرها تتعلق بجدول الولايات. يراجع: السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر(1827 - 1847)، ص.77.

إن هذه المواقف ظاهرة غريبة تستحق لفت الانتباه إذ جرت العادة أن يكون الفقهاء والعلماء من أنصار هذه الدعوات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن القاضي عبد الهادي من قرابة السلطان، إلا أنه أفتى ضد رغبته!. أما القسم الثاني وهم أقلية أفتوا بصحة البيعة وتزعم هذا القسم التّسولي الذي كتب تقييده عن موقف القسم الأول.

اندهش الوفد الجزائري من موقف علماء فاس الرافض لبيعتهم، ولذلك بادر علماؤهم بدورهم بالكتابة إلى السلطان لدحض حجج أنصار القسم الأول وذلك في خطاب يعتبر وثيقة تاريخية راقية جدا[1] ومن بين الحجج التي قدموها :

- ليس للجزائريين بيعة شرعية في أعناقهم للخليفة العثماني.
- استقلال الوالي العثماني عن سلطة الخليفة، وليس الأمر كذلك وإنما له مجرد الاسم.
- سوء تصرف الوالي العثماني المتغلب وخروجه عن مقتضيات الشريعة بظلمه وجشعه وتلاعبه بالدين.
- الاستناد إلى مبررات شرعية تجيز فسخ بيعة الخليفة العثماني -في حالة ثبوتها- وتتلخص فيما يلي:
  1. البعد الجغرافي بين الخليفة العثماني وبلاد الجزائر.
  2. عجزه عن الدفاع عن الجزائر أمام الاحتلال الأجنبي.
- ضرورة قبول السلطان لبيعتهم نظرا للأسباب السابقة ولمعطيات أخرى مثل:
  1. الحق التاريخي للسلطان المغربي!
  2. تحقيق وحدة المسلمين.
  3. رغبة سكان المنطقة في الانضواء تحت لوائه.

ونتيجة لهذه المرافعة الفقهية الجزائرية والتي تم تثمينها من طرف الفقيه التسولي الذي قيد فتوى علماء فاس فانتصر للموقف الشرعي الجهادي الذي اقتضاه الحال ومن الأدلة التي قدمها[2]:

أ-جواز خلع الجزائريين لبيعة السلطان العثماني لتوفر الأسباب الشرعية المسوغة لهذا الخلع.

ب-وجوب تعيين إمام جديد يقوم بأمورهم خصوصا وقد اعترتهم فتنتان: فتنة في ما بينهم وفتنة عدو الدين، كما أن أمر الجهاد لا يستقيم إلا مع وجود إمام يضبط الأمور، فقبل السلطان عبد الرحمان بيعتهم،خاصة وأن المساجد المغربية أصبحت تُدوّي بخطب الجهاد التي ساهمت في تزايد شعور رعاياه بعد اطلاعهم على الطلب الجزائري. وقبل معرفة الإجراءات التي قام بها السلطان، هناك عدة ملاحظات رئيسية حاولت إبرازها في ما يلي:

1- أبو العباس،أحمد الناصري : الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، ج9، المصدر السابق ص-ص. 27-29. ويراجع أيضا: الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، ص - ص. 204-205.

2 - الحسن، اليسوبي: (المغرب والجزائر ومواقفهما في مواجهة الزحف الاستعماري في عهد السلطان المولى عبد الرحمان العلوي والأمير عبد القادر الجزائري في النصف الأول من القرن التاسع عشر) دعوة الحق، ع، خاص 289،السنة33 رمضان، شوال، 1412 مارس/أبريل 1992م.ص.62.

- هل البيعة التي قام بها الوفد الجزائري تخص الجزء أم الكل – الغرب الجزائري –؟ إن ما جاء في تشكيلة الوفد ونص الابتسام ورسائل السلطان إلى عماله بالمنطقة تُفيد بأن البيعة شملت معظم سكان الغرب الجزائري خصوصا،وسكان تلمسان خصوص الخصوص.

- هل كان عرض الطلب الجزائري على المسطرة الشرعية وليد قناعة ذاتية عند السلطان نزولا عند قوله تعالى:﴿والذين استجابوا لربّهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم﴾[1] ؟ أم أراد أن يضفي الطابع الشرعي على عمله؟ وإذا سلّمنا بالطرح الأول –استشارة الفقهاء – فلماذا السلطان لم يأخذ برأيهم وهم الأكثرية ؟ فهل هذا يعتبر تمردا عن الشريعة الإسلامية ؟ أم أنّ السلطان كان أكثر فهما من فقهاء فاس؟

- المرافعة الفقهية التي قدّمها الوفد الجزائري فيها نوع من التبرؤ والتنكر غير الشريف للسلطان العثماني الذي وصفوه بالظالم، الفاسق، المغتصب؛ فهل نسي هؤلاء ذلك الموقف النبيل الذي وقفته الدولة العثمانية من صد الاحتلال الإسباني لمدن الغرب الجزائري في القرن السادس عشر؟ أم لأن الوفد كان مشحونا بعواطف التذمر والكراهية للعنصر التركي بالجزائر؟ أم لكي يُقبل طلبهم عند السلطان؟

- المرافعة الفقهية فيها أيضا نوع من الإلحاح والالتماس المتزايدين، وهذا يعكس لنا رغبة الوفد الجامحة في الانضواء تحت طاعة السلطان و خوفا من خطر الفتن التي أصبحت محيطة بهم.

- الفقيه التسولي لم يكن من أنصار الموقف المساند لقبول البيعة، و لم يكن من الذين عرض عليهم السلطان الفتوى كما ذهب إليه البعض[2] لأنه لم يكن موجودا آنذاك مع فقهاء فاس والأدل على ذلك هو ما جاء على لسانه في مخطوطه «ولما سُئلت عن النازلة بعد قدومي من الغيبة لأني كنت غائبا» [3] وعليه فالتُسولي وصل متأخرا ويبقى أهم شيء قام به هو الرد على فقهاء القسم الأول وبالتالي تثمين عريضة الوفد الجزائري التي قبلها السلطان في الأخير.

- هل قبول السلطان عبد الرحمن للبيعة كان نابعا من ضغوط رعاياه المتزايدة بالدعوة إلى الجهاد؟ وهل قبوله كان للقيام بواجب الدفاع عن الدين والوطن الجزائري؟ أم لاسترجاع حقوق تاريخية له في تلمسان كما جاء في عريضة الوفد وكما جاء على لسانه للفرنسيين قبل الاحتلال في المذكرة التي رفعها إلى القنصل الفرنسي بطنجه، أعلن له فيها بأن المغرب يملك حقوقا تاريخية في تلمسان وواجباته تجاه المسلمين في الجزائر[4]؟

مراحلها: جرت أحداثها عبر مرحلتين رئيسيتين هما:

1- المرحلة الأولى وأحداثها (نوفمبر 1830-مارس 1831):

قام السلطان عبد الرحمن بتعيين المولى علي[5] خليفة عنه في منطقة الغرب الجزائري، وبرفقته جماعة من الأعيان: القائد إدريس الجراري عامل وجدة كمساعد إداري، والذي حرص عليه السلطان كثيرا كما جاء

1- سورة الشورى، الآية رقم 38.

2 - أحمد، العماري في مقاله: (خلفيات الحدود في السياسة التركية والفرنسية)ص.180.

3 - علي، التسولي: الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة ج1، ص.268

4 - أحمد العماري: (خلفيات الحدود في السياسة التركية والفرنسية)، منشورات، ك، آ، ع، إ، ع، 2، خاص، دراسات في تاريخ المغرب 1406هـ /1985 م، الرباط، ص.179، ويراجع أيضا: (التدخل المغربي في الجزائر غداة احتلال العاصمة الجزائرية سنة 1830): ص.262.

5 - علي بن سليمان بن هشام، صهر السلطان وابن عمه،كان يبلغ من العمر 15 سنة

على لسان ابن إدريس «وكما رشح مولانا ابن عمه، المذكور، رشحك لتكون واسطة بينهم وبينه... وإياك والطمع وأزهدوا فيما في أيدي الناس»[1]. وسيدي العربي الوزاني كمستشار روحي[2] وأبا محمد عبد السلام البوعناني صاحب خطة الحسبة، وأرسل مع هذا الوفد حامية عسكرية تقدر بحوالي خمسمائة فارس[3]، انطلقت الحامية المغربية وبرفقتها الوفد الجزائري في السير نحو الغرب الجزائري ابتداء من شهر أكتوبر 1830.

ولكي تلقى هذه الحامية القبول الحسن من قبائل الناحية أرسل معها خطابات لهذه القبائل ليشرح لها هدفه ويوصيها بالحرص على تقديم الطاعة والولاء لخليفته في ما نصه «خدامنا قبائل العرب الغرابة كافة، أولاد زياح وذوي يحي وأولاد أحيا (كذا) والجويدات وأولاد السيد مجاهر ... فقد وصل لحضرتنا العلية ... إخوانكم مؤكدين بيعتكم نائبين عنكم ...فقبلنا بيعتهم وأجبنا دعوتهم وغاية لجمع كلمة الإسلام وغيرة على جانبه الشريف فإنما المؤمنون اخوة ... وأنتم إخواننا في الدين يجب مراعاة أخوتكم وجوارهم وجمع كلمتكم» [4].

حطت المحلة المغربية رحالها على مشارف تلمسان خلال شهر نوفمبر 1830، فوجدوا جماعة من أعيانها في انتظارهم خارج المدينة، ولما كانت الحامية كثيرة العدد نزلت بالقرب من فدان السبع، أما مولاي علي وحاشيته فقد تم إيواؤهم في المدينة في القصر القديم للباي قارة سليمان –السابق– أما حاشيته فقد تم إيواؤها في دار المخزن، ومن أهم الإجراءات الأولية التي قام بها المولى علي:

1.1- أقر مراسيم البيعة للسلطان أثناء نزوله بتلمسان ففرح به حضرها وقدمت عليها الوفود من كل ناحية لتبايعه، ومن بين المبايعين: محي الدين وولده عبد القادر، رؤساء بني هاشم، بني مجاهر وبني عامر، العرب الغرابة، وأهل معسكر، وما يؤكد لنا حسن الاستقبال الذي حضي به هو كتاب السلطان إليه إجابة عن كتابه، جاء فيه: «... وما ظهر لكم من حسن الانقياد والامتثال، وما أظهروا من الفرح والسرور بالدخول في بيعتنا، والكون من جملة رعيتنا، ولازالت وفود القبائل البعيدة ترد عليكم أفواجا، فذلك هو الظن في الله...» [5] ولمحاولة كسب المزيد من الأنصار أرسل السلطان ما يؤلف به القلوب من هدايا وعطايا فأمر الأوذيني أن يوجه له خمسين كسوة زيادة على الأربعين التي بحوزة المولى علي، ليكرم بها أعيان القبائل الذين يردون عليه تأليفا لهم وجلبا لغيرهم.

---

1 – الفاسي، الناصر: (محمد بن إدريس وزير مولاي عبد الرحمن وشاعره)، المرجع السابق، ص.170.

2 – محمد خير فارس : المسألة المغربية 1900 – 1912، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية، 1961، ص.66.

3 – اختلفت المصادر والمراجع في العدد الذي رافق المولى علي:

- حياة الأمير عبد القادر، ص.54، يحدده بـ: 5000 فارس.
- التاريخ العسكري والإداري، ج1، ص56، يحدده بـ :1800 فارس.
- مسألة الحدود المغربية الجزائرية، ص129 يحدده بـ: 1000 مقاتل.

يحدده بـ: 500 خيالة، 500 فنتازي : Histoire du maroc – TERRASSE

4 - Ismail HAMET : Le Gouvernement Marocain Et La Conquête D'Alger. OP.CIT P.20

5 - Ibid. p. 26.

والرسالة بتاريخ: 7 جمادى الثانية 1246، 23 نوفمبر 1830.

2.1- قراءة نص البيعة أمام الوفود المبايعة ومن أهم ما جاء فيه: الحمد لله الذي أنار بالخلافة وجسه الزمان وأطلع في صحيفة غرته طوالع السعد، واليمن واليمان وهدى من ارتضاه من الأنام تحت ظل راية مولانا الإمام ...أشهدوا على أنفسهم أنهم عقدوا البيعة لمولانا الإمام، أيده الله وأدام عزه وعلاه والتزموا بالسمع والطاعة...» [1]. وفي الوقت نفسه أرسل المولى علي دعاة من الطريقة الطيبية ليحثوا الناس على الدخول في بيعته، وتعيين إداريين في مدن الغرب الجزائري، فلبت دعوته معظم قبائل الناحية والأدل على ذلك خطاب السلطان إلى خليفته « وقد وصلنا كتابكم وصحبته بيعة أهل معسكر وما أخبر به المرابط الحاج محي الدين من أن القبائل من ثغر الجزائر إلى بلده كلها متشوفة بجانبنا ومنتظرة لأمرنا» [2].

إذن وبسرعة أصبحت الخطب في المساجد تعلن باسم سلطان المغرب، وكل شيء كان يحمل بالتأكيد على الاعتقاد بأن الجزائر قد أصبحت وبطريقة سلمية تحت الصولجان المغربي [3]، فأنشأ المولى علي إدارة بالمنطقة عين عليها القضاة وصاحب الحسبة، والرماة، والدعاة...إلخ إلا أنه وجد معارضة شديدة من لدن بقايا الأتراك — الكراغلة – الذين تحصنوا بمشور [4] تلمسان ورفضوا الولاء والانقياد له، ولقد حاول المولى علي استشارة السلطان في شأنهم فأجابه « وأما القرغليون (كذا) فإن ظهر لكم الانقياد منهم ظاهرا فاتركوهم، واسعوا في تأليف القبائل وجلبها وتنظيم كلمتها ...وإن علمتم أنكم تقدرون على تأديبهم وإجراء الأحكام عليهم... أو بقبض الأعيان والرؤساء منهم وايداعهم السجن حتى ينصفوا وتجري عليهم الأحكام فافعلوا» [5].

رفض الباي حسن هو الآخر الانصياع للمولى علي، وكتب إلى السلطان يخبره انه أحق منه، فكان جواب السلطان قاسيا فيما نصه « فاعلم أنك فرع من شجرة الباشا الذي كان بالجزائر وقد فقد: فحيث ذهب الأصل فقد ذهب الفرع وأما السلطان العثماني فنحن أعرف الناس به، فإذا قدم مدده وظهر أمره فكلامنا معه » [6] ولم يكتف السلطان بهذا الرد بل سرعان ما عرض عليه أمر القدوم إلى المغرب والسكن فيه، بقوله: « إن أردت أن يبقى لك عزك وتصلح أمر دينك ودنياك، فاقدم علينا في أمان الله ورسوله... وإن أردت البقاء على ما أنت ساع فقد خسرت الدنيا والآخرة» [7] فكيف واجه المولى علي هذه المعارضة؟

بالنسبة للكراغلة قام بمحاصرة المشور ومنحهم مهلة معينة للتسليم أو الهجوم، في الوقت الذي قامت فيه جنوده بنهب ممتلكاتهم في المدينة، ونتيجة لذلك حاولوا التفاوض فأرسلوا وفدا عنهم إلى المولى علي، فأقدم هذا الأخير على إلقاء القبض عليهم وإرسالهم مكبلين إلى السلطان لينظر في أمرهم، فأستخدم السلطان هؤلاء

1- أبو العلا إدريس: تلخيص من مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام، المخطوط السابق، ص.206.

2- Ismail, HAMET : Le gouvernement Marocain et La Conquête d'Alger. op.cit. p.29.

3 – هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص.54.

4 – كانت تعني في الأندلس وفي المغرب قاعة الشورى، ونظرا لأهمية المشاورات بين الملوك والسلاطين، فلقد كانت تجري في قلعة حصينة، ومن هناك كان يطلق على القلعة نفسها اسم المشور، يعود بناء مشور تلمسان إلى القرن 6 هـ ولهذا تحصن به الكراغلة.

5 - Ismail, HAMET : Le gouvernement Marocain et La Conquête d'Alger. op.cit. P.24.

6- Ibid. P.24

7- Ibid. P.29.

الرهائن كورقة ضغط عند ما تبقى من كراغلة بالمشورة بل وقام في الوقت نفسه بإكرامهم ومعاملتهم بلطف وأعاد إرسالهم إلى تلمسان مزودين بالهدايا والعطايا[1]، وبكتاب من السلطان إلى كافة الكراغلة يدعوهم فيه إلى طاعة خليفته ومن أهم ما جاء فيه« فكونوا عند الضن بكم في كل ما يأمركما به من أمور خدمتنا الشريفة، ولكم منا من الحظوة والشفوف فوق ما تضنون» [2]، أما بالنسبة لمعارضة الباي حسن فانه تخلص منها عندما أقدمت فرنسا على ترحيله من وهران.

3.1- خروج المولى علي من تلمسان نحو مدينة وهران لتوسيع مناطق نفوذ السلطان ولأخذ البيعة من القبائل التي تأخرت في إعلانها، فحصل على بيعة الحشم وأهل معسكر والمشاشيل وبني شقران، والمرابطون من أهل غريس (درقاوة) وورغية وتجليت والحميان...إلخ، وبعد أن لاذت بطاعته مدينتي مستغانم؛ ومعسكر أصبح على مشارف وهران[3]. فثمّن السلطان هذه النتائج بإمداده بتعزيزات عسكرية جديدة، وأرسل إلى قبائله يأمرها بأن تجند كل قبيلة حصتها من الجيش النظامي تحت قيادة عمه مولاي الطيب ومع مفرزة من الجيش النظامي تحت قيادة إبراهيم المدعو الزيزون، بالإضافة إلى جيش من المتطوعة يفوق تسعة آلاف مقاتلا.

ومع مطلع شهر جانفي 1831[4] نزلت القوات الفرنسية مدينة وهران فحالت دون تقدم القوات المغربية نحو المدينة، في الوقت الذي أثارت فيه الفوضى والاضطراب داخل قبائل المنطقة فسارع بعضها إلى منح الولاء للفرنسيين والتخلي عن بيعة المولى علي، وأمام هذا الوضع الجديد الذي أصبح عليه المولى علي وبعد أن علم السلطان بحالته كاتبه قائلا: « وبعد فقد أخبرت بدخول الفشل والوهن لأولئك القبائل، مع عدم بقائهم على سبيل واحد وخصوصا حين سمعوا نزول محلة العدو الكافر بوهران»[5] ثم يوصيه في الكتاب نفسه بالإجراءات الآتية:

- إعلام أعيان القبائل التي أقرت البيعة والتزمت بالسمع والطاعة، وإقامة الحجة عليهم بإلقاء الخطب والمواعظ الدينية الجهادية، وتذكيرهم بما يلزم من أعطى البيعة شرعا. وقد لعب الفقيه ابن سعد دورا كبيرا في هذا الشأن.

- توظيف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي حثت على الجهاد وفضله في المحافظة على شروط البيعة وعدم فسخها.

1- Ougest.Cour :(L'occupation Marocaine de Tlemcen)op.cit. p39.

2- Ismail. HAMET : Le gouvernement Marocain et La Conquête d'Alger.op.cit p.32

3- كان ذلك خلال شهر ديسمبر1830. من مشارف وهران أرسل المولى علي دعاة عنه إلى المدن الشرقية، فأرسل الشريف المصلي إلى المدية، وأبا محمد العربي إلى مليانة، كما قام بمراسلة كل من مصطفى إسماعيل والمزاري.

4 – للعلم فإن القوات الفرنسية نزلت قبل هذا التاريخ،إلا أنها انسحبت منها إثر ثورة العرش بفرنسا، وعادت إليها بشكل كبير مع بداية سنة 1831.

5- Ismail. HAMET : Le gouvernement Marocain et La Conquête d'Alger. op.cit p.34.

- بتاريخ 11 فيفري 1831 أذن السلطان للمولى علي بالخروج من تلمسان إلى نواحيها وترقب الأحوال من بعيد، وأن لا يغرر بتلك المحلة وأن ينشر السرايا للإطلاع على حقيقة ما يجري بالمنطقة، وقبل معرفة النتائج المترتبة عن هذه المرحلة من الضرورة بمكان أن نعرف ردود الفعل الفرنسية حولها.

– ردود الفعل الفرنسية:

راهنت فرنسا في التصدي للمحلة المغربية على الديبلوماسية المثمّنة بالطرح العسكري ويمكن إيجاز ردودها في ثلاث خطوات رئيسية هي:

- تفكيك وحدة سكان الغرب الجزائري وذلك من خلال استغلال فرصة الفوضى والاضطراب التي عرفتها قبائل المنطقة عقب نزول القوات الفرنسية بوهران، والتركيبة البشرية المختلفة والمتناقضة والمتصارعة، والانشقاق في صفوفها بين الموالية للمولى علي والمحايدة، فضلا عن إثارة قضية الكراغلة وتزويدهم بما يحتاجون إليه للتصدي للحصار المغربي وتقليص نفوذ المولى علي.

- قيام الجنرال " كلوزيل" — من تلقاء نفسه — بإرسال مفوض عنه وهو "دي لابورت" إلى القنصل الفرنسي بطنجة، يدعوه إلى التدخل الفوري لدى السلطان، وأن يأمره بسحب جيشه من تلمسان وتسليم المولى علي نفسه لباي وهران، وتعويض الخسائر التي نجمت عن تدخله بالمنطقة.

- تكثيف النشاط الدبلوماسي عن طريق الاتصال بالبلاط المغربي وعلى أكثر من صعيد، فقام "دي لابورت" بتقديم احتجاجه إلى محمد بن إدريس[1] كما قدّم كل من قنصل فرنسا بطنجة وقنصل إسبانيا إبراهيم بن شيمول احتجاجهما إلى كاتب الجيش المغربي المختار الجامعي[2]، وأرسل "كلوزيل" بدوره "أفراي" مبعوثا عنه إلى مكناس، ليحتج بشدة لدى السلطان وليذكره بروابط الصداقة الفرنسية المغربية التي تعود إلى سنة 1767م[3].

ولتثمين هذه الخطوات قام "كلوزيل" بإرسال وحدات عسكرية بحرية تجوب السواحل المغربية --طنجة، تطوان-- من باب التهديد، فكيف واجه البلاط المغربي هذه الإجراءات؟

واجه البلاط المغربي هذه الإجراءات بما يلي:

– أرسل إلى عمال الأقاليم وقواد الحاميات العسكرية يحذرهم من خطر الأسطول الفرنسي، فكتب إلى محمد أشعاش بهذا الشأن ما نصه: « فلا تغتروا من جهة البحر وكونوا على حذر وأذكوا العيون والجراسيس عليه... فإن أهل الثغور هم أولى بالاحتراس والحذر،سيما وقد علمتم ما جرى على الجزائر المشحونة بالعدد والعدد(كذا) والأموال والعساكر»[4] وفي الوقت نفسه حاول رأب الصدع الذي ظهر في صفوف قبائل ناحية وهران فكتب إلى أعيانهم ما نصه« كافة الدوائر خصوصا رؤسائهم مصطفى بن إسماعيل وأخاه الحاج الخضر (كذا) وابن أخيهما المازري وجميع أعيانهم ومن انتسب إليهم ... فإن العدو الكافر منتظر للفرصة في المسلمين

---

1 – المكي بلول: مسألة الحدود المغربية الجزائرية، المرجع السابق،ص،131.

2 – هو ابن عبد المالك، فقيه وأديب مغربي، استوزره السلطان بعد أن عزل ابن إدريس، كان آنذاك هو القنصد والمسير للشؤون البحرية للمغرب، توفي في شهر محرم 1251 هـ. يراجع : الاستقصاء، ج،9، ص.38.

3 – (كتاب المصالحة المنتظمة بين سلطان مراكش و لويز الخامس عشر ملك فرنسا، 1180هـ/1767 م)، المنار، مج7، من-ص. 783-788.

4 – وثائق، خ،ج،ر: تشديد حراسة الشواطئ حتى لا يتسرب العدو الفرنسي إلى المغرب، محفظة،9، وثيقة رقم 38، بتاريخ: 23 رجب الفرد 1246هـ/ 07جانفي 1831 م

وتفريق كلمتهم، فمهما رأى ثلمة بادر إليها... فأرغموا أنفه وافعلوا ما يسوده من اجتماع كلمتكم مع إخوانكم...»[1].

– بشأن كتاب (دي لابورت) إلى ابن إدريس رد عليه هذا الأخير شخصيا دون علم السلطان من أن ما حدث لن يُعكر صفو العلاقات الفرنسية المغربية،وأن ما قام به السلطان هو استجابة لنداء الواجب، في ما نصه: «فأعلم أنهم مسلمون أحرار وقد وردوا لحضرة سيدنا المنصور مستجيرين به... ولا مضرة في ذلك لجند فرنسا إذا كان مرادهم الجزاير فقد ملكوها واستولوا عليها... وليس فيه ما يكدّر ويغير المحبة، وقد أجبناك من عندنا ولم نظهر كتابك »[2].

– رفض استقبال الموفد" أوفراي" بحجة أنه لم يلتزم بالآداب الديبلوماسية المعهودة، ولأنه لم يكن يحمل أوراق اعتماده ولغياب مترجم عنه، ولذلك رجع إلى الجزائر يوم 05 جانفي1831 دون نتيجة. وأمام هذا الفشل الذريع الذي مني به"أوفراي" قام" سولت" بتوجيه توبيخ إلى "كلوزيل" الذي تصرف من تلقاء نفسه، كما تم استدعاء" أوفراي" إلى باريس لمعاقبته، لأن ما قام به ليس من اختصاص العسكريين وإنما هو من اختصاص وزارة الشؤون الخارجية[3].

ولذلك قام وزير الشؤون الخارجية"سباستياني" بتقديم مذكرة احتجاج إلى السلطان المغربي بشأن خرقه للحدود الجزائرية وذلك بتاريخ 31 جانفي1831، فأجاب عنها السلطان خلال شهر فيفري في ما يلي:

1– التأكيد على نياته السلمية تجاه فرنسا.

2– التأكيد على حقوقه التاريخية في تلمسان، وذلك بالاستناد إلى قبول مولاي سليمان لطاعة سكان المدينة في سنة 1808، وهذا إعتبره مرجعا تاريخيا يُخوّل له ضم تلمسان إلى مملكته.

3– الدين الإسلامي يُجبره على حماية المسلمين ومساعدتهم.

– استدعاء السلطان للمولى علي والمحلة التي ترافقه وذلك بتاريخ 8 مارس 1831 بكتاب وجّهه له ونص ما جاء فيه: « ولا حاجة لنا بقتال المسلمين وسفك الدماء بغير حق ... ومن وفّى بما عاهد الله عليه فعاملنا بوجدة يتصرف (كذا) معه على وجه الطاعة والصلاح ... والعمل على ما قدمنا لكم من جمع المتفرّقين من المحلة والقدوم فوراً،وجعل الأشياخ للقبائل والحواضر وكلامهم مع عامل وجدة، وإياكم والتراخي»[4].

استجاب المولى علي لرغبة السلطان، فغادر الأراضي الجزائرية برفقة محلته، خلال شهر مارس 1831، والملفت للانتباه هو أنه اصطحب معه بعض أعيان الدوائر والزمالة مُكبّلين بالسلاسل وعلى رأسهم مصطفى بن إسماعيل[5] الذين كانوا قد انقلبوا ضدّه بعد أن بايعوه، وبعودة خليفة السلطان تنتهي المرحلة الأولى من

---

1 – المكي، جلول: مسألة الحدود المغربية الجزائرية، المرجع السابق،ص. 238.

2 – المرجع نفسه، ص. 237.

3- Gallès Jaques : La peti e histoire du Maroc, Tome2, op.cit P.199.

4- Ismail, HAMET : Le gouvernement Marocain et La Conquête d'Alger.op.cit . P.39.

5 – مصطفى بن إسماعيل (1769 – 1843) ولد بالعامرية بالغرب الجزائري، شغل عدة مناصب منها : خدمة الأتراك الذين وضعوا ثقتهم فيه فأسند إليه منصب قائد المخزن، ومنذ 1830 عيّن آغا لقبيلتي الدوائر والزمالة، بايع السلطان عبد الرحمن في البداية إلا أنه سرعان ما فسخ بيعته وثار ضد خليفة السلطان في وهران، حالف الفرنسيين وحارب في صفوفهم، رقي إلى رتبة جنرال في جويلية 1839، كان من المعارضين الأشداء لعبد القادر.

المراحل التي عرفتها أحداث البيعة، وقبل معرفة المرحلة الثانية، نحاول الوقوف على النتائج التي ترتبت عن هذه المرحلة في ما يلي:

نتائج المرحلة الأولى:

- فشل[1] المولى علي في تحقيق رغبة سكان منطقة الغرب الجزائري.

- الخراب والدمار الذي قام به جنود المحلة، ويصور لنا أحد شعراء[2] تلمسان ما حدث فيمايلي[3]:

أها للمغرب الأوسط ضاعا	وبان وهنه ومن به جاعـــا
تراكمت أهـــواله وزادت	بـــــه الشدائد الفساد ذاعا
جاء به للحكم أهل فـــاس	فجاسوا خلال ديارة سراعا
وحلوا وأبرموا الحكم بظلم	ودبت فيما أجراه ضياعـــا
لا غرور ياعلويين يحـــــل	بكم مابني سعد قد عاعـــا
فـــإنه قبلكم قـــد جاءوا	لمغربنا وقد ذهبوا جزاعـــا
رأوا من بأسنا ما ليس يرى	وأسيافنا للحومهم قطاعـــا
بنـــاد قنا رصاصها مصيب	لهـــم بكل حالة وقاعـــــا.

- نهب وسلب أملاك الزمالة والدوائر والكراغلة- ماشيتهم مثلا[4]-وبالتالي فأثناء عملية الانسحاب تعرض إلى مطاردة شرسة من لدنهم، فاستولوا على الكثير من أحمال المحلة قدرت بـــ 90بغلا مثـــلا محملـــة بالأثاث[5].

- إهانة المولى علي لأعيان الدوائر والزمالة -- مصطفى بن إسماعيل- الذي أخذه معه مغلول اليدين إلى فـــاس[6] وهو ما سيحدث هوة كبيرة بين السكان ونظرتهم إلى خليفته ابن العامري فيما بعد، بل شجعت الكثير مـــن العناصر على الدخول في صف العدو.

الجهاد الجزائرية التي تزعمها الأمير عبد القادر، ووصفه الجنرال بيليسي بالجرأة والجشع والتلطخ، تعده فرنسا من أكبر أعدائها وقد خلـــدت اسمه برسم صورة كبيرة له في قصر فيرساي،يراجع:

- التاريخ العسكري والإداري،ج.2، ص.138.
- مذكرات الأمير عبد القادر، ص.101.

1 - من أهم أسباب فشلها: معارضة الكراغلة، تصرفات المولى علي معهم، نزول القوات الفرنسية بوهران والقيام بالتحريض ضده، التناقض بين صفوف السكان بين مؤيد ومعارض بسبب نشاط الوشاة.

2 - شاعر مجهـــول.

3- - Ougen.Cour :(L'occupation Marocaine de Tlemcen), op.cit . p.40.

4- المهدي البوعبدلي : (موقف ملك المغرب من الجزائر إثر الإحتلال الفرنسي)، المرجع السابق، ص.20.

5 - أبو العباس، أحمد الناصري: الاستقصاء،ج، 9، المصدر السابق، ص.32.

6 - الأغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن الثامن عشر، المصدر السابق، ص.90

- إقدام السلطان على إلقاء القبض على قواد المحلة الذين تركوا العنان لأنفسهم للقيام بالسلب والنهب ومن بينهم: إدريس الجزائري الذي سجن بتازا، الطاهر بن مسعود المنفري العقيلي، محمد بن فرحون الجزائري، أحمد بن المحجوب البخاري ... إلخ. ومن الملاحظات التي تسجل حول هذه المرحلة:

- انسحاب المولى علي ليس وليد استجابة السلطان لمطالب فرنسا، لأن إصدار الأمر بالاستجابة كان قبل حلول بعثة "سباستياني" بالمغرب والمطالبة بسحب المولى علي، وعليه فالأسباب الرئيسية وراء ذلك تعود إلى:

1 - فشل المولى علي في أداء المهمة الموكلة إليه.

2 - تخوف السلطان على المحلة من الخطر الفرنسي والفوضى التي أعقبت نزوله بوهران والشاهد هو ما جاء على لسان السلطان إلى المولى علي« فلا تغرروا وابتعدوا عن تلمسان... وإياكم والتفريط في المحلة والغفلة عنها ... وإياكم والتغرير بالمحلة وبأنفسكم فإن الأرض ليست بأرضكم» [1]. وقوله أيضا في خطاب آخر له «وأعلم انه منذ توجهتم بالمحلة لتلك النواحي وأفكارنا متعبة وقلوبنا مشوشة وتارة يرد علينا ما يسر وتارة يرد علينا خلافه» [2].

3 - ظهور بوادر الثورة — التمرد- بنواحي فاس من قبل قبائل الودايا وعليه فالسلطان في حاجة إلى تعزيز الأمن بفاس والشاهد ما جاء على لسانه في ظهير الاستدعاء «والعمل على ما قدمنا لكم من جمع المتفرق من المحلة والقدوم فورا ... وإياكم والتراخي في ذلك» [3].

- الرفض -المعارضة- الذي واجهته المحلة لم يكن من جميع سكان المنطقة، بل من كراغلة تلمسان وبعض الشيوخ الذين آثروا مصالحهم الشخصية على حساب الدين والوطن، والأدل على ذلك هو إعادة الاتصال بالسلطان بعد انسحاب المولى علي.

- قدرة فرنسا على استغلال عناصر الضعف التي لمستها لدى سكان المنطقة.

- هل ما قام به سكان الغرب الجزائري هو خاص أم يشمل جميعهم من الدخول في بيعة السلطان؟ إن ما جاء على لسان الوفد الجزائري أمام السلطان — نبايعك بأنفسنا ونتوب عمن وراءنا — وما جاء على لسان السلطان وقد بايعنا ذلك القطر من قسنطينة إلى تلمسان إلى الجريد بيعة شرعية يجب علينا قبولها [4] يؤكد أن ما تم يخص العامة وليس الخاصة.

- إن صغر سن المولى علي - 15 سنة - يجعلني أطرح السؤال الآتي: هل كان البلاط المغربي يفتقر إلى الرجال ؟ فهل هو كذلك ؟ أم لأسباب أخرى؟

1- Ismail. HAMET : Le gouvernement Marocain et La Conquête d'Alger.op.cit, p. 36.

2- Ibid, p. 39

3- Ibid, p. 39.

4 — ينظر الملحق رقم 3

المرحلة الثانيـــة وأحداثها: (أوت 1831-جويلية 1832):

عقب عودة المولى علي من الغرب الجزائري خلال شهر مارس 1831 تعصف بالمغرب الشرقي فتنـــة مرعبـــة قـــامت بهـــا قبـــائل الودايـــا[1] ضـــد الســـلطان بفـــاس، اســـتمرت أربعـــة أشـــهر (أفريل-جويلية 1831) وفي ظلها لم ينشغل السلطان بما يجري في الغرب الجزائري، وبعد أن تمكن من إخمادهـــا أرسل مرة أخرى خليفة عنه للمنطقة وهو ابن العامري (الحامري) للنظر في شؤونها وهذا العمل بمثابة البدايـــة للمرحلة الثانية، إلا أن المراجع والمصادر سكتت عن الحديث عنها إلا القليل منها، وقبل معرفة حيثياتها نحـــاول طرح السؤال الآتي : هل تعيين ابن الحامري جاء بطلب من الجزائريين أنفسهم أم هي مبادرة سلطانية ؟

يذكر لنا هنري تشرشل[2] أنه في ظل الفوضى التي عرفها الغرب الجزائري، عقب انسحاب المولى علـــي منه، اجتمع الأعيان والأشراف على المرابط محي الدين ليكون سلطانهم، إلا أنه رفض طلبهم وأوصى في الوقـــت نفسه بحمل نداء جديد إلى سلطان المغرب، بناءا على ذلك توجهت بعثة أخرى إلى فاس لكـــي تتوســـل إلى السلطان ليتدخل لصالحها، ورغم الظروف التي عرفها المغرب الشرقي آنذاك وافق السلطان على طلبهم وكـــان ابن الحامري[3] هو المرشّح للقيام بهذه المهمة فأرسله برفقتهم.

بينما تذهب رواية أخرى[4] إلى القول بأن تعيين ابن الحامري كان نتيجة لتلك الضمانات التي قدمـــها "أغاوات" الدوائر والزمالة للسلطان الذين اصطحبهم المولى علي معه مغلولي الأيدي ولكي يطلـــق الســـلطان سراحهم ويعفو عنهم تعهّدوا أمامه أنهم سيبذلون قصارى جهدهما في تمكين ممثله الجديد من حكـــم منطقـــة الغرب الجزائري. وأرى هنا أنّه لا يمكن أن أرجّح أحد الروايات باعتبار انهما حدثا فعلا و الأدل على ذلـــك أن محي الدين كان قد بايع السلطان وان ما قام به ابن إسماعيل أمام السلطان هو فعل وارد بناءا على شخصيته.

تمّ تعيين ابن الحامري أواخر شهر جويليه 1831م، خليفة للسلطان بالغرب الجزائري فاصطحب معـــه أعيان المخزن مصطفى ابن إسماعيل وبرفقتهم جيش يتكون من 200جنديا و100 من الحرس، فضلا عن الوفـــد

---

1 -- الودايا: إحدى قبائل المغرب الشرقي، وهي ثلاثة أرحاء، رحى أهل السرس، رحى المغافرة، رحى الودايا،هذه الأخيرة يطلق اسمها تقريبا على الجميع، شارك الكثير من أبنائها وأعيانها في محلة المولى علي بالغرب الجزائري، وأثناء رجوعها أقدم السلطان على معاقبة رؤسائها فكان منهم بعض أعيانها وللنجاة بأنفسهم وفي ظل بوادر الفوضى والتمرد تعاهدوا على نقض بيعتهم للسلطان. وهو ما تم فعلا، فاقتفى السلطان وراءهـــم فكانت مدن فاس، وجدة، تازا، مراكش كلها تعيش مظاهر الفوضى والاضطراب وبعد أربعة أشهر تمكن السلطان من إخماد انتفاضتهم -- ربيع الثاني 1247هـــ فنقلهم إلى العرائش وتسلطات، يراجع :

- الناصري، ج.9، ص-ص. 32-38.
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية، ص.62.
- تلخيص من مجموع الابتسام عن دولة بني هشام، ص-ص. 384-385.
- الجيش العرمرم، ص. 388.
- HENRI, TERRASSE: Histoire Du Maroc , p-p, 317-318.

2 -- حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص.54.

3 -- أبو عبد الله محمدابن العامري [يلقب أيضا بابن الحامري وهو المشهور]، من أولاد يحي شريف، رئيس قبيلة بني حسن بمنطقة الغرب بالمغرب.

4 -- شارل أندري، جوليان: (التدخل المغربي في الجزائر غداة احتلال العاصمة الجزائرية سنة 1830): المرجع السابق ص.263 ويراجع أيضـــا: (موقف ملك المغرب من الجزائر اثر الاحتلال الفرنسي)، المرجع السابق: ص.22.

الجزائري الذي رجع معهم، وصلت البعثة مشارف تلمسان يوم: 16 أوت 1831 ونتيجة للفوضى المنتشرة بها فضّل التوجه نحو مدينة معسكر التي اتخذها مقرا لإدارته.ومن أهم الإجراءات التي قام بها:

1- قام وبمساعدة مصطفى ابن إسماعيل بتوجيه نداءات جديدة إلى قبائل الناحية للاعتراف بخليفة السلطان الجديد، إلا أن ابن إسماعيل خاب ضنه في ذلك، ولحماية نفسه من الأخطار المحتملة شكّل حوالي 1200 فارسا من عشائر المخزن والدوائر لحمايته سرا، فهو في واقع الأمر كان ضد مطامع ابن الحامري[2] والأدل على ذلك هو أنه لم يلتزم بتعهداته السابقة أمام السلطان بل حرّض السكان ضد الوافد المغربي الجديد؟

2 – حاصر ابن الحامري مدينة وهران من 8 إلى 12 أكتوبر[3] لمحاولة اقتحامها إلا أنه فشل في ذلك فاكتفى بحفر الخنادق حولها من جهة البر وتضييق الخناق على الحامية الفرنسية الموجودة بها.

3 – فرض نفوذ السلطان بالناحية – الروحي خاصة – وللقيام بذلك قام بـ:

- استقبال بعض الوفود الجزائرية التي جاءت لتجدد بيعتها للسلطان عبد الرحمن ومن بين هؤلاء:المرابطون، وشيوخ الزوايا وبعض الأعيان.

- الانتقام من الحامية التركية الموجودة بمعسكر والتنكيل بها والتي تجاوز عددها 200 شخصا.

4 – محاولة كسب أنصار جدد، فأرسل بخطابات إلى رؤساء الحاميات التركية المتمركزة بكل من أرزيو، مستغانم لدعوتهم إلى بيعته، إلا أن إبراهيم بن شيمول – قائد حامية مستغانم - أودع الخطاب الذي وصله من ابن العامري في يد الجنرال الفرنسي "دي فوذا" خليفة "دامريمون" كدليل على ولائه لفرنسا، وليؤكد له أهداف ابن العامري وخطره على الفرنسيين[4].

5 – جباية الضرائب واستخلاص الزكاة من القبائل التي دانت بطاعته، كما أرسل الدعاة والأعوان إلى المناطق الشرقية، فامتد نفوذه إلى مشارف مدينتي مليانة والمدية بواسطة الشريف محمد الشرقي، والشريف المعاني(المعطي)[5].

6 – أرسل فرقة عسكرية لمحاصرة أتراك قلعة مستغانم الذين انحازوا إلى السلطة الفرنسية في ظل حكم إبراهيم، إلا أن هذا الأخير وبمساعدة الفرنسيين قام بهجوم مضاد ضد القوات المغربية[6] ومنذ ذلك فقد ابن العامري كل حظوة في عيون الأتراك والقبائل التي لم تعترف بسلطته، وبدأت مظاهر الفشل تبدو على نشاطه بالمنطقة، فكيف كان موقف فرنسا من إجراءات ابن العامري؟

---

1 – شارل أندري،جوليان : (التدخل المغربي في الجزائر غداة احتلال العاصمة الجزائرية 1830).المرجع السابق،ص.263.

2 – هذا يعكس لنا شخصية ابن إسماعيل المتناقضة والمؤسسة على خبث ودناءة منقطعة النظير، وما قام به تجاه حركة الجهاد إلا دليلا على ذلك.

3 – شارل اندري، جوليان: (التدخل المغربي في الجزائر غداة احتلال العاصمة الجزائرية سنة 1830)، المرجع السابق ص.263، وهو يرى هنا بأن العامري استولى على وهران إلا أن ذلك لم يتم.

4 – بن حلال وآخرون : مسالة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص.30.

5 – تعريب إسماعيل: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص.32.

6 - Ouen. Cour : (L'occupation Marocaine de Flemcen). op.cit. p.43.

وفود الدول الأوربية:

راهنت فرنسا في التصدي لإجراءات ابن العامري على ثلاث خطوات رئيسية هي:

- تفتيت عنصر الولاء الذي منحته قبائل الناحية له، مع التلويح ببعض الامتيازات والإغراءات لمن يخدمون مصالحها، فاستجابت الكثير من هذه القبائل للطرح الفرنسي، وما تخلي مصطفى بن إسماعيل وقبائل الدوائر والزمالة عن المولى علي إلا دليلا على نجاح هذه السياسة.

- استخدام أسلوب التهديد ضد قبائل الناحية وضد القبائل المغربية، فضاعفت قواتها الفرنسية عن طريق إمداد الجنرال "بوايه" بـ 7000 جنديا إضافيا[1]، تقديم المساعدة العسكرية لكراغلة وهران وتلمسان، والعمل على إعدام كل شخص مغربي يُلقى عليه القبض، و تضييق الخناق على ابن العامري بتعسكر، وأمام هذه الإجراءات غادرها باتجاه تلمسان أين حاصر كراغلة المدينة بالمشور، في الوقت الذي قامت فيه بتحريك وحداتها العسكرية البحرية لتجوب السواحل المغربية- طنجة، تطوان، الحسيمة....الخ.

- تكثيف النشاط الدبلوماسي لدى بلاط السلطان فأرسلت فرنسا بعثة دبلوماسية وللمرة الثانية إلى المغرب ترأسها "الكونت شارل دي موريناي" (CHARLES DE MORNAY)[2]، انطلقت يوم 30 نوفمبر 1831 من مدينة طولون عبر الفرقاطة "بيرل" (Berl) لتصل ميناء طنجة يوم 24 فيفري 1832، حيث استقبلها باشا المدينة وأعيانها. وبعد مفاوضات عسيرة - تعقيدات البلاط - سمح للبعثة بمقابلة السلطان بعد الموافقة السلطانية على استقبالها.

إلا أن البعثة واجهتها عدة صعوبات منها : حلول شهر رمضان المعظم 1247هـ، غياب الأمن عبر الطريق الذي تسلكه خوفا من إثارة قبائل المغرب ضدها، ورغم هذه الصعوبات تحركت البعثة يوم 06 مارس 1830[3] من طنجة باتجاه مكناس، كان برفقته المترجم الإسرائيلي إبراهيم بن شيمول، وأمين الجمارك الطيب بياس، القائد محمد بن عبو الذي وضع تحت تصرفه 120 جنديا و30 خادما، وصلت البعثة يوم 15 مارس إلى مكناس حيث استقبلها باشا المدينة وقائد المشور بكثير من الترحاب، إلا أنها انتظرت كثيرا لتحظى باستقبال رسمي من السلطان عبد الرحمن[4].

استقبل السلطان البعثة الفرنسية يوم 22 مارس تحت جدران مدينة مكناس في حفل كبير[5] ومن بين العبارات التي أدلى بها " موريناي" أمام السلطان: «إن ملك الفرنسيين الذي انتخبته الأمة الفرنسية قد أرسلني

---

1 – اتبع بوايه حركة قمع عنيفة ضد سكان الناحية، وضد جنود المحلة المغربية وكان من ضحاياه جنديان مغربيان أعدمهما أمام الملأ ولم تشفع لهما تدخلات السلطان عبد الرحمن واحتجاجه بشأنهما.

2 – أرسلت معه هدية ثمينة إلى السلطان وخطاب من الملك لويس فليب، وبصحبته كل من دانجرانج (ANTAINE –GEROME DESGRANGES) والرسام يوجين دولاكروا (EUGENE DE LA CROIX) الذي صور لنا مشهد رائع للبعثة عندما استقبلها السلطان فيما بعد أمام جدران فاس، يراجع : الإتحاف، ص.2.

3 Emile Lombert :, Histoire D'un Table Eau L'Abderhman Sultan du Maroc de la croix, La rose, éditeur rue Victor Cousin. Paris, 1953, p.9

4 Philippe, Cosse. Brisson : Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830 - 1847), la rose , Paris, 11 rue Victor Coussin. p – p , 21-24.

5 – Emile Lombert : Histoire D'un Table Eau L'Abderhman Sultan du Maroc. De la Croix. Op.cit, p.9.

إلى جلالتكم لكي أعلن لكم وصوله إلى العرش، إن رغبته الأكثر صدقا تتمثل في أن يوثق أواصر الصداقة التي تربط فرنسا بالمغرب ...سيدي إن رئيس الأمة صديق قوي يتحدث إليكم عن التحالف وآمل في أن يكون صوته مسموعا عند جلالتكم [1]». ومما جاء في إجابة السلطان عن هذا التصريح « إنني أرغب في المحافظة على السلام وعلى الصداقة الموجودة منذ سنوات طويلة بين المغرب وفرنسا، وأنني أفضل من بين صداقة كل الأمم صداقة فرنسا، وأرغب في أن اثبت لها ذلك »[2].

أسند السلطان مهمة التفاوض مع " دومورناي" إلى كل من الطيب بياس، المختار الجامعي، الطالب بن جلون، وبعد يومين من المفاوضات قدّم "مورناي" مطالبه التي تمثلت فيما يلي:

- تخلي السلطان عن التدخل في تلمسان.
- استدعاء ابن الحامري.
- التزام الحياد التام في شؤون إيالة الجزائر.
- إرجاع الوفد الجزائري الذي كان آنذاك بمكناس لطلب مساعدة السلطان.
- رفض السلطان تعيين أي قنصل أجنبي عنه في ممتلكاتهم الجديدة.
- المطالبة بإعادة السفن الفرنسية الثلاثة وحمولتها التي كان قد احتجزها المغاربة أثناء الحصار الفرنسي للجزائر.
- دفع تعويضات مالية لأصحاب السفينة الفرنسية " نبتون" التي تم نهبها في سنة 1820 على ضفاف واد نون، تقدر بـ 12200 فرنكا فرنسيا.
- تحديد تعريفة جمركية بين البلدين[3]. فكيف كانت إجابة السلطان عن هذه المطالب؟

استمر البلاط المغربي في دراسة هذه المطالب لأكثر من أسبوع، ورغم مناوراته الرامية إلى إفشال هذه البعثة، إلا أن "دو مورناي" تمكّن من إقناع مفاوضيه بجدية المطالب الفرنسية، وبتاريخ 04 أفريل 1832 جاءت إجاباته كما يلي:

- نفي أي علاقة للمغرب بقضية السفينة" نبتون".
- إعادة السفن الفرنسية التي احتجزت بمنائي تطوان والعرائش لفرنسا.
- وافق السلطان وفي وثيقة رسمية[4] إلى الملك الفرنسي باستدعاء ابن العامري.
- تعهد السلطان أن لا يرسل مندوبين عنه إلى ما وراء الحدود الجزائرية طيلة الاحتلال الفرنسي لها.
- أن لا يعهد بشؤون الغرب الجزائري إلى القناصل الأجانب. ومن جانب فرنسا تعهد مفاوضيها بإعادة الممتلكات المصادرة للتاجرين[1] المغربيين: فالنسيانو وبن كيران، اللذين أعدما في وهران.

---

1 – يحي، جلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص.40.

2 – المرجع نفسه، ص.40.

3 - Philippe , Cosse, Brissac : Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830 – 1847), op.cit. p.26.

4 – المكي،جلول: مسألة الحدود المغربية الجزائرية، المرجع السابق، ص239.

وفي يوم 05 أفريل غادرت البعثة الفرنسية مدينة مكناس، لتصل طنجة يوم 12 أفريل، وبعد انتظار طويل للحصول على نص الاتفاقية الممضاة من طرف السلطان – 60 يوما – غادرت طنجة بتاريخ 10 جوان حيث وصلت طولون يوم 05 جويلية 1832م.

باستدعاء السلطان لأبن الحامري تنتهي المرحلة الثانية من نشاط السلطان المغربي بالغرب الجزائري، إلا أن ابن الحامري أثناء عودته كان قد ترك أمر تنظيم الجهاد في يد محي الدين الذي تلقّب بخليفة سلطان المغرب[2]، وجاء من بعده ولده عبد القادر الذي سار على نهج والده عندما تولى قيادة حركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري، هذا ما سنعرفه في الفصل الثاني.

نتائج المرحلة الثانية:

- فشل ابن العامري في إيجاد – مساعدة – سكان الغرب الجزائري من الفوضى والأوضاع التي آلوا إليها، كما فشل في طرد الوجود الفرنسي من وهران.

- زيادة اضطراب الأوضاع في المنطقة واتساع الهوة بين بقايا الأتراك وقبائل الناحية من جهة وبين الجيش المغربي وكراغلة وهران ومستغانم وتلمسان من جهة أخرى.

- الخسائر البشرية والمادية التي نجمت عن عملية حصار وهران وحامية مستغانم ومعسكر وكراغلة تلمسان، والتنكيل ببعض عناصرها حال دون إقناعهم بالانضمام إليه.

- ضاعفت فرنسا نشاطها القمعي ضد من حافظ على ولائه لابن العامري، فصادرت الأملاك وقتلت الأبرياء وطردت الأعيان خارج مدينتي وهران وتلمسان.

- فشل ابن العامري دفع بسكان الغرب الجزائري إلى الاقتناع بأن المغرب عاجز عن حمايتهم وأن الحل الوحيد لقضيتهم هو البحث عن قيادة محلية جزائرية تكون قادرة على الاستجابة لتطلعاتهم، فالتفوا حول محي الدين ومن بعده ولده عبد القادر، وقبل الحديث عن خاتمة هذا الفصل هناك ملاحظات رئيسية أود أن أشير إليها حول هذه المرحلة فيما يلي :

1 – فشل ابن العامري كان نتيجة الظروف التي أحاطت به، هذا فضلا عن عدم التزامه بنصائح السلطان في كيفية سياسة السكان، ولذلك فبدلا من التركيز على عنصر الحجة والإقناع، فضّل استخدام القوة في فرض طاعة سيده.

2 – ألاحظ اقتصار نشاط خليفة السلطان على محاصرة الأتراك ومطاردتهم،فهل هذا نتيجة ذلك العداء التاريخي بينهم وبين سلاطين المغرب؟ أم هي خطوة رآها ضرورية لتطهير المنطقة من أثرهم.

3- إن الأوضاع التي عرفها الغرب الجزائري فضلا عن المسافة التي قطعتها جيوش المحلة المغربية وعدم استقرارها، حال دون ترسيخ وجودها في المنطقة.

4 – إن محاصرة ابن العامري للحامية الفرنسية بوهران تعكس نواياه الحسنة في التصدي للاستعمار الفرنسي.

---

1 - Phlippe , Cosse, Brissac : Les rapports de la france et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830 – 1847) , op.cit. p.26

2 - Ougest.Cour : (L'occupation Marocaine de Tlemcen), op.cit , p.45.

خـــاتمـــة

مما سبق ذكره نخلص إلى النقاط الآتية:

- ساهم المغرب سلطة وشعبا مساهمة كبيرة في مواساة الشعب الجزائري عامة وسكان الغرب الجزائري خاصة في المحنة التي ألمت بهم سنة 1830.

- الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر كان له صدى قوي في المغرب، إذ تحرك الأدبـــاء والعلمـــاء والفقـــهاء للتصدي للعدو الفرنسي، وذلك من خلال قصائدهم وفتاويهم وتآليفهم والتي يمكن أن تُعدّ أول مظهر مـــن مظاهر اليقظة في المغرب.

- ما قام به سكان الغرب الجزائري تجاه سلطان المغرب – مبايعته – ما هو إلا حلقة من حلقـــات التـــاريخ الجزائري الذي عوّدنا مثل هذه التوجهات،وما الاستنجاد بالسلطان العثماني في النصـــف الأول من القـــرن السادس عشر وبالسلطان المغربي المولى سليمان سنة 1808 إلا دليلا على ذلك ولكن هذه المرة أكثر إلحاحا.

- إن ما قام به عبد الرحمن بن هشام – حسب رأي – تجاه الغرب الجزائري وانطلاقا من الوثائق التاريخيـــة التي اجتهدت في الحصول عليها كان بعيدا عن طابع التدخل الإمبريالي أو الغـــزو الاســـتعماري أو التوســـيع الجغرافي، وإنما السلطان حاول أن يجمع بين : الحق التاريخي و الواجب الديني و الهدف الوحـــدوي- وحـــدة الغرب الجزائري مع المغرب الشرقي – الروحي خاصة والشاهد ما جاء على لسانه إلى قبائل الغرب الجزائري.

- إن مشروع الوحدة المغربية الجزائرية – وحدة الشعوب – تصدت له فرنسا بقوة لأنها كانت اكـــثر فهما لمشاريع السلطان نتيجة لنشاطها التجسسي حوله، فتصدت للمشروع بـــ:

أ – زرع بذور الفتنة بين التشكيلات الاجتماعية للغرب الجزائري التي انقسمت على نفســـها إلى: أطـــراف موالية لها وأطراف موالية للمغرب وأطراف محايدة.

ب – تهديد المغرب بالتدخل العسكري من جهة البحر في ظل ضعف الأسطول المغربي.

ج – إرغام المولى عبد الرحمن على الاعتراف بالاحتلال الفرنسي للجزائر، وعرقلـــة مشـــروعه الوحـــدوي بإثارة فكرة رسم الحدود بين البلدين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

علاقة الأمير عبد القادر بالمغرب (1833 – 1836)

- مقدمـــــة
- مبايعة عبد القادر بالغرب الجزائري.
- علاقته بالمغرب.

1- دوافعها.

2- موقف المغرب من ظهور حركة الجهاد بالغرب الجزائري.

3- ردود الفعل الفرنسية.

- أثر معاهدة دي ميشال 1834 على التقارب الجزائري المغربي.

- الرأي الأول.

- الرأي الثاني.

- المساندة المغربية لحركة الجهاد الجزائرية (1834-1836).
- الموقف الفرنسي من التضامن الجزائري المغربي.
- خـــاتمـــــة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

تعرفنا في الفصل التمهيدي على أهم الأحداث التي عرفتها منطقة الغرب الجزائري وكذا منطقة المغرب الشرقي فيما بين (1830-1832)، وخلال الفصل الثاني ستعرف المنطقتان تطورات أخرى ساهمت في وجودها أطراف عدة:

ظهور الأمير عبد القادر الجزائري كرائد لحركة الجهاد بالغرب الجزائري، وبالتالي فظهوره يعتبر بمثابة قوة جزائرية متميزة حاولت سد الفراغ الإداري بالمنطقة، وذلك من خلال محاولته الرامية إلى تأسيس دولة جزائرية على أنقاض الحكم العثماني.

ارتباط الأمير عبد القادر وبشكل قوي مع المغرب على المستوى الرسمي بصفة عامة وبالمغرب الشرقي كمستوى شعبي بصفة خاصة، وبالتالي ظهور التضامن الجزائري المغربي من خلال العلاقات التي جمعت بين الشعبين.

دور فرنسا كطرف ثالث في محاولة عرقلة مشروع التقارب الجزائري المغربي، وكذا مساعيها الرامية إلى أن يلتزم السلطان المغربي الحياد تجاه ما يحدث بالجزائر، وانطلاقا من هذه الأطراف ارتأيت أن يكون الفصل الثاني مثمّنا في النقاط الآتية:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مبايعة عبد القادر بالغرب الجزائري:

بعد استدعاء السلطان المغربي لخليفته بتلمسان كان قد ترك فيها محيي الدين والملقب بخليفة سلطان المغرب[1]. تعرف تلمسان خاصة والغرب الجزائري عامة تطورات خطيرة تمثلت في: عودة الصراع من جديد بين حضر تلمسان وكراغلة المدينة، تسلط العدو الفرنسي على البلاد وانتشار الفساد،فتسلط القوي على الضعيف وتطاول اللئيم على الشريف، واشتكى الناس من بعضهم بعضا، وتراجعوا التدبير والرأي، وكيف المناص من ذلك الأمر الذي لا يقوم به إلا أمير يشد ثغور المسلمين[2].

في ظل هذه الظروف اجتمع الأعيان والأشراف والعلماء من العرب والبربر، وألزموا محيي الدين أن يقبل بيعتهم على الإمارة لنفسه أو لولده، غير أنه رأى نفسه عاجزا عن القيام بها، وهو الذي حاول في عدة مناسبات الهجوم على وهران، كما حاول وضع حد للصراعات الناشئة حوله إلا أنّه يحقق نتائج إيجابية تذكر، ويذهب" أوغست كور" إلى القول: «أنه عرض القيادة العسكرية للقبائل على مصطفى بن إسماعيل فكان ردّه رفض ممارسة أية سلطة إلا التي كان يمارسها على الدوائر»[3].

إلا أنني لا أجد ذكرا لذلك في التحفة، بينما تذهب مذكرات الأمير إلى أنه أشار عليهم بمبايعة سلطان المغرب في الرواية الآتية:

«فامتنع كل الامتناع، واعتزل الناس، بعد أن قال لهم: عليكم بسلطان فاس فقالوا له: قد رأيت الصّنيع الأول من ذلك السلطان وما حصل بسبب تركه لنا هملا من التضييع للمال والرجال بغير فائدة ... فقال رحمه الله: لا ينفعكم إلا هو ولا يقوم بأمركم غيره، لعمارة يده بالخزائن في كل مدينة من مدنه ... فسمعوا لقوله ورجعوا لأمير المغرب فعادوا بلا شيء ... فاختلف العلماء حينئذ بعد اتفاقهم على أن هذا الأمر لا يقوم به غير الوالد»[4].

ويواصل صاحب المذكرات الحديث عن ذلك إلى أن يقول: «والوالد ممتنع في ذلك، وبقوا على هذا الحال مدة من سنتين»[5]. وعليه يمكن أن أسجل تناقضا فيما جاء به، فإذا كانت إشارة محيي الدين للارتباط بسلطان فاس سنة 1832، وقوله –أي صاحب المذكرات– وبقوا بعدها مدة من سنتين والتي توافق سنة 1834، فان عبد القادر يكون مرّ على مبايعته أكثر من سنة، أمّا إذا كانت إشارته عليهم وقعت في سنة 1830 فما جاء في الفصل السابق وهو استجابة السلطان لطلبهم يناقض ذلك تماما ! ورغم هذا الطرح تخلص المذكرات بإشارة محيي الدين على ابنه عبد القادر: «ولكن ولدي عبد القادر صالح لفصل الخصوم ومداومة الركوب[6] وهذا ما أكّده صاحب التحفة بقوله: «بعدما استخار الله تعالى قدّم ولده للإمارة»[7].

1- Ougest. cour : (L'occupation Marocaine de Tlemcen). Op. cit, p45

2- الأمير عبد القادر: المذكرات، المصدر السابق، ص95 ويراجع أيضا: تحفة الزائر، ص154.

3- Ougest. cour : (L'occupation Marocaine de Tlemcen). Op. cit, p45.

4 – الأمير عبد القادر: المذكرات، المصدر السابق، ص95.

5- المصدر نفسه، ص95.

6 – المصدر نفسه، ص96.

7- ابن عبد القادر محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق ص155.

لقد جاء ترشيح عبد القادر[1] بناء على عدة صفات، كالتقوى والصلاح والقدرة على مكابدة الصعاب والنسب الشريف ...الخ، وعندما عرض الأمر عليه قال: أنا لها، أنا لها. فتمت مبايعته يوم الأربعاء آخر شعبان 1248هـ، عند شجرة الدردارة بواد فرعية عند سهل غريس، وقد وقّع العلماء والأشراف والأعيان الذين حضروا البيعة على ما يثبت شهادتهم لبيعته.

ومن أهم ما جاء في نص البيعة : « بعد انعقاد البيعة للإمام المعظّم، والأمير الجليل المفخّم، ابن أخينا السيد عبد القادر بن محيي الدين... بايعناه على السّمع والطاعة... وامتثال الأمر»[2] وكان ذلك في رجب الفرد 1248هـ الموافق لـ: 27 نوفمبر 1832. وهذه البيعة كانت خاصة ولذلك تلتها البيعة العامة بتاريخ 13 رمضان 1248هـ الموافق لـ: 04 فيفري 1833م. وهناك نصوص كثيرة للبيعتين سجّلهما صاحب التحفة ومن خلالها نستخلص الملاحظات الآتية:

- مدى اقتداء الأمير عبد القادر في مبايعته بالرسول -ﷺ-.
- المبايعة كانت على أساس السمع والطاعة.
- غياب ذكر أو إشارة إلى سلطان فاس.
- الدعوة إلى الاتحاد ونبذ الخلافات والصراعات.

وبعد أن تمت مبايعته واستقام له الأمر قام بعدة إجراءات منها ما هو على المستوى الداخلي ومنها ما هو على المستوى الخارجي، فعلى المستوى الداخلي قام باختيار مدينة معسكر[3] مقرا لإقامته وعاصمة سياسية لإمارته، ثم عيّن رجال دولته كالوزراء والقضاة وأسس مجلسا للشورى ودوّن الدواوين ورتّب الجند، وبعد أن فرغ من هذا كله خرج ليتفقد أحوال الرعية ويعيد من تخلّف عن البيعة والطاعة، فأخضع بلاد البربر وزناته وحملهم على سلوك سبيل الطاعة للجماعة ففرض طاعته على القبائل المعارضة له كقبيلة فليته[4] وعكرمة وبني مديان، كما أصلح بين قبائل البربر المتنازعة فيما بينها.

---

1 -عبد القادر الجزائري(1222-1300هـ/1807-1883)،ابن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن أحمد بن المختار الحسني الجزائري، ينتصل نسبه بعلي بن أبي طالب(رضي الله عنه)،ولد بالقيطنة،تعلم بها القرآن الكريم والعلوم الشرعية والنحوية عن فقهاء وأدباء عصره،جمع بين الجهاد والعلم والشعر والتصوّف،بويع للجهاد سنة 1832م بالغرب الجزائري،ربطته صلات قوية بالسلطان المولى عبد الرحمان، الذي ساعده في جهاد الغزو الفرنسي إلى أن قامت فرنسا بإثارة الفتنة بينهما. أُخذ إلى فرنسا أسيرا،توجه بعدها إلى دمشق، زار عدة مدن بالمشرق العربي، توفي ... من آثاره:ديوان شعره، المواقف، ذكرى العاقل،يراجع : مذكرات الأمير،ص-ص،27-33،معجم أعلام الجزائر، مج،7،ص،230.

2- ابن عبد القادر محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق، ص159

ويراجع أيضا: HENRI TERRASSE :Histoire du Maroc, TOM 2, Op. cit., p 434

3 - معسكر في أصلها تكتب أم معسكر كناية على أنها مدينة جامعة لما حولها من العسكر، وسميت بذلك لأنها كانت آنذاك مقرا لقيادة الجيوش وليست حينئذ مجرد مكان لتوقف العسكر كما يستفاد من رسم معسكر، تبعد عن وهران بـ95 كلم يراجع: مذكرات الأمير عبد القادر، ص27. التاريخ العسكري والإداري ، ج1، ص: 213.

4 - فليته: مجموعة من الأهالي تقطن بين أغاليك الغرابة ومحاهر وأغاليك الشراقة بواد شلف على قمري مينة ومنداس، تضم 21 بطنا: العنابرة والمحال وأمية والشرفة وأولاد سيدي بن يحي والحرارنة تحت قيادة ميلود بوطالب ابن عم الأمير. يراجع مذكرات الأمير عبد القادر، ص: 79.

وبعد قدومه وهران نهض إلى تلمسان حيث يوجد بن نونه[1] الذي ادّعى الاستقلال لنفسه وأنه يعمل وفقا لسلطان المغرب، فجمع قوته وخرج لقتال الأمير إلا أنه سرعان ما انهزم أمام جيوشه، كما ثارت طائفة الكراغلة ضده إلا أنه تمكّن منهم في الأخير، ويذكر السّلاوي على أن أهل تلمسان وفدوا على الأمير وأخبروه بما كان بينهم من مبايعة سلطان المغرب؛ وأنهم لا يبايعونه إلا إذا خضع له وعمل تحت لوائه ! فأجابهم الحاج عبد القادر إلى ذلك وأخذ عليهم البيعة وأظهر الطاعة والانقياد للسلطان المولى عبد الرحمان[2] وولّى على تلمسان وأعمالها وزيره أبا عبد الله محمد البوحميدي الوهاصي[3]، هذه باختصار أهم أعماله على المستوى الداخلي[4] أما على المستوى الخارجي فقام بربط علاقات متينة مع المغرب الأقصى سلطة وشعبا كما يلي:

علاقته بالمغرب:

انطلاقا من تعيينه للميلود بن عرّاش[5] كوزير للخارجية، نستنتج النوايا الحسنة للأمير في ضرورة ربط علاقات مع العالم الخارجي، إلا أنّ هذا الأخير كان يشهد العديد من الصراعات في مختلف أرجائه، والأكثر من ذلك أنّ معظم دوله وقفت بالأمس القريب إلى جانب فرنسا، وبالتالي يتعذّر ربط علاقات متينة معها في بداية الأمر، وهذا ما دفع بالأمير أن يتوجّه إلى الأطراف المجاورة له فكان المغرب الأقصى بشكل عام والمغرب الشرقي بشكل خاص نموذجا لهذه العلاقات، فما هي ركائزها؟ وكيف كان موقف المغرب منها؟ وما هي ردود الفعل الفرنسية حول هذا التوجه؟

بعد إتمام المبايعة كاتب الأمير عبد القادر سلطان المغرب ليخبره بالأمر وطلب منه اجازة المبايعة أو ردّها، وممّا جاء في كتابه: « إنّ أهل ناحيتنا هذه اتفقوا أشرافا وعلماء وأهل العقد والحل على ولايتنا وملازمة بيعتنا، وقد ارتضينا ذلك موافقة للوالد، إذ كان هو المطلوب بها، ففرّ منها وألزمنا إياها، لكنّنا توقّفنا على نظر إجازتكم بذلك أو ردّكم إياه، والأمر عندنا سواء.»[6]

ويذكر الناصري أنّ الأمير عبد القادر: «أظهر الطاعة والانقياد للسلطان المولى عبد الرحمن، وخطب به على منابر تلمسان وغيرها... وكتب إلى السلطان يعلمه بأنّه بعض خدمه وقائدا من قوّاد جنده»[7]، إلا أنّ صاحب التحفة لا يذكر لنا ذلك، بينما تكتفي مذكّرات الأمير بالإشارة إلى ذكر المولى عبد الرحمن في خطب

1- محمد بن نونة: مغربي من مدينة فاس، رجل ثري وذكي، صاحب نفوذ كبير في بلاط السلطان عبد الرحمن ثم لدى الأمير عبد القادر فيما بعد، لعب دور كبير في مساندة حركة الجهاد الجزائرية، توفي قبل معركة إيسلي 1844. يراجع:

- Ougest, cour ; R.A, n°58, p.45.

2 - أبو العباس أحمد الناصري السلاوي: الاستقصاء، ج9، المصدر السابق، ص42.

3 - خليفة الأمير على الغرب الجزائري –تلمسان– ينتمي إلى وهاصة القاطنة بجبال طرارة، اشتهر بالصلابة، استلم المدينة عندما أخلاها الجنرال كافينياك يوم 25 جوان 1837.

4 - للمزيد أكثر حول استراتيجية الأمير الداخلية يراجع:

Djilali , Sari : (Le rôle de l'espacent dans la stratégie de l'émir Abd-el-kader), Majallat et.tarikh. Numéro spécial. P-P49-54

5 - ينتمي إلى أسرة متواضعة في قبيلة بني شقرة، عيّنه الأمير وزيرا للخارجية، عرف برزانته وإخلاصه له وبإيمانه القوي، ساهم في عقد معاهدة دي ميشال والتافنة، كانت تحت تصرّفه قوات عسكرية تقدّر بـ 5640 فارسا و 4085 مقاتلا من المشاة. يراجع: مذكرات الأمير، ص177.

6 - الأمير عبد القادر، المذكّرات، المصدر السابق، ص96.

7 - الاستقصاء، المصدر السابق، ص42. ويراجع أيضا: تاريخ المغرب وحضارته، مج2، ص330.

الجمعة والأعياد في النص الآتي: « وخطب له على المنابر الخطباء (كذا) ... أن يخطبوا بمولاي عبد الرحمن ثمّ يأتوا به من بعده استطرادا وإتماما»[1]، في حين تذهب بعض المراجع إلى القول بأنّ الأمير عبد القادر اتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين أو خليفة سلطان مراكش[2].

وهناك وثيقة رسمية يصرّح فيها الأمير أنّه خليفة للسلطان المغربي وهي عبارة عن رسالة موجّهة منه إلى أهل تلمسان، نصّها:« كافة بلدية تلمسان، سلام عليكم ورحمة الله وبعد قد علمتم سعينا في الصلاح و لم نجد مساعدا عليه، والآن أنتم لكم منّا الأمان التام الشامل العام والله هو الرقيب... بأمر خليفة مولانا عبد الرحمن ردّ الله به الأوطان»[3].

واللاّفت للانتباه أنّ هناك مصادر ومراجع أخرى ذهبت إلى القول أنّ الأمير عبد القادر بايع السلطان المغربي بيعة شرعية، فيذكر محمد خير فارس: «وعندما قام عبد القادر يجاهد الإفرنسيين (كذا) وكان قد أعلن بيعته لمولاي عبد الرحمن»[4]. وهو ما ذهب إليه أيضا إسماعيل مولاي في قوله: «والحاج عبد القادر بن محيي الدين، الذي نسبته إلى رباط علمي من مدينة معسكر والذي أعلن بيعته للمولى عبد الرحمن»[5]، وهو ما يؤكّده صاحب الابتسام إلى حد إقرار الأمير عبد القادر بتبعيته للمولى عبد الرحمن، فكان هذا الأخير يسمّيه في الرسائل بالولد البار والآخر يسمّيه بالوالد، ورسائله لا تنقطع، وخطب به وبعث له بالبيعة، وكان يقول إنما أنا نائب عن مولانا عبد الرحمن بن هشام[6].

كما أن السلطان نفسه يؤكد ذلك في رسالة وجّهها للفرنسيين، بعدما سحب ممثله من تلمسان جاء فيها: « وعزمنا أن نكتب لعظيم جنبكم بذلك، ليقوم بأمر ذلك الوطن، أو يتركه لمن يقوم به ... ومحيي الدين وولده هو من بايعنا، ودخل في سلك طاعتنا »[7].

إذًا وانطلاقا من هذه النصوص يمكن القول: أنها وضّحت لنا بما فيه الكفاية طبيعة العلاقة التي ربطت عبد القادر بسلطان المغرب. القائمة على أساس إقراره بمبايعة السلطان، على أساس الطاعة والولاء في إطار الشريعة الإسلامية[8]. إلا أنني أثناء عملية البحث لم أعثر على نص المبايعة الذي بعث به إلى السلطان، ومقابل

---

1 – الأمير عبد القادر : المذكرات، المصدر السابق، ص96. ويراجع أيضا: العلاقات الدبلوماسية الجزائرية، ص.223.

2 – حلال، يحيى: السياسة الفرنسية في الجزائر من1830-1900، ط1،دار المعرفة، القاهرة،1959، ص،115. ويراجع أيضا : مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، ص352؛ : المغرب عبر التاريخ.،ج،3،ص،191.

3 – الأمير عبد القادر : رسالته إلى كافة بلدية تلمسان يعلن لهم فيها أنه خليفة السلطان عبد الرحمان،مخ خ.ع.ر،ميكروفيلم، رقم،1254،ص.95 بتاريخ 1243هـ بالخزانة نفسها.وللعلم أنّ الأستاذ المرحوم محمد المنتوي تفضّل بقبول زيارتي إلى بيته، وتحدّث معي بإسهاب كبير حول هذه النقطة، اذ يرى أنّ عبد القادر أقرّ فعلا بالطاعة والولاء للسلطان المغربي المولى عبد الرحمان، اللقاء كان خلال شهر جوان ببيته بالرباط سنة 1999م

4- المسألة المغربية (1900-1912)، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية، 1961 ص87.

5- تاريخ وحدة وأنكاد في دوحة الأمجاد، ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدر البيضاء 1406هـ- 1985م، ص.102.

6- أبو العلا إدريس :تلخيص من مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام، المخطوط السابق، ص420

7- المكي، حلول: مسألة الحدود المغربية الجزائرية، المرجع السابق، ص: 240.

8 – بالنسبة للبيعة التي وردت في بعض المصادر والمراجع، تجعلنا نتساءل عن معناها الحقيقي، فماذا كان يريد منها عبد القادر؟ وعليه فهل كان الأمير قائدا أم مقودا لحركة الجهاد؟ وهل كان في نيته قبول الولاء للسلطان؟ وسأتناول الإجابة عن هذه التساؤلات في حينها.

ذلك لم نعثر على نص سلطاني يُعيّن الأمير خليفة عنه أو يبارك بيعته، كما توضح لنا أيضا أنّ هناك اتصالات فيما بينهما، منها ما هو على شكل رسائل دبلوماسية، وأخرى على شكل وفود رسمية.

وعليه يمكن أن نستخلص بأن العلاقة بين الرجلين قامت على أسس شرعية متينة، فاعتراف الأمير –وفي اكثر من مناسبة– بأنه خليفة للسلطان ونائب عنه، وخادم من خدامه وهذا ما تؤكده لنا الرسالة التي بعثها إلى السلطان والمؤرخة في شهر ربيع الأول 1261هـ نصها:«خديم حضرتكم، الباذل جهده في مرضاة الله ورسوله، ثم مرضاتكم، المتوكل في كل أموره على الله وعليكم، الموضوع اسمه بالخاتم، النايب عنكم »[1]. وألاحظ من خلالها أن السلطان أصبح يحتل مكانة مرموقة لدى الأمير خلال هذه السنة.

ولتأكيد هذه العلاقة أكثر فانه كان يرسل إليه نصيبه من الغنائم التي يتحصل عليها في ميدان الجهاد، والكثير من الهدايا في المناسبات الدّينية، كما كان يستشيره في الكثير من أموره، وإذا كان كل هذا من جانب الأمير فما هي الدوافع الحقيقية التي كانت وراء هذا التوجّه؟ ولماذا لم يتعامل مع السلطان العثماني خاصة وأن الجزائر مازالت حديثة عهد بالدولة العثمانية؟ وما هو موقف السلطان المغربي من هذا الطرح الجزائري؟ وما هي الخدمات التي قدمها لعبد القادر مقابل اعترافه بالولاء له؟

دوافعها:

انطلاقا من بعض النصوص التاريخية يمكن القول أن ارتباط الأمير عبد القادر –الذي يمثل حركة الجهاد بالغرب الجزائري– بالمغرب يعود إلى عوامل عدة ساهمت بشكل كبير في توجيه هذه العلاقة، يمكن تحديدها فيما يلي:

1 – الانحدار العائلي من المدينة المنورة والاستيطان بالمغرب الأقصى ثم التوجه نحو الجزائر، والأمير نفسه يؤكد ذلك بقوله: « كان أجدادنا يقطنون المدينة المنورة، وأول من هاجر إليها (كذا) هو إدريس الأكبر، الذي أصبح فيما بعد سلطان على المغرب، وهو الذي بنى فاس، وبعد أن اكثر (كذا) نسله توزعت ذريته، ومنذ عهد جدي فقط، قدمت عائلتنا لتستقر في اغريس قريبا من معسكر »[2].

2 – الأرتباط الروحي و الصوفي، فالأمير ينتمي إلى الطريقة الصوفية القادرية المتجذّرة والمتفرعة بالمغرب الشرقي (فاس خاصة). ومع احتلال فرنسا للجزائر تولىّ شقيقه محمد السعيد[3] مشيخة هذه الطريقة بفاس هذا من جهة، ومن جهة أخرى تأثر الأمير بعلماء وفقهاء المغرب « خاصة وأنه أخذ عنهم جملة العلوم التي حصّلها

1- ISMAIL. HAMET : Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger. Op, cit, p-62.

2 – وزارة الإعلام والثقافة. سلسلة الفن والثقافة. الأمير عبد القادر ش.و.ن.ت، النص لمحفوظ قداش. الطبع: التاميرا روتوبريس. ش.م. مدريد ماي 1974، ص: 10.

3 – محمد السعيد بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري، الشقيق الأكبر للأمير عبد القادر من الأب فقط، فقيه، صوفي ولد بالقيطنة، رحل إلى المغرب وتولى مشيخة الطريقة القادرية، شارك بجانب الأمير في قتال العدو الفرنسي، توفي سنة (1861)، (1278هـ)، يراجع:

- (العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين،4-14هـ)،ص،40.
- المقاومة الجزائري. ص، 37
- مجلة الدراسات التاريخية، العدد 9، ص، 40.

عن فقهاء فاس وفضلائها ».[1] كالعلامة أبي حفص عمر الفاسي والمسناوي وأبي علي الحسن بن رحال والفقيه الزروالي واليزمي ...الخ.[2]

3 - منذ القرن 16م هاجرت عدة أسر جزائرية إلى المغرب، ومع الاحتلال الفرنسي تزايد عددها بشكل كبير، واستوطنوا بالمغرب الشرقي، طنجة، تطوان هذا فضلا عن العلماء الذين هم أقارب للأمير. وعليه فان وجودهم هناك شجّعه أكثر في ربط صلاته مع المغرب، خاصة وأن هؤلاء سيكُونون فيما بعد بمثابة مجلسا للفتوى يحتكم إليه الأمير في شؤونه الدينية.

4 - الامتداد القبلي عبر التخوم الجزائرية المغربية[3]، بحيث نجد أن هناك قبائل جزائرية لها امتداد في المغرب الشرقي، مقابل وجود قبائل مغربية لها امتداد في الغرب الجزائري، بالإضافة إلى قوة الروابط التي تجمعهم مثل التاريخ المشترك، اللغة، الدين، ومع احتلال الجزائر بدأت بوادر الاتحاد والتعاون تتجسد فيما بينهم.

5 - الاقتراح الذي قدّمه والده عندما عرضت عليه الإمارة، فأشار عليهم بسلطان فاس[4] -كما سبق وأن ذكرت- وباعتبار أن والده كان على قيد الحياة أثناء مبايعة الأمير، فإنّي لا أستبعد هنا أن يكون لوالده دور كبير في توجيه علاقة عبد القادر نحو سلطان المغرب.

6- الشرط الذي قدمه أهل تلمسان للأمير أثناء دخوله لها وهو أن يعترف بالتبعية والخضوع لسلطان المغرب مقابل الخضوع له، وهذا ما ذهب إليه الناصري "وأغو ست كور"[5]، وما جاء في نص الرسالة التي وجّهها لهم تؤكد هذا الطرح.

7- كما أن هناك أسبابا أخرى يمكن القول أنها تندرج ضمن إستراتيجية الأمير الذي رأى «بأن حماية المولى عبد الرحمان له ضرورية للاستفادة من مخترعاته وخاصة الأسلحة. بل وحاجته إلى التحالف الضّمني القائم على أساس الدين الإسلامي ومن أجل خلق عدو جديد لفرنسا»[6]، والحيلولة دون قيام تقارب مغربي فرسي، وهذا ما سيدفع فرنسا إلى محاولة كسب المغرب إلى جانبها في صراعها مع الأمير عبد القادر. أمّا عن عدم تعامله مع السلطان العثماني[7] في بداية الأمر رغم العلاقة التاريخية التي ربطت الجزائر بالدولة العثمانية فإنّ مردّ ذلك الأسباب الآتية:

---

1 - هلال، عمار: (العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين "14/4هـ")، مجلة الدراسات التاريخية، ع.9. 1415هـ، 1995م، معهد التاريخ بوزريعة، الجزائر،ص-ص،38-41.

2 - الأمير عبد القادر: المذكرات، المصدر السابق،ص-ص،31-32.

3 - يلاحظ الخريطة بالملحق رقم:2، 4

4 - الأمير عبد القادر: المذكرات، المصدر السابق، ص،95. ويراجع أيضا: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص: 172.

5- Ougest, Cour : (l'occupation marocaine de tlemcen), op.cit, p p46-47.

6 - جلال، يحي وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص-ص 52-53.

7 - محمود الثاني خان (1785-1839)، عقد عدة معاهدات لم تكن في صالح الدولة العثمانية، مثل معاهدة بوخراست سنة 1809، أدرنه 1829، كرتاهية 1833، وقف موقف متخاذل تجاه سقوط العاصمة الجزائرية، يراجع: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 398، المنجد في اللغة والأعلام، ص524.

1- عدم اعترافه بشرعية نظام الحكم التركي وعدم التسليم بأحقّيتهم في حكم البلاد ولقد أصدر هذا الحكم عندما تعرّض للاحتجاز رفقة أبيه بوهران من طرف الأتراك أثناء توجههما إلى الحج[1].

2 - لاعتباره أنّ ما حلّ بالجزائر من نكبات يعود إلى تصرّفات الأتراك وهذا ما جاء في رسالته التي بعثها إلى السلطان العثماني[2]، نصّها:« إنّ الينشارية (الجيش الإنكشاري) الذين كانوا بالجزائر، لمّا خرجوا على طاعة أمير المؤمنين عاقبهم الله بسوء فعلهم فسلّط عليهم من لا يرحمهم، العدو الكافر الغشوم»[3].

3 - لاعتباره أيضا أنّ الحكم التركي بالجزائر قد انتهى إلى الأبد وأنّ ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية لم يعد أمرا واردا، هذا فضلا عن انتمائه الروحي إلى الطريقة الصوفية القادرية التي ترى أنّ الأتراك أهل قوّة وسيف وهذا ما يتنافى وروح الصوفية ومبادئها الدينية، التي جعلته لا يميل إلى العنصر التركي ولا يتعامل مع فرسان المخزن وجماعة الكراغلة.

4- مراعاته للظروف الصعبة التي كانت تمرّ بها الدولة العثمانية[4] والتي لا تسمح لها بمساعدته خاصة وأنّه كان يعرف جيّدا موقف السلطان العثماني تجاه سقوط العاصمة الجزائرية سنة 1830م،كما راعى أيضا العامل الجغرافي، فبُعد الدولة العثمانية عن الجزائر ليس في صالحه أن يحالفها. كلّ هذه الأسباب حالت دون قيام تحالف أو تعاون جزائري عثماني، وهو ما دفع بالأمير عبد القادر إلى الاحتماء بالمغرب لما له من صلات تاريخية وعلاقة جوار مباشرة مع الغرب الجزائري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - سعيدوني، ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص209.

2 - عبد المجيد خان (1822-1861)، عرفت في عهده الدولة العثمانية عدة اضطرابات داخلية وأزمات خارجية خاصة حروب القرم التي انتهت بإمضاء معاهدة باريس 1856 كما قام بإصلاحات داخلية والرسالة مؤرخة في سنة 1841،يراجع: الدولة العلية العثمانية، ص455، المنجد في اللغة والأعلام، ص371.

3 - فركوس، صالح: (سرّ الخلاف بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي)، النهضة، العدد 07، رجب / جانفي، مجلّة شهرية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر 1991، ص38-40، وللمزيد أكثر يراجع: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ط.2، 1995، ص44.

4- لقد عرفت الدولة العثمانية أثناء مبايعة الأمير عبد القادر عدّة اضطرابات أبرزها: تمرّد محمد علي باشا والي مصر وإحرازه انتصارات عظيمة على الجيش العثماني في الشام، وهو ما شجّعه على مواصلة زحفه نحو القسطنطينية وهذا ما أدّى إلى تخوّف كلّ من فرنسا وبريطانيا وتدخّل روسيا في الأمر فأرغم والي مصر على توقيع معاهدة كوتاهية 1833 ووقف زحفه نحو العاصمة. يراجع: الدولة العلية العثمانية، ص451.

موقف المغرب من ظهور حركة الجهاد بالغرب الجزائري:

سبق لنا وأن عرفنا أن الأمير عبد القادر بعد مبايعته كاتب سلطان المغرب مباشرة وتذهب مذكراته إلى القول: أن السلطان أجاب عن كتاب الأمير وأظهر الفرح والسرور ورد الجواب الآتي:« بأن أهل الوطن أصابوا وما غلطوا، وعلى الخبير سقطوا، الله يعينكم، ويحفظكم والسلام»[1]، وتذهب مراجع أخرى إلى القول بأن سلطان المغرب قبل أن يتولى الأمير عبد القادر شؤون الشعب الجزائري في ظل البيعة التي لم يكن له منسلص منها أمام رغبة أنصاره أنفسهم[2]. وعليه يمكن القول أن موقف السلطان كان إيجابيا وفي صالح الأمير، وإذا سلمنا بهذا الطرح فما هي دوافع السلطان التي تقف وراء هذا الموقف الإيجابي؟

لقد رأى السلطان في الأمير الشخصية المناسبة لإتمام العمل الذي كانت جيوشه الرسمية قد بدأته منذ سنة 1830م وفشلت فيه، خاصة وأن الأمير تقدم بطلب المساعدة منه، وعليه فهذا إذن يعتبر استمرارا للسياسة المغربية بالغرب الجزائري، وهذه المرة عبر حركة جزائرية بزعامة عبد القادر بن محيي الدين «الذي ستصبح صفة الجزائر لصيقة به ! »[3].

إن قبول السلطان لبيعة أهل تلمسان قبل ظهور الأمير جعلها كمرجع تاريخي يستند إليه هذا فضلا عن الوازع الديني، وكذلك وجوده بين حاشية من الفقهاء والعلماء في بلاطه جعلته لا يرفض مد يد المساعدة للأمير بل تجاوب معه وبشكل كبير.

كما أن السلطان كان يدرك جيدا خطورة الزحف الفرنسي على بلاده، ولمواجهة ذلك اتخذ من عبد القادر بمثابة الدرع الواقي لبلاده من جهة الشرق، وبالتالي ليساهم في عرقلة التوسع الاستعماري على حسابه. والأكثر من ذلك هو مدى حرص السلطان على وجود من يوفر له الأمن والاستقرار بالجزائر لخدمة مصالحه، حسب ما صرح به للفرنسيين في الرسالة الآتية: «ليقوم بأمر ذلك الوطن أو يتركه لمن يقوم به »[4]، وتكمن مصالح السلطان في توفير الأمن للحجيج والتجار خاصة.

ومن خلال هذه الأدلة يمكن أن نستخلص بأن توجه الأمير نحو المغرب ورد فعل السلطان الإيجابي تحكمت فيه روابط تاريخية ودينية وجغرافية واقتصادية وعسكرية، وإذا كنا قد تعرفنا على الإجراءات التي قام بها الأمير تجاه السلطان، فالضرورة تقتضي منه تقديم يد المساعدة للمجاهدين الجزائريين بمختلف أشكالها فما هي الإجراءات التي قام بها السلطان في هذا الشأن؟

لقد ساهم السلطان سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في دعم ومساندة حركة الجهاد في الغرب الجزائري، ومن أهم الخطوات التي اتخذها في بداية الأمر:

1- الأمير عبد القادر: المذكرات، المصدر السابق، ص96.

2- Jaques, Gaillée : la petite histoire du Maroc, Op. Cit. p 200.

3- المحمدي، علي: المخزن والنظام (1830-1894)، د.د.ع، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس 1983/1982 ص: 118. إن ما ذهب إليه هذا الباحث يحتاج إلى إعادة النظر، فالأمير عبد القادر لم تلتصق به هذه التسمية هكذا وإنما هو جزائري المولد والنشأة، وإذا سلمنا بأن عائلته انحدرت من فاس فهذا لا يعني أنه مغربي الأصل، وما يربطه بالمغرب تاريخيا يصبح هو الاستقرار العائلي القديم بفاس.

4- ياسين، إبراهيم: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830، 1847، المرجع السابق، ص187.

1 – تكوين فئة نشطة من الفقهاء والتجار والعلماء حول بلاطه تُمثّل مصالح الأمير عبد القادر وتدافع عنها لديه وتتشاور فيما بينها حول قضاياه، والتي اعتبرها هذا الأخير بمثابة سفارة له، وقد وضع السلطان على رأسها أمين فاس الحاج الطالب بن جلون الفاسي[1] « الذي كان يعتبر واسطة بين الأمير والسلطان»[2].

2– المساهمة في رفع مكانته لدى القبائل الجزائرية التي بايعته، ولدى خصومه المعارضين له من خلال رسائله إليه، وحتى لدى قبائل المغرب الشرقي والتي سنراها فيما بعد تساهم بشكل مباشر في رفع راية الجهاد ضد الفرنسيين إلى جانب الجزائريين وبتحريض من السلطان نفسه.

3 – تأمين السلطان لقوافل الأمير عبد القادر المحمّلة بالأسلحة والذخيرة الحربية عبر الأراضي المغربية القادمة من جبل طارق و طنجة مرورا بفاس و وجدة لتصل إلى تلمسان، والسّماح للقبائل المغربية بجمع المساعدات المختلفة كالحبوب والأسلحة والخيول من مختلف أنحاء المغرب، وتوجيهها نحو الجزائر.

4 – تحريض الأمير على الجهاد كدعم معنوي له من خلال الرسائل التي بعث بها له في هذا الشأن، بالإضافة إلى الدعم المادي والعسكري. ففي أوائل سنة 1833 وبعد أن وجّه الأمير رسالة إلى السلطان « فأجابه عنها وبرفقة ستمائة بندقية، وكمية كبيرة من الذخيرة وحوالي ستمائة سيف»[3]. ويؤكد ذلك الناصري حينما ذهب إلى القول:« ولما اتصل بالمولى عبد الرحمان ما عليه الحاج عبد القادر من جهاد عدو الدين ...أعجبه حاله، وحسنت منزلته عنده، لأنه رأى أنه قام بنصرة الإسلام، على حين لا ناصر له، فصار السلطان يمده بالخيل والسلاح، المرة بعد المرة »[4].

وبذلك واصل الأمير جهاده، فلم تمض سنتان من حكمه حتى تمكن من الاستيلاء على ثلاث مدن رئيسية هي: تلمسان، المدية، وملیانة، وحاول تحرير كل من وهران، مستغانم وأرزيو، وأمام هذه الانتصارات تدخلت فرنسا لمحاولة حسم الموقف لصالحها قبل فوات الأوان، وللحيلولة دون قيام تحالف جزائري مغربي، فهل نجحت في سياستها هذه؟

ردود الفعل الفرنسية:

بعد ظهور الأمير عبد القادر وارتباطه القوي بسلطان المغرب، تصبح الأمور أكثر خطورة بالنسبة لفرنسا التي سبق لها وأن تدخلت ضد المغرب مع بداية الاحتلال، ومحاولة منها لتفكيك التقارب الجزائري المغربي تبنت ردود فعل مختلفة تجاه الأمير عبد القادر من جهة، وتجاه سلطان المغرب من جهة ثانية، ويمكن لنا تتبع ذلك في ما يلي:

1– شخصية مغربية، كانت تتمتّع بكثير من الثراء والنفوذ، خاصة لدى البلاط المغربي، أصله من فاس، امتهن التجارة كما لعب دورا كبيرا في خدمة الأمير خاصة في شراء الأسلحة، والإشراف على إرسالها له، كما شارك في النشاط الدبلوماسي للأمير، يراجع: العلاقات الدبلوماسية، ص-ص229-231، وأيضا أعمال ملتقى الأمير عبد القادر، سنة 1998، ص66.

2 - Ougest, cour : (L'occupation Marocaine de Tlémcen) Op cit. p47

3 – إسماعيل، العربي: العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر،المرجع السابق، ص223.

4– الاستقصاء، المصدر السابق، ص44.

بالنسبة لما يحدث في الغرب الجزائري راهنت على الأسلوب العسكري من خلال مضاعفة عدد القوات العسكرية وفي الوقت نفسه الاستعانة بعناصر جزائرية معادية لوطنها[1]. مثل: إبراهيم بوشناق ومصطفى بن إسماعيل وغيرهم، والغاية من هذا هو تمزيق القدرات العسكرية للمجاهدين الجزائريين، وبالفعل فقد أصبح الأمير يحارب ضد جبهتان جبهة داخلية جزائرية وجبهة فرنسية. إلا أنّ ذلك لم يثن عزمه على مواصلة لواء الجهاد.

وفي الوقت نفسه حاولت تسميم علاقاته بالسلطان من خلال وسائل الإعلام والإشاعات المتداولة هنا وهناك، ففي يوم 16 أكتوبر 1833 أبلغ القنصل الفرنسي" ميشان "(Mêchain)[2] وزير الخارجية بأنّ السلطان أصدر أوامر مشددة إلى عمال المدن والأقاليم المجاورة للحدود الجزائرية بأن يفتّشوا كل القوافل المتوجّهة إلى الجزائر ويصادروا كل ما يجدونه من أسلحة وذخائر، كما أمر السلطان محمد أشعاش عامل تطوان بأن لا يسمح في مدينته ومراسيها بنزول الأسلحة والذخيرة الموجّهة إلى تلمسان[3]. ورغم أنّ هذا التقرير لا يشير إلى أسباب ذلك فهو يوضّح لنا جيدا طبيعة العلاقة بين سلطان المغرب و المجاهدين الجزائريين.

وإذا كان إبراهيم ياسين يرى مردّ ذلك تصرفات الأمير مع بن نونة أثناء دخوله تلمسان وبأنّ السلطان سرعان ما تراجع عن قراره أمام ضغط المرابطين ورؤساء القبائل، بينما أرى تفسير ذلك أنّه يندرج ضمن السياسة التي نهجها السلطان المغربي في تعامله مع الجزائر أمام الفرنسيين، أمّا قضية الضغط الذي تعرّض له فما نعرفه عن شخصية السلطان في إصدار قراراته –خاصة خلال هذه الفترة– ينفي ذلك، أمّا مسألة تصرّفات الأمير مع بن نونه فأرى فيها وجهة نظر أخرى[4].

وما يُستخلص من هذا هو إصرار فرنسا على عرقلة نشاط المجاهدين الجزائريين وكذا محاولاتها الرامية إلى زرع الشك والبلبلة بين الأوساط المغربية وعبد القادر، خاصة بعد أن تأكّد لديها وجود قوافل تجارية وعسكرية تتنقل بين تلمسان والمغرب الشرقي، وقد أكّد (دي كوسي بريساك) ذلك في تقريره بحيث أعلن أنه مع مطلع سنة 1833 عادت شحنات الأسلحة من المغرب إلى الجزائر[5]. ويذهب إبراهيم ياسين إلى القول: أنّه بعد ما أرسل الأمير هدايا إلى السلطان ردّ عليها مولاي عبد الرحمن بإمداده بمائة قنطار من البارود ومثل ذلك من الرصاص والكبريت[6]، وأمام هذه التقارير الرسمية وإصرار عبد القادر على مواصلة لواء الجهاد، رأت فرنسا ضرورة اتخاذ موقف صارم تجاه المغرب فما هي استراتيجيتها في التعامل معه؟

---

1 – يدخل هذا ضمن السياسة الفرنسية، القائمة على أساس فرق تسد، ولتحقيق ذلك قامت بتقديم الاغراءات المالية والمادية، كالإعفاء من الضرائب، وتولي المناصب، والحصول على عدة امتيازات كالتعليم والسفر نحو فرنسا ...الخ.

4– ميشان بيار: ولد بمدينة ليون سنة 1744 وللمزيد أكثر يراجع: G.D.E. Larousse, tome7, p.6782

3 – ياسين، إبراهيم: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص190.

4 – وجدت هناك اختلافا في المصادر والمراجع حول مصير بن نونة بعد ما دخل الأمير تلمسان، فتحفة الزائر تشير إلى أنّه هرب إلى مقام بومدين شعيب وعندما لحق به الأمير عفا عنه، وتذهب مذكرات الأمير إلى القول بأنه فرّ إلى فاس وهو الرأي نفسه الذي ذهب إليه (أوغست كور). ومن خلال المادة العلمية التي بحوزتي أرجّح الرأي الثاني، فالسلطان المغربي عندما فرّ إليه بن نونة أقنعه بالصلح مع الأمير وأرسله إلى تلمسان وهو ما تمّ فعلا.

5 – ياسين إبراهيم: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص191.

6 – المرجع نفسه، ص191.

راهنت فرنسا في تعاملها مع المغرب على الأسلوب الدبلوماسي لسببين رئيسيين هما:

1. تجنب إثارة الرأي العام المغربي وبالتالي تجنب فتح جبهة عسكرية هي عاجزة عن مقاومتها.

2. محاولة كسب المغرب إلى جانبها أو على الأقل ضمان حياده عن ما يحدث في الجزائر، ولذلك ضاعفت من نشاط قناصلها بطنجة في رفع تقاريرهم وشكاويهم إلى البلاط المغربي.

إلا أنّ هؤلاء وعلى رأسهم القنصل "ميشان" سارع إلى طمأنة حكومته حول ما يحدث فكتب لها بتاريخ 16 أفريل 1833 ما نصه: « من المؤكد أنّ السلطان يخشى بشكل كبير ومستمر من جيرانه المتعصّبين أو الطموحين الموجودين في ممتلكاتنا... وهو يتحاشى أن يعطيهم مددا من الرجال ومن المال كما يطلبون... ويجيب عليهم بإجابات مليئة بالدسامة الدينية... وبألقاب شرفية يعرف كيف يقلل من قيمتها ... أولئك الرجال الذين يحضرون له في وفود وتركه الرسائل دون إجابة»[1].

وفي التقرير الذي قدّمه "دي ميشال" (DESMICHELE) إلى وزير الحربية بتاريخ 10 جانفي 1834 من قنصله بطنجة بعد ما احتج لدى السلطان فأجابه عنه بـ: « إنّ الأمير يثير الشائعات لرفع مكانته لدى القبائل بأنّه خليفة السلطان»[2]. وفي إجابات أخرى للسلطان ولكي يكذّب الادعاءات الفرنسية يردّ ذلك إلى استقلال أهالي منطقة الحدود وعدم قدرته في إجبارهم على احترامها[3]. وفي تقرير آخر لـ "دي ميشال "نفسه حول زيارة وفد جزائري إلى المغرب حاملا هدايا إلى السلطان يقول فيها: « بعد ما شكره على هداياه، منحه مائة بندقية ومائة سيف، وكمية كبيرة من الذخيرة، سيفين مطعّمين وأحد الخيول، فاستلمها الأمير في حفل كبير ورحّبوا في تلمسان ومعسكر بالضباط المكلفين بإحضارها»[4].

وفي تقرير لوزير الحربية "فوارول" (VOIROL) بتاريخ 22 فيفري 1834 يؤكد فيه بأنّ عبد القادر تلقى من السلطان هدايا كبيرة، بالإضافة إلى ثلاثمائة بغل محمّلة بالسّلاح والذخيرة[5]، وعندما قام القنصل الفرنسي بالاحتجاج لدى السلطان على هذا التحالف أجابه بأنّ هذا لم يكن تحالفا والأسلحة المعطاة عديمة الجدوى وهي مجرّد ردّ على هدايا الأمير[6]. ومن خلال هذه التقارير وردود فعل السلطان حولها تتضح لنا عدّة نقاط رئيسية هي:

1- التّأكيد على حجم الدّعم العسكري الذي قدّمه السلطان لحركة الجهاد الجزائرية.

2- تناقض ملحوظ في تقارير قناصلة فرنسا بالمغرب.

3- غموض السلطان في إجابته على الاحتجاجات الفرنسية، فهل هي سياسة الهروب إلى الأمام؟

4- عدم التسليم بالأمر الواقع، فنجده دائما يقدّم أعذارا واهية للفرنسيين.

1 - حلال، يحيى وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية و المشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص.53.

2 - إسماعيل، العربي، العلاقات الدبلوماسية الجزائرية، المرجع السابق، ص.224.

3 - حلال، يحيى وآخرون : مسألة الحدود المغربية الجزائرية و المشكلة الصحراوية، المرجع السابق،ص.57.

4 - حلال، يحيى وآخرون:، المرجع نفسه، ص58.

5 - إبراهيم، ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص.192.

6 - حلال، يحيى وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية و المشكلة الصحراوية، المرجع السابق،.ص58.

أمام هذه المواقف المتناقضة وردود فعل السلطان الغامضة، وكذا استمرارية حركة الجهاد الجزائرية ونتيجة لأسباب أخرى، رأت فرنسا ضرورة عقد معاهدة مع الأمير فكانت معاهدة "دي ميشال "1834، التي من غير المستبعد أنها جاءت لتحول وجهة الأمير عبد القادر نحو التعامل مع فرنسا، أي إبعاده عن التعامل مع سلطان المغرب، فهل نجحت فرنسا هذه المرة في سياستها؟

أثر معاهدة دي ميشال 1834 على التقارب الجزائري المغربي:

تمت المصادقة عليها يوم 28 فيفري 1834 بوهران بين ممثل الأمير عبد القادر الميلود بن عراش والمندوب الفرنسي المرفق من طرف "دي ميشال"، تضمنت ستة بنود رئيسية[1] وأهم ما يعنينا منها هو ما تعلق بالنشاط التجاري، فعبد القادر أصبح حرا في تجارته مع الخارج عبر مرسى أرزيو، و لم تشر المعاهدة إلى وضع الأمير القانوني تجاه فرنسا، كما لم تشر إلى المغرب الأقصى باستثناء ما يتعلق بمناطق السيادة للأمير.

ويذهب جلال يحي إلى القول بأن المعاهدة كانت مذيلة ببنود أخرى تعتبر سرية ومن بينها: اعتراف الأمير بالولاء لملك فرنسا ودفعه للجزية السنوية، وتعهده أيضا بعدم شراء الأسلحة أو الذخائر الحربية إلا من فرنسا[2]، إلا أن إسماعيل العربي يذهب إلى القول: إن هذه التعليمات سبقتها الأحداث حيث أنها وصلت إلى وهران بعد التوقيع على المعاهدة[3]، ثم يستبعد موافقة الأمير على ذلك.

ومن خلال هذا نلمس النوايا الفرنسية المبكرة لعرقلة التقارب الجزائري المغربي، معنى ذلك أن المغرب له علاقة دعم ومساندة للمجاهدين الجزائريين، والآن ما دامت هناك اللاحرب، فتوقف حركة الجهاد معناه توقّف مناصرة المغرب لها، وهذا ما سيؤدّي في نظر فرنسا إلى فتور العلاقة بين الجزائريين و المغاربة خلال هذه الفترة.

لقد أحدثت المعاهدة ردود فعل مختلفة لدى الأوساط الفرنسية، فـ "دميشال" اعتبرها بمثابة نصر دبلوماسي على الأمير، بينما وزير الحربية قلّل من شأنها معترفا أنّه يمكن اعتبارها خطوة أولى، في حين نجد أنّ الملك الفرنسي صادق عليها[4]. أمّا مجلس النواب والصّحافة بمختلف ميولها فقد كانت محبّذة للمعاهدة، كما أنّ الرأي العام كان راضيا على هذا الحل الذي طمأنه كثيرا.

أمّا من وجهة نظر الأمير فقد اعتبرها بمثابة انتصار عظيم على فرنسا، خاصة وأنّها وفّرت له الأمن بالغرب الجزائري والذي سيساعده على وضع ركائز وأسس دولته الفتية، كما فتحت له الباب للاتصال بل والتعامل مع العالم الخارجي، ورفعت من معنوياته لدى الجزائريين عندما اعترفت فرنسا رسميا بسيادته على جزء كبير من منطقة الغرب الجزائري.

1 - ابن عبد القادر، محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق، ص185. ويراجع أيضا: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر ، ص.74.

2 - السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1900، المرجع السابق، ص116.

3 - المقاومة الجزائرية، المرجع السابق ص. 56.

4 - المرجع نفسه، ص.57.

وفي ما يخص تأثيرها على التقارب الجزائري المغربي، فإنه من خلال المادة العلمية المتوفرة لدينا يمكن تمييز رأيين مختلفين، فهناك من اعتبرها قد ساهمت في فتور العلاقات بيّن الطرفين، بينما يراها البعض الآخر على العكس من ذلك، ولكل منهما أدلّته التي اعتمد عليها في ما ذهب إليه.

الرأي الأول:

يرى أنّ المعاهدة ساهمت في فتور العلاقات بين الأمير عبد القادر وسلطان المغرب، ومن دعاة هذا الرأي نجد: جلال يحي في قوله: ممّا دفع السلطان أن لا يرتاح إليه لأنّه اتفق مع الأعداء فساءت العلاقة فيما بينهما[1]. وإسماعيل العربي أيضا في قوله: فإنّ العلاقات الجزائرية المغربية ستفتر نوعا ما بعد عقد معاهدة دميشال[2].

ويذهب" أوغست كور" إلى القول بأنّ مولاي عبد الرحمن غضب من المعاهدة التي عقدها الأمير عبد القادر مع الفرنسيين، فبادر إلى إرسال محمد بن نونة إلى تلمسان لاستئناف عمله كباشا للمدينة[3]، ونقلا عن ياسين إبراهيم يذهب" كوسي بريساك "إلى القول إنّ المعاهدة لم تنل رضا السلطان وأنّها أثّرت على العلاقة بينه وبين الأمير لأكثر من سنة[4].ومن بين الأدلّة التي قدّمها هؤلاء:

أ- رأوا بأنّ الأمير –وبعد أن أصبح يسيطر على ميناء أرزيو و راشقون للتجارة- أصبح في غنى عن الإمدادات التي تصله من المغرب عن طريق البر.

ب- إنّ السلطان تبنّى وجهة نظر العناصر الدينية المتطرّفة التي رأت في أنّ المعاهدة تحالف مع الكفار.

الرأي الثاني:

يرى أنّ المعاهدة ساهمت في توطيد العلاقات المغربية الجزائرية، لأنّ الأمير عبد القادر قبل عقدها أشار بالرجوع إلى سلطان المغرب وهذا ما يؤكده لنا ممثّل فرنسا بمعسكر إلى "دي ميشال" خلال شهر جويلية 1834:«ورد أن عبد القادر عندما شاور عمه علي أبو طالب وميلود بن عراش حول شروط الفرنسيين لعقد المعاهدة، أشاروا بالرجوع إلى مولاي عبد الرحمان، وأضاف بأن السلطان رد على الأمير عبد القادر، بأنه إذا كان قادرا على القيام بحرب ناجحة فيجب القيام بها، وإذا كان العكس فإن رأيه مثل رأي عبد القادر »[5].

ويذكر لنا صاحب التحفة، أنه بعد إبرام المعاهدة أرسل السلطان عبد الرحمان وفدا للتهنئة « وصل وفد السلطان عبد الرحمان بن هشام، صاحب المغرب الأقصى، لأداء التهنئة للأمير بالملك وأصحبهم هدية من نفائس بلاده، ومقدارا وافرا من ذخائر الحرب وأدواته... وكان نفر من العساكر الفرنساوية، فرّ إلى المغرب الأقصى فبعثهم السلطان مع الوفد ليرى الأمير رأيه فيهم»[6].

---

1 - مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص.57.

2 - العلاقات الدبلوماسية الجزائرية، المرجع السابق، ص.224.

3- Ougest, Cour : (L'occupation marocaine de Tlemcen), Op. Cit , P.49.

4 - ياسين، إبراهيم: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق،ص.204.

5 - المرجع نفسه،ص.120.

6 - ابن عبد القادر،محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق، ص188، ويراجع أيضا، تاريخ الجزائر العام ج.3 ص90،تلمسان عبر العصور، ص.246.

وبعد أسابيع قليلة من عقد المعاهدة أكّد وزير الحربية وبناء على تقارير القنصل الفرنسي بطنجة للجنرال "فوارول" ما يلي: « إن السلطان عبد الرحمان على وفاق كبير مع عبد القادر فهو يجري معه اتصالات مستمرة، ويقدم له هدايا مهمة تدغدغ طموحه»[1].

إنّ الأدلّة التي قدّمها أصحاب الرّأي الأول تحتاج إلى إعادة النظر، فإذا سلّمنا بأن الأمير قام بعقد تحالف مع الكفار وهو ما أغضب السلطان، فإننا نجد بأن هذا الأخير وافق مبدئيا عليها عندما استشاره الأمير « فإن رأيه مثل رأي عبد القادر "هو عقد السلم" وذلك لا يتعارض لا مع الدين، ولا مع الشرف »[2].

وبالنسبة لحصول الأمير على منفذ بحري، وبالتالي التّخلي عن التعامل مع السلطان فإن استفادته منه (أي البحر) كانت محدودة جدا، والتقارير الفرنسية تؤكد أن ما كان يصل الأمير برًا أكثر من ما كان يصله بحرا، أمّا ما ذهب إليه أوغست كور فإننا نجده يؤكد بنفسه أن السلطان أرسل بن نونة إلى تلمسان كباشا وكمدير مالي للأمير، وإجراءات الصلح التي قام بها السلطان فيما بينهما تنفي ذلك.و فيما يخص تبني السلطان لوجهة نظر العناصر الدينية المتطرّفة فان ما نعرفه عن شخصية السلطان في إصدار قراراته تجعلني أستبعد ذلك.

وانطلاقا من استشارة الأمير للسلطان في عقد المعاهدة وإرسال هذا الأخير بهدايا ووفد للتهنئة، وكذلك استمرارية العلاقة بعد المعاهدة يجعلنا نرجّح الرأي الثاني، وعليه فإن معاهدة "ديمشال "كانت لها آثار إيجابية أكثر منها سلبية، بل وساهمت في توطيد العلاقات أكثر وذلك من خلال المساندة المغربية للمجاهدين الجزائريين بعد سنة 1834.

المساندة المغربية لحركة الجهاد الجزائرية (1834-1836).

بعد التّوقيع على معاهدة "ديمشال "سنة 1834 تفرّغ الأمير عبد القادر إلى توطيد أركان دولته، وكان من أولويات مهامه توفير الأمن والاستقرار في المناطق الخاضعة له، وسنحاول هنا إبراز ذلك وفي الوقت نفسه الإشارة إلى المساندة المغربية وبمختلف أشكالها[3]، المادية، الدبلوماسية والمعنوية والعسكرية.فكيف كان موقف فرنسا مرة أخرى من هذه المساندة؟

لقد رأت بعض الشخصيات المدجّنة وعلى رأسها ابن المخفي رئيس البرجية وسيدي العربي رئيس عدة قبائل من الشلف، ضرورة الامتناع عن دفع الضريبة المعهودة للأمير خاصة بعد أن استحدث ضريبة المعونة بحجة أن الحرب انتهت، وبالتالي زالت معها أسباب دفعها الضريبة، فاستجابت قبائل كثيرة لهذه النداءات وعلى رأسها قبائل بني عامر[4].

كان موقف الأمير أن أوعز إلى مصطفى بن إسماعيل بردعها وجبي أموالها، إلا أن حضور أعيان هذه القبائل لصلاة الجمعة بمعسكر حيث ألقى الأمير خطبته التي جعلتهم يتراجعون عن مواقفهم، ورغم ذلك فإن

1 - إبراهيم، ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص.205

2 - إبراهيم، ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق،ص.110.

3- HENRI, TERASSE : Histoire du Maroc op.cit –Tom.2.p,p 321-322.

4 - بنو عامر: فأصلهم من عرب الشام ومنازلهم معروفة بفلسطين (مرج بني عامر)، وهم من أقوى القبائل في منطقة وهران عارضت الأمير في البداية، ثم سرعان ما حاربوا إلى جانبه ولقد هاجروا في معظمهم إلى المغرب مع قبيلة الحشم، وأثناء عودتهم إلى التراب الوطني تعرض لهم جيش السلطان المغربي فأبادهم عن آخرهم. يراجع: تحفة الزائر، ص218، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية،ص،113

ابن إسماعيل نهض إليهم وأصرّ على قتالهم، وهو ما دفع بالأمير إلى التدخل لحمايتهم،و في هَذه الأثناء يستعين ابن إسماعيل بابن الغماري[1] زعيم الأنجاد[2] فاتّسع نطاق المعركة أكثر مع الأمير، إلا أنه تمكّن منهم في معركة 12 أفريل 1834، لكن هذا النصر لم يستثمره الأمير لأنهم سرعان ما هاجموه ليلا وأوقعوا به الهزيمة، فأستغلها ابن إسماعيل وأنصاره لصالحهم في كسب أنصار جدد وعلى رأسهم المزاري وبالتالي الدخول في خط المواجهة المسلحة مع المجاهدين الجزائريين.

إلا أن عبد القادر تمكّن من احتواء الانشقاق الذي حدث في صفوف القبائل، كما تمكن أيضا من تحقيق انتصار على ابن إسماعيل عند نهر سيق[3] يوم 12 جويلية 1834. ومحاولة منه للحفاظ على وحدة المسلمين وتوحيدهم وكذا احتواء الخلافات والصراعات الدائرة بين الأمير وخصومه، يقوم السلطان عبد الرحمان وفي الوقت المناسب بإرسال ظهير رحماني إلى مصطفى بن إسماعيل للصلح بينه وبين الأمير نصه:

«فكان من حقك، والأنسب لمثلك أن تصلح ما أفسده الحاج عبد القادر وتسعى في ألفة المسلمين وتنظر في العواقب وتقصد بذلك وجه الله..وعليه فإن أردت رضا الله ثم رضانا فأجتهد في صلح (كذا) بين خدامنا الدوايرية والزمالة... لتجتمع كلمة المسلمين فيكونوا يدا واحدة على من سواهم... و ها نحن وجهنا من خاصتنا وخيار جيش أخواننا الأوداية صاحبنا حامله محمد بن العربي ليحضر الصلح المذكور فإياك والتراخي أصلحك الله فاتح حرام 1250هـ»[4] الموافق لـ10 ماي 1834م.

ويعتبر صاحب الإتحاف –حسب علمي– المصدر الوحيد الذي يورد هذه الرسالة والتي من خلالها يظهر لنا مدى حرص سلطان المغرب على الدعم المعنوي للأمير عبد القادر من خلال جمع كلمة المسلمين وتُظهر لنا أيضا إرسال وفد مغربي إلى الجزائر لحضور مراسيم الصلح، وحتى السلطان نفسه يخاطب الدوايرية والزمالة بخدّامنا إيحاء منه بالتبعية والخدمة له، ويُستفاد منها أيضا أنّ ابن إسماعيل لم يذهب إلى المغرب بل اكتفى بإرسال كتابين إلى السلطان، وهو على عكس ما ذهب إليه "أوغست كور" في قوله: أنّ السلطان استقبله وقدّم له هدية تمثّلت في غنيمة من صنع عبد القادر ومضلات ذهبية منحها له الكورغوليين[5].

أثمرت هذه الرسالة بلقاء جمع بين عبد القادر ومصطفى بن إسماعيل بمشاركة المزاري وبحضور الوفد المغربي المكلّف بالصلح، في حين صاحب التحفة لا يذكر لنا ذلك بل أكّد على اللقاء مكتفيا بنقل الحوار الذي دار بينهما فيذكر«فتلقاه الأمير ولاطفه وأحسن السؤال عنه وعن أحواله»[6].

---

1 – شيخ قبيلة الأنجاد (الأنكاد) كانت له مكانة مرموقة لدى العثمانيين بوهران، الأمر الذي جعله ينضم إلى حلف ابن إسماعيل ضد عبد القادر. يراجع: تحفة الزائر، ص219، مذكرات الأمير، ص80.

2 – مجموعة من الأهالي الرحل المنتشرة بين جبال التل وبلاد حمیان، تنقسم إلى قسمين: أنجاد الشراقة وأنجاد الغرابة، يراجع مذكرات الأمير، ص80.

3 – يوجد بمقاطعة وهران ويمتد على مسافة 220كلم، له عدة تسميات ويصب في واد المقطع، يراجع :مذكرات الأمير،ص78

4 – مولاي عبد الرحمان، ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج5، ط.1، 1352هـ، 1933م المغرب، ص،33 و.الرسالة بتاريخ فاتح محرم 1250هـ الموافق لـ: 10ماي 1834م.

5 - Ougest, Gour, (L'occupation marocaine de Tlemcen), Op. cit. P49.

6 – ابن عبد القادر، محمد، تحفة الزائر، المصدر السابق، ص.216.

إلا أنّ نتيجة هذا اللقاء كانت سلبية، لأن ابن إسماعيل لم يقبل بالصلح ومردّ ذلك حسب إسماعيل العربي «ولمّا وصل إليه مصطفى بن إسماعيل كان الأمير يفصل خصومة مع أقوام و لم يشأ صرفهم في الحال لاستقبال زعيم الدوايرو...ولمّا قابله قال له الأخير (كذا) في غطرسة لا تليق بالمنهزم: إنّه ما دام يستقبل أولئك الذين كانوا بالأمس خدما عنده ويتركه هو ينتظر فإنّه يقسم ألا يريه وجهه بعد ذلك وخرج لحينه»[1].

ومن خلال هذا النص تظهر لنا شخصية ابن إسماعيل التي تخفي وراءها الكثير من الطموحات الشخصية التي حالت دون تفاهمه مع عبد القادر، فركب رأسه ! وتوجّه نحو تلمسان حيث تحصّن بقلعة المَشور بل ونصّب نفسه على رأس الكراغلة المعادين هم أيضا للأمير، بينما المزاري استحاب للصلح فعفا عنه الأمير رغم خياناته، وتسكينا لخواطره وطموحاته عيّنه رئيسا على قبيلة الزمالة.

بعد ذلك توجّه الأمير نحو تلمسان التي سبق وأن عرفنا بأنّ زعيم الحضر بن نونة كان قد عارض الأمير وفرّ إلى المغرب، وهو ما دفع بالسلطان إلى إقناعه بالمصالحة مع الأمير والدخول تحت طاعته وهو ما تمّ فعلا، فأرسله السلطان ثانية إلى تلمسان لاستئناف مهامه كباشا وكمدير مالي للأمير وهو الذي كان قد استقبل الضابطين[2] الفرنسيين المبعوثين من قبل "دي ميشال "واستظافهما في بيته باسم عبد القادر وعليه فبوصول هذا الأخير إلى تلمسان أعاد تنصيبه من جديد وأصبح بن نونة من أنصاره بعد ما أصلح بينهما سلطان المغرب[3].

وبعد مرور شهر قفل الأمير راجعا من تلمسان نحو معسكر دون أن يدخل تحت طاعته الكراغلة وزعيمهم الجديد ابن إسماعيل وخلال شهر جانفي 1835 تمّ استدعاء المارشال "دي ميشال" إلى باريس وتعيين الجنرال" تريزيل "(TRESEL)[4] مكانه وأول خطوة أقدم عليها هذا الأخير هي إنكاره لمعاهدة 1834، بل رفضها بحجّة أنّ "دي ميشال" استُعمل خاتمه في التصديق عليها دون علم منه، وبغض النظر عن سفاهة هذا الدليل فإنّ باب المواجهة أصبح مفتوحا بينه وبين حركة الجهاد بالغرب الجزائري.

إنّ هذا التحول في السياسة الفرنسية تجاه حركة الجهاد الجزائرية كان له صدى قوي لدى خصومها وخاصة ابن إسماعيل الذي لم يبخل باقتراحاته على "تريزيل "خلال شهر مارس 1835 أن يقوم هو على رأس الدوايرو والزمالة وبمساعدة الكراغلة بالهجوم على الأمير، إلا أنّ "تريزيل" رفض ذلك بناء على تصريحات الوالي العام والسبب في ذلك -حسب رأيي- هو ترك ابن إسماعيل يقدّم الكثير من التنازلات والخدمات للفرنسيين، وليتأكّد من نواياه الحسنة تُجاه فرنسا حتى يسهل عليها توظيفه بعد ذلك وفق ما يخدم مصالحها وبشكل جيد.

1 - المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص62.

2 - هما دومالييي و طاطران، يراجع: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، ص205.

3 - إسماعيل، العربي: المقاومة الجزائرية، المرجع السابق،ص،63.

4 - تريزيل (1780-1860)، شغل عدّة مناصب عسكرية وترقى من رتبة جنرال سنة 1825 إلى رتبة ماريشال سنة 1828، عيّن سنة 1835 كقائد على وهران خلفا لـ دي ميشال ثمّ عُين وزيرا للحربية سنة 1847، يراجع: مذكرات الأمير، ص78، التاريخ العسكري والإداري ، ج1، ص157.

وفي هذه الأثناء ظهر ما يعرف بأبي حمار[1] بمنطقة التيطري معلنا عن زحفه نحو المدية على أساس أنه زعيم روحي، فسكتت عنه السلطات الفرنسية –لم تحاربه– وعليه فانه من غير المستبعد أن يكون هناك تفاهم بينه وبين الفرنسيين على حساب المجاهدين الجزائريين، إن هذا التفاهم دفع بعبد القادر إلى التحرك نحوه مرورا بمليانة التي نصب عليها خليفته الحاج محمد الصغير[2] زعيم حجوطة.

ثم واصل زحفه نحو المدية فاشتبك يوم 22 أفريل 1835 مع أبي حمار في المكان المعروف بـ(حوش عمورة) أين تمكن من الانتصار عليه، وبذلك فتحت المدينة أبوابها للأمير فنصب عليها خليفته محمد بن عيسى البركاني[3]، وخلال شهر ماي 1835 قفل راجعا باتجاه الغرب.

وأمام انتصارات المجاهدين الجزائريين على خصومهم في الداخل، تضاربت المواقف الفرنسية فيما بينها فمنهم من رأى ضرورة الدخول في مفاوضات جديدة مع الأمير وخاصة من جانب (دورلون)[4] ومنهم من رأى عكس ذلك مثل" تريزيل" الذي كان متحمسا للحرب، ولذلك رفض نهائيا التعامل مع الأمير بموجب معاهدة ديمشال، وانطلاقا من هذه الاستفزازات ظهرت ملامح المواجهة المسلحة من جديد.

ولضرب حركة الجهاد الجزائرية بعناصر جزائرية ! أقدم "تريزيل" على توقيع معاهدة مع الدوايرية والزمالة المعروفة بمعاهدة التينة يوم 21 جوان 1835 وأهم ما جاء فيها هو الاعتراف بالسيادة الفرنسية والالتزام بدفع ضريبة سنوية لها، والتجند في صفوف الجيش الفرنسي[5]، وفي الوقت نفسه توجه نحو معسكر على رأس قوة عسكرية قوامها خمسمائة جنديا وعسكر بها على إثر تليلات يوم 19 جوان 1835، ومقابل ذلك تحركت قوات الأمير عبد القادر لتصطدم بها في معركة المقطع خلال شهر جوان 1835، أين سجل الأمير انتصاره الساحق على القوات الفرنسية.

لقد استقبلت فرنسا نبأ الانتصار باستياء كبير، أما الأمير فقد استقبله بموجة من الفرح والسرور، وقد كان لهذه المعركة صدى كبير في المغرب الأقصى[6]، وعلى إثر ذلك وجهت أسلحة وكميات أخرى من

---

1 – هو الحاج موسى الدرقاوي المعروف ببوحمار لإدمانه على ركوب الحمار، مصري الأصل، كان في جند محمد علي باشا ثم انتقل إلى طرابلس ومنها إلى المدية بالجزائر وظهر بعد معاهدة دي ميشال 1834 متهما الأمير بالتخلي عن الجهاد، إلا أن هذا الأخير استطاع أن يضع حدا لنشاطه، وهو ما دفع به إلى الانسحاب نحو الأغواط فواد ميزاب ليستشهد سنة 1849 أثناء ثورة الزعاطشة، يراجع: مذكرات الأمير، ص103، تحفة الزائر، ص227.

2 – هو محمد الصغير بن مبارك من أسرة مشهورة بالدين والتقوى، كان عميلا للفرنسيين في البداية شغل منصب أغا العرب سنة 1831، إلا أنه سرعان ما التحق بالأمير فعينه خليفة على مليانة سنة 1834، توفي في جويلية 1837، يراجع: مذكرات الأمير، ص102.

3 – من أسرة البراكنة المشهورة بالدين والتقوى، كان أيضا عميلا للفرنسيين في البداية، التحق بالأمير سنة 1834، فعينه في سنة 1835 على المدية، ولقد كان من المقربين إلى الأمير، ومن قادته الشجعان،يراجع: مذكرات الأمير، ص102، التاريخ العسكري والإداري لأديب حرب، ج2 ص24.

4 – الجنرال دروا جان باتيست كونت دارلون (1765، 1844)، ولد بفرنسا اصبح عريفا سنة 1792، نقيب أول 1793، فجنرالا 1799، خدم في الجزائر من سنة 1834-1835.

5 – عميراوي، احميده: (معاهدة الدواير والزمالة 16 جوان 1835)، الثقافة، ع88، سنة 15، شوال/ذو القعدة 1405، جويلية /اوت، 1985، ص134.

6 – إسماعيل، العربي: العلاقات الدبلوماسية، المرجع السابق ص224، ويراجع أيضا: الحركة الوطنية ، ج1، ص175.

الذخيرة إلى الأمير، إضافة إلى تلك التي كانت في مطلع سنة 1834 تشمل مائتي بندقية ومائتي سيف وكمية كبيرة من الذخائر الحربية[1].

أمّا من جهة السلطان فقد شعر هو الآخر بالارتياح الكبير لهذه الانتصارات التي تحققت على يد الأمير ضد الكفار ويفسر الناصري ذلك بقوله: لأنه رأى فيه أنه قد قام بنصرة الإسلام على حين لا ناصر له فصار السلطان رحمه الله يمده بالسلاح المرة بعد المرة[2]، ويورد مؤلف الإتحاف رسالة إلى الأمير عبد القادر دون تاريخ، ومن خلال محتواها وهو الحث على الجهاد ومباركة الانتصارات الجزائرية فإنّي أتوقع أن يكون قد أرسلها له بعد انتصاره في المقطع نصها:

«محل الولد البار المجاهد السيد عبد القادر بن محيي الدين أمدك الله بالعون واليقين ... هذا وقد وصلنا كتابك الذي فاح نشرا، مخبرا بما رزق الله المجاهدين من شحذ العزائم وما توالى على الكفر وشيعته من النكبات والهزائم فالحمد لله... فإن الجهاد مما شرف الله به في صدر الإسلام الصحابة ...يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ... والله مع الصابرين بالعون والتأييد»[3].

إن ردود الفعل المغربية هذه والاحتفالات التي أقيمت في المغرب كان لها أثر عميق في نفسية الأمير وأنصاره، فهي لاشك أنّهاشجعتهم على مواصلة لواء الجهاد ضد العدو الفرنسي وخدامه الدوائر والزمالة ومن سلك مسلكهم.

ساهمت أيضا هزيمة المقطع في ظهور استياء كبير لدى حكومة فرنسا وبرلمانها خاصة ولدى الرأي العام الفرنسي عامة، وهو ما دفع بوزير الداخلية" تيير "(THIERS, ADOLPHE)[4] إلى القول معلقا عن سياسة فرنسا « إن هذه السياسة ليست سياسة استعمار ولا سياسة احتلال ضيق الرقعة، ليست سياسة سلام ولا سياسة حرب وإنما هي سياسة فاشلة»[5].

ونتيجة لهذا النقد الصارم أقدم الوالي العام على إقالة "دورلون" من منصبه وتعيين المر يشال "كلوز يل"(CLAUZEL)[6] مكانه،و الذي وصل الجزائر يوم 10 أوت 1835 فوجّه كل اهتماماته في بادئ الأمر لمنطقة وهران قاعدة النضال السياسي والعسكري وسعيا منه لقطع الإمدادات التي تصل الأمير عبد القادر عبر ميناء راشقون قام باحتلاله بتاريخ 20 أكتوبر 1835، إلا أن هذا الإجراء لم يؤثر على الأمير لأن له اتصالات بالمغرب عن طريق البر حيث يتلقى المساعدات والإمدادات العسكرية المغربية وهذا ما أكدته رسالة "ميزون" إلى الوالي العام بتاريخ 18 أكتوبر 1835 أي قبل احتلاله له بيومين جاء فيها: « يستخلص من تقرير

1 - حركات، إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، ج3، المرجع السابق، ص.197.

2 - الاستقصاء، المصدر السابق، ص.34.

3 - عبد الرحمان، ابن زيدان: الإتحاف، المصدر السابق، ص67.

4 - تيير، أودلف (1797-1877) ولد بمرسيليا واشتغل بالمحاماة والصحافة ثم الوزارة في سنة 1832، ورئيسا للوزراء في سنة 1836، وانتخب رئيسا للجمهورية سنة 1871، له مؤلف هام هو تاريخ الثورة الفرنسية، يراجع: المر يشال بيجو ص26.

5 - إسماعيل، العربي: المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص103.

6 - كلوز يل، (1772-1842) مار يشال فرنسي تولى قيادة جيش إفريقيا في الجزائر ثم حاكما عام للجزائر، فاستولى على معسكر سنة 1835. يراجع: التاريخ العسكري والإداري، ج1، ص203.

القنصلية الفرنسية بطنجة أن قافلة تتكون من ستمائة جمل خرجت من فاس متجهة إلى معسكرَ وتنقل كميات كبيرة من البارود والمدافع والبنادق التي تصنع في تطوان والرصاص عيار 8 وأن القافلة سيّرت بناء على تواطؤ ابن السلطان نفسه »[1].

وبعد احتلاله لميناء راشقون توجه "كلوز يل" نحو مدينة معسكر –القاعدة الرئيسية للمجاهدين الجزائريين– ورغم محاولات الأمير الرامية إلى عرقلة حركته إلا أنه تمكن من اقتحامها يوم 16 ديسمبر 1835 لكنه وجدها خاوية على عروشها لأن الأمير قام بإخلائها، ورغم ذلك أمر بإحراقها انتقاما لنفسه !

إنّ هذا الإجراء دفع بالأمير إلى مضاعفة نشاطه على المستوى الداخلي من خلال التوعية والحث على الجهاد والدعوة للتعبئة الشاملة، وعلى المستوى الخارجي حاول القيام بالاتصال مع أطراف خارجية وسيكون المغرب هذه المرة القاعدة الدبلوماسية لنشاطات الأمير مع الدول الخارجية[2].

يكمن نشاط الأمير الدبلوماسي خلال هذه الفترة في محاولة إتصاله بكل من بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة قنصليهما بطنجة، ويعتبر بن قلّلة هو المبعوث الخاص للأمير المكلف بهذه المهمة والذي وصل إلى طنجة يوم 11 جانفي 1836 حاملا معه ثلاثة رسائل دبلوماسية، وللعلم فإن تاريخ كتابتهم كان خلال شهر سبتمبر أو أكتوبر 1835، ولقد جاء في الرسالة الأولى الموجّهة إلى قنصل بريطانيا السيد "دروموند هاي"[3] ما يلي:

« من أمير المؤمنين سلطان النواحي الجزائرية والوهرانية والتلمسانية ... مولانا السيد الحاج عبد القادر إلى فونصو (كذا) الإنجليز بتطوان، وبعد فلا يخفى عليكم أننا كنا تعاقدنا مع جنس الفرانصيص عقدا وثيقا ... ثم ابتدؤا التخليط والخدعة ... إنكم إذا أردتم المزية الظاهرة التي تفوزون بها على كل الجنوس (كذا) تلاقونا في أي مرسى تريدون من مراسي الجسزائر ... إلى طاعة مولانا أمير المؤمنين عبد الرحمان، 29 جمادى الأولى 1251هـ»[4].

ومن خلال هذا النص –ولأول مرة– يُعرّف فيها الأمير نفسه بالسلطان وهو الذي كان قد رفض هذا اللقب سنة 1832 و لم يشر إلى ذلك لا في خاتمه ولا في العملة التي أصدرها، كما نجده أيضا يعرض على بريطانيا إحدى المراسي الجزائرية، فهل هذا يندرج ضمن إستراتيجيته العسكرية والسياسية الرامية إلى مضاعفة أعداء فرنسا؟

والنص يشير أيضا إلى أمير المؤمنين عبد الرحمن، فهل يعني به سلطان المغرب؟ وما جاء في الرسالة الثانية يشبه ما جاء في سابقتها، فهو يُعرض مرة أخرى على الإنجليز فكرة التسويق في أحد الموانئ الجزائرية فيما نصّه:«فإن أردتم المصلحة العامة، نتفق معكم على التسويق في أيّ مرسى أردتم من مراسي الجزائر إلى

1 – إسماعيل، العربي: المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص108.

2 – بوزيان، عمر: حذور اتحاد المغرب والجزائر (1832-1845)، المرجع السابق، ص103.

3 – دروموند هاي (1816-1893)قنصل بريطانيا بالمغرب، يراجع: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص144.

4 – سعد الله، أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص150.

طاعة أمير المؤمنين عبد الرحمن ...29 جمادى أولى 1251هـ»[1]. إلا أن ردّ فعل بريطانيا كان عدم الاستجابة لطلبات الأمير بل رفضت حتى مخاطبته بالسلطان.

وفي رسالته إلى قنصل أمريكا بجبل طارق والتي تختلف في مضمونها عن الرسالتين السابقتين من خلال طرح فكرة تنازل عبد القادر للأمريكيين عن إحدى الموانئ الجزائرية، إلاّ أنّ الإجابة الأمريكية جاءت مشابهة لإجابة قنصل بريطانيا، فلم يكن الأمريكيون يميلون إلى اغتنام هذه الفرصة وبالتالي الدخول في نزاع مباشر مع فرنسا رغم العلاقات السيّئة بين البلدين التي تشجّع مثل هذا التنافس[2].

ولا شكّ أنّ المغرب قد قدّم خدمات كبيرة لمبعوث الأمير أثناء قيامه بهذه الرحلة من خلال تسهيل مهمّته عبر التراب المغربي، ورغم ما انتهت إليه هذه المحاولة الديبلوماسية من نتائج سلبية فلقد تعرّف الأمير على موقف كل من بريطانيا وأمريكا في صراعه مع فرنسا، وعليه فقناعته ازدادت أكثر بضرورة الاعتماد على نفسه وتوطيد علاقته أكثر بالسلطان المغربي ورعاياه بالمغرب الشرقي.

وبعد أن تعرّفنا على نشاط الأمير الديبلوماسي وما ترتّب عنه، نعود إلى الحديث عن الأحداث الداخلية، فبعد سقوط معسكر، أعلن "كلوزيل" يوم 1835/12/08 عن عودته إلى مستغانم، وفي هذه الأثناء وحسب إسماعيل العربي فإنّ الأمير جمع جموعه وألقى عليهم خطابا تضمّن: «بأن طلب إليهم إعفاءه في الحال من عبء القيادة الذي ألقي على عاتقه، والذي لم يقم بحمله حتى تلك اللحظة إلاّ بدافع من رعاية الدين وخدمته، وقال لهم: إنّه ينوي الانتقال بعائلته إلى المغرب الأقصى[3].

ويظهر لنا من خلال هذا الخطاب مدى الظروف الصعبة التي عرفتها حركة الجهاد الجزائرية بالمنطقة، وتعيين عبد القادر للمغرب كبلد للانتقال إليه دلالة على ارتباطه القوي به، إلاّ أنّ هذا الخطاب أثّر في ذلك الحشد الكبير، ونتيجة لإلحاحهم الشديد عليه بعدم ترك لواء الجهاد صمّم مرّة أخرى على تكوين نواة لجيشه من جديد، ومن جانب فرنسا فلقد صمّم "كلوزيل" على القيام بحملة عسكرية تستهدف تلمسان، وبعد أن تمكّن من إقناع معارضيه، كاتبه وزير الحربية مشجّعا له: « إنّي آمل مثلك أن تكون قد قضيت على قوّة عبد القادر في حملتك على معسكر وأنّ الحملة التي تعتزم القيام بها على تلمسان ستكلّل بالنجاح التام»[4].

1- سعد الله، أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،،ج،1، المرجع السابق، ج1، ص154.

2 - ترجع أسباب توتر العلاقات الفرنسية الأمريكية إلى معاهدة 04 جويلية 1831 الموقعة من طرف فرنسا التي وافقت بمقتضاها أن تدفع إلى أمريكا 25 مليون فرنك على ستة حصص مقابل لهب السفن الأمريكية أثناء الحرب النابليونية، إلا أن فرنسا تماطلت في دفع المستحقات الأمريكية في الوقت المناسب، بل رفض البرلمان الفرنسي الالتزام بهذه المعاهدة، هذا التصرف دفع بالرئيس الأمريكي جاكسون إلى التصريح بضرورة الانتقام من فرنسا، فاستدعي سفيريهما ودار الحديث حول نشوب الحرب بين البلدين، استمرت هذه الأزمة إلى غاية مطلع سنة 1836، يراجع: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ص146.

3- إسماعيل، العربي: المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص116.

4- إسماعيل، العربي: المرجع نفسه، ص119.

ومن جانب الأمير فبعد أن ولى محمد بن فريحة خليفة على معسكر زحف على تلمسان حيث تمكن بدهائه من الإيقاع بالكراغلة خارج المدينة[1] وشدد الحصار على من بقي منهم بالمشور، و لما بلغه قرب وصول "كلوز يل"، أمر الحضر أنصاره بالجلاء عنها، وحلال شهر جانفي 1836 تسقط تلمسان في يد العدو الفرنسي.ورغم موالاة ابن إسماعيل والكراغلة للفرنسيين، فإن "كلوز يل" قام بإجراءات صارمة تبدو وكأنها عقابية، أهمها:

- فرض على سكانها غرامات باهظة.
- القيام باضطهاد وتعذيب من يرفض ذلك فلم تنفع توسلات العجوز ابن إسماعيل أمام غطرسة "كلوز يل" أن تخفف منها، وهذه الإجراءات دفعت بالأنجاد إلى مراجعة موقفهم مع الأمير.
- وأخيرا قام بتنصيب مصطفى باي مكلش على تلمسان وبرفقته حامية عسكرية يرأسها "كافينياك".

لقد أحدث نبأ سقوط تلمسان صدى قويا في المغرب، سواء لدى السلطان أو لدى رعيته والأدل على ذلك أنه بعث في الوقت المناسب بخطاب إلى ابنه يخبره بالأمر و بضرورة تقديم العون والمساندة للجزائريين جاء فيه:«ولدنا البار الأرضى، سيدي محمد، فقد بلغنا دخول العدو الكافر تلمسان وتحققنا أن ذلك من خيانة المسلمين وموالاتهم للنصارى... وقد طلب خديمنا القائد العربي الرحماني شدة احتياج المسلمين للإعانة والمدد بالبارود والخفيف والعدة، فبوصول كتابنا هذا إليك وجه له ثلاثين قنطارا من البارود وما يكفيه من الخفيف»[2].

والأكثر من ذلك أن السلطان بعد أن يوصي بتقديم المساعدة العسكرية للجزائريين يواصل كتابه على حث قبائل المغرب الشرقي في الاستنفار للجهاد والظهور بمظهر قوي على التخوم الجزائرية: «وقد كتبنا للشيخ أبي زيان بالانتجاع بخيله والنزول بطرف الإيالة في الحدود... وأمرنا أن يستكثر من الخيل يأمر بالاستظهار بالعدة ويحشد ما قدر عليه من خيل إيالته فلابد كاتبه بذلك وأكد عليه وحرضه أتم التحريض... 15 شوال 1251هـ»[3] الموافق لـ جانفي 1836.

وانطلاقا من دعوة السلطان قبائل المغرب الشرقي إلى الجهاد، فان هذه ستشارك في معركتين إلى جانب الجزائريين خلال عام 1836، والأمير نفسه أدرك ضرورة تعبئة القبائل وإدماجها في الجهاد معه من خلال ندائه الموجه إلى سكان منطقة فقيق[4] يستصرخهم فيه ويحثهم على الجهاد ويطلب مساندته بالرجال والعدّة ضد الفرنسيين، وأهمّ ما جاء فيه:«كافة ثبات (كذا) قصور الفجيجية ومن حوته أنديتها من علماء وشرفاء وأعيان ورؤساء ...أما بعد: فإنّ الغيرة الإسلامية تحقّ لأمثالكم ...كيف لا والعدو الكافر أذلّه الله

1- أدعى الأمير انّه ذاهب إلى وهران، وقام بالإعلان أنّ الأنجاد متوجهين إلى تلمسان فخرج الكراغلة في ثلاثمائة شخص لملاقاتهم خارج المدينة أين كانت جيوش الأمير مختبئة، وعندما كانوا في مرماهم هجمت عليهم قوات الأمير في المكان المعروف بعيشوبه وقتلوهم عن أخرهم، يراجع: Ougest, Cour, (L'occupation marocaine de Tlemcen), R.A, n°52, P.P. 55-57.

2- عبد الرحمان، ابن زيد: الإتحاف، المصدر السابق، ص39.

3- المصدر نفسه، ص39.

4- فقيق: تقع في الجنوب الشرقي المغربي على التخوم المغربية الجزائرية وبالتقريب إلى الشمال من بني ونيف الجزائرية، لعبت دورا كبيرا في التعامل مع الأمير عبد القادر، يراجع: الأطلس العالمي، ص17.

جال في بلاد المسلمين وصال ... غير أننا خشينا تفاقم الأمر وتزايده من قطر إلى قطر، فنود من صلاح آرائكم الناجحة...أن تزيدوا من إخوانكم القوّة ...فنرغب أن تجمعوا جهدكم وتكونوا في قصد إعانتنا رجالا وركبانا ... اشرعوا في التأهب والتهيؤ بإقامة الكراع والسلاح والأخبية ... 17 شوال 1251هـ»[1]، ورغم أنّ جوابهم كان متأخرا، إلاّ أنّ هذا النداء سيكون له مفعوله فيما بعد.

وأثناء عودة "كلوزيل" إلى الجزائر العاصمة، توجّه إلى فرنسا يوم 14 أفريل 1836، كان الأمير قد حاصر الحامية الفرنسية بتلمسان، و لقد حاول قائد قوات وهران ربط هذه الأخيرة بتلمسان وللقيام بذلك كان عليه أن يقوم بتحصين معسكر جديد على ضفاف التّافنا، و هذه الإجراءات دفعت بالأمير إلى شنّ هجوم عسكري ضدّ قوات "دارلنج" انتهى بانتصار عظيم لصالح الجزائريين يوم: 27 أفريل 1836.

ويذهب أديب حرب إلى القول بأنّ: «قبائل المغرب الشرقي خاصة بني سناسن قد شاركت في هذه المعركة وبقوات عسكرية تعدّ بحوالي عشرة آلاف مقاتل»[2]. ومحاولة منها لمحو عار هذه الهزيمة قررت وزارة الحربية إبعاد "دارلانج" وإرسال الجنرال "بيجو" إلى الجزائر يوم 23 ماي 1836. ونتيجة للإمدادات العسكرية التي تلقاها من وزارته، تمكّن من الاستيلاء على معسكر تافنا بين 04-06 جوان 1836.

بعد احتلاله لمعسكر تافنا، أصبح "بيجو" [3] يتنقل بحرية كبيرة بين راشقون ومعسكره الجديد، ولقد حاول الأمير عبد القادر عرقلت حركته من خلال نصب كمين له وهذا ما أدّى إلى اصطدام عسكري بين الجيشين في معركة عنيفة بواد السكاك، أين انهزمت القوات الجزائرية يوم:26جويلية1836م[4]، بينما واصل بيجو زحفه نحو تلمسان حاملا معه بشائر النصر فاستقبله الكراغلة وابن إسماعيل بالتهليل والترحيب[5].

لم تكن قوات الأمير المنهزمة في السكاك تعمل لوحدها، بل كانت تعضدها قوات مغربية بمشاركة قبائل الأنجاد وبأمر من عامل وجدة ولعلّ هذا الانهزام مرده الإمدادات العسكرية التي تلقّاها "بيجو "وإلى مؤامرة الدوائر والزمالة وطبيعة الأرض بحيث أنّ المعركة فُرضت على الجزائريين،وأمام تزايد حجم المساندة

---

1 - L. GOGNALONS : (Proclamation de l'Emir Abd EL kader aux habitants du Figuigues 1836), R.A, n°57, année 1913, P-245.

ويراجع أيضا: جذور اتحاد المغرب والجزائر، 1832-1845، ص104، مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال ق19، فجيج، ص124.

2 - التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ج1، المرجع السابق، ص270.

3 - هو الماريشال توماس بيجو من نبلاء بيكوردي (1784-1849) كان معروفا بالفضاضة والغلظة، انخرط في الجيش الفرنسي سنة 1804، شارك إلى جانب نابليون بونابرت، عُيّن سنة 1836 قائدا لمدينة وهران، قاد معارك عسكرية ضد الأمير، تعاقد معه سنة 1837 بالتافنة، استدعي إلى فرنسا ليشغل منصب نائب في البرلمان، ليعود سنة 1840 إلى الجزائر ويتبع سياسة الأرض المحروقة ضد الجزائريين، شارك في معركة إيسلي 1844 ضد المغرب، رجع إلى فرنسا مرة أخرى قبيل سنة 1847، مات بداء الكوليرا سنة 1849، يراجع:

- G.D.E., la rousse ,tom.2, P.1561.

4 - Michel bakh, Pierre : (Abd-kader, guerrier et mistique) Magazine de l'histoire, N°43, 57 rue de saine, 75280 mars,Paris, 1982, p94.

5 - رغم إجراءات فرنسا السابقة ضدهم إلا أنهم كتبوا إلى بيجو معترفين له بالفضل والجود والكرم! في الرسالة التالية: وإنكم قمتم بما يتطلبه الواجب فواسيتمونا وأنجتم لنا الفرصة المناسبة لاسترداد حقوقنا ... وأن نعيش كما يعيش أناس يؤمنون بالمبادئ والقيم الإنسانية ...الخ يراجع: المار يشال بيجو، ص34.

المغربية للجزائريين، وخاصة مشاركتهم في الأحداث الأخيرة بحامية عامل وجدة الكبابي، سيكدفع بالفرنسيين إلى اتخاذ إجراءات صارمة ضدّ المغرب، وقبل معرفة ذلك لابد من الإشارة إلى نقطتين رئيسيتين:

النقطة الأولى- تتعلّق بحركة الجهاد الجزائرية وفرنسا، فمنذ معاهدة "ديميشال" حاولت فرنسا وضع حدّ لتطورها واستمرارها، متّبعة في ذلك أساليب عدّة، منها:

1. إثارة مصطفى بن إسماعيل وأنصاره ضدّ حركة الجهاد.
2. كسب طائفة الكراغلة وتوظيفها لخدمة مصالحها.
3. إبعاد الدوايرو والزمالة عن الأمير بالاتفاق معهما.
4. مضاعفة الإمدادات العسكرية بالجزائر، ولقد ساهمت هذه الإجراءات -فعلا- في عرقلة حركة الجهاد بالغرب الجزائري، بل وتمكّنت من الاستيلاء على: معسكر ووهران وتلمسان، هذه الأخيرة التي نصّبت عليها الباي مصطفى، فأصبح ابن إسماعيل قائدا للمشور، مقابل ذلك وجّهت حملة عسكرية نحو قسنطينة سرعان ما تنهزم أمام أسوارها في شهر نوفمبر 1836 [1].

ولمواجهة هذه الهزيمة رأت ضرورة التفاوض مرّة ثانية مع الأمير بحثا عن الأمن في الغرب الجزائري والتّفرغ للشرق الجزائري، فكانت معاهدة التافنا سنة 1837، وهذا ما سنراه في الفصل الثالث.

النقطة الثانية- تتعلّق بحركة الجهاد الجزائرية وعلاقتها بالمغرب سلطة وشعبا فيما بين (1834-1836)، فلقد أدركت فرنسا جيّدا مدى الدعم والمساعدة التي تلقاها المجاهدون الجزائريون من المغرب وبمختلف أشكالها. وقبل معرفة موقف فرنسا من المساندة المغربية حاولت حصر وجمع الدعم العسكري المغربي للجزائريين في الجدول الآتي[2]:

1- فركوس، صالح: الحاج أحمد باي قسنطينة (1826، 1850)، د.م.ج، الجزائر، 1993، ص71، ويراجع أيضا: الحركة الوطنية، ج1، ص179.

2- تمّ إنجاز هذا الجدول بناء على ما توفر لدينا من مادة علمية، ومن خلال تقارير قناصل فرنسا بطنجة، مع مراعاة العامل الزمني لهذه الإمدادات.

تاريخ الإمدادات	كميّتهـا ونوعهـا
سنة 1833	- 04 مدافع، 67 فرسا، قيمة 10000 مثقالا من السلاح[1]. - 160 قنطار بارود،1500 بندقية،04 مدافع،أقمشة،أحذية،خيام،كبريت[2] - 100 قنطار بارود، 100 قنطار كبريت، 100 قنطار رصاص[3]. - 600 بندقية، 200 سيف، كمية كبيرة من الذخيرة[4].
جانفي 1834	- 100 بندقية، 100 سيف، كمية من الذخيرة + سيفين مطعّمين، أحد الخيول[5].
جانفي 1834	- 300 بغل محمّلة بالسلاح والذخيرة[6]. - 200 بندقية + 200 سيف، خيمة للأمير، كمية كبيرة من الذخيرة[7].
جوان 1835	- أسلحة + ذخيرة حربية غير محددة[8]. - 30 قنطار بارود،30 قنطار من الخفيف،150بندقية[9]
أكتوبر 1835	- قافلة من 600 جمل محمّلة بالبارود، المدافع، الرصاص عيار8، متّجهة من فاس إلى معسكر[10].
جانفي 1836	- 150 مكحلة، 30 قنطار بارود + 30 قنطار من الخفيف[11].
أفريل 1836	- 10000 مقاتل وبأسلحتهم[12].
أوت، ديسمبر 1836	- ملابس لـــ600 رجل، 15 جملا محمّلة بالبارود والقرطاس، ما يكفي 800 رجلا من الذخيرة لمدّة شهر، 80 خيمة، 1000 بندقية وملابس أخرى[13]. - 100 خيمة[14].
1833-1836	- 1500 مد من القمح، 1500 مثقال، 500 ريال[15].

1- هدايا السلطان للأمير عبد القادر: تحفة الزائر، المصدر السابق، ص188.

2- إعانة سلطان المغرب للجزائريين، الثقافة، ع75.خاص، ص.128.

3-هدايا السلطان عبد الرحمن إلى الأمير ردا على هداياه، نقلا عن: إبراهيم ياسين: موقف الدولة المغربية، ص191.

4- ردّ السلطان على رسالة الأمير، وبرفقته هذه الإمدادات، نقلا عن إسماعيل العربي: العلاقات الدبلوماسية، ص224.

5- تقرير الجنرال دميشال عن زيارة الوفد الجزائري إلى المغرب، 1834/01/10، مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، ص57.

6- تقرير لوزير الحربية فوارول بتاريخ 1834/02/22، نقلا عن: إبراهيم ياسين: موقف الدولة المغربية، ص192.

7- حركات، إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، ج2، المرجع السابق، 197.

8- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

9- رسالة السلطان إلى سيدي محمد، التجارة الخارجية على عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام، المرجع السابق، ص.26.

10- إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص108.

11- رسالة السلطان إلى ابن سيدي محمد بعد سقوط تلمسان، الإتحاف، المصدر السابق، ص39.

12- أديب، حرب: التاريخ العسكري والإداري: المرجع السابق، ص270.

13- تقرير للجنرال كلوزيل بتاريخ 06 جانفي1836، موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر المرجع السابق، ص244.

14- رسالة السلطان إلى عامله بتيطوان يوصيه فيها بخياطة هذه الخيم وتوجيهها للمجاهدين الجزائريين: تاريخ تيطوان، مج8، ص193.

15 - الإتحاف: ص124، قُدّمت هذه المساعدات لمهاجري الفوج الأول من الجزائريين خاصة الأشراف منهم.

الموقف الفرنسي من التضامن الجزائري المغربي:

واصلت فرنسا سياستها الاستعمارية في الجزائر، بمختلف أشكالها وأساليبها لمحاولة عرقلة نشاط حركة الجهاد الجزائرية بالمنطقة، إلاّ أنّ هذه الأخيرة استمرّت وبشكل كبير. فأدركت فرنسا حينها مدى ارتباط هذه الحركة بالمغرب، ووجدت نفسها تحارب ضد الجزائريين والمغاربة ضمن صف واحد وهذا ما أكّدته التقارير الفرنسية.

ففي رسالة كتبها "دارلانج" (D'Arlanges) إلى القائد العام بتاريخ 27 أفريل 1836 حول هذه النقطة، جاء فيها: « بأنّ جيش فرنسا لا يحارب الجزائريين وحدهم، وإنما يحارب مملكة المغرب »[1]، وبعد معركة السكاك يصرّح "تيير" نفسه بما يلي:«منذ الآن لم يعد هناك شكّ في وجود مساعدة المغرب للأمير عبد القادر، فمن هذه البلاد كان يجمع قواته بعد أن يفر وينهزم ويحمل منها الجنود والأسلحة، والعتاد الحربي، من هذا البلد الذي أكّد فيما قبل بأنّه يريد البقاء صديقا لفرنسا ويحترم ممتلكاتها كان الأمير عبد القادر يجلب أسلحته التي يشعل بها النار ضد جيوشنا »[2].

فالتقرير الأول أكّد فعلا مشاركة المغاربة إلى جانب الجزائريين وخاصة بعد معركة السكاك بينما يشير التقرير الثاني إلى عدم التزام المغرب بتعهداته الماضية التي التزم بها في سنة 1832، ولمحاولة إبعاد المغرب عن الجزائر سلكت فرنسا خطوتين هما:

الخطوة الأولى– قيام "تيير" بإرسال تعليماته إلى القنصل الفرنسي "ميشان" المعتمد بطنجة في أن يكتب خطابا شديد اللهجة إلى السلطان احتجاجا على ما قام به تجاه الجزائريين، وللتخويف أكثر أرسل بسفينتين حربيتين رستا أمام طنجة ثمّ أعقبهما بسفينتين أخريتين يوم 30 أفريل 1836[3].

تولّى الإجابة عن هذه التّعليمات سيدي العربي السعيدي بما يلي: المولى عبد الرحمن كان مشغولا بالقضاء على أحد الثورات، وبأنّ تصرّفات قبائل الحدود مخالفة لرغبته وأنّها غير خاضعة لسلطته!

وفي الوقت نفسه كلف السلطان الطيب بياّ س أن يُبعد تلك الاتهامات الموجّهة إلى كلّ من ابن نونة وقائد وجدة، معلنا أنّ الأول جنسيته جزائرية ولإبعاد التهمة عن الثاني طعن في صحّة الوثائق التي استند إليها الفرنسيون[4].

لم يقتنع القنصل الفرنسي بهذه المبررات فقام بكتابة رسالة إلى الجنرال "رابتيل" يوم 17 ماي 1836، نصّها: «إنّ قوّة السيف هي أوّل دبلوماسية يمكن استعمالها مع سكان المناطق الصحراوية»[5]، وهذه إشارة تهديد إلى سكّان منطقة المغرب الشرقي خاصة الأنجاد والمهاية وبني سناسن وأهل وجدة.

1-محمد، رزوق: (جوانب من مواجهة قبائل المغرب الشرقي للاحتلال الفرنسي للجزائر1830 –1847) ندوة المقاومة في المغرب الشرقي، الإسهام والخصوصية، ك، أ، ع، أ، وجدة، 1994، ص.107.

2- عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر، 1832، 1845، المرجع السابق، ص42.

3- حلال، يحي وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص72.

4- المرجع نفسه، ص72.

5- المرجع نفسه، ص74.

الخطوة الثانية- بعد فشل الخطوة الأولى ضاعفت فرنسا من تهديداتها الدبلوماسية والعسكرية ضد المغرب والجزائر، ففي 23 ماي 1836 أقدم وزير الحربية "ميزون" على إرسال الجنرال "بيجو" (Bugeaud) إلى الجزائر كما عرفنا سابقا، في حين قرّر وزير الخارجية إرسال البارون "فريدريك دي لاري" (F. de La rue) إلى مكناس بعد أن زوّده بتعليمات صارمة يؤكّد له فيها مشاركة المغاربة إلى جانب الجزائريين وضرورة وضع حدّ لهذه المأساة.

وأهمّ ما جاء في هذه التعليمات قوله: « ومن المغرب تمكّن الأمير من أن يحصل على قوات جديدة وجنود جدد وإمدادات حربية، وبهذه المعونة من حكومة المغرب... تمكّن الأمير من أن يظهر مرّة ثانية ومسلّحا أمام قواتنا وأن يعيد إشعال الثورة التي كانت قد خمدت »[1]، كما طلب منه أيضا أن «يحتجّ أمام السلطان مشيرا إلى عمليات انتقام إن تكرر الأمر»[2]. وعليه فالسلطان كان عليه أن يجيب على إنذار فرنسي يشمل سبع نقاط رئيسية، أبرزها:

1. التزام الحياد الذي تعهّد به في سنة 1832.
2. أن يوقف دعمه المادي والبشري والعسكري للجزائريين.
3. أن يرغم رعاياه على التوقف عن الانضمام لعبد القادر أو مساعدته.
4. أن يعترف باستيلاء فرنسا على الجزائر.
5. أن يمنع الجزائريين من اللجوء إلى المغرب الشرقي ويتوقف عن مساعدتهم.

انطلق "دولاري" من باريس يوم 10 جوان 1836 حاملا معه هدية ثمينة[3] إلى السلطان وبرفقته المترجم "دي لابورت" (De Laporte) فوصلا طنجة يوم 05 جويلية 1836، فحاول باشا المدينة أن يثنيهما عن عزمهما على مقابلة السلطان بمكناس مدّعيا أنّ هذا الأخير قام بإجراءات تهدئة لصالح فرنسا، إلاّ أنّهما أصرّا على ذلك رغم الصعوبات التي واجهتهما في الطريق[4]. ويوم 30 جويلية 1836، استقبلا في مكناس من طرف السلطان عبد الرحمن.

أسند السلطان مهمّة التفاوض مع "دو لاري" إلى الوزير سيدي محمد الطيّب البياس حول شروط الطرف الفرنسي، وبعد حوالي أسبوع انتهت المفاوضات بتوقيع الطرفين على محضر للجلسات التي عقداها، ويوم 08 أوت 1836 قفل "دو لاري" و "دي لابورت" عائدين إلى طولون التي وصلاها يوم 04 سبتمبر وبحوزتهما وثيقتان رئيسيتان، الأولى تُمثّل جواب السلطان عن رسالة الملك الفرنسي والثانية تضمّنت جوابه عن المطالب الفرنسية.

1- جلال، يحي و آخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص76-77.

2- مولاي، بلحميسي: (الأمير عبد القادر والسلطان مولاي عبد الرحمن، من الألفة والوئام إلى الجفوة والخصام)، أعمال ملتقى الأمير عبد القادر، 1998م، دار الحكمة، جامعة الجزائر، ص47.

3- اشتملت على علبة محلاّت بالماس، ورسالة من الملك الفرنسي إلى السلطان، و لم نجد ذكر لذلك في المراجع وإنما استخلصناها من إجابة السلطان عن مطالب فرنسا، في رسالة منه إلى الملك كجواب عن رسالته التي كانت بحوزة "دولاري".

4- من بينها: واجها مواجهة صاخبة فألقيت عليهما الحجارة، وأطلق عليهما الرصاص فأصيب دي لابورت في إحدى عينيه رغم العدد الكبير من الحرس الذي رافقهما.

جاء في نصّ الوثيقة الأولى والمؤرّخة في 06 أوت 1836، الموافق لـ 22 ربيع الآخر 1252هـ ما يلي: «أمّا بعد فقد ورد على حضرتنا العلية بالله كتابك وعرفنا ما تضمّنه خطابك وما ذكرتم من وقوفكم واعتمادكم على ما بيننا وبينكم من المودّة والمصالح والمهادنة ...فنحن إن شاء الله كذلك وأزيد ... وما ذكرتم من أنكم لاقيتم كثيرا من إيالتنا... وما بلغكم من ذلك كلّه محض كذب ... والذين بلغكم عنهم ذلك أعراب زبنطوط تائهون في الصحراء ... ولم تنلهم أحكامنا»[1].

ومن خلال هذا النصّ أسجّل ثلاث ملاحظات رئيسية، هي:

1. تأكيد السلطان على المحبّة والمودّة بين فرنسا والمغرب.
2. تكذيب مشاركة المغاربة إلى جانب الجزائريين وفي الوقت نفسه التأكيد عليها وذلك من خلال الملاحظة الثالثة!.
3. اعترافه بأنّ أولئك هم عرب تائهون وخارجون عن طاعته.

أما الوثيقة الثانية، فقد تضمّنت عدّة نقاط أساسية، أبرزها:

1. التعهّد بالامتناع عن تقديم أيّ مساعدة لعبد القادر بالسلاح والرجال والمال والخيل.
2. عدم طرد من لجأ إليه من الجزائريين مستجيرا برايته الكريمة !
3. إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين الذين يأتون من الجزائر.
4. نفي رغبة أو أطماع السلطان في الغرب الجزائري.
5. دعوة فرنسا إلى تكثيف الحراسة على التخوم الجزائرية المغربية.
6. تأكيد ضعفه أمام قبائل التخوم وترك الحرية لفرنسا في معاقبة قبائل رعيته الذين قدّموا مساعداتهم للجزائريين.

ومن خلال الوثيقتين أقف عند الكثير من الحقائق التي لا بدّ منها، ففي 1832 نجد أنّ السلطان تعهّد أن يظلّ على الحياد بالنسبة لقضية الجزائر وفي سنة 1836 يعيد تأكيداته من جديد لكن الحقيقة عكس ذلك لأنّه سيقوم بخرقها مباشرة، كما أنّ المولى عبد الرحمن تحاشى -عمدا- أن يكون هو المفاوض الرئيسي فاكتفى بتكليف وزيره بذلك، ورغم التفويض الذي منحه له فإنّ ذلك سيقلل من ثقل مسئوليته أمام ما أجاب عنه وزيره وبالتالي يُمكن للسلطان أن يتخلّص من تعهّداته متى رأى ذلك مناسبا.

والأكثر من ذلك هو استمرارية السلطان في تبنّي مواقف غامضة أحيانا ومتناقضة أحيانا أخرى تجاه فرنسا، فنجده تارة يحرّض رعيته على الجهاد كما حدث مع عامل وجدة وتارة أخرى يتهرّب من ذلك ويلقي اللوم على قبائل غير خاضعة له.

لم يخف "دولاري" ارتياحه الكبير اعتقادا منه بنجاح مهمّته، إلاّ أنّ القنصل "ميشان" أبدى شكوكه تجاه السياسة المغربية، وحول مدى مصداقية وفعالية النتائج التي تحصّل عليها، إلاّ أنّه وبعد أن أعطى السلطان أوامره بسحب قائد وجدة اطمأنت فرنسا إليه وهذا ما دفع بـ "ميشان" أن يكتب رسالة إلى وزير الخارجية

1- المكّي، حلول: مسألة الحدود المغربية الجزائرية، المرجع السابق، ص241.

ليطمئنه، جاء فيها:«وليكن الفرنسيون هم أكثر قوة، فإن ذلك هو أفضل ضمان لحياد المغرب والقوى الأخرى التي تحيط بالجزائر»[1].

وبعد الاطلاع جيدا على إجابات السلطان تأكد لدى الكثير من الفرنسيين أن «عبد الرحمن ليس عدوا لهم، بل سكان منطقة الحدود الذين لا يمارس أية سلطة عليهم»[2]، وما يؤكد ذلك هو ما أشار إليه "شارل ديديه" في مقال له في مجلة العالمين، جاء فيه:«إن الجيران معادين بنفس درجة الجزائريين أنفسهم، وأنهم سيكونون دائما مستعدين ... وأنهم سيهجمون علينا عند وقوع أول كارثة كبيرة لنا، وأننا لن نتمكن من المحافظة عليهم داخل حدودهم إلا بالخوف والإرهاب الذي ينتج عنه النصر»[3].

وأمام هذه التصريحات التي أكدت النيات الحسنة للسلطان والنيات السيئة لقبائل تخوم المغرب الشرقي، ظهرت عدة آراء تطالب بضرورة التدخل العسكري الحاسم ضدها. إلا أن انشغال فرنسا بإقليم الشرق الجزائري ومحاولاتها الرامية إلى البحث عن السلم في منطقة الغرب الجزائري حالت دون ذلك، وخاصة بعد عقد معاهدة التافنا[4]، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن فرنسا الاستعمارية وعلى رأسها "بيجو" كان لا يؤمن بالحل العسكري مع المغرب ونلمس ذلك من خلال رسالته إلى "جيزو"[5] بتاريخ 10 ديسمبر 1836، جاء فيها:« إن النظام الوحيد الذي يمكنه أن يؤتي ثماره، هو الاحتلال المحدود النطاق المتدرج والذي يتم بطريقة سلمية »[6]، وحتى أن ظروف فرنسا الخارجية لا تسمح لها بذلك رغم إيماننا القوي بأن فرنسا كان في نيتها منذ البداية احتلال كل من تونس والمغرب سنة 1830.

1- Philippe, Cosse, Brissac : Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie, (1830, 1847), Op. Cit. P50.

2- جلال، يحي وآخرون : مسألة الحدود المغربية الجزائرية، المرجع السابق، ص81.

3- Charles, D. R. Des deux. Mondes, n°15, 15.9.1836, P15

4- التافنا: نسبة إلى المكان الذي انعقدت به، وهو واد التافنا، ينحدر من جبال تلمسان ويصب في حوض البحر المتوسط على شواطئ بني صاف سميت المعاهدة به وليس هو الذي سمي بالمعاهدة عكس ما جاء في مذكرات الأمير، ص80.

5- جيزو، فرانسوا(1787-1874)،ولد بفرنسا، تلقى تعليمه الأول بها، شغل مناصب عدة: الأمين العام لوزارة الداخلية سنة 1814، الأمين العام لوزارة العدل (1816-1820)، حضي بمكانة كبيرة لدى لويس فيليب، ساهم بشكل كبير في ترسيخ وجود فرنسا بالجزائر بالطرق السلمية-الاحتلال المتدرج-،يراجع: G.D.E. Larousse, Tome5, p.5063.

6- بسام، العسلي: المارشال بيجو، المرجع السابق، ص38.

خـــــاتمـــــة

بناء على ما سبق ذكره يمكننا تسجيل النقاط الآتية:

- ظهور عبد القادر الجزائري كقائد لحركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري، يمثل قوة جزائرية متمـــــيزة وطّدت علاقاتها بشكل قوي مع سلطان المغرب خاصة ومع قبائل المغرب الشرقي عامة.

- علاقة الجزائر بالمغرب خضعت لمعطيات عدّة: روابط تاريخية، وسياسية، وجغرافية، ودينية و مصلحيـــة، فالأمير رأى في المغرب المصدر الوحيد الذي يستطيع أن يمده بمختلف المساعدات، في الوقت الذي رأى فيـــه السلطان أن عبد القادر ما هو إلا استمرارا للسياسة التي اتبعها منذ سنة 1830م، هذا من جهة، ولحماية تخومـــه الشرقية من الخطر الفرنسي من جهة أخرى.

- قوة التضامن المغربي الجزائري سلطة وشعبا، دفع بفرنسا إلى إضعافه على مستوى الجزائريين أنفســـهم- صراعات داخلية- وعلى مستوى المغرب الشرقي، من خلال عقدها لمعاهدة دي ميشال، إلا أنهـــا فشـــلت في ذلك وهو ما سيدفع بها إلى طرح محاولة أخرى عبر معاهدة التافنا.

- اقتناع فرنسا بقوّة التضامن الجزائري المغربي، دفع بها إلى اتباع الاستراتيجية الآتية:

إمّا بتحييد المغرب عن ما يحدث في الغرب الجزائري، أو كسبه إلى صفّها وعرقلـــة محاولـــة الاتحـــاد الجزائرية المغربية.وهو ما ستسعى إليه في السنوات القادمة.

- تمكنت فرنسا في الأخير وبوثيقة رسمية من تحييد سلطان المغرب رغم تعقيدات البـــــلاط المغـــربي الـــتي واجهتها الدبلوماسية الفرنسية، ولكن السؤال المطروح هو: هل المغرب سيحافظ على تعهّداته السابقة أمـــــام الفرنسيين أم لا؟ هذا ما سنعرفه في الفصول القادمة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التعاون المغربي–الجزائري (1837 – 1840)

- مقدّمة.
- دور علماء فاس في حركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري.
- أثر معاهدة التافنا 1837 على أطراف الصراع بالغرب الجزائري.
  - بالنسبة لفرنسـا الاستعمارية.
  - بالنسبة لحركة الجهاد الجزائرية.
  - بالنسبة للمغرب.
- دور السلطان المولى عبد الرحمن في حملة الأمير على عين ماضي 1838.
- دور وسطاء حركة الجهاد الجزائرية في المغرب.
- البعد الروحي لعلاقة عبد القادر بسلطان المغرب.
- تجدد حركة الجهاد الجزائرية 1839.
- ردود الفعل المغربية.
- الإمدادات العسكرية المغربية للمجاهدين الجزائريين 1837–1840.
- الموقف الفرنسي من التعاون المغربي الجزائري 1837- 1840.
- خاتمـــــة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقدّمة

بعد أن ضمنت فرنسا حياد المغرب في صراعها مع الجزائر ومحاولة منها لمحو عار هزيمتها أمام أسوار مدينة قسنطينة في شهر نوفمبر 1836، رأت ضرورة التفاوض من جديد مع الأمير عبد القادر، فكتب "بيجو" رسالة إلى الأمير يوم:11 أفريل 1837 مُوضّحا له فيها رغبته في السلام نصّها:« أستطيع أن أعرض عليك بصراحة نبيلة لأنّي أحسّ في نفسي بقوّة تامة بتكوين جيشي ونشاطي وحيويّتي الشخصية ... والفرنسيون يشبهون الرومان، لأنّهم لا يعقدون الصلح إلاّ حينما يشعرون بالقوّة »[1].

فكان موقف عبد القادر أن أجاب بواسطة مندوبه اليهودي بن دران[2] عبر رسالة نصّها:« إنّي أشدّ الناس رغبة في الحصول على العافية وأشدّهم بغضا لسفك الدماء بدون موجب شرعي، إنّها فرنسا (فرنسا) لتعلم أنّي راغب في عقد الصلح وإقامة دعائمه على أساس قوي»[3]، وبناء على إجابة الأمير أعلن "بيجو" يوم 21 أفريل 1837 إلى وزير الحربية أنّه سيبعث بشروط الصلح مكتوبة إلى الأمير، وركّز على ضرورة الاستعجال في ذلك قائلا:«ليس لدينا وقت نضيّعه، ويجب التصديق على معاهدة السلام قبل مرور عشرين يوما»[4].

ومن خلال هذه النصوص تتّضح لنا رغبة كلّ منهما في الصلح، والسؤال المطروح هو: ما مدى نجاح كلّ طرف؟ وما هي النتائج التي توصّلا إليها؟ وهل كان عبد القادر يدرك التآمر الفرنسي المُوجّه ضدّه وهل ستترك فرنسا له الفرصة ليستفيد من عقد الصلح؟ وما هي أبعاد فرنسا الحقيقية من وراء ذلك؟ هذه أسئلة في غاية الأهمّية سأجيب عنها في حينها، و مراعاة لعامل الزمن فان عبد القادر ربطته علاقة متينة بعلماء فاس وسلطان المغرب في الأشهر الأولى من سنة 1837، أي قبل عقد معاهدة التافنا، فأرسل بوفود إلى المولى عبد الرحمن، كما استفتى علماء فاس حول بعض القضايا العالقة وعليه رأيت أن يكون الفصل الثالث مُثمّنا في العناصر الآتية:

1- العسلي، بسام: المارشال بيجو، المرجع السابق، ص42.

2- ابن دران: أحد يهود الجزائر، دخل في خدمة عبد القادر، كان ذا مهارة ونفوذ كبيرين في مدينة الجزائر، كان هدفه تحقيق أرباح مالية من الطرفين المتنازعين، ولقد حاول إقناع الأمير بتموين الجيش الفرنسي مؤكدا مدى الأرباح التي سيتحصّل عليها من جرّاء ذلك.

3- العسلي، بسام: المارشال بيجو، ص43، ويراجع أيضا: المقاومة الجزائرية، ص-ص،142- 143.

4- المرجع نفسه، ص 43.

دور علماء فاس في حركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري:

خلال الفترة الممتدة من 1837 إلى 1840 توطدت علاقة عبد القادر الجزائري بشكل جيد مع سلطان المغرب وحاشيته وعلماء فاس الذين راسلهم كلما دعت الحاجة لذلك، ويظهر ذلك بشكل كبير فيما بين 1837-1839، وسأحاول هنا الوقوف عند هذه المراسلات وما مدى تأثيرها في دعم حركة الجهاد الجزائرية وطالما لهؤلاء العلماء مكانة كبيرة لدى السلطان فإن عبد القادر مهّد لذلك باتصاله مع السلطان أولا.

ففي يوم 16 جانفي 1837 يجيب سلطان المغرب عن كتاب الأمير له[1] في موضوعات مختلفة تظهر لنا من خلال الإجابة والتي حذره فيها من عقد الصلح مع العدو، معتبرا أن رغبة الفرنسيين هي مجرد مكيدة « فينبغي أن تسد دونهم الأبواب، وتقطع بهم الأسباب، حتى يقنعوا من الغنيمة بالإياب»[2]، إلا أن السلطان لم يبق في موقف الرفض المطلق فاشترط إن كان لا بد منه أن يكون عاما يشمل جميع المسلمين في الجزائر «لتكون سببا في التنفيس عن إخوانك المسلمين، وليعلم العدو الكافر أن أهل الإسلام ذات ملة واحدة ونفس متحدة يشد بعضه بعضا»[3].

والأكثر من هذا أن السلطان فوّض الأمر في الأخير إلى عبد القادر نفسه قائلا:«ومع هذا قد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب، فما رأيت فيه الصلاح للمسلمين ارتكبته، فأنت بصيرة نفسك وبصيرة المسلمين فانظر لهم بالنظر الذي ينجيك مع الله ومع عباده، ولا شك أنك إنما تأتي ما فيه الخير وما تحمد عقباه»[4]، وعليه فالأمير سيقبل بالتفاوض مع الطرف الفرنسي الذي انتهى بالتوقيع على معاهدة التافنا.

أما في خلال شهر مارس 1837[5]، فالأمير بعث بوفد رفيع المستوى إلى السلطان برئاسة محمد بن عبد الله حاملا معه أسئلة فقهية في غاية الأهمية، كما زوّده بهدية ثمينة خاصة بالسلطان، و يذكر لنا صاحب التحفة: «اختار السيد ابن عبد الله[6] سقاط لإيصالها إلى سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمان بن هشام لإحكام عرى المحبة بينهما، وكتب له كتابا يذكر له فيه ما أجراه من تنظيم العسكر وتمرينه ... بل وقصد الأمير إ يقاضه من غفلته على انتهاز الفرصة في الاستعداد لذلك. وأعلمه بما أرسله من الأسئلة صحبة رسوله لعلماء فاس ليجيبوه عنها »[7].

1- يُستخلص من ذلك أن عبد القادر راسل السلطان في أواخر سنة 1836، وأن بوادر عقد الصلح كانت مُبكّرة حتى قبل نوفمبر 1836، ولذلك فالكتاب تضمن: طلب عقد الصلح مع عبد القادر، إلا أنني لم أعثر على نص هذا الكتاب.

2- إبراهيم، ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص258.

3- المرجع نفسه، ص 258.

4- المرجع نفسه ص 258.

5- البعض من أشار إلى هذا الوفد، وقع في خطأ التأريخ له، ومن بينهم: أحمد العماري، مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب و الجزائر ص365، محمد رزوق في مقالة:(جوانب من مواجهة قبائل المغرب الشرقي للاحتلال الفرنسي للجزائر1830-1847)، ص107 وحسين مؤنس في كتابه: تاريخ المغرب، ج، 3، ص333 أنه كان سنة 1836، والصواب هو 1837.

6 - محمد بن عبد الله المشرفي المعروف بالسقاط، حظي بمكانة وتقدير كبيرين لدى السلطان والعلماء مات مسموما أو مخنوقا بفاس. يراجع : تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص40.

7 - ابن عبد القادر، محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق، ص316.

ومن خلال هذا النص يتبين أن عبد القادر بعث بكتابين مع الوفد، كتاب إلى السلطان ضمّنه أحواله وعلاقته مع فرنسا، وكتاب ثان إلى علماء فاس ضمّنه عدة أسئلة فقهية، ولقد افتتح كتابه الثاني بما يلي: «جوابكم أبقاكم الله فيما عظم فيه الخطب، واشتد به الكرب في وطن الجزائر ... أجيبوا أبقاكم الله عما ذكرنا وعما يناسب المقام والحال مأجورين والسلام عليكم»[1]. ويمكن تلخيص هذه الأسئلة التي كتبها العالم المنطقي مصطفى بن التهامي[2] في ما يلي:

- ما حكم الشرع في الذين يحالفون العدو ويتعاملون معه على حساب إخوانهم المسلمين؟
- ما حكم الشرع في الذين يتخلفون عن الجهاد إذا ناداهم الإمام أو نائبه للدفاع عن الدين والوطن؟
- ما حكم الشرع في مانع الزكاة؟ ومن أين يرتزق جيش المسلمين المدافع عنهم؟

وقبل معرفة إجابة علماء فاس عن هذه الأسئلة، لابد من طرح أسئلة أخرى حول هذه النقطة، فهل عبد القادر كان عاجزا عن الإجابة عن هذه الأسئلة؟ وما هي الأهداف التي كان يطمح إلى تحقيقها من وراء ذلك؟ فبالنسبة للسؤال الأول تذهب بديعة الحسني إلى القول: «لم يكن الأمير بحاجة إلى فتاوى فقهية»[3]، ورغم تسليمي بقدرة الأمير على ذلك، إلا أنه حسب رأيي أراد أن يتقيد بالقاعدة الشرعية وهي الشورى، لقوله تعالى: ﴿ **وأمرهم شورى بينهم**﴾[4]، وقوله أيضا: ﴿ **فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[5]، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى وهي الأهم، لكسب ود وعطف السلطان ولضمان مساعدة هذا الأخير له في حالة حربه مع فرنسا في الوقت الذي كان قد كلّف فيه الوفد سريا أن يقوم بإذكاء الحماس الديني لدى الأولياء الكبار الأكثر احتراما، ولدى رؤساء القبائل الكبيرة بالمغرب الذين يمكنهم إثارة السكان لنداء الجهاد، ولذلك فالأمير كان ينتظر من فتاوى علماء فاس أن تمده بسلاح الشرع ليدعم به قوة السيف الذي كان يتهيأ لرفعه في وجه المعارضين له والمتمردين عليه، ويذهب ياسين إبراهيم إلى القول أن: « طرح تلك المشاكل أمام أعلى هيئة حربية وعلمية في البلاد من شأنه أن يكسب عبد القادر تعاطفا كبيرا في المغرب، ويكسبه كذلك الدعم المادي والمعنوي من جانب السلطان»[6]

. استقبل السلطان الوفد بحفاوة كبيرة، فيذكر لنا صاحب التحفة : «أنه لما وصل الوفد إلى فاس أمر

1- جواب على سؤال وارد من الحاج عبد القادر الجزائري على فقهاء فاس، مخ. خ.ع.ر،رقم 2617.د، ص-ص 200- 201.ويراجع أيضا :نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي،مخ.خ.ع.ر،رقم 1595،ص-ص،175-176

2- مصطفى بن التهامي: السيد الحاج مصطفى بن أحمد (أو حمادي) بن التهامي، ولد حوالي سنة 1796م كان والده مفتيا في عهد الأتراك، وعندما أسس عبد القادر المجلس الأعلى كان من بين علمائه، كما تولى ديوان الإنشاء، وعاملا على مقاطعة الشرق بحاضرة معسكر بعد وفاة بن فريحة وقائدا للدائرة بعد هزيمة الزمالة، إحدى المقربين المخلصين للأمير، زوّجه بأخته حديجة، كما يعتبر من كبار العلماء والكتاب في عصره، يراجع: ياقوتة النسب الوهاجة، ص، 44 ومذكرات الأمير، ص113.

3- ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، المرجع السابق، ص110.

4- سورة الشورى، الآية رقم 38.

5- سورة الأنبياء، الآية رقم 07.

6 - موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق ص264.

السلطان بإنزاله وإكرامه، ثم قدم إليه الهدية والكتاب فأخذ يسأل عن أحوال الأمير وما هو عليه مع عدوه، وعن الرعية وأفعالها معه ... فأخبره بالحقيقة وقدم إليه السؤال، فأرسله إلى شيخ الإسلام إذ ذاك العلامة أبي الحسن علي بن عبد السلام مديدش التسولي وأمره أن يجيب عنها»[1].

لقد أجاب العلامة التسولي عن هذه الأسئلة بجواب طويل يشمل خمسة كراريس وزيادة ولعل طول الجواب يدل عن العجز عن الجواب الواضح، وحسب المنوني محمد فإن للتسولي جوابين: بسيط وهو مطبوع على الحجر الفاسي ووجيز وهو وارد بالمعيار الجديد، وافتتح التسولي جوابه بقوله:«وبعد فقد كان قبل هذا (كذا) الأيام، ورد من ناحية أعمال الجزائر أعادها الله دار إسلام كتاب من خليفتها المجاهد في سبيل رب العالمين سيدي الحاج عبد القادر بن محيي الدين»[2].

ومضمون الجواب نفسه وجدته أيضا في مخطوط نزهة الحادي، إلا أن صاحب التحفة خالفهم عندما تناول ذلك، فبدلا من ذكر من خليفتها كتب:كتاب من أميرها المجاهد[3]، فهل تعمّد ذلك؟ أم سقطت منه كلمة من خليفتها سهوا ؟ والراجح هو الأول لأنه أراد أن ينفي هذا اللقب عن والده في الوقت الذي أكّده الأمير في رسائله واعترف له به علماء فاس، ومهما يكن فإن إجابة هؤلاء كانت في صالح المجاهدين الجزائريين.

بعد أن قصد الوفد كل من فاس والرباط وتطوان، و بعد أن تم تحرير الجواب قُدّم إلى حضرة السلطان عبد الرحمن فأمر وزيره بإحضار «سبع كسوات فاخرات، و سبع أفراس من عتاق الخيل بسروجها وأربعة مدافع صغار وستين فرسا، وأن يعطي من الخزينة عشرة آلاف مثقالا إلى الحاج الطالب وكيل الأمير بفاس ليشتري له بها من الإمدادات الحربية ما يأمره بشرائه»[4].

وفي الوقت نفسه أرسل معه كتابا إلى الأمير ضمّنه التحريض على استئناف الجهاد ونقض المعاهدة، وأن ما أرسله من الخيل والمدافع إنما هو ليفتح بها باب الجهاد، ثم أمر السلطان بإحضار السيد عبد الله السقاط وأوصاه أن يبلغ الأمير -على لسانه- باستئناف الجهاد ونقض المعاهدة، ثم أمر بإكرامه وبإكرام من معه، وبعد أن سلّم له الهدية والكتاب والجواب عن السؤال ودّعه وأمره بالتوجه (كذا) فجد الوفد في المسير إلى أن اجتمع بالأمير في حصن طازة[5].

---

1 - ابن عبد القادر، محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق، ص318.

2 - أبو عبد الله، اليفرني :نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، المخطوط السابق،ص.174،ويراجع أيضا: جواب عن سؤال وارد من الحاج عبد القادر،ص.200.

3 - ابن عبد القادر، محمد : تحفة الزائر، المصدر السابق، ص319.

4 - المصدر نفسه، ص318.

5 - تازة (طازا): يقع حصن تازة الجزائرية التي تسمى تازا الصحراء (لتمييزها عن تازا المغربية) على مسافة 12 فرسخا في الجنوب الشرقي من مليانة عند منتصف الطريق من قصر بوغار إلى ثنية الحد، أنشأ بها الأمير تحصينات عديدة وعددا من المنازل في منتصف سنة 1832 بإشراف ابن علال، احتلها الجيش الفرنسي وخرب قلعتها في 25 ماي 1840، مكث الوفد بالمغرب مدة ثلاثة أشهر وعشرين يوما (19 ذي الحجة 1252هـ إلى غاية 10 ربيع الأول 1253هـ) وهذا يخالف ما ذهب إليه أديب حرب عندما ذكر أن الجواب كان في سنة 1838، التاريخ العسكري والإداري، ج2، ص220.

تضمنت الإجابة[1] نقاطا رئيسية يمكن حصرها فيما يلي: جواز قتال العصاة و ما نعيَ الزكاة، ولـــزوم إجبار الرعية على الاستعداد للدفاع عن البلاد، كما اقرّ جواز الصلح مع العدو إذا دعت الضرورة « وجـــواز الصلح مع العدو إذا دعت الضرورة إليه، إبقاء على المسلمين وبلادهم، فإنه يجوز والضرورة لها أحكام، وقـــد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب »[2].

لم يكتف التُسولي بالإجابة عن الأسئلة فقط بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما ذكر «الجهاد فريضـــة عين على من نزل بهم عدو الدين فإن لم تكن فيهم كفاية أو لم تجتمع لهم كلمة فعلى المقربين الذين يلونهم فـإن لم تكن في الذين يلونهم أو لم تجتمع لهم كلمة، فعلى المقربين الذين يلونهم وهكذا إلى أن تحصل الكفاية ولـــو اتصل ذلك من مثل المغرب إلى بغداد »[3].

وقد جعل العلماء العهدة في ذلك على الإمام ورأوا في دفاع العدو المسيحي وحـــده أولى الأولويـــات «إنّكم بهذه الآيات القرآنية المخاطبون وبأحاديث المصطفى المقصودون، إذ بيدكم الحل والعقـــد والرعيـــة في طوعكم فكيف يأمرها بالجهاد وتبخلون »[4]، وهكذا فقد ألزم العلماء الحكم بالدعوة إلى الوقـــوف في وجـــه الفرنسيين والعمل على تحرير الجزائر، ومن خلال استفتاء الأمير لعلماء فاس وإجابة هؤلاء أســـتخلص بعـــض النقاط الرئيسية في ما يلي:

- وصول الوفد متأخرا بشهر عن عقد معاهدة التافنا، و لذلك جاءت الإجابة بنقضها، وعبد القادر نفســـه لم ينتظر جواب السلطان طالما أن هذا الأخير فوّض له أمر ذلك خلال شهر جانفي 1837.
- عدم التزام السلطان بما جاء في معاهدة 1836م، فنلاحظ خرقه الواضح للحياد تجاه ما يحدث في الغـــرب الجزائري، وذلك من خلال تجاوبه مع وفود الأمير وإجابته عن رسائله وتزويـــده بالهدايـــا والإمـــدادات العسكرية.
- استمرار العلاقات الجزائرية المغربية وهذه المرة بحركة علمية وفقهية كبيرة جدا، خاصة وأن السلطان أصبح مُلزما شرعا أمام الفقهاء بوجوب مساندة القضية الجزائرية، وهو ما سيساهم حتما في التفـــاف الشـــعب المغربي بمختلف شرائحه لنصرة حركة الجهاد الجزائري.
- لقد كان لجواب التُسولي دور كبير في إذكاء ويقظة الشعب المغربي،وهو ما دفع بالفقهاء إلى التـــأليف في حركـــة الجـــهاد والتحريـــض عليـــه، ومـــن بـــين هـــؤلاء نجـــد: محمـــد بـــن إدريـــس

1 – الكثير من تناول هذه الإجابة التي كانت عبارة عن جوابين: بسيط وهو مطبوع على الحجر الفاسي، ووجيز وهو وارد بالمعيار الجديد للونشريسي، وفي مخطوط آخر بتطوان يذكر بأن جواب التُسولي كان مذيلا بالإشارة إلى خطبة تدعو للجهاد.

2 – ابن عبد القادر، محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق، ص325.

3 – محفوظات المكتبة العامة بتطوان، مخطوط رقم 830، ص49.

4 – المخطوط نفسه، ص، 50.

وقصائده الجهادية لإنقاذ الجزائر، ومحمد غريط وأشعاره أيضا حول الموضوع و الكردودي.[1] ولم يتناول هؤلاء قضية الجزائر فحسب، وإنما ألفوا العديد من الكناشات والرسائل في تنظيم الجيش وتدريبه، وإرسالها للسلطان للنهوض به وسأتطرق إلى ذلك بشكل جيد في الفصل الرابع بعد معركة إيسلي 1844.

أثر معاهدة التافنا 1837 على أطراف الصراع بالغرب الجزائري:

بعد معرفة رغبة كل من فرنسا والأمير في عقد الصلح، وتعرف عبد القادر على موقف سلطان فاس السابق الذكر، دخل في مفاوضات مباشرة مع الطرف الفرنسي، انتهت بالتوقيع على معاهدة للصلح يوم 30 ماي 1837م/ صفر 1253هـ، اشتملت على 15 بندا أبرزها:

- اعتراف فرنسا بسيادة عبد القادر على جزء كبير من المقاطعات التابعة له مقابل اعتراف الأمير بجزء من السيادة الفرنسية[2].
- تنازل فرنسا عن تلمسان والمشور وجزيرة راشقون لصالح الأمير.
- حرية تجارة وشراء الأسلحة من فرنسا.
- تبادل السفراء بين الطرفين مع احتفاظ فرنسا بحقها في أن يزوّد الجيش الفرنسي من طرف الأمير[3] وفي تاريخ 15 جوان 1837 م صادق الملك الفرنسي على الاتفاقية، ومن خلال القراءة الأولية لها وخدمة لموضوع البحث رأيت ضرورة ربطها بالأطراف المتصارعة الآتية:

حركة الجهاد الجزائرية، فرنسا الاستعمارية، المغرب الأقصى. وسأحاول هنا إبراز أثرها بالنسبة لكل طرف، لأخلص إلى مدى أثرها على التعاون الجزائري المغربي.

أولا- بالنسبة لفرنسا الاستعمارية:

إن رغبة فرنسا في التعجيل بالسلام يعكس حاجتها الماسة إليه، خاصة في منطقة الغرب الجزائري لكي تتفرغ إلى الشرق الجزائري،فقامت بتجهيز حملتها العسكرية الثانية على قسنطينة والتي انتهت بسقوطها في يد الاستعمار الفرنسي يوم 13 أكتوبر1837[4]، وهذا يعتبر أعظم انتصار لها.

ورغم ذلك فإن المعاهدة صاحبتها ردود فعل فرنسية معارضة لها فالوالي العام مثلا صرح قائلا:« لقد وقّعنا على معاهدة تخدش شرف فرنسا، لأن هذه المعاهدة لا يستفيد منها سوى الأمير الذي تضمن له سلطانا

1- هو محمد بن عبد القادر بن أحمد الكلالي الحسني الإدريسي، أبو عبد الله المعروف بالكردودي (1217-1268هـ/1802-1852م)، ولي القضاء بطنجة، له عدة مؤلفات منها: حلية العروس على هامش إضاءة الأدموسي،يراجع: الأعلام مج4،ص212.

2 - انطلاقا من تأريخ المصطلح وماهيته فإن ما تم في سنة 1837 ليس بمعاهدة لأنها فقدت صفتها ببنود إلزامية على الأمير، ولذلك أرى أنها عبارة عن هدنة (Armistice) كما جاء على لسان الأمير، كما لا يمكن وصفها بالاتفاقية (Treaty). كما أسجل وجود تناقض كبير بين نصها العربي والفرنسي، الذي وظّفته فرنسا كحجة ضد الأمير، تمت مراسيمها بين المارشال بيجو، وحميدة الصفال بواد التافنا الذي نسبت إليه. وللمزيد أكثر يراجع: العلاقات الدبلوماسية، ص135، نصوص ووثائق، ص-ص 77-79، مع الإشارة إلى أن البعض أخطأ في تأريخه لها سنة 1838 ومن هؤلاء: البيان المغرب، ص118،حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج3، ص194، وبسام العسلي، المارشال بيجو ص50.

3 - إسماعيل، العربي، العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير، المرجع السابق، ص-ص134-135.

4- يراجع: مذكرات الحاج أحمد باي: المصدر السابق، ص105 ويراجع أيضا: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية، ص189.

أعظم من أي سلطان يحصل عليه نتيجة لانتصار عسكري ساحق »[1]. كما كتب أيضا في الموضوع نفسه إلى وزير الحرب يوم: 20 جانفي 1838 ما نصه:« إن الهدف الذي يسعى إليه الأمير، هو أن يعزلنا في أرض محدودة في انتظار أن يكون قادرا على استئناف مهمته المقدسة وهي طرد المسيحيين من إفريقيا وتأسيس أمة عربية من المغرب إلى تونس»[2].

أما الرأي العام الفرنسي فقد استقبلها بفتور كبير، لأن المعاهدة كانت تعبر عن عدم تناسق الخطط الفرنسية وسياستها، ولقد تأكد حسب تحقيقات أجريت بفرنسا فيما بعد « أن القائد بوجو(كذا) كان لصا، فقد طلب من الأمير عبد القادر ما يساوي 80000 فرنك فرنسي واعترف بذلك وقال أنه كان ينوي أن يعطي جزءا كبيرا منها للضباط الفرنسيين الذين ساعدوه وجزءا للوسيط اليهودي ابن دوران (كذا) ... وجزءا لجنرال فرنسي ساعده، يسمى بروسار Brossard»[3].

وانطلاقا من هذه المعارضة الرسمية والشعبية فإن فرنسا ستسعى إلى نقض المعاهدة لكي لا يستفيد عبد القادر من فترة السلم الممنوحة له، وللقيام بذلك تبنت الأعمال الآتية:

1- إثارة المشاكل والعراقيل والتجسس عليه، فبموجب ذلك دسّت له أحد الجواسيس لمعرفة نقاط القوة والضعف عنده، فكان "ليون روش"[4] هو المؤهل للقيام بهذا الدور الخطير.

2- إثارة الفتن داخل أوساط حركة الجهاد الجزائرية، ولقد كان الشيخ التيجاني أحد ضحايا ومغالطات سياسة فرنسا كما سنرى.

3- استفزاز الأمير لإيجاد ذريعة قابلة لنقض المعاهدة، في الوقت الذي دخلت معه في مفاوضات جديدة حول بعض البنود.

4- وأخطر من هذا كله محاولة تفكيك التعاون المغربي الجزائري من خلال تنمية الروح الاستقلالية لدى عبد القادر والانفراد به، في الوقت الذي حاولت فيه تشويه صورته ومكانته لدى السلطان، فإلى أي مدى نجحت فرنسا في تحقيق هذه الاستراتيجية؟ وهل كان المغرب والجزائر يدركان جيدا حجم المؤامرة الفرنسية الموجهة ضدهما؟

ثانيا- بالنسبة لحركة الجهاد الجزائرية:

إن حاجة عبد القادر الضرورية للسلم دفعته إلى التعجيل بحسن استثماره وفق ما يخدم مصالحه، خاصة وأنه يدرك جيدا أن المعاهدة مجرد هدنة لا غير، وتفاديا لتكرار ما هو متعارف عليه، أحاول هنا الإشارة إلى

1- إسماعيل، العربي: العلاقات الدبلوماسية الجزائرية، المرجع السابق، ص140

2- ياسين، إبراهيم: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص257.

3- حسين، مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، المرجع السابق، ص385.

4- ليون روش: (LION ROCHE)ولد بمدينة غرونوبل (Grenoble) الفرنسية سنة 1809، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1828، اشتغل بعدها في التجارة، انتقل مع أبيه إلى الجزائر عام 1832، رقي إلى رتبة ملازم في الحرس الوطني لدى دورفيقو عام 1833، شارك كلوزيل في حملته على المدية 1836، وبموجب معاهدة تافنا، التحق بالأمير في نوفمبر 1837 باسم الإسلام، قام بثلاثة أدوار رئيسية لخدمة فرنسا، التي عاد إليها عام 1839، توفي سنة 1901. للمزيد أكثر يراجع: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832، 1847) وهي دراسة جيدة عن شخصيته، ومقال له بعنوان:(ليون روش داخل جيش الأمير عبد القادر 1837-1839)، سيرتا، العددان،8،9، ص-ص،5-18. وأيضا كتاب روش نفسه (Lion Roche, Trente deux ans à travers l'Islam)

نقاط رئيسية لها علاقة بالموضوع قام بإنجازها ومن أبرزها:

- الاهتمام بالجيش تنظيما وتدريبا، وتوفير العدة والعتاد له، فقام ببناء مصانع للأسلحة والذخيرة الحربيـــة، و ما كتاب ابن رويلة عن الجانب العسكري إلا دليلا على هذا الاهتمام[1].
- بناء الحصون والقلاع العسكرية مثل حصن بوغار، بوخرشوفة، وحصن طازة...الخ، في الوقت الذي قـام فيه بتقسيم المناطق الخاضعة له إلى ثمان مقاطعات رئيسية، هي: معسكر، تلمسان، مليانة، بسكرة، بســـرج حمزة...الخ.
- اتخاذ مدينة المدية (قاعدة التيطري)، قاعدة رئيسية لإمارته بدلا من منطقة غريس، ويرى صاحب البيـــان المعرّب أن هؤلاء لم يرق لهم ذلك فوقع بينهم تنافس شديد[2].
- اتخاذ رموز للدولة الجزائرية الأميرية الفتية والتي من بينها: صك العملة والنقود من الفضة والنحاس، فكتب على أحد وجهيها شعار الدولة، وكتب على الوجه الآخر تاريخ الصك ومكانه، فيذكر لنا "تشرشـــل" أن النقود التي صكها الأمير كانت تحمل على أحد وجهيها:«ضرب بتاقدميت من قبل السلطان عبد القـادر»[3] كما وضع أيضا خاتما لدولته عبارة عن: خاتم كبير نقش عليه في الوسط ومن تكن برسول الله نصرتـــه إن تلقه الأسد في أكمامها تجم ونقش على الجوانب (الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي).
- كما اتخذ علما لإمارته: أعلاه وأسفله أخضر ووسطه أبيض منقوش عليه في صورة دائرة تامة عبارة "نصر من الله وفتح قريب، ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين" وفي وسطه حدوة يد مبسوطة[4].
- قام باسترجاع المناطق التي نصت عليها المعاهدة، فاسترجع تلمسان في 13 جوان 1837 وقلعـــة المشـــور، وعيّن البوحميدي على المناطق التابعة له بالتعاون مع سلطان المغرب.

ومن خلال هذه الإجراءات نجد أن عبد القادر حاول وضع ركائز وأسسا لدولة ناشئة،إلا أن الســـؤال المطروح هو ما حقيقة هذه الدولة في ضل اعترافه بالتبعية لسلطان المغرب ؟ ولماذا لم يعلن عن زعامته ورئاســـته لها واكتفى بذكر شخصه فقط؟وهنا تتساءل الموسوعة العسكرية«رغم كل ذلك فإن الأمير عبد القادر لم يعلـــن نفسه رئيسا لدولة الجزائر و لم يخرج عن طاعة سلطان مراكش وسيادته»[5].

وانطلاقا من مفهوم الدولة وأنواعها فإن هناك دولا عامة كاملة السيادة وأخرى خاصة ناقصة الســـيادة. وهذا ما جاء على لسان الجابري: « فالدولة العامة هي التي لا تخضع لغيرها بشكل من أشكال الخضوع وتمتـــد سلطتها فعليا إلى جميع المناطق الداخلة تحت نفوذها،كما قد تكون سلطتها على بعض الأقاليم التي قامت فيـــها دول خاصة أو إمارات، سلطة اسمية فقط،وبهذا الاعتبار فان سلطة الدولة الخاصة (ملك ناقص) في حـــين أن

1 - ابن رويلة، قدور :وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب

2- البيان المعرّب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص118، ويشاطره الرأي حركات إبراهيم في قوله: « ثم ارتكب الأمير خطأ فادحا آخر بنقل مقر حكومته إلى المدية من إقليم تيطري »، المغرب عبر التاريخ، ج3، ص194.

3- حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق،ص.138، في هذه النقطة يتساءل: سعد الله أبو القاسم لماذا عبد القادر أهمل اسم أو لقب الســـلطان عبد الرحمن في عملته، ويمكن القول هنا أن الأمير كان بارعا في تجنب أي مساس بهيبة السلطان أمام رعيته ولمغالطة الرأي العام الفرنسي.

4 - شوقي عطاء الله، الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 273.

5 - الموسوعة العسكرية: المرجع السابق،ص434

سلطة الدولة العامة (ملك تام) »[1].

وإذا أسقطنا مفهوم ابن خلدون[2] للدولة، فإن المغرب دولة عامة كاملة السيادة بينما دولة الأمير عبد القادر دولة خاصة أي ناقصة السيادة، ويذهب عمر بوزيان إلى القول:«وقد نتج عن هذه التبعية الجزائرية للمغرب وجود تعاون وثيق ومساعدة في مختلف الميادين من طرف المغرب لدولة الأمير عبد القادر»[3].

ولم يكن هذا في الغرب الجزائري فقط فأحمد باي هو الآخر حاول تكوين دولة ناشئة في ظل التبعية للسلطان العثماني الذي لم تسمح له السلطات الفرنسية بتقديم المساعدات إلى أحمد باي رغم المحاولات العديدة التي قام بها، كما عرقلت فكرة التعاون بين الأمير والحاج أحمد باي، وهذه مؤامرة فرنسية لم يتفطن لها الرجلان.

ثالثا- بالنسبة للمغرب

إن معاهدة التافنا كانت لها آثار إيجابية بالنسبة للمغرب، وهو عكس ما كانت تتوقعه فرنسا من فصل عبد القادر عن المغرب وتحييده عن الصراع الدائر بينهما، فالسلطان سبق له وأن أعطى إشارة الموافقة عليها للأمير قبل إمضائها رغم التحفظ الذي أبداه حولها والذي يمكن تفسيره بما يلي:

- عقد الصلح مع العدو قد يمكنه من ترسيخ وجوده أكثر بالجزائر.
- خوفا من تقوية الميول الاستقلالية لدى عبد القادر، وبالتالي ضياع مشروع الاتحاد المغربي الجزائري الذي كان من أهداف السلطان، وهو ما سيجعل المغرب في خط المواجهة المباشرة مع فرنسا.

إلا أن السلطان سرعان ما تغير موقفه لصالح حركة الجهاد الجزائرية نتيجة للدور الذي قام به وسطاء الأمير المقربين من السلطان في إقناعه بالوقوف إلى جانبها، وبسبب الإجراءات التي باشرها عبد القادر بعد عقد الصلح مباشرة. ويمكن رصد الدعم المغربي للجزائريين بعد صلح التافنا في الفقرات الآتية:

فما إن بلغ السلطان خبر استرجاع تلمسان كتب إلى عماله في تاريخ 15 جويلية 1837 ليبشّرهم بما نصه:«بشّرهم بما شرح الصدر، وأعلى الإسلام بظهور القوة ورفع القدر في فتح مدينة تلمسان ... من غير إعمال سيف ولا سنان... وذلك بصلح أسفر عن العز وجه نجاحه وأطلع في فلك الإسلام طالع سعده وفلاحه وأصبحت به ثغور أهل الدين بواسم»[4].فاسترجاع تلمسان أثار حماسا كبيرا لدى المغاربة، وهو ما ساهم في تعظيم دور عبد القادر وتقزيم دور فرنسا، خاصة وأن المولى عبد الرحمن كان قد أصدر أوامره لهم بالتعبير عن فرحتهم، والاحتفالات التي عمت معظم التراب المغربي دليلا على ذلك.

1- محمد عابد الجابري: العصبية والدولة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1979، ص321.

2- عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر، 732-808هـ/ 1332-1406م، مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي من أعلام زمانه في الإدارة، والسياسة والقضاء والأدب، والعلوم، ولد في تونس وتوفي بالقاهرة، تولى أعمالا سياسية في فاس وغرناطة وتلمسان، فلقي وشايات ودسائس، توجه إلى المشرق فاستقر بمصر وتولى قضاء المالكية، له مؤلفات عديدة وفي مجالات مختلفة، أبرزها:كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم والبربر،يراجع: المنجد في اللغة و الأعلام، ص7،الأعلام، مج3،ص330.

3- جذور اتحاد المغرب والجزائر (1832-1845)، المرجع السابق، ص107.

4- وثائق،خ.ح.ر: بشأن فتح تلمسان،محفظة 4.الوثيقة،رقم7،كتاب السلطان عبد الرحمان إلى عامله عبد السلام بن محمد السلاوي.

وهذا الطرح أكّده "دي لابورت" من موقادور إلى "الكونت مولي" وزير الخارجية يوم 08 أوت 1838 في قوله:«في اليوم الثامن من هذا الشهر، نُشر ظهيرا سلطانيا بطنجة لكي يُحتفل بدخول الأمير عبد القادر تلمسان، وظلت هذه الاحتفالات الضخمة لمدة ثلاثة أيام، تم في أثنائها تزيين حوانيت التجارة في المدينة بأشرطة ومناديل من الحرير والقطن ومن جميع الألوان المختلفة... وقد بدأت هذه الاحتفالات بست (كذا) عشرة طلقة مدفعية»[1]. لا شك أن هذه الاحتفالات تعكس لنا مدى الدعم المعنوي المغربي للجزائريين.

لم يكتف السلطان بنشر ظهير الاحتفال فحسب بل سرعان ما كتب إلى الأمير يوم: 30 جويلية 1837 رسالة ضمّنها جوابه عن خطاب الأمير الذي بَشّره فيه باسترجاع تلمسان. ولأهمية هذه الرسالة أود الإشارة إليها، ومن مضمونها:«محل الولد البار، الساعي في المحاسن والمسار، المرابط المجاهد ... حامل راية المجاهدين»[2]، ونلاحظ هنا أن عبد القادر أصبح يحظى بمرتبة الولد لدى السلطان، وهو ما يعكس تطور موقف السلطان حول المعاهدة، وهذا ما نجده في الإشادة بمزايا الصلح وشرعيته فيقول:«فما عقدتم من الصلح جار من الخير على منهاج وقائم بعزة الدين وجموع قوته بأنفع دواء وأنجع علاج، فإن السلم إذا كان عن عز لمصلحة كان داعيا لوفور القوة ... وائتلاف القلوب والتبصر بعواقب الأمور»[3].

لم يكتف السلطان بذلك بل نبّه الأمير إلى ضرورة الاستفادة من الصلح بالتنظيم والاستعداد والتدريب لجهاد أفضل في مرحلة أخرى في قوله:« ففي الصلح فوائد تشكر وأمور تذكر ولا تنكر، منها: أخذ الأهبة وجموع القوة والاستعداد، ومداخلة القوم بعضهم مع بعض، وزيادة الاستمداد وانتظام الكلمة، وترتيب الحشود... وشحذ العزيمة والاطلاع على أحوال العدو الكافر واستمالة قلب الشارد»[4]. وإيمانا من السلطان بضرورة تحرير معظم القطر الجزائري أوصى الأمير بضم إقليم قسنطينة إليه «فاجتهد في إدخال القسطنطينية (كذا) في شموله ليكون ذلك أتم السرور»[5]

وكان عبد القادر قد اقترح في كتابه على السلطان أن يقوم بزيارة تلمسان فاعتذر له قائلا:«وما أشرتم به من أنا أولى بالزيارة...فذلك أصلحك الله من تواضعك...الذي ظهر... وإلا أنت أولى من أن توصل وتزار»[6]، كما أن الأمير كتب له بمغادرته الجزائر، إلا أنه نهاه عن ذلك:«فاعلم أنك روح تلك الأقطار وقطبها الذي عليه المدار، فلا ينبغي أن تزايل تلك الدائرة...وهي حديثة عهد باسترداد وقريبة زمن بجهاد وجلاد»[7].

وانطلاقا من هذا الطرح الأخير يمكن طرح السؤال الآتي: هل كانت لعبد القادر نية صادقة في مغادرة الجزائر؟ خاصة وأنه في فترة سلام مع فرنسا وفي موقف قوة، وهو الذي كان حريصا على رفع لواء الجهاد!

1- جلال، يحي وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص120، ويراجع: العلاقات الدبلوماسية، ص228.

2- الناصر الفاسي: (محمد بن إدريس وزير مولاى عبد الرحمان وشاعره) المرجع السابق، ص173.

3- المرجع نفسه، ص.174.

4- المرجع نفسه، ص.175.

5- المرجع نفسه، ص.175.

6- المرجع نفسه، ص.176.

7- المرجع نفسه، ص176.

إن الأمير أراد في هذه المرة أن يختبر -يمتحن- سلطان فاس في نواياه إلا أن هذا الأخير عبّر له عن رغبته الكبيرة في الوقوف إلى جانبه، وهو ما شجّعه على مواصلة حركة الجهاد والتصدي لمعارضيه من الداخل طالما تأكد من المنزلة التي حضي بها لدى السلطان.

إن استرجاع تلمسان حضي أيضا بمواقف إيجابية لدى الشعراء والأدباء وكان من بين هؤلاء الوزير محمد بن إدريس الذي ألّف قصيدته النونية الآتي مطلعها: [1]

بشرى بفتح كسا الإسلام إحسانا وصار منه لعين الدين إنسانا

صنع جميل سمت فضلا صنائعه لوحشة الدهر والأيام إنسانا

فأصبحت ووجوه السعد مشرقة بها جهارا كان الكفر ما كانا

لله فتح غدا للذكر فاتحه وصار كالخط فوق الكتب أركانا

وبعد عودة وفد الأمير من المغرب حاملا هذا الخطاب[2]، كان عبد القادر يعاني من ظروف صعبة. ضغوطات كبيرة من فرنسا التي أرادت تعديل معاهدة تافنا، وطلبها بإرسال وفد من الأمير إلى فرنسا، هذا من جهة، وضغوطات شيخ الزاوية التيجانية من جهة أخرى.

وللخروج من هذا الواقع فإن عبد القادر يرسل مرة أخرى بوفد رفيع المستوى إلى السلطان، ترأس الوفد شقيقه محمد السعيد وبرفقته الحاج محمد فاخه مصحوبين بهدية وكتاب إلى السلطان ضمّنه ثلاثة نقاط رئيسية هي: إشعاره بطلب فرنسا الخبيث بإرسال وفد من جانبه إلى باريس وبأن نفسه تميل إلى الخلوة والعبادة وتنفر من ثقل ما تحمله من أعباء الإمارة طالبا منه أن يُعيّن مبعوثا عنه في مكانه« نحن الآن نرجو من سموكم أن ترسلوا أحد أبناءكم أو أحفادكم أو خدامكم لتولي سلطان الحكم ...و سأكون أول من يعمل تحت راية من ترسلونه و أن أُسخّر كل إمكانياتي الضعيفة إلى أقصى حد لذلك، وأن أساعده بالرأي والنصيحة»[3] وأخيرا عرّفه بما أجراه من أخذ زكاة عين ماضي عن خمس سنين.

وحسب العربي إسماعيل فإن الوفد غادر الجزائر خلال شهر نوفمبر 1837[4]، وعندما وصل فاس أكرم السلطان نزلهم ولاطفهم وسألهم عن أحوال الأمير فأخبروه بالأمر، وبعد أن قضوا بضعة أيام رجعوا إلى الأمير مصحوبين بكتاب السلطان الذي ضمّنه الإجابة عن أسئلة الأمير التي أورد صاحب التحفة جزءا كبيرا منها، ولأهميتها أفضّل الوقوف عندها.

1- الناصري الفاسي: (محمد بن إدريس وزير مولاي عبد الرحمان وشاعره)، المرجع السابق، ص173.

2- من خلال مضمون جواب السلطان يمكن القول بأن الوفد غادر الجزائر بعد فتح تلمسان ووصول الخبر بالفتح إلى السلطان خلال شهر جويلية 1837، فلا شك أن الوفد يكون قد وصل خلال شهر أوت، أما تاريخ عودته فقد تكون خلال شهر أكتوبر 1837، وأثناء عملية البحث لم يحالفني الحظ في العثور على هذه الرسالة ولا على من ترأس هذا الوفد.

3 - شارل، هنري نشرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص157.

4- يرى ذلك في كتابه العلاقات الدبلوماسية،ص229،إلا أن صاحب التحفة يؤرخ له بفيفري1838 والإجابة بفيفري1839 وهو تاريخ خاطئ لأنّ ما جاء في الرسالة وما قام به مثلا من إرسال الوفد إلى باريس كان في شهر مارس 1838،فما فائدة استشارة السلطان طالما يدرك بشأن الوفد يصل بعد وصول ابن عراش إلى باريس ؟

افتتح السلطان خطابه بالتحذير من مكائد العدو الفرنسي في قوله «فقد مارست أحوال العدو... فكن من مكائده على بال، ومن أمر غدره على بصيرة واحتيال، فطالما أسر حسوا في ارتغاء»[1].

ثم شجّعه على مواصلة حركة الجهاد بعد أن عدّد له فضائله قائلا:«فكيف يسوغ لك التقصي؟ وقد رفعت بك في ذلك القطر راية الإسلام وانتظم أمر الخاص والعام... ولولا وجودك وجدّك لتفرقت أشياع تلك القبائل الإسلامية شذر مذر، ولافترست كلاب الروم أهله... ولكن الله سبحانه تداركه بإقامتك... ولن تعدم من الله عونا ومددا»[2].

ففكرة تخلي عبد القادر عن الإمارة رفضها السلطان رفضا قاطعا، وأسجل هنا أنه للمرة الثانية يطلب فيها من السلطان إعفاءه وإرسال من ينوب عنه، وطلبه هذا جاء في ظروف حسنة، وهو ما يؤكده الأمير نفسه «إن شعب الجزائر متحد الآن،وأن علم الجهاد قد طوي، فالطرق آمنة وكتاب الله وسنة رسوله هما فقط أساس الأحكام... كل ذلك يعود إلى تأييد الله الذي جاءنا من دعواتكم ورضاكم عنا، ولولا ذلك لكنت أضعف الناس على إنجاز هذا»[3].

وهذا الطرح من عبد القادر في مثل هذه الظروف يمكن تفسيره بما يلي: إما لرغبته في ترك هذا الأمر والتفرغ لحياة الزهد والعبادة من جهة، أو لاختبار نوايا سلطان فاس نحوه من جهة أخرى، ويمكن استبعاد الاحتمال الأول لتوجهه نحو الاهتمام بالجيش والأسلحة التي تدل على إيمانه القوي بالاستمرار في الجهاد.

يواصل صاحب التحفة القول أن عبد القادر عندما وصله خطاب السلطان وبعد أن قرأه وفهم محتواه صمّم على إرسال مبعوث عنه إلى ملك فرنسا، فوقع اختياره على معتمده وناظر شؤون خارجيته ابن عراش الذي أرسل معه كتاب وهدية إلى الملك[4] في يوم: 03 مارس 1838، وبرفقة كل من يهوذا بن دران وأبو ضربة.

وصل الوفد إلى باريس يوم :13مارس 1838م وفي هذه الأثناء كتب "فالي "إلى رئيس الوزراء مولي يحثّه فيها على عرقلة الوفد والحذر منه: «رغبة في المحافظة على علاقاتنا مع عبد القادر، لم أعارض سفر هذين الرجلين، ولكني أحتفظ، لنفسي بالحق في أن أُعرّف الحكومة بشخصيتها، فأما ابن داران فهو متآمر جشع لا يرى في المفاوضات بين العرب والفرنسيين سوى فرصة لزيادة ثروته وأما أبو ضربة فهو يُبغض المسيحيين »[5].

وهذا يُعبّر عن مدى التآمر الفرنسي لعرقلة نشاط الوفد.

استُقبِل ابن عراش في باريس بصفة رسمية، إلا أنه مُنِع أثناء الحديث معه من الدخول في مفاوضات بشأن القضايا الرئيسية التي سافر من أجلها باعتبار أن –حسب رأيهم- ابن عراش جاء حاملا لهدايا فقط!؟ ونتيجة لهذه التصرفات عاد إلى الجزائر.

1- ابن عبد القادر، محمد : تحفة الزائر،المصدر السابق، ص-ص339-342.

2- ابن عبد القادر، محمد: التحفة، المصدر السابق، ص.341.

3- شارل هنري، تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص،156.

4- تشمل عدد وافر من الأبقار والحمر الوحشية وأنواع من البسط والفرش الفاخرة المتخذة من الصوف الناعم النادر الوجود.

5- إسماعيل العربي:(سفارة ميلود بن عراش لدى الملك لويس فيليب خلفياتها ونتائجها) التاريخ ع.6.ص116-117

رجع الوفد إلى الجزائر يوم: 28 جوان 1838م، فاستُقبل من طرف "فالي" الذي كان متحمسا لمعرفة نتائج زيارته ويذكر صاحب التحفة:« أنه عاجله بالسؤال عما وقع له في أمر المعاهدة؟! فأخبره بما أجابه وزير الخارجية في حضرة الملك، فانشرح صدره واطمأن فكره»[1]. وهذا التساؤل يُبيّن لنا مدى تخوف فالي من الوفد الجزائري، إلاّ أن إجابة ابن عراش السلبية حسب رأيي تُعبّر عن فشل هذه الزيارة[2].

وفي هذه الأثناء استغل "فالي" [3] وجود مندوب الأمير بالجزائر، فأجبره على قبول تعديل المعاهدة فيما عُرِف بـ«اتفاق ابن عراش-فالي 4 يوليو 1838»[4]. دون أن يكون عبد القادر على علم بذلك.فكيف كان موقفه من هذا التعديل؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، لابد من التطرق إلى أسباب هذه الزيارة من وُجهتين مختلفتين: فمن وجهة نظر فرنسا: الحديث عن السلم والتعاون المزعوم، بل وحذف بعض النقاط الغامضة في المعاهدة، ومن وجهة نظر الأمير هو محاولته الرامية إلى إدخال قسنطينة ضمن إقليمه حسب توصيات سلطان فاس والرغبة في السلم والتعاون[5].

وانطلاقا من سفر ابن عراش وعودته، ونتيجة للتهميش الذي تعرض له أثناء الحديث عن المهمة التي كُلف بها، وكذلك إجباره على أن يُوقّع على نقاط معدلة، توحي بمدى المؤامرة الفرنسية التي نُسجت ضد التعاون المغربي الجزائري ومحاولة إقصاء عبد القادر عن المغرب والانفراد به أو تشويه سمعته لدى رعيته بالداخل وسلطان فاس والشعب المغربي بالخارج، لكن نجد أن فرنسا تفشل وللمرة الثانية في سياستها وهو ما سيدفع بها إلى التعجيل بعودة الحرب ضد حركة الجهاد الجزائرية، ولكي لا يستفيد عبد القادر من فترة الأمن والاستقرار وهذا ما حدث فعلا.

---

1 - ابن عبد القادر،محمد : التحفة، المصدر السابق، ص344.

2 - تذكر التحفة (وبعد أيام، انقلب المعتمد راجعا من باريس بهدية من الملك إلى الأمير) و الصواب هو: أن الوفد مكث بفرنسا من 13 مارس إلى 28 جوان 1838) ثلاثة أشهر و17 يوما، والسؤال المطروح هنا هو لماذا بقي الوفد كل هذه المدة طالما أنه لم يحقق الهدف الذي سافر من أجله؟

3- سليفان شارل فالي،ولد في مدينة لوشاتو بريان يوم:17ديسمبر1773،عمل في الجندية منذ الصغر،تخرج برتبة ملازم سنة1793، وملازم أول سنة 1794 ، فنقيب عام 1809، عقيد عام سنة 1805، عميدسنة1807، حارب في إيطاليا فيما بين 1809-1811؛ أحيل على التقاعد سنة 1834، ونتيجة لخبرته العسكرية استدعي للعمل في الجزائر في الفترة ما بين 1837-1840، أين استخلفه الجنرال بيجو، مات في يوم:15 أوت 1846،يراجع: G.D.E. Larousse : TOM 10, p10603

4 - سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية، ج1، ص215.

5 - فكرة إرسال سفارة إلى باريس راودت عبد القادر منذ عهد "دي ميشال"، وأثناء فترة الجنرال "بيجو" صمّم على تنفيذها، إلا أنه كان يدرك مدى الانتقادات التي ستُوجّه له من لدن العناصر الدينية المتطرفة حول مهادنته للعدو الفرنسي، ولاحتواء هذا الاحتمال كاتب سلطان المغرب وفقهاءه حول الفكرة، فحظيت كتاباته بالقبول الحسن عندهم، من خلال تشجيعهم له على عقد السلم إن كان لابد منه.

دور السلطان المولى عبد الرحمن في حملة الأمير على عين ماضي 1838[1]:

في الوقت الذي أرسل فيه عبد القادر شقيقه محمد السعيد إلى السلطان، كان قد أعقبه مباشرة بإرسال وفد آخر شبه عسكري وبحوزته أحد المتمرّدين على السلطان وهو الحاج عبد الله[2] للنظر في أمره، ولما وصل إلى السلطان أمر بزجه في السجن، وظل فيه إلى أن مات وهذا العمل من عبد القادر يمكن اعتباره بمثابة رد للجميل الذي قدّمه له السلطان.

لقد حاول عبد القادر استغلال فتوى علماء فاس في خدمة حركة الجهاد الجزائرية خاصة وأنهم أفتوا له بضرورة جمع الشمل ورص الصفوف للجهاد بل ومحاربة وقتل معارضيه، وكان من بين هؤلاء زعيم الزاوية التيجانية محمد الصغير التجاني، ولا أريد هنا ذكر تفاصيل أحداثها التاريخية، بل سأتناولها وفق ما يخدم الموضوع فقط، فكيف كان موقف سلطان المغرب من حملة الأمير عليها؟ وما هي المساعدات التي قدمها له؟ وما هي النتائج التي ترتبت عنها؟

فلقد سبق وأن طرح عبد القادر قضية عين ماضي على سلطان المغرب، هذا الأخير كان له موقف إيجابي عندما أشار على عبد القادر بمعاقبة رئيسها، حتى وإن فتوى علماء فاس أجازت ذلك شرعا، وإقدام عبد القادر على هذه الاستشارة يعود إلى تلك المكانة التي تحظى بها الزاوية التيجانية في المغرب و لتخوفه من المعارضة الدينية المتشددة.

فبعد أن أكمل استعداداته العسكرية في عاصمته تاكدامت، خرج منها متوجها نحو عين ماضي يوم 12 جوان 1838م/18 ربيع الأول 1254هـ، وبرفقته جيش قوامه 6000 خيالة، 3000 مشاة و03 قطع مدفعية وستة مدافع هاوون، فوصلها بعد مسيرة عشرة أيام وكان قد بلغه رفض التجاني السماح له بدخولها، وعندما أدرك عزم عبد القادر على مهاجمته كاتب السلطان المولى عبد الرحمن مشتكيا إليه. غير أن السلطان لم يعترض على الحملة، بعد أن التزم له عبد القادر بعدم اللجوء إلى السلاح، فصمّم التيجاني على المقاومة وابتداء من 02 جويلية 1838 شرعت قوات الأمير في قصفها بالمدافع، وفي هذه الأثناء كاتب السلطان وبطريقة غير مباشرة ليخبره بالوضع الجديد، فأرسل له بكتابين عبر وكيله بفاس الطاهر بن جلون.

طرح له في الخطاب الأول الحجج التي تكمن وراء حملته وابتدأ ذلك بـ:«حبيبنا وصديقنا وأعز الناس لدينا القائم بأمورنا بالحضرة المولوية السيد الحاج الطالب بن جلون... وبادر لقتالنا وخلّط أعراب

1- عين ماضي: مدينة تقع في الجنوب الجزائري، وهي عبارة عن واحة صحراوية، تبعد بحوالي 300كم جنوب شرق وهران صمّم حصنها الداثري ماضي بن يعرب أيام العبيديين، تعيش ضمنه عشر قبائل تعرف ببني عراش، بقيت بعيدة عن تحركات الأمير، عدد منازلها حوالي 400 منزل، شيدت في وسطها دار كبيرة، وأحيطت بسور أنشئ عليه 37 مركز مراقبة، بناه رجل تونسي - اسمه محمود - ارتفاعه من6 إلى 15 مترا، عرضه 2 متر في الأسفل، 80 سم في الأعلى، وزعت على جوانبه حوانيت الحبوب، وغرست البساتين العديدة، أما العين التي ألحقت اسمها بالمدينة، فكانت مصدر الماء الوحيد للسكان وتبعد المدينة بـ78 كم عن الأغواط، بناها محمد التيجاني في القرن 17م وبها زاويته. يراجع :مذكرات الأمير، ص73، التاريخ العسكري والإداري، ج2، ص24، الأطلس العالمي، ص30.

2- محمد بن عبد الله البغدادي، نسبته إلى سيدي عبد القادر الجيلالي، ادعى أنه المهدي المنتظر، شارك محيي الدين في بعض المعارك، ثم انتقل إلى المغرب، فأكرم السلطان وفادته، إلا أنه قاد ثورة فاشلة ضده، ولذلك عاد إلى الجزائر، فحلّ بمنطقة أولاد نايل وأولاد مختار، ادعى أنه المهدي المنتظر وعارض عبد القادر، فحاربه وانتصر عليه، وقد رأى أن يرسله إلى السلطان الذي لم يفلح في القبض عليه.

الصحراء غاية التخليط... أطلعنا له على مكاتب بخط يده لبعض أهل الأغواط يذكر فيها أنّـه خليفـة الله في أرضه مع مكاتب لكافر الجزائر يقول له أن أشغل الحاج عبد القادر من تلك الجهة البحرية وأنا أكفيك أمـره من جهة البر»[1].

ثم يواصل خطابه مُلِيّنًا نظرته نحو التجاني قائلا:«مع أنا كنا نعتقد فيه خلاف هذا ونعاملـه معاملـة المرابطين كخير من أعيان الوطن ولا كان في ظننا أن يقع منه مثل هذا الفعل فكشف الله سريرته فعزمنا علـى السفر إلى الصحراء»[2]. وفي هذه المرحلة يمكن القول أن التجاني والأمير حاول كل منهما كسب ود وعطـف السلطان، ولذلك ظهرت مراسلات عديدة خلالها(الحملة)، ومنها تلك التي بعثها عبد القادر قبل توجهه نحـو عين ماضي وتظهر لنا عندما يذكر الأمير جواب ابن جلون له، قائلا:«ولنرجع إلى جوابكم، فنقول أن ما بعثتـه لنا من البارود والأخبية، وصلنا بارك الله فيك ومتعنا بحياتك»[3]، ويوصيه بما تعهد به السلطان في مسـاعدته: «وإذا وردت عليكم المدافع التي وعد بها مولانا نصره الله فاسع لنا في حرجها من الكور وغير ذلك بلطافة مـن مولانا»[4]. ويخبره أيضا أن صلح تافنا ما هو إلا محطة لبداية الجهاد.

ويوصيه بجمع الأسلحة لذلك:«وما أخّرنا عن عداوته إلا جمع الحرج والإقامة، سهّل الله لنا ذلك علـى يدكم، فلا تقصر في جمع ما هناك... والموكد (كذا) به عليكم أن تجدّ في قضاء السلاح الجيـد...ولتكـن المكاحل بتوا فلها»[5].

ويختم الأمير خطابه بالسلام التام العام إلى أن يقول:«بأمر مولانا الخليفة السيد الحاج عبد القادر أيـده الله»[6]. وبعد هذه الرسالة بشهر يكتب رسالة ثانية إلى الوكيل نفسه يخبره فيها بما فتح الله عليه مـن وجـود منجم الرصاص، كما يوصيه بشراء الأسلحة قائلا:«فليكن في كريم علمك أن الله فتح علينا بهذه الجهة بوجود الخفيف.فإن لم تشروا لنا منه ما في الجريدة فلا عليكم من ذلك فانا وجدنا منه عددا كثيرا، وإن اشتريتم فزيادة ولا نصرة (الأصل ولا مضرة) فيها، وإنا لازلنا محاصرين لقصر عين ماضي»[7].

وفي الوقت نفسه فان التجاني راسل السلطان أيضا وهو ما يشير إليه الخطاب نفسه«وقد عرّفناك بذلك ربما يبلغكم الخبر على غير وجهته»[8]. وهذا يوحي لنا بقوة الصراع الخطابي بين الأمـير والتيجـاني حـول السلطان، ويبدو أن هذا الأخير قد تأثر هذه المرة بنشوب الفتنة بين الزعيمين المسلمين اللذين يمثلان طـائفتين من أقوى الطوائف الصوفية نفوذا في الغرب الجزائري والمغرب الشرقي، وما يؤكد لنا تأثر السلطان هو أحـد

1- George, Yver, (Abdelkader et le Maroc en 1838), R.A, Année 1919,O.P.U. Alger, 1986 , p-p 94-96.

2- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص217.

3- George Yver, (Abdelkader et le Maroc en 1838), Op, Cit, P94.

4- Ibid, P94.

5- Ibid, P95.

6- Ibid, P95.

7- Ibid, P99.

8- Ibid, P94.

التقارير الواردة للقنصل "دوماس" (doumas) «بأنّ السلطان طلب من عبد القادر ترك أهل تحين ماضي في سلام»[1].

إن حصار الأمير لعين ماضي ولّد له معارضة قوية من داخل الجزائر وخارجها فالأسلحة التي اشتراها لجهاد العدو وظّفها ضدّ التيجاني، ولذلك دعاه المرابطون الهاشميون إلى ترك الناس في سلام الذين لا علاقة لهم بالحرب، لأنّه كان يدعوهم إلى الحرب المقدّسة، فرأوه وقد هادن العدو للمرة الثانية، ولذلك قدّموا له شكاويهم باعتباره أنه ضحّى بمصالح الدّين على حساب طموحاته الشخصية.

وما يؤكد هذا التوجه تقرير" دوماس" الذي جاء فيه:«... بأنّ الأمير ومنذ السلم فقد الكثير من تأثيراته الدينة التي كان يمارسها على العرب، وبعثة عين مهدي [ماضي] لم تكن إلا لتزيد من الغضب»[2]. إلا أنّ عبد القادر تمكّن من إقناع معارضيه، عن طريق السلطان نفسه، كما لعب وكيله ابن جلون دورا كبيرا بفاس في تغيير موقف السلطان وفتاوى علماء فاس ضدّ معارضيه.

وما يؤكّد لنا أيضا موقف السلطان الإيجابي هو ذلك الدعم المادي العسكري الذي قدّمه له خلال شهر أوت 1838 والمتمثّل في «أربعة مدافع مع كميات من الذخائر تتكون من ألف ومائتين من القذائف (الكور) ومعها مدفعين لتشغيلها، كما بعث إليه في نفس الفترة بعدّة قوافل محملة بالبارود والبنادق والسيوف، وغيرها من المواد الحربية وبالإضافة إلى هذا الدعم، عمل السلطان على إقناع محمد التيجاني بتسليم عين ماضي إلى عبد القادر والرحيل عنها إلى فاس حيث ضريح والده»[3].

واصل الأمير حصاره لعين ماضي مدّة ستة أشهر[4]، ورغم المحاولات الرامية لاقتحام أسوارها لم يتمكّن منها[5] ونتيجة لضغط السلطان وزعماء الصحراء قبل التجاني الدخول في مفاوضات مع الأمير ابتداء من 17 نوفمبر 1838 بواسطة مصطفى بن التهامي، فطلب الأمان على نفسه ومن معه، ومهلة أربعين يوما، للجلاء عن الحصن، فعرض ذلك على الأمير الذي أجابه بشروط ذكرها صاحب التحفة[6].

استجاب التيجاني لشروط الأمير ورفع عنها الحصار بالتراجع إلى منطقة تاجموت في يوم 02 ديسمبر 1838، بعد أن توجّه التيجاني ومن معه إلى الأغواط، ولم يتوجّه نحو فاس أين دعاه السلطان، ولاشكّ أنّ هذا يعبّر عن غضبه وسخطه من تصرّفاته فدخلها الأمير يوم 10 جانفي 1839، ولم يجد فيها سوى

---

1 - George Yver, (Abdelkader et le Maroc en 1838), Op. Cit, P109.

2- Ibid, P110.

3- ياسين، إبراهيم: مرقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص269.

4- بينما تذكر مذكرات الأمير تسعة أشهر، والصحيح هو ستة أشهر باعتبار أنّ تاريخ الحملة كان 12 جوان 1838، والوصول كان في تاريخ 22 جوان، وبداية الحصار أول جويلية ونهايته مع نهاية ديسمبر 1838، ودخول الأمير إليها كان في شهر جانفي 1839.وبشان حصار الأمير لعين ماضي يراجع: (siège d'Ain Madi par El Hadj-Abdel-kader.B. MOHIED-DIN) R.A.N°8 P-P 354-371

5- يذكر سعد الله أبو القاسم: أنّ قالي مدّ الأمير بمدفعين وبهما تمّ اقتحام المدينة، الحركة الوطنية، ج.1،ص.218، إلاّ أنّ يوسف مناصرية يقول:«ولولا الذخيرة التي وصلت إلى الأمير من وكلائه بالمغرب لما تمكّن من اقتحام الحصن».ص،31. والحقيقة هي أنّ الأمير انطلق بتسع مدافع، وأمدّه سلطان المغرب بمدفعين وبذخيرتهما، وقالي أيضا بمدفعين ليصبح المجموع 13 مدفعا ولا يمكن هنا ذكر طرف وإهمال طرف آخر .ص31

6- ابن عبد القادر، محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق،ص،302.

المستضعفين، فأمر حسب "هنري،تشرشل" «بتخريب الحصن فألصق سوره وسائر دوره وأبراجه بالأرض وغوّر ماؤه »[1].

ويوم 13 جانفي 1839 عاد الأمير إلى مدينة معسكر بعد أن نصّب على منطقة الأغواط الشراقة والغرابة عامله قدور بن عبد الباقي البصري، وهو خلاف ما ذهب إليه يحي بوعزيز أنه عيّن التيجاني في قوله:« فشددوا عليه الحصار حتى استولى على حصنه وهدّمه ثم قام بتعيينه هو نائبا عنه (التيجاني) في المنطقة بشروط خاصة وذلك تأليفا له ولأصحابه»[2].

وانطلاقا من النصوص السابقة الذكر يمكنني أن أسجل ملاحظات عدة منها ما هو إيجابي ويدخل في إطار التعاون الجزائري المغربي، ومنها ما هو سلبي ويدخل في إطار ما يمكن اعتباره أخطاء وقع فيها عبد القادر أثناء هذه الحملة، و الملاحظات الإيجابية يمكن ذكرها في ما يلي:

1- قوة الدعم المادي والمعنوي الذي قدمه سلطان فاس للأمير، ففضلا عن تأييده لمشروع الأمير كتابيا زوّده بالأسلحة والذخيرة لنجاح مشروعه، فالسلطان ضحّى هذه المرة بالطريقة التيجانية لصالح عبد القادر، رغم وزنها القوي الذي تحظى به في المغرب الشرقي.

2- الاتصالات الكثيرة بين وكلاء الأمير في المغرب واتصاله غير المباشر بالسلطان، ومدى الدور الذي قاموا به في إقناع السلطان والرعية المغربية بالوقوف إلى جانب الجزائريين.

3- تأكيد الأمير الواضح و الصريح أنه خليفة للسلطان كما جاء في الرسالتين السابقتين، وهو ما حفّز السلطان على مساعدته، إذ رأى فيه خلال هذه المرحلة أنه أحد رعياه الذي يحتاج إلى الرعاية والحماية.

4- قوة الحجج التي قدمها عبد القادر أمام السلطان ضد التيجاني، إلا أن سعد الله أبو القاسم له رأي آخر في هذه النقطة[3]. ويمكن حصر القضايا التي غُفِّل فيها عبد القادر في ما يلي:

1- لم يتفطن إلى ذلك الدور السلبي الذي قام به "ليون روش" عندما رافقه في حملته إلى عين ماضي، هذا الأخير الذي قام أثناءها بتبني الوساطة بين عبد القادر والتيجاني، فلقد كان يحرض التيجاني مبينا له متانة أسواره وعدم قدرة الأمير على اقتحامها، في حين صوّر للأمير أن التيجاني لا يستطيع أن يصمد أمام الحصار وهكذا ضاعف من توتر العلاقات بدلا من تهدئتها.

2- إقدامه على تدمير حصن عين ماضي المتين، والأخطر من ذلك أن أمر التدمير جاء بعد استشارة "ليون روش" في الأمر، في الوقت الذي كان فيه عبد القادر في أمس الحاجة إلى الحصون والقلاع، ويمكن هنا أن أتساءل هل الأمير كان على قناعة تامة بهذه العملية التخريبية؟ ولماذا لم يتخذ من الحصن قاعدة عسكرية له؟

3- تركه للتيجاني يخرج دون عهود أو مواثيق معينة تربطه بالمجاهدين الجزائريين -المساندة أو الحياد- والأخطر

1- شارل هنري، تشرشل:حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق،ص131 وتتفق معظم المصادر والمراجع حول هذه العملية!

2 - يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1400هـ/ 1980م ص24.

3 - الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص217 حيث يرى حول الرسالة الأولى للأمير (وقد كنا سنحكم على هذه الرسالة وأمثالها أنها من باب التبرير السياسي، لو لم نجد مواقف الشيخ التيجاني تؤيد ما ذهب إليه الأمير) وفي صفحة 308 يقول : وقد كتب الأمير الرسالة إلى الحاج الطالب بن حلون... أو أنه كان يريد تبرير هجومه على الشيخ) وحسب رأيي أن ما قام به التيجاني وأتباعه بعد شهر جانفي 1839 وحتى مع مطلع القرن 20 يؤكد مرة أخرى مدى صحة ما ذهب إليه الأمير، وأنه ليس مجرد تبرير لهجوم على شيخ زاوية دينية.

من ذلك هو لماذا لم يتمكن عبد القادر من كسبه إلى صفه بدلا من تركه يغادر الحصن مغضوبا عليه؟ولا شك أن هذا التصرف دفعه إلى الارتماء مباشرة في أحضان فرنسا! وشكّل فيما بعد خطرا كبيرا على حركة الجهاد الجزائرية، بل وساهم في تصفيتها بالمغرب الشرقي.

5- حملة عين ماضي ساهمت في إضعاف القدرات العسكرية لحركة الجهاد، فعملية الحصار والتدمير الذي تعرض له الحصن باستخدام المتفجرات وإزهاق الأرواح يعتبر في صالح فرنسا وعليه فإن الأمير حاربها هذه المرة وبطريقة غير مباشرة، وهو ما أدى إلى استنزاف القدرات العسكرية لحركة الجهاد.

ورغم ما تم بين الأمير و التيجاني فان عبد القادر لم يكن ضد التيجانية كطريقة صوفية بقدر ما كان ضد التيجاني كشخص، لأن هذا الأخير رفض تماما فكرة « أن يكون هناك سلطانا عربي في الوطن، وبناء على ذلك لم يجب على رسائل عبد القادر إليه، ورآها حطا من قيمته إن استقبل أوامر عبد القادر بدفع المساعدة الشرعية إلى وكيله »[1]، ورأى في أن الاستجابة لهذا الشاب الطموح تنقص من قدرته أمام اتباعه،وما حدث بينهما يشبه تقريبا ما حدث بين الأمير و الحاج أحمد باي.

دور وسطاء حركة الجهاد الجزائرية في المغرب:

لم يكن عبد القادر ليربط صلاته بالسلطان أو العلماء في المغرب فحسب، بل تعدى ذلك إلى أوساط أخرى ذات صبغة تجارية ودبلوماسية، ولقد كان لهؤلاء دور كبير في خدمة حركة الجهاد الجزائرية، انطلاقا من المغرب.

يأتي على رأس هؤلاء الطاهر بن جلون الذي مثّل مصالح الأمير بشكل جيد في المغرب، وكان قد منحه السلطان عشرة آلاف مثقال من الذهب ليشتري بها الأسلحة والذخيرة لحساب الجزائر وهذه الأسلحة والذخيرة «كان يتعاقد بشأنها مع الحاج الطاهر الذي كان ينقل إليه الأموال مع جماعة من المغاربة ومن المغامرين الأوربيين والتجار اليهود»[2].

. وما يؤكد لنا هذا الدور هو تقرير "دوماس" في تاريخ 16نوفمبر1838 إلى قائد جيش وهران بشأن ابن جلون جاء فيه:«إن الشخصية التي تقوم بتزويد عبد القادر في المغرب بما يحتاج إليه من الأسلحة هو تاجر من فاس يدعى الطاهر بن جلون ويتعامل مع جبل طارق بواسطة يهودي يدعى ابن آس»[3].

و لم يكن دوره يقتصر على التمثيل الدبلوماسي فقط، بل دافع عن مصالح الجزائريين أمام السلطان والعلماء، خاصة أثناء حصار الأمير لعين ماضي، لأن السلطان لم يعجبه تصرف عبد القادر وهذا ما أكّده "جورج إ يفر" [4] في قوله:«في سنة 1838 العلاقات بينهما لم تكن جد متوترة، فقد بدا من جديد أن الأمير يريد

1- هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص،129.

2 - إسماعيل العربي: العلاقات الدبلوماسية، المرجع السابق، ص230.

3 - المرجع نفسه، ص- ص 230-331، يراجع: التاريخ العسكري والإداري، ج2، ص220.

4- مستشرق فرنسي عمل كأستاذ بكلية الآداب في جامعة الجزائر، له أبحاث كثيرة نشر البعض منها في المجلة الإفريقية، منها القضية الإفريقية عام 1846م، عبد القادر والمغرب، الموارنة والجزائر، يراجع:المستشرقون، ج1،ص،250.

أن يكون حليفا لعبد الرحمن، هذا الأخير قدّم له تجهيزات حربية، غير أنّ السلطان تعامل هاته المرة مع الأمير بنوع من الحذر»[1].

ولا شكّ أنّ المراسلات السابقة بين الأمير وابن جلون، الذي كان وسيطا له لدى السلطان، تؤكّد ذلك، وتزويد السلطان للأمير بالأسلحة بعد ما تبين بوضوح نجاح المهمة التي كلف بها وهي إقناع السلطان والرعية المغربية بالوقوف إلى جانب حركة الجهاد الجزائرية، وسيتضح ذلك جليا بعد تجدد الحرب في سنة 1839م.

ويأتي الحاج الطاهر في المرتبة الثانية –بعد ابن جلون- الذي كان قد سافر إلى المغرب في تاريخ 31 ماي 1838، مزوّدا من قبل الأمير بمبلغ 25000 "دورو" إلى فاس، فأقام هناك إلى غاية شهر أكتوبر، وخلال تنقّلاته كان على اتصال كبير بابن جلون ومع الجهات التي كان يتعامل معها[2].

وساهم أيضا في دعم القضية الجزائرية،من خلال نجاح المهمّة التي أسندت إليه، وهي التوسّط لدى التجار بجبل طارق، الذين قدّموا له « 400 بندقية، وثلاثين وحدة لباس وعشرون شحنة كبريت، كما تحصّل من بعض الأسواق على 1500 أو 2000 بندقية من النوع الرفيع، مسدّسات، بعض قطع المدافع...»[3].

بالإضافة إلى شخصيات أخرى، لكنّها يهودية مثل "مانوتشي" و"صموئيل" و"ابنصور" بالضفّة الأوربية، هذا الأخير الذي مثّل مصالح عبد القادر هناك، وكان قد زوّده بمبلغ من المال لشراء الأسلحة الإنجليزية، كما حمّله رسائل مهمّة إلى السلطان و إلى بعض الشخصيات المهمّة في البلاط المغربي، ونتيجة لذلك، أبحر "مانوتشي" من المغرب ليحطّ رحاله بالضفّة الأوربية.

ولم يكن "مانوتشي" [4] وحده فحسب، فنجد أيضا "كوردو"و "بنيطو " وما يؤكّد لنا وساطة هؤلاء في تزويد المجاهدين الجزائريين بالأسلحة البريطانية التي تصل جبل طارق، هو تقرير "بيجو" إلى وزير الحربية، بعد معركة موزاية الذي جاء فيه:« إنّ الإنجليز يمدّون الأمير بكثير من المساعدة، ولا سيما الملابس، ولولا مساعدة الإنجليز، ومساعدة سلطان المغرب لأصبح منذ وقت طويل في ضيق شديد»[5].

ولا شكّ أنّ المغرب كان له دور كبير في التكفّل التام بهؤلاء والسماح لهم بحرّية التنقّل والعبور وبوثائق رسمية من السلطات المغربية، كما وفّر المغرب الأرضية الخصبة لنشاطهم، و أشرفت السلطات المغربية على توفير الأمن للقوافل التي حملت هذه المساعدات العسكرية من جبل طارق إلى مدينة تلمسان أين تسلّم

1- Georges, Yver , (Abd el kader et le Maroc) OP.Cit-P.105.

2- ياسين، إبراهيم: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص271، ويراجع العلاقات، ص229.

3- Georges, Yver, (Abd el kader et le Maroc) OP.Cit-P.102.

4- لقد عرفه الكولونيل سكوت بأنه سفير صاحب السمو الملكي الأمير عبد القادر،ولد في جزيرة كورسيكا من أب كان قنصلا لإيطاليا في بترت، لعب دور كبير في تنظيم اتصالا ت عبد القادر مع السلطات الإنجليزية في جبل طارق وخصوصا مع التجار الذين كانوا يمدونه بمختلف أنواع الأسلحة والسلع لتسلم بدورها إلى المجاهدين الجزائريين، يراجع:مذكرات الكولونيل سكوت،ص،14.

5- العربي، إسماعيل: العلاقات الدبلوماسية الجزائرية، المرجع السابق، ص232.

للمجاهدين الجزائريين. وقبل الحديث عن تجدد حركة الجهاد الجزائرية، هناك نقاط كثيرة لابدّ من الوقوف عندها:

- متانة وقوة العلاقات الجزائرية المغربية خلال هذه المرحلة، والتي شارك فيها أكثر من طرف.
- توظيف الأمير لليهود في خدمة مصالحه. والسؤال المطروح هو: كيف اطمأن إليهم وتمكن من كسب ثقتهم في الوقت الذي فقد فيه دعم الطريقة التجانية؟
- تضارب السياسة الفرنسية فهي تارة تعقد معه الصلح وتارة تسعى إلى نقضه وتارة أخرى تقدم له -الأمير- الأسلحة والذخيرة الحربية؟
- تمكن عبد القادر من بناء هياكل للدولة الجزائرية الفتية نتيجة العبقرية والتخطيط والتكتيك. والسؤال المطروح هو: ما هي حقيقة هذه الدولة؟ ولماذا لم يعلن نفسه رئيسا لها وتجنب أن يذكر ذلك في رايته، وفي خاتمه و في عملته ورغم كل ذلك لم يعلن نفسه رئيسا لها، و لم يخرج عن طاعة سلطان مراكش وسيادته[1].
- تباين شديد في المراسلات السياسية للأمير مع كل من ملك فرنسا وبريطانيا وحتى مع السلطان العثماني، فتارة يُعرّف نفسه بالسلطان، وتارة أخرى بالأمير، لكن مع سلطان المغرب يُقدّم نفسه على أساس أنه خادم، مجاهد،خليفة، وسيتضح لنا هذا التناقض في الفصول القادمة[2].

البعد الروحي لعلاقة عبد القادر بسلطان المغرب:

لقد كان عبد القادر كلما حاول الاتصال بالسلطان في القضايا المصيرية إلا وأن يُمهّد له بالاتصال بالعلماء والفقهاء، وهذا ما أقدم عليه وللمرة الثانية، فبعدما اتصل بالعالم التسولي سنة 1837، فها هو هذه المرة يتصل بعالم آخر، قاض القضاة بفاس عبد الهادي العلوي في سنة 1839، ليطرح عليه قضايا خطيرة جدا، ومن أبرزها:

- ما حكم الذين دخلوا في طاعة الكافر؟
- ما حكم الخوارج الإباضية؟
- هل مقاتلة العدو عام في جماعة المسلمين أم هو خاص بالسلاطين من حيث أنهم حاكمون على الرعية؟[3]

لقد تولى الإجابة عن هذه الأسئلة القاضي العلوي نفسه كما ورد في التحفة، وما يعنينا من جوابه، هو ما تعلق بالمجاهدين الجزائريين «وأما إن عجز من حل بهم العدو عن دفعه فيتعين على كل من يقربهم أميرا كان أو غيره، الأقرب فالأقرب أن يدافعه...عبد الهادي بن عبد الله الحسيني وفقه الله في أول يوم من المحرم فاتح عام ستة وخمسين ومائتين وألف»[4].

1- الموسوعة العسكرية، المرجع السابق، مج1، ص434.

2- في الوقت الذي كان فيه السلطان يعتبر بأن عبد القادر يعمل تحت لواءه في الغرب الجزائري وماهو إلا أحد رعاياه الذين حالفهم الحظ في تحقيق مشروعه الوحدوي الذي كان يطمح إليه السلطان، فهل عبد القادر كان الشخص الذي حقق له أهداف أجداده هذه المرة ؟!

3- ابن عبد القادر، محمد :تحفة الزائر، المصدر السابق، ص354.

4- المصدر نفسه، ص389، ويراجع الأسئلة والأجوبة بالتحفة، ص384 إلى ص389.

وإذا كان لجوء الأمير للسلطان في المرة الأولى- 1837- يتسم بنوع من الحدة والصرامة حيث اكتفى بتحكيم الشريعة لإدانة السلطان في تخليه عن إعلان الجهاد، فإنه في هذه المرة التجأ إلى تحكيم الشريعة لا لإدانة السلطان فحسب وإنما للطعن في شرعية سلطته.

ونلمس حدة هذا الخطاب في قوله:«وهل ما تقرر من أن العدو إذا نزل بقوم وعجزوا عن دفعه يتصل الوجوب والخطاب إلى من يليهم عام في جماعة المسلمين؟ أم هو خاص بالسلاطين؟... حتى أن من عجز عن الدفاع بنفسه مع قدرته على الإعانة بما له وترك ذلك يكون عاصيا؟ !»[1].

وحسب عمر بوزيان فإن الأمير كانت له أهداف نبيلة في اتصاله هذا فهو يرى «والواقع أن الأمير الجزائري، كان يريد بجهاده التنسيق مع المغرب كقوة إسلامية مجاورة من أجل استطاعته مواصلة الحرب التحريرية، وإنقاذ الوطن الجزائري من الاستعمار، كما أنه أدرك (بدوره) أن المغرب بدوره مهتم بالمسألة الجزائرية، وأن مصيره مرهون بمصيرها، كما أن الحفاظ على عروبة وإسلام الجزائر، هو حفاظ أيضا على عروبة وإسلام المغرب»[2].

بالرغم من خطورة هذه الأسئلة، فإن إجابة العلوي كانت في صالح المجاهدين الجزائريين، فالسلطان أصبح ملزما شرعا بالوقوف إلى جانبهم. ولكن السؤال المطروح هو: لماذا هذه الأسئلة بالذات خاصة وأن السلطان منذ 1837 لم يبخل بمساعداته عن الجزائريين؟، كما أن ظروف عبد القادر لا تفرض عليه طرح مثل هذه الأسئلة !

و لم يكن هذا فحسب بل نجد أن عبد القادر مع مطلع سنة 1839 وبعد رجوعه من عين ماضي إلى معسكر كان قد بعث بخطاب إلى السلطان ضمّنه نقاط عدة. ولعل أبرزها هو رغبته في التنازل عن لواء الجهاد، والعمل تحت من يرسله السلطان نائبا عنه فيقول:«إنني لم أتقدم متوليا مسؤولية الحكومة بمحض الطموح أو الرغبة في السلطة والجاه، ولكن لأحارب في سبيل الله ولأحقن الدماء بين المسلمين وأحمي أملاكهم... ونحن الآن نرجو أن ترسلوا أحد أبنائكم أو أحفادكم لتولي سلطان الحكم... لأن البلاد موطدة، وسأكون أول من يعمل تحت من ترسلونه... عبد القادر بن محيي الدين، محرم 1254، أكتوبر 1838»[3].

وللعلم فالسلطان يرفض للمرة المرة الثانية تنازلات الأمير عن المسؤولية المنوطة به فكاتبه مشجعا له بالبقاء في منصبه ومواصلة الجهاد في سبيل الله، وأرسل مع الوفد الجزائري بكتاب يؤكد فيه تنصيبه واليا على الجزائر وفي الوقت نفسه أرسل مع الوفد ما يعبر به السلطان للأمير عن الدعم المادي والمعنوي فأرسل له "قفطان الخلافة"[4] كدليل على رضا السلطان عن الأمير الجزائري، وحبا في بقائه حاكما بالجزائر، ولقد تم

1- ابن عبد القادر، محمد :تحفة الزائر، المصدر السابق، ص385.

2- جذور اتحاد المغرب والجزائر1832-1845، المرجع السابق، ص137.

3- هنري،تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 156.

4- خبر هذا القفطان ظل متواترا عند آل الأمير عبد القادر، فيما بعد، ويذكر الفاضل بن عاشور (محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور 1327-1390هـ/1909-1979م،أديب وخطيب،من طلائع النهضة الحديثة الناجين في تونس، يراجع الأعلام،مج7،ص-ص،325-326) أنه رأى بنفسه في دمشق عند عميد الأسرة، الأمير سعيد "قفطانا من الجوخ يتبرك به، ويذكر أنه هدية المولى عبد الرحمن بن هشام إلى الجد الأعظم".يراجع: موقف الدولة المغربية، ص279، عمر بوزيان في مقاله (المساعدة المغربية لثورة الأمير عبد القادر)، ص40.

تتويج عبد القادر بقفطان الخلافة بصفة رسمية وبمحضر رؤساء جيشه في مدينة تازة الجزائرية يوم 03 أوت 1839.

ولقد أكّد "روش" ذلك بأنّ السلطان استجاب لعبد القادر، فبعث بشخصية مغربية ومعها قفطان التعيين، وهي التي ألبسته القفطان ليصبح عبد القادر رسميا خليفة لمولاي عبد الرحمن، وهذا يعتبر نقطة تحول كبير عرفتها العلاقات بين زعيم حركة الجهاد في الغرب الجزائري وسلطان المغرب، وهي تدل على قوّة ومتانة هذه العلاقات. خاصة وأنّ عبد القادر نظّم كل أعماله داخل قالب إسلامي، فكان يعتبر نفسه كخليفة للسلطان المغربي المولى عبد الرحمان أمير المؤمنين[1].

وبشأن هذا القفطان يورد يحي جلال « إن السلطان أرسل بعثة محملة بالهدايا والأسلحة وقفطان خليفة السلطان، مهدي إلى سلطان تلمسان ومعسكر»[2]، وما يؤكد هذا الطرح هو ما ذهب إليه "ليون روش" في قوله: « لقد خلع المبعوث المغربي على عبد القادر في 03 يوليو 1839 قفطان المبايعة الذي يعطيه لقب خليفة مولاي عبد الرحمن سلطان المغرب »[3].

وهذا عكس ما ذهب إليه مولاي بلحميسي في قوله:«وما أن انتهت سنة 1838، حتّى بدأ الجو يتعكّر بين الرجلين، نتيجة نشاط الدعاية الفرنسية، وبدأ صاحب فاس يبدي نوعا من القلق»[4]. ولعلّ المساعدة التي حظيت بها حركة الجهاد الجزائرية بعد هذا التاريخ تؤكد استمرارية التعاون المغربي الجزائري.

وإذا كان عبد القادر قد ظهر أمام السلطان كخليفة له وأمام الفرنسيين والأوربيين كعاهل مستقلّ بل كأمير للمؤمنين، فإذا كان هذا دليلا على نزعته للاستقلال فإنّ ذلك لم يكن ليثير قلق السلطان، ولأنّ هذا السلوك يقدّم له حجّة على حياده، بل ويدفع بالفرنسيين أحيانا إلى الاعتقاد بوجود جفاء أو قطيعة بينه وبين السلطان.

تجدد حركة الجهاد الجزائرية 1839 :

منذ استيلائها على قسنطينة أكتوبر 1837 لم تكف فرنسا عن عرقلة مشروع سلام التافنا، بل ذهبت إلى البحث عن الحجج والذرائع لخرقه، ومن بين ما قامت به هو محاولتها استغلال مشروع اتفاق (فالي- ابن عراش)، فقامت بإرسال مندوبها "دوسال" للتباحث مع الأمير حول هذه النقطة[5]، فما كان من عبد القادر إلا أن عرض الأمر على مجلس الشورى في اجتماع عقده له.

ويذكر صاحب التحفة بأنّ نتيجة الاجتماع كانت رفض التعديل المقترح من فرنسا:«ولا نرضى بالدنية في ديننا، ولا بما يخل شرفنا، فالنار ولا العار، فإن كانت الدولة الفرنساوية (كذا) ترضى أن تبقى على

1 -الركاب، بوسف: (معركة ايسلي أسبابها، عواقبها التاريخية والسياسية)، المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912، ج2. الحمدية، ص،299، 1987.

2 – مسألة الحدود المغربية الجزائرية و المشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص.115.

3 – رشيد، بورويبة: (القلاع والحصون والمؤسسات التي أنشأها الأمير عبد القادر)، المرجع السابق، ص.93. ويراجع أيضا: ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، ص.81.

4- مولاي، بلحميسي: (الأمير عبد القادر والسلطان مولاي عبد الرحمن من الألفة والوئام إلى الجفوة والخصام)، المرجع السابق، ص49.

5 – تبقى إشكالية النص العربي والنص الفرنسي لمعاهدة تافنا محل اختلاف بين من تناولوا الحدث.

ما انعقد عليه الصلح في تافنا فذلك وإلا فالحرب وبالله المستعان»[1]. ولقد حاول عبد القادر من جهته الاتصال بالملك الفرنسي، لإقناعه بأهمية السلم بالنسبة لهما، إلا أنه سبق لهذا الأخير وأن عرقل بعثة ابن عراش بباريس.

لم تكتف السلطات الفرنسية بالامتناع عن الإجابة، بل تعدت ذلك إلى استفزاز الأمير عن طريق عبورها لمضيق البيبان[2] أثناء رحلة ابن الملك من قسنطينة إلى الجزائر وهذه العملية تعتبر انتهاكا لجلالة الملك الفرنسي الذي سبق له وأن صادق على المعاهدة، وسكوته هذا يعكس لنا مدى تورطه في جريمة إعلان الحرب من جديد.

ونتيجة لذلك كاتب عبد القادر المارشال "فالي" معلنا له تجدد الحرب ضد فرنسا ومن ما جاء في كتابه : «ومررتم بابن الملك في عساكركم الكثيرة في بلادي، من الجزائر إلى قسنطينة... إن القصد من فعلكم هذا هو إظهار التعدي على حقوقي... والحال أن فعلكم هذا هو نفسه ناقض للمعاهدة مبطل لها... وبناء عليه أعلن لكم أني عزمت على استئناف الحرب وبالله المستعان»[3]. وفي الوقت نفسه اجتمع بالمجلس الحربي الذي تمخض عنه إعلان الجهاد من جديد يوم 19 نوفمبر 1839، وسأحاول هنا الوقوف عند أهم النقاط التي استهدفتها حركة الجهاد دون إسهاب، وكيف كانت ردود فعل المغرب حولها؟

استهدفت الهجومات الأولى منطقة متيجة، وعندما انتشر خبرها سارع الجزائريون للمشاركة فيها، في الوقت الذي سارع فيه خلفاء الأمير بتضييق الخناق على الحاميات الفرنسية الداخلية منها والساحلية، وللعلم فهذه الهجومات كانت اندفاعية أكثر منها شيئا آخر، بينما كان رد الفعل الفرنسي عبر مرحلتين حسب خطة "فالي" في الهجوم.

الخطة الأولى تستهدف المدن الداخلية الكبيرة، أما الخطة الثانية فهي اتخاذ هذه المدن كقاعدة للانطلاق نحو الداخل، ولتحقيق ذلك قدّمت له حكومته 19000 جندي وضابط خلال شهر فيفري 1840، ورغم محاولات " تيير" عرقلت مشروع "فالي" الذي كان ينادي بالاكتفاء بالمرحلة الأولى، إلا أن هذا الأخير تمكن من الانتصار لرأيه.

فشرع في تنفيذ خطته يوم 15 مارس 1840 مستهدفا شرشال التي تمكن من احتلالها، ثم توجه نحو المدية التي احتلها أيضا في تاريخ 17 ماي 1840 بعد جلاء الأمير عنها وخلال شهر جوان 1840 تمكن من احتلال مليانة، ورغم المحاولات الرامية إلى عرقلة مشروع"فالي" من طرف المجاهدين الجزائريين إلا أنها منيت بالفشل.

---

1 - ابن عبد القادر محمد: التحفة، المصدر السابق، ص 348.

2 - يراجع ذلك جيدا في التحفة: ص353، المارشال بيجو، ص62.

3 - ابن عبد القادر، محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق، ص354.

والملاحظ هنا هو أنه في خلال مدة زمنية قصيرة جدا[1]، تخسر حركة الجهاد ثلاث مدن رئيسية. فهل هذا يعود إلى ضعفها أم إلى قوة فرنسا ؟ أم إلى وجود قواعد خلفية جزائرية أصبحت تعمل ضد حركة الجهاد الجزائرية؟[2]

لا شكّ أنّ اتباع الطريقة التيجانية كان لهم دور كبير في هذه المأساة، لأن التيجاني دخل في خط المواجهة المباشرة ضد حركة الجهاد الجزائرية، فلقد سبق له وأن اقترح على "فالي" المشروع التالي: «كون العرب طلبوا منه هو (التيجاني) أن يكون أميرا عليهم فأجابهم بأنّ الإمارة تقتضي وسائل الحرب وهم لا يجدونها في صحراء تعين فرنسا لباي على المدية ... على أن يكون هو التجاني كبير أهل البادية، ... ويتعهد بطاعته والدخول تحت نظره، ويدفع إليه الزكاة ... وبذلك تبعد من كان غريبا عنك وعدوا لك، ولأن العرب غاضبون من الأمير لأنه قدم الصغير وأبعد الكبير »[3].

ونتيجة للهجومات الفرنسية السابقة أصبحت فرنسا تسيطر على جزء كبير من الساحل ولكن مع انطلاق مناقشة ميزانية 1841، ظهرت هناك بعض الاختلافات حول مصير الجزائر بين خصوم الاستقلال ومؤيديه فـ "بيسكاتوري "يرى أن:« إفريقية معناها الخراب في السلم والضعف في الحرب، إفريقية مصيبة وجنون»[4]، إلا أن "تيير "الذي كان من قبل مُعارضا لـ"فالي" يرى عكس ذلك:« هي مهد البطولة التي تُثير قصص المعارك فيها الأطفال وتُسيل دموع النساء »[5].

وللخروج من هذه الإشكالية، قررت حكومة "صولت "التي حلت محل حكومة "تيير" في 29 أكتوبر 1840 استدعاء المارشال "فالي" يوم 29 ديسمبر 1840 وتعيين الجنرال "بيجو" كقائد لجيش إفريقية، ومع تعيينه تظهر لنا معطيات تاريخية جديدة في تاريخ العلاقات بين الجزائر والمغرب سنعرف أحداثها في الفصل الرابع، وقبل ذلك يجب الوقوف عند ردود فعل الشعب المغربي والسلطان من تجدد الجهاد الجزائري.

ردود الفعل المغربية:

فبعد استئناف حركة الجهاد ونتيجة للانتصارات التي حققتها، كان لها صدى قوي في المغرب على المستوى الرسمي والشعبي، والذي أظهر حركة قوية من العطف والمؤازرة وما يؤكد لنا ذلك، ما ذهب إليه القنصل الفرنسي بطنجة "دوري نيون " في تقريره إلى وزير الخارجية في تاريخ 08 جانفي 1840 الذي جاء فيه:«إن من المؤكد أن استئناف الأمير القتال، قد أثار حماسا كبيرا في داخل المغرب وظهرت حركة قوية جدا من العطف عليه، وازداد التعصب قوة بين الجماهير، وكذلك يسارع المسلحون من جميع الجهات للمساهمة في الجهاد »[6].

---

1 - تقدر بأربعة أشهر فقط (مارس 1840 إلى جوان 1840).

2 - إذا سلّمنا بأنّ الأمير استفاد من صلح تافنا كما ذهب إليه البعض فإن الواقع عكس ذلك، فمرحلة الهدنة قضاها في الحروب غير المباشرة، خاصة وأنّ فرنسا عرفت جيدا نقاط القوة والضعف في حركة الجهاد الجزائرية

3 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص219.

4 - إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص206.

5 - المرجع نفسه، ص 206

6 - جلال، يحي وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية و المشكلة الصحراوية: المرجع السابق ص123، ويراجع: المقاومة الجزائرية، ص235.

ولم تكتف الرسالة بهذا بل وصفت لنا أيضا حجم الدعم المغربي للجزائريين وبمختلف الأشكال «يقوم المغاربة بإرسال الخيول والحيوانات لحمل الأثقال والقمح والمواد الغذائية، كل ذلك بدون مقابل، وفي نفس الوقت يجمع الأعيان الأثرياء أموالا ويبعثون بها إليه (يعني الأمير) »[1].

وتؤكد الرسالة بأن هذه الحركة كانت تحت إشراف السلطات المغربية ووفقا لتوجيهاتها « وهذه الإعانات تشجع على جمعها السلطات، والمولى محمد بن السلطان والباشا بياس، هما اللذان يتلقيان رسائل الأمير إلى السلطان ويقدمان إليه أجوبة القصر عنها كما يقومان بتنظيم القوافل التي تنقل هذه الأشياء بصورة علانية ولا يتظاهرون بالتكتم إلا للمحافظة على المظاهر»[2].

ولضمان الإمدادات المغربية نجد أن عبد القادر راسل سلطان المغرب بعد ثلاثة أيام من إعلان الجهاد يوم 23 نوفمبر 1839، ناقلا إليه خبر الانتصارات والإنجازات التي حققها في الوقت الذي طلب منه أن يمده بالسلاح والذخيرة الحربية، فكان رد السلطان أن هنأه ودعا له بالهزيمة على الكفار في تاريخ 21 مارس 1840 في كتاب ضمنه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المحرضة على الجهاد.

ولقد نقله لنا كل من صاحب الإتحاف والابتسام، ولأهميته أورد منه الفقرات الآتية:

« محل الولد البار الأحظى المجاهد الأرضي، السيد عبد القادر بن محيي الدين، أمدك الله بالعون واليقين... هذا وقد وصلنا كتابك الذي فاح نشرا، وأهدى بشارة وبشرى مخبرا بما رزق الله المجاهدين من شحذ العزائم، وما توالى على الكفر وشيعته من النكبات والهزائم»[3]، ثم يعظم له فضل الجهاد فيواصل القول: «وقال عليه السلام وقد سئل عن أفضل الأعمال فقال الجهاد في سبيل الله، وقال من مات و لم يغز و لم ينو أن يغزو مات ميتة جاهلية... فهنيئا لكم يا معشر المجاهدين وبشرى بما لكم من عند الله من الخير العظيم والأجر الجسيم»[4].

وما يؤكد لنا أن تاريخ هذه الرسالة جاء بعد بداية حركة الجهاد، عندما يذكر خروج العدو الفرنسي من قسنطينة، وهي إشارة منه إلى مضيق البيبان السابق الذكر فيحرض الأمير على منازلته والتصدي له، قائلا: «ولعل هذه الخرجة آخر خرجاته لهذا البر، فلا شك أن الله يجعل تدميره في تدبيره فقد عول قبحه الله وأخزاه على الخروج من ثلاث طرق ومن وهران ومن مستغانم ومن قسنطينة في يوم واحد وساعة واحدة على ما بلغنا، وذلك بحول الله بسبب خذلانه وتمزيقه وتوهين كيده وتفريقه»[5].

ويختم كتابه بالدعوة إلى الصبر والمرابطة والثبات «فالصبر ثم الصبر فإن الشجاعة صبر ساعة...فاصبروا وصابروا ورابطوا وابشروا وبشروا وأيقنوا أن الله متم نوره وناصر دينه إنجازا لوعده الصادق وقضائه السابق»[6].

1- إسماعيل، العربي: المقاومة الجزائرية: المرجع السابق، ص235.

2 - جلال، يحي وآخرون : مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص124.

3- أبو العلا، إدريس:تلخيص من مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام،المخطوط السابق، رقم، ص420؛ يراجع: الإتحاف، المصدر السابق ص67.

4- المخطوط نفسه، ص421، ويراجع: الإتحاف أيضا، ص69.

5- المخطوط نفسه، ص422، ويراجع: الإتحاف أيضا، ص70.

6- المخطوط نفسه، ص423، ويراجع: الإتحاف أيضا، ص71.

ولما بلغ السلطان خبر سقوط المدية وملیانة كتب إليه مرّة أخرى ليشجّعه، وفي الوقتَ نفسه بعث إليه بشحنات مهمّة من الذخيرة والبارود والرصاص، خلال شهر جوان (1840، عندما كتب له قائلا: «أمّا عن الذخائر والبارود والرصاص فإنّا نرسلها بواسطة خادمنا بن جلون من أجل معونتكم»[1].

الإمدادات العسكرية المغربية لحركة الجهاد الجزائرية (1837-1840):

انطلاقا من علاقة الغرب الجزائري بالمغرب الشرقي ومن إيمان السلطان وحاشيته ورعيّته بالوقوف إلى جانب الجارة الجزائر، فالمغرب كان يُعتبر المصدر الرئيسي في تزويد المجاهدين الجزائريين بمختلف أنواع الأسلحة والذخيرة الحربية خلال هذه الفترة وبطرق مختلفة جمعت بين البيع أو المساعدة المجّانية أو شرائها من أوساط أوربية، ورغم إيماني الكبير بأن عبد القادر قد أنشأ مصانع حربية إلا أنها كانت غير كافية.

ولتأكيد هذا الطرح أود الإشارة إلى هذه المصانع، وما مدى فعاليتها في الإنتاج الحربي فمن بينها: مصهرة الحديد ومطحنة البارود بتلمسان التي تنجز المدافع، فهذا "دوماس" يصفها لنا بما يلي:«فقد شوهدت الأفران والمصاهر والمنافخ والقوالب والدواليب، ولحد الآن يستخدم فحم الخشب، ويتحرك الجهاز بمساحيق، وقد شوهدت قطعة مدفع جاهزة الصنع... وقد علمنا أن البارود يصنع في تلمسان»[2]. ويواصل في رسالة أخرى وصفه لها «وهناك 13 مصهرا يمكن أن تحتوي ما بين 25 و30 رطلا من المواد وتؤكد بأن هذه الآلة آخذة في العمل وإنها تنتج قنطارا ونصف قنطار من البارود في اليوم... وقد جاءت الأدوات والمصاهر من وهران، وتحرق أشجار المصطكي والغار للحصول على الفحم»[3].

بالإضافة إلى قلعة معسكر ومصنعها الحربي، وقلعة بني سنوس، ومطحنة البارود في قلعة بني راشد ومصانع ملیانة وتاكدامت، ورغم كثرة هذه المصانع،فإنها كانت تعتمد وسائل تقليدية جعلتها عرضة للعطب بين الحين والآخر، وقلصت من مردوديتها، وما يؤكد لنا هذا الطرح الأخير، التقارير الفرنسية الآتية:

ففي 31 مارس،كتب "دوماس" إلى الجنرال "راباتيل" حول مصنع تلمسان مانصه«يقال أن صناعة المدافع بتلمسان لم تنجح وأنهم يقتصرون حاليا على صنع البارود»[4]، ويذكر في التقرير نفسه «إن مصنع تاكدامت مثلا كان لا ينجز سوى بندقية واحدة في اليوم! »[5]. وسبب ضعف مردوديتها لاشك أنه راجع إلى ضعف الوسائل المستخدمة في الصناعة الحربية.

وفي رسالة بعثها إلى الجنرال "غيهنيك" في تاريخ 24مارس1839 وضح له فيها ما يلي«إن التجارب التي تجري على المدافع في تلمسان لم تكلل بالنجاح، وأنه يشتكي كثيرا من إنفاق 20000 بوجو، غير أن هذه الدروس كلها لم تثن من عزيمة الأمير الذي ما تزال لديه فكرة متسلطة في هذا الموضوع»[6]. ويحاول أن يوضح

1- جلال، يحي وآخرون : مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص128.

2- رشيد، بورويبة: (القلاع والحصون والمؤسسات التي أنشأها الأمير عبد القادر)، الثقافة، ع،خاص 75، السنة 13رجب شعبان 1403هـ، ماي -جوان 1983، وزارة الثقافة، الجزائر، ص(87، 101) 96.

3- المرجع نفسه، ص97.

4- مولاي، بلحميسي: (الأمير عبد القادر والسلطان المولى عبد الرحمان)، المرجع السابق، ص48.

5- المرجع نفسه، ص48.

6- رشيد، بورويبة: (القلاع والحصون والمؤسسات التي أنشأها الأمير عبد القادر)، المرجع السابق، ص98.

سبب هذا الفشل في الصناعة إلى طبيعة الأفران المستخدمة، ففي رسالته المؤرخة في 06 مـــاي 1838، يذكـــر «وما تزال التجارب الجارية لصنع المدافع لم تكلل بالنجاح، وليس الآجرّ(الطين المشوي) الـــذي بنيـــت بـــه المصاهر بالآجرّ المقاوم للنار»[1]. واللافت للانتباه أن عبد القادر أسند الصناعة الحربية إلى رجال أجانب أقل مـــا يقال عنهم بأنهم أعداء له[2]، فساهموا في تخريبها والتهاون في إدارتها لعرقلة نشاطها، وكان "روش" هو المؤهـــل للقيام بهذا الدور التخريبي نتيجة للمكانة التي حضي بها لدى الأمير.

وتذكر بعض المراجع أنه اغتنم هذه الفرصة في صالح بلاده « واغتنم "روش" فرصة إعجاب الأمير بـــه، وطلب منه أن يمنحه مهمة تفتيش مصانع الأسلحة والذخيرة، ثم عمل على تخريبها بالاشتراك مع بعض الفـــارين الفرنسيين المكلفين بإدارة هذه المصانع»[3]، و"روش" نفسه هو الذي كان قد ساهم في تبذير الذخيرة الحربيـــة أثناء حصار عين ماضي، وهو الذي طرح فكرة تدمير حصن المدينة باستخدام المتفجرات والمدافع، في وقـــت كان الأمير في حاجة ماسة إليها.

وانطلاقا من عدة وثائق تاريخية وتقارير القناصل الأجانب بالمغرب يظهر لنا دور المغـــرب في الدعـــم العسكري للجزائر، فالمؤرخ "إمري" (Emrit) يذهب إلى القول «لقد بقي المغرب الأقصى مـــدة طويلـــة دار الصناعة ومنجم الذهب للأمير»[4]، ورسالة الأمير إلى وكيله بن جلون تؤكد ذلك أيضا «وإذا وردت عليكـــم المدافع التي وعد بها مولانا نصره الله... والمؤكد به عليكم أن تجدّ في قضاء السلاح الجيد... ولتكن المكـــاحل بتوا فلها»[5].

وتأتي الإجابة على لسان السلطان نفسه في رسالة إلى الأمير خلال شهر جـــوان 1840 «أمـــا عـــن الذخائر والبارود والرصاص فإنا نرسلها إليكم بواسطة خادمنا بن جلون من أجل معونتكم»[6]. وفي تقريـــره في تاريخ 12 جوان 1839، كتب الجنرال "شنيدر" (Scheneidre) وزير الحربية الفرنسية إلى الـــدوق "دلماشـــيا" رئيس مجلس الوزراء، ما يلي:«إن المارشال فالي يؤمن في الواقع بأن الأمير عبد القادر يحصل على الجزء الأكـــبر من الأسلحة والذخائر التي ترسل له من الخارج عن طريق المغرب»[7]، وبغض النظر عن طبيعة هذه الإمـــدادات العسكرية، فالمغرب كان له دور كبير في هذا الشأن «وكان تسليح الجيش النظامي وتجهيزه الشـــغل الشـــاغل للأمير، ومحاولة تنشيط مصانع مليانة وتلمسان وتاكدامت، لم تأت بما كان يرجى... الأمير يتزود بمـــا يبيعـــه الفارون من الجيش الفرنسي وتجار وهران والجزائر، غير أن مساهمة المغرب لا يستغنى عنها»[8].

1- رشيد، بورويبة: (القلاع والحصون والمؤسسات التي أنشأها الأمير عبد القادر)، المرجع السابق، ص97.

2- من بين هؤلاء ليون روش، واليهودي شوفال (عبد الله)، جسترينخر الموفيخي (حميدو)، وأولسن (مصطفى) ...الخ هؤلاء فروا من الخدمة الفرنسية، يراجع: الثقافة، عدد،75،خاص،ص-ص،87-101.

3- يوسف، مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832-1847، المرجع السابق، ص62، ويراجع أيضا للمؤلف نفسه:(ليون روش داخل جيش الامير عبد القادر1837-1839)، سيرتا،العددان،8،9،ص-ص5-18.

4- مولاي،بلحميسي: (الأمير عبد القادر والسلطان المولى عبد الرحمان من الألفة والوئام إلى الجفوة والخصام)، المرجع السابق، ص47.

5-Georges, Yver : (Abdelkader et le Maroc), op. cit. p 94.

6- يحي، جلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص120.

7- المرجع نفسه، ص125.

8- مولاي، بلحميسي: (الأمير عبد القادر والسلطان المولى عبد الرحمان من الألفة والوئام إلى الجفوة والخصام)، المرجع السابق، ص49.

وهذه التقارير وجدتها تخالف ما ذهب إليه مختار حساني في قوله:«وما كتبه محمد السعيد عن الأمير لم يشر إلى أي مساعدة مادية وبشرية حصل عليها الأمير في حربه ضد الجيوش الفرنسية ما عدى بعض النصائح التي لا تسمن ولا تغن من جوع»[1].

والحقيقة أن المساعدات المغربية للجزائريين لم تتوقف، مثل تزويدهم بالمدافع والأموال «فكان السلطان يساعد الأمير عبد القادر بالمال والرجال وهو يعده بذلك ويسميه ويصبره ويسميه في الرسائل بالولد البار»[2]، وعليه فالمغرب كان المصدر الرئيسي لاقتناء الأسلحة من الخارج، وما يؤكد هذا الطرح هو النص الآتي: «فقام المغاربة بدور هام في شراء الأسلحة للأمير عبد القادر، وكانت المدن المغربية مثل تطوان وطنجة والعرائش والرباط قاعدة الاستقبال للأسلحة من الخارج، ثم بعد ذلك توجه إلى فاس ومنها إلى المدن الجزائرية الخاضعة لسلطة عبد القادر»[3].

وبناء على المادة العلمية التي بحوزتي حاولت ضبط حجم الإمدادات المغربية للمجاهدين الجزائريين خلال هذه الفترة (1837-1840) في الجدولين الآتيين:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- (العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي مولاي عبد الرحمن من خلال مخطوط محمد السعيد)، المرجع السابق، ص16.

2- أبو العلا إدريس :مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام، المخطوط السابق، ص420.

3- عمر، بوزيان: (المساندة المغربية لثورة الأمير عبد القادر)، المرجع السابق، ص43.

الجدول رقم(01)[1]*:

تاريخ الوثيقة	مصدرها	حجم القوافل	تاريخ وصولها معسكر+تلمسان	المـــواد المجلوبـــــة
1837/12/11	دوماس	42 بغلا	1837/12/22	بارود، قداحات، سيوف.
1838/01/14	فالـــي	100 بغل	...	بارود، كبريت،فولاذ، سيوف، قداحات.
فيفري 1838	دوماس	...	...	سيوف.
1838/05/05	دوماس	108 بغال 100 بغل	... ...	لم يذكر حمولتها. ألبسة، قداحات، 600سيف فاســـي، 400-500 مسدس، رصاص.
ماي 1838	دوماس	...	...	بنادق إنجليزية.
أوت 1838	دوماس	200 بغل	1838/07/30	بارود، ملح بارود، قداحات.
أوت 1838	دوماس	...	...	04 مدافع، بنادق فرنسية.
سبتمبر 1838	دوماس	...	...	1200 قذيفة مدفع، مؤن، وذخائر، ملابـــس، نعال للمشاة.
سبتمبر 1838	السلطان	...	...	826 بندقية.
أكتوبر 1838	دوماس	100 جمل	...	بارود، ملح بارود.
1838/10/25	دوماس	...	...	400 بندقية إنجليزيـــة، 200 مســـدس، 300 سيف، قداحات، ملابس، كـــــبريت، ملـــح بارود.
1838/11/12	دوماس	...	...	04 مدافع، 2000 بندقية، مسدس، بـــــارود، 300 بندقية إنجليزية، 15 حملا من القذائف.
يناير 1939		...	1839/01/25	20 حملا من البارود.
1839/04/11	دوماس	قافلة	1839/04/15	670 بندقية، 100 قنطار بارود.
1839/10/23	السلطان	...	...	100 قنطار من البارود.

1- ياسين، إبراهيم: (موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر)، المرجع السابق، ص274.

*- توجد بالجدول بعض الأخطاء في زمن الإمدادات (في الإطار رقم6) وحفاظا على الأمانة العلمية نقلته كما هو.

الجدول رقم(02):

تاريـــخ الوثيقـــة	كميـــة ونـــوع الإمـــدادات
مارس-أفريل 1838	07 كسوات من فاخر الثياب + 07 أفراس + 04 مدافع + 60 فرســـا + 10000 مثقال ذهب[1].
أفريل 1838	12 فرسا + قافلة جمال + بغال محملة بهدايا من كل نوع[2]. 2000 بندقية[3]
أثناء حصار عين ماضي	400 بندقية إسبانية + 20 شحنة بارود + 30 وحدة لباس + 20 شحنة كبريت + 1500 إلى 2000 بندقية + مسدسات وقطع مدافع[4].
1838/12/09	150 بغلا محملا بالبضائع + 300 بندقية إنجليزية + 15 حملا من الكور[5].
أثناء 1839/1837	100 قنطار بارود + 1500 بندقية إنجليزية + 04 مدافع + كل الخيام التي بحـــوزة الجيش + كبريت + نعال + سيوف + أثواب قطنية[6].
1839	100 قنطار بارود إنجليزي + 1000 مكحلة[7]. 1000مكحلة، 100 قنطار بارود إنجليزي[8]
ماي 1840	3000 حمل حبوب + 140 بغلا + عتاد حربي من فاس نحو معسكر[9].
1840-1837	2000 مد من القمح، 2000 مثقال، 2000 ريال[10].

1- ابن عبد القادر، محمد: التحفة، المصدر السابق، 318، عبارة عن هدايا قدمها السلطان للأمير.

2- إبراهيم، ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص271، عبارة عن هدايا قدمها السلطان للأمير.

3 - الثقافة، ع 75، ص 128.

4- عمر، بوزيان: (المساعدة المغربية لثورة الأمير عبد القادر)، المرجع السابق، ص44، تقرير القنصل دوماس.

5- Emerit ,M. « L'Algérie à l'époque d'Abdelkader », La rose, 1951. Paris, P275.

ويراجع أيضا: وزارة الإعلام والثقافة،ص71.

6- عبد العزيز، سعود: تطوان خلال القرن 19، المرجع السابق، ص90.

7- MIEGE J. L., « Le Maroc et l'Europe 1830-1894 », [illegible]. Paris 1969 P162.

ويراجع أيضا: عمر بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر 1832-1847، ص119.

8 - تيطوان خلال القرن التاسع عشر، ص. 90.

9 - MIEGE J. L., Le Maroc et l'Europe 1830-1894 , P162-165.

10- ابن زيدان: الإتحاف، المصدر السابق، ص124، مساعدات قدمها السلطان للمهاجرين الجزائريين بالمغرب الشرقي.

الموقف الفرنسي من التعاون المغربي الجزائري (1837-1840):

منذ سفارة "دي لاري" إلى السلطان (1836) والتي ضمنت لفرنسا حياد المغرب، لم تكف المراسلات والتقارير عن ذكر الشكاوي والتنديدات إلى بلاط السلطان الذي انتهك حرمة هذا الحياد، ففي 15 ديسمبر1837، أكد قائد حامية تلمسان الجنرال "كافينياك" أن المراسلات بين السلطان وعبد القادر كانت مستمرة، ورغم امتناع المغرب عن إرسال جنوده لمساعدته، إلا أن تموينه له لم يتوقف. وأكد كذلك بأن الفرسان النظاميين المغاربة الذي تعود قائد وجدة على إرسالهم إلى تلمسان في حراسة بعض التجار اليهود، قد هاجموا الحراس الفرنسيين عدة مرات، كما أنهم كانوا يحملون عادة رسائل من قائد وجدة إلى خليفة عبد القادر، المكلف بحصار تلمسان مصطفى بن التهامي[1].

ونتيجة لهذه الانتهاكات المتكررة لمبدأ الحياد، تدخل القنصل الفرنسي لدى السلطان الذي أجابه في تاريخ 08 أفريل 1837، نافيا أي علم له بوصول أسلحة أو غيرها إلى عبد القادر، وأضاف قائلا: «البر متسع، والطرق كثيرة، ولا يخفى حال التجار إذا وجدوا الربح في محل، يتسابقون إليه ويتحملون المشاق في ذلك ويسلكون الطرق الغير مسلوكة»[2].

ثم أكد له في إجابته بأنه قد اتخذ الإجراءات الكافية، فأبدل قائد وجدة الذي اشتكى منه الفرنسيون، ومنع عبور الحدود حتى من أجل الحج، رغم ما في ذلك من ضرر بالمغرب «وتلك الناحية فيها طريق حجنا ومجال تجارنا يتسوقون من كل بلد من هذه الناحية ومن تلك الناحية ولا حجر عليهم في شيء وأمرهم لا ينضبط من كثرة الطرق، واتساع المجال»[3].

ومحاولة منها لعرقلة التعاون المغربي الجزائري، تبنت فرنسا سياسة فرق تسد فلقد حاولت أن تصور للسلطان استقلالية عبد القادر عنه، ففي شهر أكتوبر 1837 كتب "بيجو" «بأن للأمير عبد القادر مشاريع توسعية على حساب سلطان المغرب»[4]، ورغم إيماني المسبق بخطأ هذا الطرح، فإن هذا التصور كان في صالح السلطان، إذ حاول أن يخفي من خلاله دعمه للجزائر بشتى الطرق والأساليب.

والأكثر من ذلك فإن إجابة السلطان في تاريخ 15 أوت 1839 على احتجاج القنصل "ميشان" بسبب مساعداته للجزائر، كانت قد رسخت هذا الطرح الاستقلالي في قوله:«اعلم أن عبد القادر مستقل، ولا يشتغل إلا بتنظيم بلاده، وليس أبدا تحت سلطتنا لكي نعطيه أوامر أو لكي ننهاه، بالعكس فإن ولاة أقاليمنا المجاورة لهم دائما معه مشاكل حول رعايانا بنواحي تلمسان وذلك لأن كل من يرتكب جريمة أو يرفض أداء ديونه، يفر إلى هذه المدينة ويضع نفسه تحت سلطة الأمير ويمنع ولاتنا من الوصول إلى هؤلاء الأشخاص»[5].

1- ياسين، إبراهيم: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص245.

2- المرجع نفسه، ص246.

3- المرجع نفسه، ص246.

4- المرجع نفسه، ص280.

5- المرجع نفسه، ص280.

إن موقف فرنسا من هذه الإجابات الغامضة والمتناقضة[1]، كان موقف ترقب وحذر وكل ما فعلته هو احتجاجات رئيس وزرائها "تيير" رسميا في تاريخ 10 مارس 1840 لدى إنجلترا طالبا منها وقف تلك الإمدادات عن المغرب وعن الأمير، كما قدمت احتجاجها أيضا عند فتح تلمسان و الإبتهاجات التي ظهرت في المغرب، ولما تقدم "دي لابورت" إلى بلاط السلطان لطلب توضيحات حولها كان جواب البلاط المغربي قويا وعنيفا «قيل له أن السلطان قد أمر بإقامة الاحتفالات ابتهاجا بعودة تلمسان إلى حظيرة الإسلام... وأن الدين الإسلامي يفرض على المغاربة الاهتمام بكل ما يقع لإخوانهم المسلمين من خير وشر»[2].

لم يكن في وسع فرنسا أن تقوم بأكثر من هذا[3] رغم إدراكها القاطع بالإمدادات البريطانية التي تصل الأمير عبد القادر عبر المغرب، حيث يرى "بيجو" «إن الإنجليز يمدون الأمير بكثير من المساعدات لا سيما الملابس »[4]، ويضيف أيضا «إن جميع البنادق التي جمعناها من ميدان القتال هي من صنع المصنع الملكي للأسلحة بلندن»[5]، رغم ذلك، نجد أن الكونت موليه والمارشال "سول" طلبا من السلطان تقديم تفسيرات لتصرفاته أربع مرات متتالية في شهر مارس 1837، وفي جويلية وديسمبر 1839، وفي فبراير 1840[6].

ورغم محاولات تصعيد مواقفها خاصة من طرف "أنطوان دي نيون"(Antoine de Nion) بالتهديد، إلا أن ردود فعل السلطان ووزيره ابن إدريس كانت مليئة بالأدب والمراوغة، ومع عدم قدرة فرنسا على شن حرب مباشرة -حسب فالي- ضد المغرب فالأحرى بها أن تكف عن تدخلاتها وتتحمل المضايقات، وشاركه الرأي "تيير"(Thiers) الذي رأى أن فرنسا لم تستقر بدرجة كبيرة من القوة تسمح لها بفرض رغباتها على المغرب.

ونتيجة لذلك نصح "د ي نيون" في رسالته بالامتناع عن تقديم أية احتجاجات أخرى فكتب له ما نصه: «من الأجدى منذ الآن أن تحتفظ بالمطالب التي قمت بها، وأن تمتنع عن القيام بكل ما يمكنه أن يعقد علاقاتنا مع المغرب»[7]، وفي السنة نفسها كتب أيضا: «وإن كميات الأسلحة والذخائر التي يستمر سلطان المغرب في إرسالها إلى الأمير عبد القادر... هي انتهاك للقانون الدولي بالنسبة لفرنسا، وسيكون لنا حسابا عسيرا نطلبه إلى المغرب»[8].

ومحاولة منها لاحتواء هذا الوضع ستقوم فرنسا بإحداث تغيير على المستوى العسكري، وذلك باستدعائها لـ "فالي" وتعيين الجنرال "بيجو" مكانه في شهر ديسمبر 1840، والذي راهن على وضع حد للتعاون المغربي الجزائري، فإلى أي مدى نجح في ما ذهب إليه؟ سأحاول الإجابة عن هذا التساؤل في الفصل الرابع.

1- أسجل هنا تناقضا كبيرا في مواقف السلطان ففي خلال هذه الفترة دعم وبشكل مباشر المجاهدين الجزائريين بل أرسل بقفطان الخلافة إلى الأمير عبد القادر، وفي الوقت نفسه أجده يصرح مثل هذا التصريح للفرنسيين، فهل هذا التصرف يندرج ضمن سياسة الهروب إلى الأمام؟ أم هي إستراتيجية مغربية جزائرية لتغليط الدبلوماسية الفرنسية؟

2- العربي، إسماعيل: العلاقات الدبلوماسية في عهد الأمير، المرجع السابق، ص229.

3- لأنها كانت مرتبطة بقضية محمد علي باشا وحروبه التي شنها ضد الدولة العثمانية وتدخل بريطانيا في الموضوع.

4- العربي، إسماعيل: العلاقات الدبلوماسية الجزائرية، المرجع السابق، ص232.

5- المرجع نفسه، ص232.

6- جلال، يحي وآخرون : مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص131.

7- المرجع نفسه، ص133.

8- المرجع نفسه، ص133.

خاتمـــــــة

مما سبق ذكره نخلص إلى النقاط الآتية:

- قوة ومتانة العلاقات الجزائرية المغربية خلال هذه الفترة وتعدد مجالاتها، وهو ما أعطى دفعا قويا لحركـــة المجاهدين الجزائريين للمضي قدما في جهادهم للعدو الفرنسي، في الوقت الذي شجعت قبائل المغـــرب الشرقي لمضاعفة دعمها ومساندتها لهم.
- السلطان المغربي لم يلتزم بالحياد الذي تعهد به أمام الفرنسيين في سنتي 1832، 1836 وذلك ومن خـــلال دعمه المباشر والعلني للجزائريين، خاصة في ظل الولاء الذي أفر به عبد القادر له.
- تناقض كبير في معاملات الأمير مع الأطراف الفاعلة آنذاك ففي رسائله إلى فرنسا وإنجلـــترا والســـلطان العثماني، اعتبر نفسه أميرا للمؤمنين وسلطانا عليهم، بينما في رسالته للسلطان المغربي اعتبر نفسه خليفتـــه وخادما من خدامه.
- ارتكاب عبد القادر لأخطاء فادحة من خلال السياسة التي تبناها في محاربة خصومه وعدم تفطنه إلى خطـــر المقربين منه، وتنفيذه لمشاريعه لم يكن أحيانا نابعا من الحكمة والمنطق بقدر ما كان ارتجاليا، وهـــذا مـــا ساهم في تعدد خصومه وإضعاف قدراته العسكرية.
- تجنبت فرنسا الدخول في مواجهة مباشرة مع المغرب مراعاة لظروفها الخارجية آنذاك فـــاكتفت بـــالتنديد والاستنكار، والأكثر من ذلك أن إجابات السلطان الغامضة عن شكاويها وإقراره بعـــدم قدرتـــه علـــى التحكم في رعاياه، ستجعل منها ذريعة مباشرة للتدخل في المغرب متى تسمح لها الظروف.
- فشل سياسة فرنسا الرامية إلى تفكيك التعاون المغربي الجزائري بصورة نهائية، إلا أنها تمكنت وبطريقة غـــير مباشرة من خلق أنصار جدد لها بالمغرب الشرقي والغرب الجزائري وعلى رأسهم الطريقة التجانيـــة الـــتي سنراها فيما بعد تقف بالمرصاد لحركة الجهاد الجزائرية والمهاجرين الجزائريين بالمغرب الشرقي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دور المغرب الشرقي في الجهاد الجزائري (1841-1844)

- مقدّمة.
- السياسة الفرنسية تجاه حركة الجهاد بالغرب الجزائري 1841-1843.
- محاولات عبد القادر الاتصال بالعالم الخارجي.
- اللجوء إلى المغرب الشرقي.
- ردود الفعل المغربية الرسمية والشعبية1841-1843.
- المغرب الشرقي قاعدة خلفية لحركة الجهاد الجزائرية.
- الصراع المغربي الفرنسي من خلال وثائق نادرة (1843-1844).
  - المدخل إلى هذه الوثائق.
- التحرشات الفرنسية عبر التخوم الجزائرية المغربية وردود الفعل المغربية.
- معركة واد إيسلي 1844:
  - الجبهة البحرية.
  - الجبهة البرية.
- نتائجـــــــــــــها:
  - بالنسبة للمغرب.
  - بالنسبة لفرنسا.
  - بالنسبة للمهاجرين الجزائريين في المغرب الشرقي.
- أثر اتفاقية طنجة 1844 على التواجد الجزائري في المغرب الشرقي.
- خاتمـــــــــة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقدّمة

تعتبر فترة ما بين 1841 و1844 فترة حاسمة في تاريخ حركة الجهاد الجزائرية بالمغرب الجزائري، بسبب الأحداث التي عرفتها منطقة التخوم الجزائرية المغربية، خاصة بعد تعيين الجنرال "بيجو" على رأس القيادة العامة العسكرية بالمنطقة، ونتيجة للسياسة التي طبقها دفعت بالمجاهدين الجزائريين إلى اللجوء إلى المغرب الشرقي الذي أصبح قاعدة عسكرية جديدة لهم.

ومنذ ذلك الحين لم تكف فرنسا عن تقديم المطالب والشكاوى للسلطات المغربية متهمة إياها باحتضان المجاهدين الجزائريين، ولذلك طالبت فرنسا بإبعادهم من المغرب الشرقي، وأمام إصرار المغرب على مساعدته لهم ظهرت بوادر الصراع المغربي الفرنسي الذي انتهى بالتصادم العسكري في معركة إيسلي 1844 التي ساهمت في تغيير موازين القوى لصالح فرنسا.

ولتجسيد الانتصار الفرنسي أُرغم المغرب على عقد الصلح في ما عرف باتفاقية طنجة سنة 1844، صُلح فقد فيه المغرب جزءا كبيرا من كرامته وسيادته من خلال النقاط التي تضمنها، بل فتح الباب على مصراعيه أمام النفوذ الفرنسي بالمغرب.

وعليه فحركة الجهاد الجزائرية ستواجه الكثير من المصاعب والعراقيل من السلطات الفرنسية التي ستصبح هي الموجه الرئيسي للسياسة المغربية، إلا أنني وجدت بأن هناك آثارا إيجابية ونقاطا بارزة ستظهر لنا بالمغرب الشرقي لصالح المهاجرين والمجاهدين الجزائريين.

وسأتناول هذه العناصر انطلاقا من وثائق تاريخية محاولا قدر المستطاع مراعاة التسلسل التاريخي للأحداث ومقارنتها ببعضها البعض، خاصة وأن هذه الفترة حرجة جدا بالنسبة للمغرب و الجزائر وفرنسا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السياسة الفرنسية تجاه حركة الجهاد في الغرب الجزائري (1841-1843):

تمّ تعيين الجنرال "بيجو" رسميا خلفا للجنرال "فالي" الذي لم يتمكّن من وضع حد لحركة الجهاد الجزائري، فأبحر "بيجو" من فرنسا ليصل الجزائر يوم 22 فبراير 1841، فعلقت عليه السلطات الفرنسية آمالا كبيرة في وضع حد لها، ولذلك سأتطرق إلى مضمون هذه السياسة وما مدى نجاحها، وكيف واجهتها عناصر هذه الحركة؟

لقد حاول "بيجو" أن يوضّح إجراءاته المستقبلية أثناء عقده مجلسا علميا لأركان الحرب جاء فيه:«وتأكد لدي أنّ الرأي الذي نتوصل به إلى تفريق كلمتهم، وإخضاعهم للطاعة، هو أن يتصدّى جنودنا أولا للاستيلاء على ممتلكاتهم وحقولهم التي فيها انتجاع ماشيتهم، ومورد رزقهم فإن حصل ذلك فلا شك في الفوز والنجاح واعلموا أن استعمال المحاربة بالنوع النظامي لا يجدينا نفعا، لأن الخصم لا يعرف ذلك، وإنما نقابل العرب بما يقابلونا به»[1]. وانطلاقا من هذا الخطاب فان "بيجو" سيتبع سياسة الأرض المحروقة[2]، ولنجاحها قام بالإجراءات الآتية:

أولا- انطلاقا من خبرته بحرب العصابات ألغى نظام الحملات العسكرية الثقيلة وأبعد عنه مدفعية الميدان واستخدم البغال بدلا من عربات النقل، كما قام أيضا بتقسيم الجيش إلى وحدات صغيرة وبلباس خاص ومؤونة محددة لكي تكون تحركاتها سهلة وسريعة.

ثانيا- اتباع سياسة الاحتلال المتدرج وذلك عن طريق تعزيز المناطق المحتلة بحاميات عسكرية واتخاذ هذه المناطق كقواعد عسكرية في الانطلاق نحو احتلال مناطق أخرى، وفي الوقت نفسه تخريب وتدمير المراكز التي يراها غير مناسبة له لكي لا يستفيد منها الخصم.

ثالثا- طلب الإمدادات العسكرية كلما دعت الضرورة لذلك، فلدى وصوله للجزائر كان تحت تصرفه 75000 جنديا لهم خبرة كبيرة بفنون القتال، ورغم ذلك أمّدته السلطات بـ:« 83000 عام 1842 » ليصل إلى« 90000 عام 1844 » و « 108000 عام 1846 ».[3]

و إذا كانت هذه المعطيات تعكس إصرار فرنسا على القتال، فإن القوات الجزائرية آنذاك وبقيادة عبد القادر ما تزال سيدة على جزء كبير من منطقة الغرب الجزائري وتحتوي خزينته على حوالي: « مليون ونصف فرنك من الذهب وجيشه النظامي يتألف من: 800 مشاة، 2000 فرسان، 20قطعة مدفعية في حالة جيدة، هذا فضلا عن قدرته على استنفار القبائل للجهاد والتي تستطيع أن توفر له قوة غير نظامية قد تصل إلى 50000 مجاهد »[4]. وعليه فإن المواجهة المقبلة سيكون النجاح فيها للحرب النفسية و لحرب والمواقع والعدة والعتاد.

---

1 - ابن عبد الله، السليماني: البيان المعرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق: ص123.

2 - سياسة الأرض المحروقة تترك وراءها: الخراب، الدمار، الحرائق، للقضاء على الوجود البشري بالمنطقة التي تمر عليها كتائب الجنرال. ولقد مارستها فرنسا في حرب التحرير الجزائرية(1954-1962)

3 - جلال، يحي: السياسة الفرنسية في الجزائر 1830- 1900، المرجع السابق ص 145.

4 - المرجع نفسه، ص 149.

بدأ "بيجو" في تنفيذ سياسة بتعيين الجنرال "باراجي - دوهيليير" (Baraguay D'hilliers Achlle)[1] حاكما عاما على ولاية الجزائر — لينتقل هو إلى مستغانم حيث كان "لامور سيير"[2] (Louis De La Morciere) في انتظاره، وانطلاقا من مستغانم كانت الحملات الفرنسية باتجاه كل من المدية وملیانة تحت قيادة "الدوق دونمور" (Duc Denmours) وبإشراف "بيجو" نفسه. وكان من نتائج هذه التحركات هو احتلال المدينتين فاتخذهما كقاعدتين عسكريتين أماميتين أثناء شهر ماي 1841.

ومنهما انطلق بفيلقين، الأول بقيادة "لامورسيير" والثاني بقيادة "الدوق دونمور" وبإشراف "بيجو" أيضا، كانت وجهتهما تاكدامت —التي سبق و أن أمر الأمير بإخلائها من سكانها وحمل ما خفّ من الذخيرة والمؤن- التي وصلها يوم 25 ماي 1841 فوجدها خاوية على عروشها، ورغم ذلك أمر بتخريبها وتدمير حصنها المنيع! ومن هناك توجّه نحو معسكر، إلا أنه واجه مقاومة عنيفة من قوات عبد القادر عند مضيق عقبة خده ومضيق برقوق، فأرغمته على التوجه نحو مستغانم، و منها جدّد عزمه على التوجّه نحو معسكر التي تمكّن من احتلالها وترك فيها حامية عسكرية، وفي المناطق التي مرّ بها كان قد نشر الخراب والدمار ضد قبائلها كالبرجية وأولاد إبراهيم و الحساسنة والجعافرة الموالية للمجاهدين الجزائريين.

خلال شهر ماي 1841 تكون حركة الجهاد قد فقدت الكثير من حصونها العسكرية مثل: بوغار، تازة، سعيدة، في الوقت الذي كان فيه عبد القادر يحارب بني جنسه في الدوائر والزمالة، وهو ما أضعف قدراته العسكرية بشكل كبير، وللعلم فإنّ "بيجو" استخدم الحرب النفسية أيضا من خلال مهاجمة زاوية القيطنة —مسقط رأس الأمير- فخرّبها عن آخرها، ولقد كان عبد القادر يدرك جيدا الوضع الذي أصبح عليه، ولذلك سيتجنّب المواجهة المباشرة مع القوات الفرنسية، ويواصل جهاده بالمحافظة على حرب العصابات التي تعوّد عليها.

وإزاء هذه الانتصارات واصل "بيجو" نشاطه، فطلب إمدادات عسكرية أخرى ليصبح تحت تصرّفه مائة ألف عسكري، ومن وهران كان يُخطط لمستقبله، فقام بعقد مجلس ثان لقواد الجيوش في الجزائر وفاوضهم في تعيين مدينة داخلية تكون قاعدة عسكرية ومركزا لتموين قواته فوقع اختيارهم على معسكر، التي أصبحت نقطة انطلاق نحو الداخل بل ومنها تمكّن —ولأول مرة-من ربط المدن الآتية ببعضها البعض كخط مواصلات: قسنطينة-المدية-ملیانة-معسكر.

لم يراهن الجنرال "بيجو" على الأسلوب العسكري فحسب، بل بدأ في استمالة زعماء القبائل إلى جانبه، تارة بالإغراءات وتارة أخرى بالتهديدات، فقام بالكتابة إلى زعماء الشراقة والغرابة، كبني شقران، وبني غدوة، إلا أنّ إجابة هؤلاء كانت مخيبة لآماله ونصّها:

---

1 - باراجي دوهيليرمن مواليد باريس (1757-1878)مارشال فرنسي برز اسمه في حروب القرم 1854 حيث انتزع من الروس حصن (بومارساند) انتصر على النمساويين عام 1859، يراجع: G.D.E, la rousse, tom.1, p.1037

2 - لامور سيير: من مواليد نانت (NANTES)، (1806-1865) جنرال فرنسي رجل دولة برز اسمه أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر وعندما قام بالجنون الثالث بانقلابه أعدمه وبقاء — ثم تولى منصب قائد للقوات الفرنسية في الإمارة البابوية، يراجع: المارشال بيجو، ص 74.

«لقد وصلنا تحريرك وفهمنا مرادك، وهو دعوتنا إلى طاعتكم على أن تجعلوا بلادنا سعيدة مباركة، ونحن نجيبك أن لا سعادة توازي سعادتنا بالجهاد وحماية الوطن والثبات في وجه مخططاتكم. وإن ديننا يأمرنا بالدفاع عن البلاد ويعدنا بالجنة عند الاستشهاد... فلا مزية لكم ولا فخر بأن تخرجونا من دورنا وتحرقوا أغلاننا، وتغتصبوا أراضينا، ومهما طال الزمن فالنصر لنا»[1]. وأمام هذا الضغط جاءت فكرة الاتصال بالعالم الخارجي.

محاولات عبد القادر الاتصال بالعالم الخارجي

ومحاولة منه لفك الحصار الذي تعرض له الأمير حاول الاتصال بأطراف خارجية لعلها تقف إلى جانبه أو تمده بالمساعدة أو تتوسط له لدى فرنسا، فاتصل بكل من السلطان العثماني والقنصل الإنجليزي بطنجة وجبل طارق ولأهمية هذا الاتصال رأيت من الضرورة بمكان الوقوف عنده خدمة لموضوع البحث، ففي رسالته إلى السلطان العثماني عبد المجيد حاول أن يشرح له أوضاع الجزائر من سنة 1832 إلى سنة 1840 وكذا الحالة العسكرية التي أصبح عليها، ونصها: «وأهل هذا الوطن بالإصانة ضعافا منذ عاملهم عمال الجزائر في السابق بالظلم الكبير والاعتساف ... فهم كلهم يتكففون عالة فقرا (كذا) لقد نفذت في سبيل الله أموالهم، وفنيت في سبيل الله رجالهم»[2].

وشرح له أيضا مدى الحصار الذي ضربه العدو عليه وامتناع المسلمين عن مساعدته !«ونحن أسلمنا إخواننا المسلمون وتركونا أسارى في يد العدو، فهم لنا ظالمون، وتبرأ منا من كان قريبا لنا من الملوك، ومنعونا شراء ما نتقوى به على الكافر، طلبنا منهم الإعانة بالرجال فلم يقبلوا، استعنا هم بالأموال فلم يفعلوا، وطلبنا منهم السلف، فكان عين المحال، ومنعوا رعاياهم من إعانتنا بكل وجه وحال، فما نفعنا قريب ولا مجاور ولا دافع عنا ذو سيف ولا محاور »[3].

ويختم رسالته بالإلحاح الشديد على المساعدة فيضع السلطان العثماني أمام الأمر الواقع عندما حكم الله كشاهد عليه يوم القيامة فيقول: «والمسلمون بهذا القطر لا ينظرون من غيرك إفراج، ولا لهم ملجأ يلجئون إليه غير حظك العالي الأدراج ... فأبصارهم لإعانتك وإمدادك طامعة ... فإن قيل مال عندك المال وافر، وإن قيل جيش عندك العسكر البحر ... فإنك الغيث المدرار، والبحر الزخار، وحضرتكم حضرة إغاثة اللهفان وأنا من عيالك والله سايلك (كذا) عنا فأزل ما أثقل الظهر منا وعنا »[4].

وانطلاقا من مضمون هذه الرسالة، يمكن استخلاص بعض النقاط وطرح نقاط أخرى فيما يأتي:

---

1 - الحسني، بديعة: ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، المرجع السابق، ص109. الرسالة كانت في تاريخ العشرين ربيع الثاني / الحادي عشر حزيران 1841، انطلاقا من هذا الجواب سيسعى "بيجو" إلى كيفية إبطال فريضة الجهاد أو إسقاطها عن الجزائريين، عندما أدرك أن الدافع الديني هو المحرك الأساسي لهم.

2 - التميمي، عبد الجليل: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر وتونس وليبيا 1816-1871.المرجع السابق، ص138، ويراجع أيضا: نصوص ووثائق سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914،ص.ص، 122-127.

3- المرجع نفسه،ص،138.

4 - المرجع نفسه، ص،138؛ وجدت هناك اختلافا لدى من أرخ لها: فحسال فمان أرخ لها بـ(9شوال1257هـ -24نوفمبر 1841) بينما التميمي أرخ لها في 25شوال 1257هـ، 10ديسمبر 1841)، والراجح هو أن تاريخها كان سنة 1841 أي بعدما ضاقت السل عن عبد القادر.

أولا- بالرغم من النقاط السابقة التي حالت دون تعاون عبد القادر مع السلطان العثماني عام 1833، فإنّ الأمير هذه السنة 1841 نجده يستنجد بالسلطان العثماني فهل هي المصلحة أم لدوافع أخرى، ولا شكّ أنّ حمدان بن عثمان خوجة كان له دور كبير في هذا الشأن[1].

ثانيا- مضمون الرسالة التي جاءت في شكل نداءات والتماسات للمساعدة العثمانية تؤكد لنا فعلا الحالة التي وصلت إليها حركة الجهاد، وعليه فالرسالة كانت تُحاول لفت انتباه السلطان للأمير وانّه أحد رعايا الدولة العثمانية رغم العلاقة التي كانت تربطه بسلطان المغرب.

ثالثا- هل كان الأمير يُدرك فعلا مدى الضعف الذي كانت تعانيه الدولة العثمانية؟ وانطلاقا من قوله: «فإن قيل مال عندك المال وافر، وإن قيل جيش عندك العسكر البحر»[2] تؤكّد لنا عكس ذلك.

رابعا- الرسالة جاءت منمّقة في ألفاظها، بل فيها نوع من المبالغة التي مردّها كسب عطف السلطان، والشاهد أنّه إذا كان يقصد في رسالته سلطان فاس« ونحن أسلمنا ...فما نفعنا قريب ولا مجاور». فإنّ الوقائع التاريخية تثبت لنا عكس ذلك.

خامسا- **لماذا عبد القادر لم يتصل بحاكم مصر آنذاك محمد علي باشا[3] ويطلب مساعدته؟ هل لأنّه تعامل مع فرنسا؟ أم لحسابات أخرى؟**

ورغم ما تضمّنته الرسالة من استعطاف فإنّ السلطان العثماني اكتفى بالكتابة إلى الأمير ليحرّضه على مواصلة الجهاد وأن لا يعقد أي معاهدة مع العدو، وفي الوقت نفسه استغل وجود مبعوث سلطان المغرب فقيه بن يوسف بالسّلطنة ليحثه على إخبار سيده بضرورة مساعدة عبد القادر[4]،ونظرا للظروف التي كانت تمرّ بها الدولة العثمانية، لم يستطيع الباب العالي تقديم أية مساعدة للجزائريين في هذه الفترة.

وفي الوقت نفسه كان عبد القادر قد اتصل بالإنجليز أيضا، فكلّف الكولونيل"سكوت" (Scott) للقيام بهذه المهمة خلال شهر ديسمبر 1841، وكان مضمون رسالته إليهم لعقد معاهدة للصداقة أو التوسط له لدى فرنسا أو الباب العالي لمساعدته، ومحاولا استغلال الظروف التي كانت تمرّ بها العلاقات البريطانية الفرنسية

---

1 - للمزيد من المعلومات يراجع كتاب الأستاذ: احميده، عميراوي: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)، وهي دراسة قيّمة عن تاريخ الرجل، وأيضا التميمي في بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ص ص 44-53.

2 - التميمي عبد الجليل: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، المرجع السابق، ص138.

3- محمد علي باشا ابن إبراهيم أغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير(1184-1265هـ/1770-1849)، مؤسس السلالة الخديوية في مصر، ولد في قوله باليونان، والي مصر منذ 1805، تولى أعمال عدة: قضى على المماليك عام 1811، وجّه حملة عسكرية إلى شبه الجزيرة العربية- ما بين 1811-1819 لمحاربة الوهابيين، قاد ابنه إبراهيم باشا حملة عسكرية على سوريا في ما بين 1831-1833 أين هزم العثمانيين في قونية وفي نصيبين سنة 1839، وأمام خطره على الدولة العثمانية تدخلت القوى الأوربية لصالحها، فأرغمته على توقيع معاهدة لندن 1840، يراجع: مصر الحديثة، ص-ص 616-622، الأعلام، مج 6، ص299، المنجد في اللغة والأعلام ص525.

4 - المنوني، محمد: (محاولة السلطان مولاي عبد الرحمن لوضع نواة لشبه كتلة إسلامية)- جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الندوة الخامسة، مركز الدراسات والبحوث العلوية، نيسمبر 93. ص- ص 113-116.

آنذاك إثر معاهدة لندن 1840[1]، إلا أن رد الإنجليز كان هو الآخر سلبيا! وعليه فإن الحل الوحيد الذي بقي للأمير هو الاعتماد على المغرب وتوطيد علاقته بالسلطان، ومع مطلع سنة 1842 تعرف حركة الجهاد الجزائرية نوعا من التراجع خاصة بعدما تمكن "بيجو" من احتلال مدينة تلمسان.

ومحاولة منه لإضعاف صفوف المجاهدين الجزائريين وظف "بيجو" وسيلة جديدة تكمن في: إبعاد الشعب الجزائري عن الجهاد وترسيخ فكرة حتمية الاستعمار، وذلك من خلال إصدار فتاوى فقهية في هذا الشأن، ولقد كان "ليون روش" هو المؤهل للقيام بهذا الدور الخطير، وفعلا قد تمكن من تحقيق هدفه ودليل ذلك ما كتبه "بيجو" إلى وزير الحربية يوم: 29 نوفمبر 1841 « لقد كان سفر روش إلى مكة وانحراره وراء الحجاج أمرا لم أرضه، ولكن نظرا لما كسبناه من وراء ذلك من الناحية السياسية المحضة قد نال إعجابي وصارحته على السعي المحمود »[2].

واصل "بيجو" نشاطه العسكري والسياسي ضد حركة الجهاد فمع مطلع سنة 1842 وخلال شهر جانفي تمكن من احتلال تلمسان دون مقاومة تذكر – بعد أن كان الأمير قد أجلاها – وعيّن على رأسها الجنرال "بيدو" (BEDEAU)[3] ثم توجه نحو حصن سبدو الذي تمكن من تهديمه يوم 09 فيفري 1842 ثم حاول الزحف على قوات عبد القادر الذي كان مرابطا بين جبال طرارة وندرومة، إلا أن عبد القادر فوّت عليه الفرصة لأنه كان قد غادر هذه المناطق وتوغل في أراضي المغرب الشرقي خلال شهر مارس 1842[4].

وخلال شهري مارس وأفريل تشهد حركة الجهاد معارك ضارية ضد الفرنسيين، لأن عبد القادر قد رجع إلى الجزائر ومعه جند كثير من القبائل المغربية التي دعمته برجالها وما لها فوصل حتى مشارف العاصمة – متيجة – وكبّد العدو الفرنسي خسائر فادحة كان أبرزها معركة واد فضة في شهر سبتمبر 1842 ضد قوات الجنرال "شانغاريه"[5] وخلال أكتوبر أوقع الهزيمة بقوات "لامور سيير" في منطقة تاجوين وأبقى على تواجده بالمنطقة عند قبيلة بني أوراغ في جبال الونشريس وحافظا أيضا على عدم المواجهة المباشرة للعدو الفرنسي.

---

1 – معاهدة لندن في تاريخ 15 جويلية 1840، حضرها كل من: النمسا، روسيا، بروسيا، الباب العالي، بريطانيا، أما فرنسا فامتنعت عن المشاركة، ولذلك أعلن المارشال سولت (Soulte) في وصفه لها: إنها معاهدة شومون الجديدة، أما الشاعر والسياسي "لامارتين" (LAMARTINE) وصفها بأنها واترلو السياسة. ولقد ظهر انفعال قوي لدى الفرنسيين وعداء كبير للإنجليز، أما الحكومة الفرنسية فقد شرعت في تهيئة نفسها للحرب. يراجع: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ص47، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص –ص،462-465.

2 – بشأن هذه الفتوى فإن روش تمكن من استغلال عداء التيجانية لعبد القادر ولذلك آمن به التيجانيون وصدقوه فأخذ منهم بعض الأعيان وزار بهم تونس وعلماء الأزهر وشريف مكة، هؤلاء صادقوا على مضمون الفتوى التي تبطل فريضة الجهاد ونصها: يجب على المسلمين معاونة الكفار الذين غزوا بلادهم أو أراضيهم بالقوة، وذلك إذا لم يؤذ هؤلاء نساءهم وأطفالهم وسمحوا لهم بممارسة دينهم وتركوا لهم إمامهم. يراجع: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832-1847) ص-ص 40-41، المقاومة الجزائرية، ص233.

3 – بيدو ماري ألفونس (1804-1863)جنرال فرنسي شارك في عدة معارك ببلجيكا أبرزها بين عامي 1831،1832 أستدعي للجزائر عام 1836شارك بيجو في أعماله، رجع إلى فرنسا عام 1847 شغل بعدها في وزارة الحربية، عزل من منصبه عام 1851 يراجع:
G.D..F., la rousse, tome 2.p.1132.

4 – سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص266.

5 – شانغاريه (changa Rnier- Nicolas) ولد بمدينة أوترن (1792-1877) جنرال فرنسي ورجل دولة عين حاكما عاما للجزائر، أعتقل ونفي أثناء انقلاب نابليون الثالث عام 1851، عاد إلى فرنسا عام 1859. يراجع: المارشال بيجو، ص76.

ونتيجة لهذه الانتصارات الجزائرية وكعادته أقدم "بيجو" على محاولة استمالة شيوخ القبائل إما بالترغيب أو بالترهيب، وكان من أبرز الذين أذعنوا بطاعته: ابن قانة – جانة – في الصحراء الشرقية، والآغا ابن محيي الدين ومصطفى بن إسماعيل وأعوانه الدوائر والزمالة، كما حاول ترهيب قبائل بني صموئيل وبني عمرو وأولاد نهار وأولاد فراج والبرجية، وفي الوقت نفسه قام بعقد مجلس عسكري لأركان حربه بمدينة معسكر ومن أهم ما جاء فيه: « إن الأمير كما ترون قد نزل بجيوشه في ونشريس وجميع من يحاديه من العرب والبربر لم تخرج عن طاعته، علاوة على ذلك فإن فرسان الحشم المشهورين بالشجاعة واقتحام المهالك والشدائد لم يفارقوا أميرهم الذين بايعوه على الموت وخيّموا بأولادهم وأهلهم معه»[1].

ولمحاولة وضع حد لتحركات الأمير قام "بيجو" بما يلي:-تقسيم الجيش إلى ثلاثة فيالق رئيسية، الأول ترأسه "بيجو" ومقرّه الشلف، والثاني ترأسه الجنرال "شانكارني" ومقره البليدة والثالث ترأسه الجنرال "لامورسيير" ومقرّه معسكر، تمكنت هذه الفيالق من تدمير القواعد الخلفية لحركة الجهاد بالغرب الجزائري – الحصون-عن آخرها وهو ما دفع بعبد القادر إلى تكوين الزمالة[2] المتنقلة والتي جمع فيها كل شيء فشغلت بال العدو الفرنسي، ونتيجة للنشاط العسكري الفرنسي ومساعدة أحد الوشاة سقطت الزمالة في يد الجنرال"الدوق دومال" يوم 16 ماي 1843.

اللجوء إلى المغرب الشرقي:

إن سقوط الزمالة يُعتبر مؤشر خطير آلت إليه وضعية المجاهدين الجزائريين في الغرب الجزائري، لأنها تعتبر آخر شيء راهن عليه عبد القادر في المنطقة. وبالتالي فوجهة العدو أصبحت الآن مطاردة الأمير كشخص يقود حركة الجهاد، وأمام ضربات الأعداء من أبناء جنسه وهجمات العدو الفرنسي، أقدم على خطوة رآها جد إيجابية وهي اللجوء إلى المغرب الشرقي.

اضطر عبد القادر أن يلجأ إلى المغرب الشرقي بمن بقي معه من الأهل والأتباع الذين أنزلهم في دائرة خاصة بعين زورة في جبال الريف قرب سواحل البحر المتوسط حسب صاحب التحفة[3]، إلا أن صاحب الابتسام[4] يرى أنه نزل في مكان يقال له عين القصب، ويمكن حصر أسباب اللجوء إلى المغرب الشرقي في ما يلي:

أولا–« والذي حمله على التوجه إلى المغرب كونه كان عادا نفسه منه، وفي أيامه كان يخطب باسمه على المنابر بتلمسان وأم العسكر ومليانة والمدية وغيرها كمازونة والقلعة ويمده بالأسلحة»[5] فهذا إذن سبب تاريخي.

---

1 – ابن عبد الله، السليساني: البيان المعرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب،المرجع السابق،ص125.

2 – الزمالة: عندما استولى العدو على قلاع وحصون حركة الجهاد أنشأ عبد القادر عاصمة متنقلة تتألف من خيام مخروطية الشكل، كل خيمة تضم 33 نفرا، وظهرت ما يعرف بالدائرة وسمي ما يخصه منها بالزمالة وما يخص الأعيان بالدائرة وما يخص الجند بالمحلة تتنبس على 200ألف شخص، وقعت في يد العدو في التاريخ أعلاه فنهبها عن آخرها، خاصة مكتبة الأمير يراجع: مذكرات الأمير، ص109.

3 – تحفة الزائر، المصدر السابق، ص439.

4 – الابتسام عن دولة ابن هشام، المخطوط السابق، ص 424.

5 – محمد السعيد بن محيي الدين : نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته، مخ.م.ح.ج، رقم 109، ص12.

ثانيا–اتخاذ المغرب الشرقي قاعدة خلفية للمجاهدين الجزائريين ينطلق منها للجهاد بالجزائر، ويعود إليها كلّما دعت الضرورة إلى ذلك وفي الوقت نفسه إعادة بناء قواته وتدريبها لمواصلة حركة الجهاد.

ثالثا– توفير الأمن والحماية لدائرته التي أصبحت تحوي ما يعرف بالمهاجرين الجزائريين، وإدخال الاطمئنان إليها ولكي لا تطالها يد العدو الفرنسي في حالة دخوله الجزائر.

رابعا– تكوين جبهة دفاعية وذلك بالتضامن مع قبائل المغرب الشرقي الذين كانت غايتهم التصدي للخطر الفرنسي وتجنيدهم ضمن صفوفه، لأن الخطر أصبح مشتركا ولظروف معينة فالضرورة تقتضي المساندة[1].

خامسا– إقناع الشعب المغربي بضرورة التأهب والتحرك لنصرة أشقائه بالجزائر، وبعث روح الثقة والطمأنينة في نفوس المهاجرين الذين هاجروا إلى المغرب الشرقي.

وبلجوء عبد القادر إلى المغرب الشرقي يأخذ الموضوع المعالج أبعادا أخرى ليصبح أكثر صعوبة وغموضا وذلك بسبب تداخل الأحداث التاريخية أحيانا وتناقضها أحيانا أخرى، وبسبب الآثار التي ترتبت عن ذلك. لأن الصراع هنا ستتدخل فيه أطراف جديدة وبصفة مباشرة، فكيف كان تعامل المغرب مع هذه التطورات الجديدة؟ وما مدى نجاحه في الصمود أمام المخططات الفرنسية الرامية إلى تفتيت وحدة التعاون المغربي الجزائري؟ وقبل الإجابة عن هذه التساؤلات هناك ملاحظات رئيسية يمكن طرحها فيما يلي:

1. إن المواجهة الفرنسية التي تبناها "بيجو" كانت ناجحة، ودليل نجاحها هو فُقدان حركة الجهاد الجزائرية لمراكزها بالمنطقة، في الوقت الذي حافظت فيه على أسلوبها العسكري الذي لم يكن يتماشى ومتطلبات المرحلة.
2. استخدام فرنسا سياسة فرّق تسد التي كانت ناجحة أيضا في تفكيك صفوف الجزائريين الذين ركن البعض منهم إلى مهادنة العدو والبعض الآخر ساندوه مباشرة، ويظهر لنا هذا في سقوط الزمالة مثلا.
3. أصبح عبد القادر كقائد لحركة الجهاد بالغرب الجزائري هو الهدف الرئيسي لجنرالات فرنسا، ولذلك فالضرورة تقتضي إلقاء القبض عليه.
4. إن عبد القادر قد ساهم في تأليب القبائل الجزائرية ضدّه من خلال الحملات التأديبية التي كان يشنها على الذين دخلوا تحت طاعة العدو دون مراعاة الظروف التي دفعتهم لذلك.
5. لجوء عبد القادر وأتباعه إلى المغرب الشرقي كان نقطة تحول في مسيرة الجهاد بالغرب الجزائري، ويظهر هذا التحول من خلال الآثار المترتبة عنه، خاصة وأنّ "بيجو" قد احتفظ لنفسه بحق المطاردة حتى في الأراضي المغربية، هذه النقطة ستفتح باب المواجهة المباشرة مع فرنسا والمغرب الأقصى حول الجزائر.

ولاشكّ أنّ مراسلات عبد القادر لعلماء وفقهاء فاس قد كان لها دور كبير في إذكاء الحماس الديني لدى المغاربة، فبعد التُسولي وعبد الهادي، كاتب عبد القادر سيدي محمد الحراق[2] في هذه الأثناء ليخبره بما هو

---

1 – أديب، حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ج 2، المرجع السابق، ص452 ويراجع أيضا: تحفة الزائر ،ص439. ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص29.

2– هو محمد بن محمد بن عبد الواحد بن يحي العلمي الشاذلي الدرقاوي الشهير بالحراق،(1186-1261هـ/1772-1845م) ولد بمدينة شفشاون –حومة السويقة–. كان غزير زاخرا في العلم، الأدب، التصوّف، الشريعة، ربطته علاقات جيدة بالمجاهدين الجزائريين الذين ساهم بشكل كبير في نصرتهم، من خلال حث قبائل المغرب الشرقي و مريدي الزاوية الحراقية على نصرتهم، يراجع : تاريخ تيطوان، مج 06، ص-ص 289-291، الأعلام، مج7،ص:73.

عليه من جهاد عدو الدين وليطلب مساعدته المعنوية بالوقوف إلى جانبه ونص ما جاء في كتابه: «وبعد فأنا نعلم أنك وجميع المؤمنين متهولون من أمرنا مع الكفار، منتظرون ما يرد عليكم من الخبار... وما أهمنا ولا المسلمين شيء مما أبداه من قوته وأباطيله، وقد أصيب من المجاهدين والخيل في هذه الحروب ألف ونيف... وما أصابنا من خير فبركتكم ودعاءكم ورضاكم عنا ولا تنسونا من صالح دعاءكم»[1]، لاشك إن هذه المكاتبات بعثت الحماس الديني في الشعب المغربي للتحرك أكثر لنصرة الجهاد الجزائري.

ردود الفعل المغربية الرسمية والشعبية (1841-1843م):

منذ تجدد حركة الجهاد عام 1839، لم تكف السلطات المغربية عن تقديم الدعم والمساندة بمختلف أشكالها للمجاهدين الجزائريين ومع مجيء "بيجو" ورغم السياسة التي اتبعها فإن المساندة المغربية استمرت خاصة تلك المقدمة من طرف قبائل التخوم المغربية الجزائرية كالأنجاد والمهاية وبنو واسين، وبنو يزناسن، وعليه فالمساندة المغربية خلال هذه الفترة ستكتسي طابعا شعبيا -قبليا- أكثر منه شيء آخر-رسمي-.

وحسب مذكرات "سكوت" فالأمير كان له صدى قويا في المغرب الشرقي ويذكر لنا أنه تلقى عام 1841م ما قيمته 40 دولار تبرع به أحد المغاربة لصالحه[2]، ويذكر أيضا الدور الكبير الذي قام به السلطان المغربي في توفير الأمن والحماية للقوافل المتوجهة من المغرب نحو الغرب الجزائري والمحملة بالمواد الغذائية والحربية التي منها قافلة "سكوت" نفسه أثناء سفره إلى الجزائر عبر المغرب للالتحاق بالأمير ويذكر أيضا بأنه تلقى هدية ثمينة تتمثل في: 08 جياد عربية وحوالي 1000 بندقية وعدة أطنان من البارود كلها لصالح الثائر الجزائري عبد القادر ورجاله[3].

وهناك شخصيات مغربية ذات نفوذ كبير في البلاط المغربي كانت تشجع السلطان على مساعدة الجزائريين ومن بين هؤلاء : محمد مكوار المستقر بجبل طارق حيث كان يشتري الأسلحة للممثلين الجزائريين بالمغرب ويسهل لهم اقتناءها وذلك في غضون عام 1841م كما كان يبعث الأسلحة إلى الأمير عبر المغرب من الولايات الإيطالية أيضا كما حدث ذلك في سنة 1842م وبالإضافة إلى هؤلاء نجد أيضا: قائد منطقة الغرب بن عودة والتاجر الثري محمد الدكالي[4].

ومع مطلع سنة 1842 وأثناء سقوط تلمسان ثارت ضجة كبير في المغرب، وخاصة لدى السلطان الذي أدرك حينها حقيقة المؤامرة الفرنسية ضد الجزائر، وعليه سيتخذ مواقف معينة لمواجهة العدو الفرنسي، إلا أن القبائل المغربية المرابطة على التخوم و الشعراء المغاربة والأدباء والفقهاء كانوا أكثر حماسا من السلطان،

1 -داود، محمد: تاريخ تطوان، مج، 6، ص، 271.

2 - الكولونيل، سكوت: مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر، المصدر السابق ص28

3 - المصدر نفسه ص-ص65-70.

4 - عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر (1832-1845)، المرجع السابق ص124

ومن بين هؤلاء وزير السلطان نفسه وشاعر البلاط "محمد بن إدريس" الذي ألف قصيدة حماسية من 111 بيتا ضمّنها الدعوة إلى نجدة الشعب الجزائري ورفع لواء الجهاد فكانت تتلى في مجالس الوعظ والإرشاد.

وبالإضافة إلى ابن إدريس نجد محمد غريط الذي كتب هو الآخر قصيدة حماسية حول سقوط تلمسان يحث فيها المغاربة على مساندة إخوانهم بالجزائر ويتأسف حول ما حل بهم من الهوان فيقول[1] :

ما لي أرى جفن أهل الغرب وسنانا ... من بعد ما أخذ الرومي تلمسانا
أين الكماة الحماة ما لهم رقدوا ... والكفر في أخذهم مازال يقضانا
أين الأباة لمس الغيم مالهم ... إليه لم ينفروا رجلا وركبانا
كأن أهل الجزائر أو غيرهم ... ليسوا لنا باعتبار الدين إخوانا
كأنما بهم من الهوان على ... من قد عداهم من أهل الدين هانا
يا معشر المسلمين استيقظوا وخذوا ... من العدا حذركم سرا وإعلانا
فليس يؤمن غدرهم وإن بعدوا ... فكيف إذا أصبحوا للحد جيرانا

وبعد أن بيّن للمغاربة خطر جوار العدو الفرنسي لهم بعدما استولى على تلمسان، ذهب إلى طرح الأدلة التي توجب الجهاد إلى جانب الجزائريين وتوضح فضله عند رب العالمين، فيقول[2]:

تلك الجهات بها الإسلام يندبكم ... لتهدموا بيعا بها وأوثانا
وتنقذوا أهلها من العدو فقد ... أراهم من شنيع المكر ألوانا
والدين أوجب أن تسعى لنصرتهم ... بالنفس والمال أشياخا وشبانا
والله منا اشترى نفوسا كرما ... بجنة جمعت حورا وولدانا
وكم وكم من آية في حظنا وردت ... على الجهاد فما أقل جدوانا
وكم وكم من حديث في فضائله ... يصير الجبناء النكامى شجعانا

ويحاول في الأخير لفت الانتباه أكثر إلى فضل الجهاد في سبيل الله، فيقول[3]:

موتوا كراما فإن الحر يأنف من ... معيشة تدع الحليم حيرانا
لا موت أفضل من موت الجهاد لمن ... يرجو من الله رحمة ورضوانا
إن تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا ... و لتخلعوا في ابتغاء القوم إرسانا

لا شك أن هذه الأبيات الشعرية التي قيلت عقب سقوط تلمسان سنة 1842 كان لها أثر إيجابي في لفت الانتباه إلى ما يحدث في الغرب الجزائري وإلى ما سيحدث للمغرب الشرقي إذا لم ينهض لمجابهة العدو الفرنسي، وأمام نشاط حركة الجهاد الجزائرية الذي قامت به خلال شهر مارس دفعت بالجنرال "بيجو" إلى إثارة البلبلة والشكوك في الأوساط المغربية، عن طريق إرسال الجواسيس والوشاة إلى منطقة المغرب الشرقي.

1 - مجهول: مخ، خ، ع، ر، رقم: 1388 د،ص-ص،25-50، ويراجع أيضا: مظاهر يقظة المغرب الحديث، ص-ص34-35.

2 - المخطوط نفسه،ص.35-40، ويراجع أيضا: مظاهر يقظة المغرب الحديث، ص-ص34-35.

3 - محمد، المنوني: مظاهر يقظة المغرب الحديث، المرجع السابق، ص-ص34-35.

ففي تقرير للقنصل الفرنسي بطنجة إلى وزارة الخارجية في تاريخ 10 جانفي 1842 كان قد ذكر فيه ما يلي: «أحدثت هذه الحالة أثرا عميقا من القلق في فاس، فإنّ الجميع يتوقعون الآن أن يجد عبد القادر نفسه مضطرا إلى الالتجاء إلى المغرب الأقصى، ووجود الأمير هنا سوف يجر إلى عواقب لا يمكن تقديرها»[1]. وهذا التقرير جاء لكي يفكك تلك العلاقة التي تربط عبد القادر بسلطان المغرب، هذا الأخير ودون التروي في أعماله أصدر إلى عماله في شهر يوليو 1842 ظهيرا رحمانيا يمنع فيه المغاربة من إقامة أي علاقات مع الجزائريين، واستنادا إلى هذا القرار أخذت السلطات المغربية تستولي على شحنات الأسلحة الموجهة إلى الأمير في صيف وخريف عام 1842[2].

وتذهب بديعة الحسني إلى القول -دون أن تذكر لنا تاريخ ذلك-« أنّ السلطان قام بضغوطات اقتصادية تجاه الأمير ورفض التعامل بالنقود الخاصة للحكومة الإسلامية في الجزائر في معامل داكمت (كذا)، بينما قبل النقد التونسي، الفرنك أو الشلن الإنجليزي أو الدورو الإسباني وقد أضرّ هذا الإجراء من قبل الحكومة المراكشية كثيرا بحكومة الأمير وحال دون وضع أسس قوية للنقد الجزائري الوطني»[3]، لا شكّ أنّ هذا الإجراء قد كان خلال هذه الفترة ولمدة قصيرة، لأنّه أثناء صدور العملة الأميرية كانت العلاقات حسنة بينه وبين المغرب، والتبادل التجاري كان ساري المفعول.

وإذا سلّمنا بهذه الإجراءات التي كانت وراءها الدبلوماسية الفرنسية فإنّ السلطان المغربي سرعان ما غيّر موقفه لصالح المجاهدين الجزائريين، وذلك من خلال شعوره المتزايد بالخطر الفرنسي والضغوطات التي أصبح يعانيها رعاياه في المغرب الشرقي وبالأخطار المحدقة بالسيادة الوطنية. فصمّم على مواجهة الموقف بالتدخل المباشر للقوات المغربية والإعلان عن الجهاد ضدّ العدو الفرنسي، وما يؤكد لنا هذا الموقف هو الخطاب الذي أرسله إلى ولي عهده سيدي محمد في تاريخ 15 ماي 1842 يخبره فيه بواقعة تلمسان جاء فيه «فإنّ الأعداء أهلكهم الله حسبوا كلّ بيضاء شحمة وقويت أطماعهم ومنتهم أنفسهم وهمّوا بما لم ينالوا، ولما استولوا على تلمسان ورأوا ما عليه أهل حوزها من التواكل والتخاذل والفشل والرعب منه والفرار أمامه ظنّوا أنّ هذه الناحية مثل تلك وأرادوا التعدّي على الحدود ومد الأيدي إلى الإيالة»[4].

ثمّ يأمره مباشرة بأخذ الأهبة والاستعداد برّا وبحرا والتظاهر أمام العدو بالقوة واليقظة فيقول: «فأمر جميع القبائل بإظهار القوة والاستظهار بالعدّة والعدد ليرى من ذلك ما يسوءه وليبلغ الشاهد الغائب... فلتكتب لعمال الثغور وعمال القبائل الموالية لها بإظهار القوة الإسلامية والجيوش الإيمانية وعمارة السواحل بالخيل والرماة والاستظهار بالعدّة وكثرة العدد، فإنّ ذلك ممّا يقوّي سواد المسلمين»[5]، وفي ظل هذا الاستعداد

1 - العربي، إسماعيل: العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص238.

2 - العربي، إسماعيل: المرجع نفسه، ص239.

3 - ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري الحسني، المرجع السابق، ص111.

4 - إسماعيل، مولاي عبد الحميد العلوي: تاريخ وحدة وأنكاد في دوحة الأمجاد، المرجع السابق، ص-ص111- 113.

5 - المرجع نفسه: ص-ص111-113.

المتوالي للسلطة المغربية أثناء سنة 1842 فإن الأحداث المقبلة وخاصة بعد سقوط الزمالة 1843 فإن عبد القادر وجد في المغرب الشرقي البديل الوحيد لدائرته.

المغرب الشرقي قاعدة خلفية لحركة الجهاد الجزائرية:

فأثناء إقامته بالمغرب الشرقي كاتب عبد القادر السلطان مباشرة ليعبّر له عن حسن نيته وليطلب مساعدته في جهاد العدو الذي أصبح يشكل الخطر المشترك والمباشر لهما فأجابه السلطان بما نصه:«وإننا نتمنى الحضور بأنفسنا في غمار المسلمين ومباشرة القتال بأيدينا بين صفوف المجاهدين ولكن ما نحن فيه من قمع العتاة وكف البغاة جهاد بل وأفضل من جهاد النصارى حسب ما نصّ على ذلك إمامنا مالك -رحمه الله- ولو كمل قتالهم وانتظم على الاستقامة حالهم لسرنا وإياهم لنصرة الدين وقمع الكفرة المعتدين، وبذلك ينال الموقف غاية أمله ونية المرء خير من عمله...والسلام»[1].

وفعلا فإن السلطان عبد الرحمن كان منشغلا بتوطيد الأمن في مملكته، ففي هذه السنة جهّز جيشا قويا لإدخال قبيلة زمور الشّلح ضمن طاعته والتي كانت قد تجاوزت الحد في الإفساد وإخافة العباد فأوقع بهم وقعة شنعاء كسّرت من حدهم وفلت من عزمهم، وهناك رسالة كتبها لولي عهده سيدي محمد قبل وفاته سنة 1859 وضّح له فيها أسباب غزوه لهذه القبيلة جاء فيها:« ولكنهم لم يزدادوا إلا عتوا وبغيا،مما اضطره في النهاية إلى اللجوء إلى الشدة وهو هنا يقول :رأينا قتالهم شرعا وجهادهم ذبا عن الدين ودفعا،فاعتمدنا على حول الله وطوله ...فتوالت عليهم الغارات وتوالت عليهم النكبات لا يجدون إلى الراحة سبيلا أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا»[2].

ورغم الأوضاع التي عاشها المغرب في هذه الفترة فان "سكوت" يرى :أن السلطان قد وهب الأراضي التي تمتد بين وجدة و تافنا للأمير عبد القادر كعربون لتقديره له، يعتبر صاحب السمو الملكي خليفة للسلطان على هذه الأراضي[3]، إلا أنه هناك من يرى عكس ذلك،فالسلطان طالما في موقف ضعف فهو لا يستطيع التفرغ لمطاردة الأمير ومنعه من الاستقرار بالمغرب الشرقي، إلا أن هذا الرأي هناك ما يفنده، وإنما منه بمدى الأوضاع التي يعيشها المغرب الشرقي وقوة العدو الفرنسي والحماس الكبير لدى رعاياه للجهاد أقدم السلطان على ترضية محدودة العواقب تتمثل فيما يأتي:

1- تقوية الخلية المخزنية المرابطة في وجدة بحشود عسكرية تنتمي لزمور وبني حسن تسكينا للجماعات الحدودية.

2- اتخاذ تازا قاعدة أمامية لتجميع الحشود المغربية تحت قيادة ولي العهد سيدي محمد دون استفزاز القوات الفرنسية.

3- استنفار قبائل التخوم الشرقية للجهاد تحت قيادات مغربية قوية مثل عامل وجدة والقائد العربي الرحماني[4].

---

1 - ابن عبد القادر، محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق، ص-ص439-440.

2 - حسين، مؤنس:تاريخ المغرب الحديث وحضارته،المرجع السابق، ص-ص،235،236

3- الكولونيل، سكوت:مذكرات الكولونيل سكوت، المصدر السابق، ص62،ينظر الخريطة بالملحق رقم:5

4- علي، المحمدي: المخزن والنظام 1830- 1894، المرجع السابق، ص122

لقد كان لهذه الإجراءات آثارها السيئة في أوساط حركة الجهاد الجزائرية خاصة لدى عبد القادر الذي كان وإلى غاية هذه اللحظات لا يستطيع أن يستغني عن المغرب الشرقي بوصفه جسرا لعبور الأسلحة، ولأن التعزيزات العسكرية المغربية عرقلت وبصفة مباشرة تحركات المجاهدين الجزائريين عبر التخوم المغربية الجزائرية، ومن دلائل هذا الأثر نجد أنه ولأول مرة يمتنع عبد القادر عن إرسال الهدايا التقليدية التي تعوّد عليها إلى السلطان في المناسبات الدينية مثل عيد الأضحى الذي وافق هذه المرة 13 جانفي 1843م.

وإذا كان السلطان قد احتهد في التعامل وفق ما يخدم مصالحه مع عبد القادر فإن هناك قسما كبيرا من قبائل المغرب الشرقي أعلنت عن تأييدها المباشر والعلني للجزائريين، فمثلا عندما هاجمت قوات البوحميدي -بالتعاون مع قبائل الأنجاد- جيش الجنرال "بيدو" الذي كان مرابطا بمنطقة بني بوسعيد خلال مارس وآفريل 1843، فإن قوات كبيرة من حامية وجدة قد انضمت إلى القوات الجزائرية وخاضت معها غمار القتال جنبا إلى جنب ضد العدو الفرنسي[1].

ولا يمكننا كيف نتصور ذلك الموقف الشّجاع الذي وقفته قبائل المغرب الشرقي عندما احتضنت المهاجرين الجزائريين خاصة من بني يزناسن[2]، وللعلم فإن سكان هذا الإقليم ذو نفوس أبية مارسوا الحرب طيلة حياتهم وورثوا ركوب الخيل أبا عن جد ولذلك فلم يبخلوا على الأمير بشيء هو في استطاعتهم، فساعدوه بأسلحتهم وأنفسهم وأراضيهم وتطوّعوا في صفوف جنوده[3] ولم تكن هذه القبائل فحسب هي المساند الوحيد للجزائريين بل نجد حتى أولئك المقربين من السلطان وعلى رأسهم الوزير بيا س وولي العهد سيدي محمد حينما طالبا بتدخل السلطان لا لطرد عبد القادر من أراضيه بل لنجدته ومساعدته عسكريا لكي يسترجع مكانته ولو أدى ذلك إلى إعلان الحرب على المسلمين[4].

ونتيجة للضغوطات الفرنسية والحماس الكبير الذي أصبحت عليه قبائل التخوم والبلاط المغربي المساند للجزائريين فإن السلطان فضّل سياسة الهروب نحو الأمام عندما وجد نفسه عاجزا عن اتخاذ موقف مُشرِّف يُعيد إليه كرامته كسلطان فترك عاصمته -فاس- التي ولّى عليها ابنه وولي عهده سيدي محمد وقصد مراكش[5]، و لا شك أن هذا التصرف قد كان في صالح المجاهدين الجزائريين، إذ أصبح الوزير بياس وولي العهد يتصرفان بحرية تامة وفق ما يخدم المصلحة العامة للشعبين.

1- بويسف، الركاب:(معركة إيسلي أسبابها، عواقبها التاريخية والسياسية)، المرجع السابق، ص297.

2- المشرفي: الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، المخطوط السابق، ص213.

3- المخطوط نفسه، ص.213

4- العربي، إسماعيل: العلاقات الدبلوماسية، المرجع السابق، ص.239.

5- مراكش مدينة عريقة يعود بناءها إلى يوسف بن تاشفين في حدود سنة 470هـ تقع ضمن منطقة جغرافية صعبة المسالك وأصل تسميتها بربري فكان إذا وصلها أصحابها سالمين من سطو اللصوص يقال لهم مراكش أي أسرع المشي،و هي مدينة داخلية انتقل إليها السلطان عبد الرحمان لكي يتجنب استفزاز الدبلوماسيين الفرنسيين و القناصل الأجانب له بشأن ما يحدث في الغرب الجزائري.يراجع:
معجم البلدان، مج5،ص111.و إن هذا السلوك الذي قام به السلطان يذكرنا بما قام به أثناء احتلال فرنسا لمدينة الجزائر سنة 1830 عندما قام بالانتقال من مدينة مراكش إلى مدينة مكناس.

وخلال الفترة الممتدة ما بين (1841-1843) فإن مدينة تيطوان شكلت قاعدة اقتصادية في تزويد حركة الجهاد بالأسلحة بواسطة وسطاء الأمير في المغرب كاليهودي "إبنصور"، فكانت تصدر الكرازي الصوفية التي تقتنيها القوات الجزائرية فضلا عن المكاحل والبارود، ولقد نشط بن نونة المقيم بفاس و"مانوتشي" في توجيهها إلى تلمسان[1]، مقابل منتجات الحرير وبعض الأواني الصفرية إلا أن النشاط الحدودي بدأ يتقلص أثناء سنة 1843 لخطورة الوضع الأمني.

وانطلاقا من خطورة الوضع الأمني على التخوم الشرقية للمغرب فإن السلطان لم يطيب له المقام في محلّه الجديد بمراكش بل أصبح لا يثق في الفرنسيين، فقام بإرسال إمدادات عسكرية جديدة إلى وجدة وأصلح قلعة تازا وركّز القوات المخزنية في كل من فاس ومكناس، و في هذه الأثناء قام الوزير بياس بإرسال الأسلحة والذخائر إلى المجاهدين الجزائريين، كما قام بمساعدة البوحميدي وسيدي سعيد بالعبور إلى الجزائر ليشجّعوا سكانها على مواصلة لواء الجهاد، كما مكّن عبد القادر من الانتقال بحرية عبر أراضي الأنجاد وقبائل الوطاصق كل هذه التحركات تمت بتشجيع من ولي العهد، بل جرت تحت رقابته.

نتيجة للفوضى والاضطراب الذي عرفته منطقة التخوم، ظهر السلب والنهب فيما بين القبائل وأحيانا ضد المهاجرين الجزائريين، وهو ما دفع بعبد القادر إلى القيام بخطوة جريئة وهي تأديب قبيلة الحميان الكبيرة –عدوة السلطان– وأرسل حوالي خمسين أسيرا منهم إلى عامل وجدة تعبيرا عن صداقته ووده للسلطان.

وخلال شهر أفريل 1844م كاتب عبد القادر السلطان يطلب منه توفير الأمن والمساعدة للمهاجرين الجزائريين مستدلا بآيات قرآنية ومعترفا له أنه هو النائب عنه وخادمه المخلص الذي يطلب معونة سيده ونص ما جاء في كتابه:« ملاذ عمدتنا وقاطبة أهل الإسلام ... يكون مطرحين (كذا) بزاوية الإيمان لأننا وإياهم منسوبون من جملة الخدم والعيال ومثل مولانا نصره الله من قال فيهم تعالى جل جلاله: (يحبون من هاجر إليهم) ونحن بك أينما كنا وحيث ما حللنا واستقر المكان بنا»[2] ويختم رسالته بالاعتراف الآتي: «خدم حضرتكم الباذل جهده في مرضاة الله ورسوله ثم مرضاتكم المتوكل في كل أموره على الله وعليكم الموضوع اسمه بالخاتم النايب(كذا) عنكم»[3]. ويتضح لنا من مضمون هذا الخطاب أن عبد القادر ما زال محافظا على طابع الولاء الذي أقرّ به للسلطان منذ عام 1833 رغم الإجراءات التي قام بها السلطان والتي لم تكن في صالح حركة الجهاد الجزائرية.

وللتعبير عن حسن نيته تجاه السلطان قام بإرسال بعثة دبلوماسية إلى المغرب تتكون من الشخصيات الآتية: الميلود بن عراش، ومحمد بن عيسى البركاني، وولد الحاج علي (أغا بني هاشم)، ومحمد بوزيد، تحمل معها هدية تشتمل على ثمانية من عتاق الجياد وهدايا أخرى، وكان دورها هو[4]:

---

1 – عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن 19م، المرجع السابق ص–ص،43–44.

2- ISMAIL, HAMET : Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger. op,cit. p.62.

3- ISMAIL, HAMET : ibid., p.62.

4- MARCEL, EMIRIT: (Le conflit franco-marocain de 1844, d'après les notes de Warnier), R.A.– Année 1950, P403.

1. حث السلطان على التدخل لصالح الجزائريين –إثارته ضد الفرنسيين- وضمه إليهم.
2. شرح عداء الفرنسيين ومشروعات الغزو الفرنسي ضد بلاده.
3. التصدي للخطر المشترك الذي يمثله العدو الفرنسي.

لقيت البعثة في طريقها استقبالا حارا من طرف المغاربة، وهذا دليل عدائهم للفرنسيين وحبهم الكبير للجزائريين، وأثناء وصولهم إلى فاس استقبلهم ابن السلطان ووزيره وأغدقا عليهم عبارات الشكر والامتنان ثم نظم سفرهم إلى مراكش. حيث كان السلطان المتردد (الخائف) يخشى رفض مقابلتها خوفا من إثارة غضب رعاياه فاستقبلها، أسفرت المفاوضات مع ممثلي السلطان بـ:

1. إرسال تعزيزات عسكرية إلى منطقة التخوم المغربية الجزائرية.
2. عزل بوزيان قائد منطقة التخوم وتعيين سيدي العربي الكبيبي ثم الكناوي عليها.
3. اعتماد سياسة دفاعية عن تخوم بلاده ضد أي تدخل أجنبي.
4. حماية عبد القادر داخل أراضي دولته فقط وعدم مساعدته في جهاده ضد الفرنسيين، ثم زود البعثة بكميات من الأسلحة والذخيرة[1]، وفي طريق عودتها أثبتت البعثة لمن تعرض لها أنها نجحت في مهمتها، خاصة وإنها حققت هدفها الخفي وهو إذكاء الحماس الديني للجهاد لدى المناطق التي مرت بها.

ويذهب "وارنيي"[2] إلى القول عكس ذلك: إن الأمير عبد القادر كان مدينا للسلطان في أواخر عهد معاهدة التافنا 1837 بمبلغ 6 ملايين فرنك وهذه الديون كان السلطان لا يفتأ يطالب الأمير بتسديدها على الرغم من معرفته بتضاؤل أموال خزينته والوفد الذي أرسله إليه حمل إليه ذلك الدين[3].

وبغض النظر عن ما قيل عنها فلا شك أن هذه البعثة حققت هدفها لدى السلطان وحاشيته ورعيته.إذ أن ردود الفعل المغربية سواء الرسمية أو الشعبية عبرت عن مدى الترابط الأخوي الجزائري المغربي الذي غذته المشاعر الدينية والروابط التاريخية والمصير المشترك، وإدراكا منها بخطورة الوضع راحت فرنسا –بيجو- تحاول ضرب هذا التعاطف أو تحويله لصالحها، وقبل معرفة ذلك هناك نقاط أراها ضرورية لابد من الإشارة إليها فيما يلي:

أولا– استمرارية الدعم المغربي وبمختلف أشكاله للجزائريين خاصة من لدن قبائل المغرب الشرقي. ولاشك أن هذا يعكس مدى التآزر المغربي للجزائر من جهة والنهوض لصد الخطر المشترك عن بلادهم من جهة ثانية.

1-MARCEL. EMIRIT : le conflit franco-marocain de 1844, d'après les notes de Warnier op. Cit., P.403.

2- وارنيي (Warnier) عضو بعثة فرنسية إلى معسكر بعد معاهدة تافنا، عضو قديم في اللجنة العلمية الجزائرية، ملم باللغة العربية جيدا، شارك في جريدة المالسموئية بالجزائر. كان كثير النقد للحكومة الفرنسية، من دعاة الاستعمار المتعاطفين في الجزائر رغم مهنته كطبيب وجراح (إنساني الطبع)، يراجع: le conflit marocaine de 1844, d'après les notes de Warnier, P399.

3 -MARCEL. EMIRIT : le conflit franco-marocain de 1844, d'après les notes de Warnier op.cit P.403

ويذكر أيضا أن البعثة كان بها كل من سيدي سعيد (شقيق الأمير)، والحاج الحبيب، وميلود بن عراش، وإن المبلغ المدان به عبد القادر هو 07 مليون فرنك وليس 06 ملايين فرنك.

ثانيا– تبني السلطان سياسة الحروب إلى الأمام، ويظهر ذلك من خلال تغيير مقر إقامته من مدينة فاس إلى مدينة مراكش تارة، ومن خلال التناقض والغموض في تصريحاته تارة أخرى.

ثالثا– إقدام عبد القادر على معاقبة بعض قبائل المغرب الشرقي–الحميان–ساهم في تأليبها ضده بدلا من كسب صداقتها بالقوة التي لم تكن في صالحه فيما بعد.

رابعا– إزاء الوضع المتنامي عبر التخوم المغربية الجزائرية، ودور المغرب الشرقي سلطة وشعبا في مناصرة المجاهدين والمهاجرين الجزائريين، سيدفع بفرنسا إلى محاولة البحث عن وسائل أخرى لردع المغرب ووضع حد لتضامنه مع الجزائريين، ولتحقيق ذلك خلقت ذرائع عدة، أثمرت في الأخير بظهور ما عرف بالصراع المغربي الفرنسي. فما هي حقيقته؟ و ما هي أثاره على نشاط المجاهدين والمهاجرين الجزائريين في المغرب الشرقي ومنطقة التخوم؟ وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة حاولت رصد مجموعة الإمدادات المغربية للجزائريين خلال هذه الفترة (1841–1844) في الجدول الآتي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تاريخ الإمدادات	حجم ونوع الإمدادات	وجهتها
18 جويلية 1841	قافلة محملة بـــ : 50 فرسا، 500 بندقية، 2,5 طنا من البارود[1]	أرسلها السلطان رفقة مبعوث الأمير عبد القادر العائد من المغرب
1 سبتمبر 1841	قافلة تتكون من: 60 بغلا محملة بـــ: 100 برميلا من البارود، أقمشة متنوعة.[2]	قادمة من فاس.
9 سبتمبر 1841	قافلة تتكون من 75 بغلا و100 جوادا، تحمل: ثياب وملابس للجيش الجزائري، هدية ثمينة للبوحميدي.[3]	قادمة من فاس
1841	مساعدات شعبية قدرت بـــ: 40 دولارا تقدم بها أحد الأثرياء المغاربة[4].	وجدة-تلمسان
قافلة سكوت نفسها 1841	هدية ثمينة، 8 جياد عربية، 1000 بندقية، عدة أطنان من البارود.[5]	المغرب-الجزائر
1843	200 قنطار حبوب، 100 بندقية، 100 خيمة.[6]	تحصل عليها الجزائريون أثناء وجودهم بالمغرب الشرقي
جوان-جويلية 1844	50 خيمة، 100 بندقية، 50قنطارا من البارود والذخيرة.[7]	عبارة عن أعطيات منحتها قبائل المغرب الشرقي للاجئين الجزائريين.
1841-1844	2000مد من القمح، 2000مثقال، 2000ريال[8]	مساعدات منحها السلطان لمهاجري الفوج الثاني من الجزائريين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - سكوت، الكولونيل: مذكرات الكولونيل سكوت، المصدر السابق، ص138.

2 - المصدر نفسه، ص. 149.

3 - المصدر نفسه، ص. 154.

4 - المصدر نفسه، ص. 28.

5 - المصدر نفسه،ص-ص.70-71.

6 - تم تقديرها انطلاقا من العدد الإجمالي لسكان المغرب الشرقي

7 - تم تقديرها انطلاقا من العدد التقريبي لكل من بني يزناسن و الأنجاد و المهاية الذين قدموا مساعداتهم للمهاجرين الجزائريين خلال هذه الفترة

8 -ابن زيدان: الإتحاف، المصدر السابق، ص 124.

الصراع المغربي الفرنسي من خلال وثائق نادرة (1843-1844):

المدخل إلى هذه الوثائق[1]:

إنّ الصراع المغربي الفرنسي كان ضرورة حتمية أفرزها التعاون الجزائري المغربي وعليه فمحوره الرئيسي هو الأمير عبد القادر كشخص و الوجود الجزائري بالمغرب الشرقي كتنقل اجتماعي، وانطلاقا من هذا الوضع الجديد فالضرورة تقتضي التطرّق إلى هذا الصراع وفق ما يخدم الموضوع، وللإلمام به اعتمدت على وثائق تاريخية وموضوعية للوقوف عند حقيقته وخلفياته وآثاره بالنسبة للجزائريين والمغاربة. وهذه الوثائق هي عبارة عن رسائل شخصية وحكومية فرنسية، مغربية، جزائرية، ويمكن تصنيفها إلى ما يلي:

- الرسائل المتبادلة بين القيادة الفرنسية -جنرالات- وقواد الجيش المغربي المرابط على التخوم.
- الرسائل المتبادلة بين القيادة الفرنسية -جنرالات- وولي العهد سيدي محمد.
- الرسائل المتبادلة بين السلطان المغربي وولي عهده وعمّاله -قواد جيشه-.
- الرسائل المتبادلة بين السلطان المغربي والأمير، وبين هذا الأخير وجنرالات فرنسا، هذه الوثائق مؤرّخة في الفترة الزمنية ما بين (1842-1844) وإطارها المكاني هو التخوم المغربية الجزائرية، ولهذه الوثائق أهمّية كبيرة جدّا، لأنّها تعتبر مصادر حقيقية وأصحابها كتبوها في عين المكان وعلى مقربة من الحدث المتضمّن لها. وعليه فإنّه لا يمكن الاستغناء عنها، وقد حاولت توظيفها في حدود ما يخدم الموضوع فقط.

التحرّشات الفرنسية عبر التخوم المغربية الجزائرية وردود الفعل المغربية:

منذ لجوء عبد القادر إلى المغرب الشرقي خلال شهر مارس 1842، ضاعفت فرنسا من تقديم الشكاوي والمطالب والتهديدات إلى السلطات المغربية، ففي الشهر نفسه كتب "بيجو" إلى عامل وجدة أن يعمل على منع الأمير من العودة إلى الجزائر مرّة ثانية، وكتب القنصل "نيون" أيضا إلى السلطان يُلزمه بضرورة تطبيق بنود اتفاقية 1836، كما قام "جيزو" بكتابة تعليمات شديدة اللهجة إلى السلطان، الأولى في تاريخ 14 أفريل1842 والثانية في تاريخ 14 ماي 1842 (تضمّنت منع الأمير أن يعبر الحدود عائدا إلى بلده).

إلاّ أنّ إجابات السلطان لم تعط أيّ وعد بضمان تنفيذ الوعود السابقة، وحاول تارة إلقاء اللوم على الفرنسيين الذين تجمّعوا بالقرب منه وتجاوزوا الحدود. وتارة بعدم قدرته على إسكات الأصوات المنادية للجهاد، ولكنّه وفي تاريخ 15 ماي 1842 يكتب إلى وليّ عهده بالاستعداد للجهاد برّا وبحرا[2] ولاشكّ أنّ هذه الإجابات الغامضة والمتناقضة كان لها ما يبرّرها.

وإيمانا منه بمواصلة تنفيذ خطّته قرّر "بيجو" تبنّي إستراتيجية حقّ المطاردة للمجاهدين الجزائريين بالمغرب الشرقي، وحاول أن يوضّح لأعوانه وضبّاطه الخطر الذي أصبح يتهدّدهم فخطب فيهم قائلا:« ولا يخفى ما انطوت عليه قلوب المغاربة المراكشيين من المحبّة والتشييع له [عبد القادر] حتّى أنّهم يُودّون أن يكونوا تحت طاعته وإدارته... لما رأوه من اتباعه الشريعة الإسلامية وشاهدوه من حسن سياسته معهم... فأجابه أهل

1- لقد تمّ جمع هذه الوثائق من مصادر وأماكن مختلفة أبرزها :أ) مخطوطات المكتبة الوطنية بالحامّة، الجزائر.ب) مخطوطات الخزانة العامّة بالرباط، المغرب.جـ) وثائق الخزانة الحسنية بالرباط، المغرب.د) مصادر ومراجع مختلفة.

2- يراجع ذلك في تاريخ وحدة وأنكاد في دوحة الأمجاد، ص-ص،111-113.

المجلس: لابد من الاستئذان من الدولة»[1]، ونتيجة لهذه الإجابة من قواده كاتب السلطان المغربي وعرفه بما يلزم إجراؤه في هذا الشأن! فأجابه:«إن بلاد الريف قد خرجت من يدي ودخلت في طاعة الأمير عبد القادر، فلا يمكن إجراء شيء من مطلبكم»[2].

وبناء على هذه الإجابة فإن السلطان أخطأ في حساباته عندما حاول إبعاد المسؤولية عن نفسه، لكنه ورّط نفسه أكثر لأنه اعترف بعجزه في فرض طاعته على قبائل التخوم،ففرنسا تصبح لها مسؤولية مباشرة في هذا الشأن. ومن هنا يبدأ الصراع المغربي الفرنسي يأخذ مجراه الحقيقي بالتدخل الفرنسي المباشر في المنطقة.

ولمحاولة عرقلة التعاون الجزائري المغربي، بدأت الحكومة الفرنسية منذ شهر جويلية 1842 تهتم بشأن وضع الحدود -تحديد- مع المغرب، إلا أن الجواب الذي قدمه السلطان للقنصل الفرنسي بطنجة يوم 14 جويلية 1842م/09 شعبان 1258هـ أكّد فيه أنه لا نقاش في ذلك:«الحدود بين المغرب والجزائر معروفة وواضحة، وأن الخروق التي يقوم بها الجيش الفرنسي على الحدود يخلق حالة سلبية لا تساعد على الحوار، ولكن إذا كانت لفرنسا نية حسنة فعليها أن تتخلى عن التدخل في التراب المغربي وأن تدخل في مفاوضات صادقة وبالطرق السلمية وبذلك يمكن لتلك المفاوضات أن تعطي نتائج مرضية»[3]، لكن فرنسا كانت مُصرّة على تحديد الحدود لكي تتمكن من رد القبائل الجزائرية اللاجئة في المغرب الشرقي وفي الوقت نفسه تتخلص من قضية عبد القادر.

ولتحقيق هذه الغاية بدأ يبحث عن ذريعة مباشرة للتدخل، فدعا إلى ضرورة احتلال الجزر الجعفرية وميناء الغزوات وتل مغنية، فوافق على ذلك وزير الحربية على أن يجرد عبد القادر من كل شيء! وفي هذه الأثناء حدث اصطدام الأنجاد مع أولاد سيدي الشيخ وسلبوا منهم 1200 جملا فرأت فرنسا بأن الأنجاد اعتدت على حرمة رعاياها بالجزائر ولذلك تدخلت لدى المغرب لاسترداد هذه الجمال وطالبت السلطان برسم خط الحدود، إلا أن السلطان أصرّ على الموقف السابق، وهو أن الحدود معروفة.

ونتيجة لهذا الإصرار اقترح القنصل الفرنسي بطنجة استعمال الغزو للضغط على السلطان وذكر في الوقت نفسه أن أعيان الصحراء[4] وفدوا على السلطان بمكناس وعرضوا عليه مساعدتهم لعبد القادر وهو ما قام به وفد الأنجاد أيضا، ثم تحدث عن عبد القادر والدعم الذي يجده في المغرب، ونتيجة لذلك قامت فرنسا بدراسة خط الحدود ووضعت خرائط من تلقاء نفسها[5].

ولتشديد الضغط أكثر على السلطان تم تكليف القنصل "دي نيون" بالكتابة إليه وبلهجة شديدة طالبا منه: «ضرورة سجن الأمير بإحدى المدن المغربية وتحديد واضح ورسمي للحدود وعلى التنديد بالترحيب بابن

1- ابن عبد القادر، محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق، ص445.

2- المصدر نفسه، ص. 445.

3- أحمد، العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، المرجع السابق، ص.379.

4- يمكن أن نؤكد ذلك من خلال الاتصال الذي قام به عبد القادر مع أهل القصور الصحراوية -فقيق خاصة- خلال سنة 1844، وردهم عليه في رسالة في تاريخ 1846م. يراجع: مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي، ص.125.

5- أحمد، العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، المرجع السابق، ص.384.

عراش وتعيين سيدي العربي الكبيبي»[1]، إلا أن السلطات المغربية أصرّت على الاحتفاظ بسياستها وتأكد لديها نية فرنسا في الإصرار على الغزو، ويتجلى لنا موقف السلطان في خطاب هام يوم 03 مارس 1844 أكد فيه أنه لم يكن من السهل طرح مسألة القبض على عبد القادر لأنه من رعايا الدولة العثمانية[2].

وخلال شهر أفريل 1844 أمر القائد العربي بن محمد الرحماني بالتوجه إلى وجدة على رأس العرب والبربر من عمالته ليواجه العدو الفرنسي وحسب "لامور سيير" فإن وجدة وصلها حوالي 600 فارسا، 300 مشاة من الحرس الأسود تحت قيادة الكبيبي، و أعلن بعدها عن وصول جيش قوامه 8000 جنديا تحت قيادة ولي العهد، وإزاء هذه التطورات قرر "بيجو" ووزير الحربية مواجهة الموقف بتعزيز المراكز العسكرية على مقربة من الحدود وإنشاء مراكز أخرى للدفاع في كل من سبدو وسعيدة وغرب تلمسان -لالا مغنية- باعتبار أن هذه الأخيرة جزائرية تقع على مسافة 25كم من وجدة، إلا أن السلطان ورعاياه يعتبرونها مغربية.

لقد أثار احتلال مغنية[3] الحمية الدينية لدى المغاربة وخاصة السلطان، فأعلنت القبائل التخومية الجهاد من تلقاء نفسها. وأمام هذه التطورات أرسل السلطان قوات نظامية بقيادة سي الطيب الكناوي إلى المنطقة، وخلال شهر ماي 1844 كتب الكناوي خطابا شديد اللهجة -إنذارا- إلى "لامور سيير" للجلاء عن مغنية والانسحاب إلى شرق نهر التافنا.

عقب احتلال مغنية[4] ارتفعت الأصوات في المغرب منادية بالجهاد، فهذا ابن عزوز مثلا كتب رسالة إلى السلطان ضمّنها الحث على الجهاد: «اعلم أيها المنصور بعون الله، المجاهد في سبيل الله... أن النصارى ملكوا جزائر (كذا) وسبوا نساءها وأخذوا أولادها وانتشروا في ساحتها حتى وصلوا إلى وهران وتلمسان وأم عسكر (كذا) ومغنية وتافنا... وطمعوا في هذا المغرب وفي الوصول إلى مدينة فاس التي هي دار ملكك ومحل حكمك وولايتك، فوجب عليك -نصرك الله- التهيؤ لهم وجمع العساكر للقائهم»[5].

لقد كان لإنذار الكناوي أثر كبير لدى "لامور سيير" وحكومته، ولذلك راح يقلل من شأنه بعدم الإجابة عنه، وهو ما دفع بالمغاربة المتحمسين للجهاد أن يعلنوه ضد الجيش الفرنسي الذي تكبد خسائر كبيرة في الأرواح يوم 11 جوان 1844. وبوصول "بيجو" إلى عين المكان صعّد الموقف أكثر من خلال الهجوم الثاني على الفرنسيين، إلا أن هذه المرة كانت الدائرة على الجيش المغربي الذي انسحب نحو وجدة.

---

1 - يحي، جلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص.163.

2- المرجع نفسه، ص.163.

3-نسبة إلى السيدة مغنية: امرأة صالحة، دفنت بتلك المنطقة، فأصبحت تعرف بها ويكتسي مقامها حرمة دينية كبيرة جدا كغيرها من مقامات الأولياء.

4- في هذه الأثناء طالبت إسبانيا المغرب بتعويضات عن قتل ممثلها القنصل في مزغان، بينما السويد والدانمارك طالبا بوقف الإتاوة المعهودة الدفع كل عام للمغرب. يراجع: كتاب موجه من النايب المخزني بجبل طارق للفقيه الوزير سيدي محمد بن إدريس العمراوي، مخ،خ،ع،ر،رقم.1263.د. في تاريخ 20 صفر الخير الحرام 1260هـ رقم 144، ح. ص.443 بشأن التعاون الإسباني الفرنسي في إعلان الحرب ضد المغرب.

5- مجهول: مخ،خ،ع،ر: رقم .1623 د.ص-ص.15-40. يراجع: مخطوط الابتسام، ص440-450.

ولمحاولة احتواء الوضع راهن "بيجو" على العمل الدبلوماسي الذي يتجلى لنا في المراسلات التي تبادلها مع الكناوي التي أعقبت ما عرف بمفاوضات واد المويلح بينه وبين "بيدو" قائد تلمسان. هذا الأخير الذي أوصاه "بيجو" أن يملي شروطه السبعة على الكناوي المتعلقة بالأمير، فتم هذا اللقاء بين القائدين يوم 14 جوان 1844. ولقد أصر "بيجو" على نصح "بيدو" بـ:«لا يجب أن تبدأ بالكلام حول إمكانية جلائنا عن مغنية... إذا نفذت من جميع الشروط المذكورة بكاملها من طرف إمبراطورية المغرب ... سنقوم بإلغاء هذا المركز بشرط أن يكون داخل ترابنا»[1].

إلا أن هذه المفاوضات انتهت بالفشل نتيجة لإصرار كل طرف على مواقفه، فالطرف الفرنسي كان يرفض كل الجلاء عن مغنية ويريد التوسع أكثر، بينما الطرف المغربي كان ملتزما بنصائح وتعليمات السلطان. ورغم نتيجة اللقاء، فإن السلطان أقدم على عزل الكناوي من عمالة وجدة استجابة لطلب الحكومة الفرنسية[2]. وأمام هذا الفشل قامت كوكبة من فرسان المغاربة بالهجوم على قوات بيجو، إلا أن هذا الأخير تمكن منها في كمين نصّبه لها أسفر عن مقتل 80 جنديا مغربيا. فتراجع الجيش المغربي نحو وجدة.

ونتيجة لهذه الأحداث الخطيرة كانت هناك رسائل قد تبادلها "بيجو" مع الكناوي تدور حول عبد القادر وضرورة التخلص منه وتوطيد المحبة مع فرنسا والمغرب. ففي رسالته صور "بيجو " عبد القادر بالفاسد والفتان:«إن رجلا لم تكن له خدمة غير أنه سعى في الفساد بين الفرنصيص والمغرب وسبب تخليطه جذبكم نحو عامين إلى الآن»،[3] ثم يحاول مغازلته قائلا:«إن مولاي عبد الرحمن لم تكن له عداوة معنا، ولكن الذين ضربونا بالبارود علمنا منهم أنهم خارجين عن الطاعة وليسهم -كذا- أهل عقل، وأيضا قالوا لنا بأنك نفسك تحب الخير»[4].

وفي الوقت نفسه استعمل لغة التهديد بعدما تعرضت قواته للهجوم «...وإياك يخطر ببالك (كذا) أننا نريد شراء محبة مولاي عبد الرحمن بتسليمنا لبعض تراب عمالة الجزائر وطرد عدونا من بلاده، فهذا لا يمكن أصلا... فمن حقنا الدخول إلى بلاد سيدكم وتخريبها وتشتيت أهلها فصبرنا شفقة وحنانة ... فلابد من وصولنا إلى وجدة ولا نقصد ترابها ولا هلاك أهلها سوى القصد في رد رعية الحدود المعلومة ليعرفوا أصحاب وطننا أننا نلحقوهم حيث توجهوا[5]».

ومن خلال مضمونها نجد أن "بيجو" أعطى لنفسه حق المطاردة للقوات الجزائرية حتى داخل المغرب الشرقي، وهذا تهديد مباشر لإعلان الحرب، ولمحاولة وضع الكناوي أمام الأمر الواقع -الإجابة بنعم أو لا- قدّم له الشروط الآتية للموافقة:

1- أحمد العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، المرجع السابق، ص.403.

2- قُدمت المطالب بأمر من جيزو وزير الدفاع في تاريخ 12 جوان 1844م، منها عزل الكناوي ورغبة منه في الصلح عزله السلطان ولا يعود هذا إلى قوة شخصيته حسب رأيي بل إلى فقدان هيبته أمام القبائل الثائرة التي قامت بالهجوم على الفرنسيين.

3- أحمد العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، المرجع السابق، ص،409.

4- المرجع نفسه، ص.409

5- المرجع نفسه، ص-ص. 413 - 414، ويلاحظ عن خطاب بيجو نوع من المبالغة في استخدام ألفاظ دالة ومعبرة عن نيته في المحبة حسب ظاهرها.وتنم عن المراوغة والخداع في باطنها.

1. يجب انتقال الأمير ودائرته إلى فاس.
2. تفريق دائرة الأمير عبد القادر.
3. أن لا يُمَدَّ بشيء من سلاح أو بارود أو رصاص أو غذاء.
4. يجب أن تعود القبائل الجزائرية التي دخلت المغرب الشرقي إلى الجزائر حالا.
5. اعتبار كل من أرض عطية وأرض مسيرة وأرض الأعشاش وأرض أولاد ملوك وأرض بني بوسعيد وأرض أولاد نهار كلها لفرنسا بأهلها، إلا أرض عطية هي لنا وأهلها للمغرب[1]. إلا أن هذه الشروط أجيب عنها بلغة الصمت وهو ما فهمه "بيجو" بأنه لغة تحدي من المغرب.

وأمام هذا التحدي أقدم "بيجو" على تنفيذ تهديداته، فتوغّل محتلا لوجدة رغم الأصوات المعارضة للحرب مع المغرب، وخاصة "لامورسيير" الذي رأى فيها نكبة لبلاده، لكن "بيجو" نفّذ شروطه وحاول في رسالته إلى "دي نيون" أن يقنعه بأسباب فعلته: «وإذا ما كانوا على العكس من ذلك -أي المغاربة- يرغبون في الحرب، فإن أسئليتي الملحة سوف تجبرهم على إعلانها... إني أفضل الحرب الصريحة على الحدود عن حرب المؤامرات وحركات التمرد خلف خطوطي، و إذا كان من اللازم أن نحارب فسنحارب بكل قوة إذ أن لدي جنود ممتازين ومع أول عملية سوف يراني المغاربة على أراضيهم»[2].

تمكن "بيجو" يوم 19 جوان 1844م من احتلال وجدة وأظهر للمغاربة أنه الطرف الأقوى الذي يستطيع فرض شروطه بالقوة ودون مماطلة مغربية!

لم يبق "بيجو" إلا يوما واحدا، ومايؤكد هذا الطرح هو ما جاء على لسان الجنرال "لامورسيير"إلى السلطان عبد الرحمان عقب هزيمة إيسلي:«ثم لما قدمنا إلى قرية وجدة فوجدناها خالية من أهلها ما عرفنا الأرض تزلزلت بهم أو طاير طار بهم وماوجدنا فيها غير اليهود والبعض من أهل تلمسان رعيتنا وعشرة أنفس من جيشكم... فوجدنا فيها الطعام والبارود والخفيف شيئا كثيرا ففسدنا لكم ذلك جزاء لرأيكم الفاسد» [3]

ثم عاد أدراجه نحو لالة مغنية وبرفقته — بعدما أجبرها أجبرها على العودة-200 عائلة جزائرية تلمسانية مُدّعي رغبتها في العودة، بعد ما هاجرت إلى المغرب الشرقي للاحتماء به من خطر العدو الفرنسي، وهذا الطرح يخالف إذن ما ذهب إليه إبراهيم حركات عندما ذكر أن عبد القادر هو الذي أرغم هذه الأسر على الهجرة نحو المغرب الشرقي[4].

لقد كان لاحتلال وجدة أثره الكبير في الأوساط المغربية، وقبل معرفة ذلك أحاول الإحاطة بما كان لفرنسا من نشاط على السواحل المغربية الأطلسية ففي الوقت الذي أنذر فيه الكناوي الجنرال "لامور سيير" قامت فرنسا بزيادة عدد القوات البحرية، ففي 11 جوان 1844 قامت بإرسال فرقة بحرية من أسطولها إلى

1- أحمد العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، المرجع السابق ، ص87.

2- جلال، يحي وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص168.

3- مخ،م، ح، ج،:رسالة الجنرال لامورسيير إلى المولى عبد الرحمان بن هشام، رقم، 2755، ينظر الملحق رقم،4

4- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج3، المرجع السابق، ص. 200.

السواحل المغربية بقيادة "جوانفيل" (Joinville)[1] لتدعيم مطالبها وكان قائد الأسطول مُصرّحا له بالهجوم في حالتين:

1. لحماية الرعايا الفرنسيين الموجودين في خطر.
2. الاشتراك في عمل هجومي إذا أعلن بيجو الحرب على الحدود البرية.

وقُدّمت المطالب يوم 28 جوان بعد أن كانت القوات الفرنسية قد توغلت في وجدة وتراجعت عنها، وليبرّر "بيجو" حملته كتب إلى "سولت" ما نصه:«وإني أكرر أن بقاءنا لفترة طويلة في هذه الحالة كان يهدد بتعريضنا لفقد كل شيء، فكانت أحسن من ذلك حرب معلنة، إذ أنها كانت على الأقل تمنح فرصا، بينما كان سلوكنا السابق لا يدل إلا على المضايقات... ولذلك فإنني أخذت على مسئوليتي سلوكا مخالفا لأنه اعتقدت أنه يتماشى تماما مع الضروريات الحالية بالنسبة لشرف ومصلحة بلادي»[2].

لم يكتف "بيجو" بالعودة إلى مغنية وتحصينها بل عبر الحدود مرتين يوم 30 جوان ويوم 19 جويلية 1844، ففي المرة الأولى صعد فيها مجرى واد بونعيم حتى مرسى الأكحل ليعيد إلى الجزائر جزءا من قبيلة الأنجاد، وفي المرة الثانية توغّل جنوب وجدة لمطاردة القبائل المساندة لعبد القادر، وفي هذه الأثناء ظهرت أصوات تنادي بالحرب مع المغرب، ومن بين هؤلاء "البارون تايلور" (Baron Taylor) في مذكرته إلى وزير الخارجية التي ختمها بـ:«إن الحرب مع المغرب لا يمكن تحاشيها، ما دمنا وضعنا أقدامنا في الجزائر وستفتح في القريب العاجل»[3]

ويُلِح "بيجو" على "جوانفيل" بتجنب خطر الهزيمة في رسالته التي نصها:«إذا سلمت المعركة للمغاربة فسيكون قنصل فرنسا وجميع مواطنينا الذي يقدمون بالساحل سجناء وستكون حياتهم حينها في خطر. من هذا أيها الأمير تبدأ مسئوليتك أترك الأمر لنباهتك في الاهتمام بما سنقرره فيما يتعلق بما بقي أن نقوم به»[4]

إلا أن "جوانفيل" لم يراع هذه النصائح ولذلك استدعى القنصل الفرنسي وأنذر السلطان نهائيا وأعطاه مهلة 8 أيام للإجابة عن مطالبه، ومن خلال هذه المهلة قامت القنصلية الصقلية والبريطانية بإجلاء رعاياها عن طنجة ومما زاد الأمور تعقيدا وجود سفينتين دنمركية وسويدية بالساحل، وهو ما دفع بالسلطان أن يكلف ابنه بإبعاد الأمير ريثما ينجلي الموقف، وفعلا عقد لقاء بينهما لشرح الموقف لعبد القادر[5].

وقبل أن تنتهي المهلة المحددة للسلطان، أحاول الوقوف عند ردود فعله حول الأحداث السابقة عبر التخوم الشرقية، فرغم المواقف المترددة والمضطربة للسلطان خلال هذه الفترة، فإنه وبعد وقائع احتلال وجدة

1-جوانفيل فرانسوا فيرديناند، فيليب دورليان ولد سنة 1818 الابن الثالث للويس فيليب، تخرج من المدرسة الحربية برتبة كابتان أسطول عام 1839، شارك بقوة في معركة إيسلي البحرية لعب دور كبير في إدارة شؤون فرنسا في عهد نابليون الأول، ترقى إلى رتب عسكرية كبيرة، كما كان له شأن عظيم في حرب 1870. يراجع : G.D.E., Larousse, Tome 6 p5870

2 - يحي، جلال وآخرون:مسالة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص176، وللمزيد أكثر، يراجع أيضا: (Documents relatifs à la guerre Franco-Morocaine de 1844), R.A., n°54, P.P.62-83.

3 - المرجع نفسه، ص،168.

4 - المرجع نفسه، ص، 177.

5- تم في هذه الأثناء الاتصال بينه وبين ليون روش و البوحميدي (جويلية 1844) حول إمكانية التسليم والمغادرة إلى مكة، فرفض الأمير ذلك.

ونتيجة لضغط رعاياه المتردد والمتزايد، أعطى الأوامر إلى حاشيته وقواده بالتعبئة العامة لخوض معركة الشرف إلى جانب المجاهدين الجزائريين، فأمر أئمة المساجد في جميع أنحاء المغرب بدعوة الناس إلى الجهاد في سبيل الله. واستدعيت جميع القبائل المغربية للمشاركة في هذه الحرب، وورد في إحدى الرسائل الملكية إلى قائديه على الرباط وسلا ما نصه:«فاعلموا أن عدود (كذا) الفرنصيص سولت له نفسه التشوف إلى قبائل إيالتنا... فينبغي مقابلة هزله بالجد بإظهار القوة الإسلامية، فبوصول كتابنا أظهروا الاستعداد بتركيب آلات الحرب»[1]. ولقد أشرف السلطان على عمليات جمع الذخائر والمواد الغذائية اللازمة للجيش، فجمع الأدوات الحربية المتوفرة وأمر بتحضير الرايات والأعلام.

ولتنشيط هذه العملية أكثر –الدعوة إلى الحرب المقدسة–، كتب على لسان وزيره ابن إدريس إلى القبائل ما نصه:«أيها السكان المغاربة إن لحظة قيامكم للحرب قد حانت في حرب مقدسة وشرعية ضد عباد الأصنام الذين يجاورونكم من الشرق... إن الخيانات التي يخبئونها تشعل نار غضب كل مسلم... إن الكذب والمكر هما خط سيرهم، إن كرامتكم ترغمكم للاستجابة لهذا النداء... وأخيرا فإن الرجل الحر لا يجب عليه البحث عن الخلود إلا في الشجاعة، فكائن حقير لا يمكنه إيجاد السعادة في هذا العالم»[2].

هذه اللغة أعطت ثمارها، فلقد تمكن السلطان من جمع حوالي 3000 مقاتلا من مختلف القبائل، كما كلّف ولي العهد بقيادة هذه الجيوش، وفي الوقت نفسه راسل الطالب بوسلهام يحرضه على الجهاد والتزود له في رسالة نصها:«فبالجهاد (كذا) أفضل وأهدى وهذا عدو الله الفرنصيص ادعى القوة والبأس وأعجبته كثرته ما يكون مقدمة هلاكه...ونحن قوتنا بالله وانتصارنا به وهو ملجانا ...ولا يستفزنك أمره، فإنه كسحابة صيف... واستعد استعدادا منه أشد ولا يعمل فيك تفرق كلمة القبايل (كذا)»[3].

وبشأن عبد القادر كتب له ما نصه:«وما يطلبون من طرد الحاج عبد القادر من إيالتنا السعيدة فتحمّل لهم به وقل لهم إن فلانا قد أمر بطرده المرة بعد المرة وكرر الكتب بذلك لعماله، وبعد ما بلغه أنه فرّ لطرف جبل لا تنال أهله الأحكام بطرف الإيالة أعاد الكتب بالجد في طرده حتى لا يبقى له حس ولا أثر بهذه الإيالة»[4].

وفي الحقيقة فإن هذه الخطابات التي نلمس فيها الاستعداد الجيد للحرب، فإن الخطاب الثاني ما هو إلا رد فعل أراد من خلاله السلطان إيهام فرنسا بموقفه المعادي للأمير، لأنه لم يكن للسلطان خيار آخر من بقاء عبد القادر بأراضيه، وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله في قوله:«ورغم ضغط الفرنسيين والإنجليز على السلطان لكي يبعد الأمير ويكف عن مساعدته، فإن السلطان لم يفعل خوفا كما يقول معظم المؤرخين من

1- مولاي عبد الرحمن، ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، المصدر السابق، ص. 49.

2 - Henri, Charles, LAVAUZELLE: La guerre au Maroc, OP. Cit., p-p. 44-45.

3- وثائق، خ، ح، ر: الحث على الاستعداد للجهاد في سبيل الله، المحفظة رقم 14، الوثيقة 29 في تاريخ 11 رجب 1260 هـ 27 جويلية 1844

4- وثائق، خ، ح، ر: مقاطعة فرنسا للمغرب ومطالبتها بطرد الأمير عبد القادر وانزعاج المغرب من ذلك، المحفظة رقم14، الوثيقة رقم29.

ثورة شعبية داخلية ضده، لأن الشعب المغربي أصبح ينظر إلى الأمير على أنه قائد حركة الجهاد ليس في الجزائر فحسب بل في المغرب أيضا»[1].

ولذلك لم يكن أمام السلطان إلا خوض غمار الحرب ضد الفرنسيين والتي أسند فيها قيادة الجيش إلى ولي عهده.فتوجه إلى منطقة التخوم الشرقية وفي تاريخ 05 أوت 1844 كتب لوالده يخبره بمكان نزوله: «حللنا بعيون سيدي ملوك حلول عز ويمن وسعادة، ثم يذكر له القبائل التي ساندته وحماسها الشديد للجهاد: وتلقتنا فيها قبائل الأنكاد بعطاطيشهم... كما تلقانا الكرارمة في أحسن زي...وقاموا بمعونة المحلة أحسن قيام وصحبتنا كافة فرسانهم... وقد اجتمع من القبائل الصحراوية خلق كثير»[2].

ولم يكتف بهذا بل تناول في رسالته أحوال عبد القادر ومكان وجوده «والسيد عبد القادر بن محيي الدين تأخر بمن معه لملوية بألطف إشارة وأوجز عبارة من الطالب حميدة والشيخ حمدون بأمرنا وإشارتنا فلم يبق للكافر الآن ما يعزز به من جهته»[3].

وفي هذه الأثناء نجد أن العدو كان يتربص بالجيش المغربي ويتحيّن الفرصة المناسبة للهجوم عليه وبالفعل فقد لاحت له أول وهلة صبيحة يوم 6 أوت فيما عرف بمعركة إيسلي 1844، فما هي حقيقتها وما هي الآثار التي ترتبت عنها بالنسبة للجزائريين والمغاربة؟

معركة واد إيسلي 1844: جرت أحداثها عبر جبهتين[4] رئيستين هما:

أولا- الجبهة البحرية:

لقد حاولت السلطات المغربية -باشا طنجة- تجنب اندلاع الحرب من خلال الإجابة عن الشروط المقدّمة لها، ففي يوم 04 أوت 1844 استلم "جوانفيل" من بوسلهام الجواب الآتي: إن السلطان أمر بسجن الكناوي، ومنع عبد القادر من الدخول إلى المغرب، وضاعف القوات المغربية على التخوم الشرقية، وأن السلطان لم تكن له وسيلة أخرى للعمل ضد عبد القادر لأنه التجأ إلى بلاد السايبة، ولم تكن مساعي قنصل بريطانيا "دريمون هاي " لتنجح هي الأخرى بمراكش ولذلك لم يقتنع "جوانفيل" بهذه الإجابة.

وفي يوم 06 أوت 1844 تضاعف عدد الوحدات العسكرية البحرية[5] وتم تحديد الساعة 8,30 صباحا لبداية القصف، وفعلا قُصفت طنجة في الوقت المحدد ابتداء من الساعة 8,30 إلى غاية الساعة 10,30 صباحا، وكان رد فعل الدفاع المغربي ضعيفا أمامها.وما يمكن ملاحظته هنا هو أن "جوانفيل" تسرّع في عمله ولم يراع النصائح المقدمة له من ضباط البحرية، وفي يوم 15 أوت 1844 قُصفت مدينة الصويرة -موغادور- ولقد كان لهذا القصف المروّع نتائج وخيمة سأذكرها فيما بعد.

1- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص. 168.

2 - Ismaïl, Hamet: Le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger, OP. Cit, P.65.

3 - Ibid, P.65.

4- -ينظر الخريطة بالملحق رقم 6.

5 -تشكل الأسطول الفرنسي من 28 قطعة بحرية منها الفرقاطتين ياصمودي ولابيل بول، وبواخر أخرى مثل بلوتان الزمردة، تريتون تحمل على متنها: 1200 بلطجي، 200 من الرماة، 750 من المشاة، 750 من البحارة، بالإضافة إلى القطع الإنجليزية والسويدية والدانمركية. يراجع: الجيش المغربي وتطوره عبر التاريخ، المرجع السابق، ص. 197.

ثانيا- الجبهة البرية:

انطلاقا من الضغط الذي مارسته قبائل المغرب الشرقي على الجيش الفرنسي قرر "بيجو" التعجيل بحسم الموقف ليحافظ على معنويات جيشه وهذا ما يبدو لنا من خلال الرسالة التي كتبها بنفسه عشية المعركة إلى وزير الحربية يشرح له فيها الظروف المحيطة به، ويوضح له قدرات خصمه قائلا: « فإن مظاهر الشجاعة والإعجاب بادية على العدو ... الذي تشكّل في تسع معسكرات تمتد على إيسلي من الجرف الأخضر إلى كُدية سيدي عبد الرحمان ... أربع من هذه المعسكرات تُكوّن مجموعة المغاربة أو المخزن والمعسكر الخامس يشمل منزل ابن الإمبراطور والأربع معسكرات الأخرى تتكون من قبائل احتياطية »[1].

ويحاول "بيجو" أن يبرر هجومه فيقول: «والأقل أهمية من هذا هو أن العدو يُدعّم في كل الأيام لكن الشيء الذي يخيف هو كثرة عددهم، والترقب الطويل يمحو ويقطع الإرادة الجيدة للقبائل التي تدعم فرقتنا»[2]،ويصرح له في الأخير بقدراته العسكرية فيذكر « أملك نحو 8500 من رجال المشاة، 1400 حصانا منظمة، 400 حصانا غير منظم، 16 فالحة نار ... وإذا تحصلنا عليه [الانتصار] سيكون مقال جديد بأن النجاح ليس دائما حليف صاحب العدد الأكبر»[3].

ونتيجة لهذه المخاوف لدى "بيجو" ظهر من ضباطه من يريد الاستطلاع على العدو لمعرفة قدراته فلما تراءت له هاله أمرها فرجع إلى معسكره ليخبره بما يلي:« اعلموا أن دولتنا الفرانسوية (كذا) عمدت إلى واد الموت وألقت بنا فيه من شاهقه فإني رأيت هؤلاء المراكشيين أضعافنا ولا طاقة لنا بلقائهم، وعلى كل حال فإني أعرض عليكم أيها الأبطال أحد أمور ثلاثة: إما الرجوع عن لقائهم وشهامتنا تأباه و إما التسليم لهؤلاء المراكشيين وفيه معرة الدهر، وإما القتال والموت لآخر نفس وفيه شرف فرنسا وفخامة جيشها الجسور، أما الانتصار فلا مطمع فيه »[4]. إلا أن هذا الطرح السلبي دفع بضابط آخر إلى استطلاع محلة المراكشيين وبعد أن شاهدها رجع إلى قائد الجيش الفرنسي مسرورا وطلب منه أن يوليه رئاسة الحملة على المحلة المراكشية، وأن يحمل عليها بنصف جيشه فقط[5].

ونتيجة لذلك أُسندت إليه القيادة فقام بتنظيم قواته على شكل معين (losange) يضم 1500 مقاتلا، أما الجانب المغربي فالسلطان كان قد جنّد الجند وأمر الناس بالجهاد فتجمع لابنه عشرات الآلاف من المقاتلين، وصارت الخيل مصطفة على مد البصر ورايتها تخفق على هيئة عجيبة وترتيب بديع، وكان الخليفة سائرا في وسطهم مباشرا المظلة على رأسه راكبا على فرس أبيض وعليه طيسان أرجواني تميز بزيه ومكانته.[6]

وفي هذه الأثناء تدخل الأمير عبد القادر برأيه لصالح ولي العهد حول كيفية تخطيط المعركة، فجرى بينهما لقاء ونص ما قاله الأمير لولي العهد:«إن هذه الفرش والأثاث والثقلة التي جئتم بها حتى وضعتموها بباب

1 - Henri, Lavauzelle: La Guerre Au Maroc, Op. Cit. P-P. 160-163.

2- Ibid., P.P. 160-163.

3 -- Ibid., P.P. 160-163.

4 - ابن عبد الله، السليماني: البيان المعرب عن تحافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 136.

5 - المصدر نفسه، ص. 136.

6 - أبو العباس، أحمد الناصري: الاستقصاء، المصدر السابق، ج9،ص، 52.

جيش هذا العدو ليس من الحزم في شيء، والرأي أن تلاقوا العدو إلا وأنتم متحملون منكمشون بحيث لا يبقى لكم خباء مضروب على الأرض، وإلا فإن العدو متى رأى الأخبية مضروبة إلا وقصدها ولا يرجع دونها ولو أفنى عليها عسكره»[1].

إلا أن رأي هذا الخبير المجرب بشؤون الحرب ضرب عرض الحائط! ؟، ويعلل حسين مؤنس هذا الموقف بقوله:[2] في هذا الشأن أنه ربما انتهره بعض حاشية الخليفة على التفصح بمحضره والإشارة عليه قبل استشاره. وحسب مذكرات الأمير فإن نصيحته لقيت صدى كبير لدى الجيش المغربي فقالوا هذا والله الرأي، فحملوا مساكنهم وأمتعتهم إلا قائدهم لم يحمل شيئا إتباعا لسيده، وخوفا من عدم موافقته، ولكن ما ذهب إليه حسين مؤنس في قوله: ربما يكون هناك من نافق في إيصال هذه النصيحة لابن السلطان[3] وهو يعتبر ذلك مؤامرة ضده، ولكن طالما اللقاء كان وجها لوجه مع القائدين، إلا أنني أستبعد ذلك وأرجّح فكرة تغليط ولي العهد في فهم النصيحة الجزائرية.

وعليه فالأمير عبد القادر عاد أدراجه من حيث أتى ولسان حاله يقول: « لم آمر بها و لم تسؤن »[4]، ورغم تحذيرات عبد القادر فلقد ظهر من صفوف المغاربة ليلة الحملة من حاول إيقاظ الخليفة وإخباره بتحركات العدو إلا أن حاشية الخليفة تمادت في تعنتها وهذا ما أشار إليه "هنري لافوزيل" في قوله: « وجاءت العيون تترى (كذا) لمحلة ولي العهد تنبئ بزحف جيش فرانسا (كذا) نحوهم، فتحير الفقيه الطيب أبو عشرين مستشار ولي العهد وتعجب من هذا الزحف الذي لم تسبق له مبادئ ولا موجب ولكثرة ما حصل له من انفعال في شعوره قال لمن حوله معتذرا إن سيدي نائم »[5]، وتكررت النداءات لديه[6] بلزوم الحذر والحيطة لكنه لم يأخذ بها فهل هو الشعور بالقوة والرهبة؟ أم لهول المفاجأة؟ أم لأن العيون لا ثقة فيهم؟

وفي صبيحة يوم 14 أوت 1844 أشرفت القوات الفرنسية على واد إيسلي وترآى الجمعان وكان حينها ولي العهد يصلي الفجر فأصدر الأوامر على الفور للجيش أن يستعد للحرب فاستجابت الجموع لدعوته وتم رصّ الصفوف على هيئة خط ممتد عبر الواد –حتى أنه من غير الممكن شغله بالعين– عارضا رايته المرفرفة وولي العهد راكبا على حصان أبيض يرتدي معطفا ورديا مع واقية من الشمس على رأسه ومتمركزا في الوسط، وملابسه وشارته سهلت على العدو معرفة مكانه من الجموع.

وبدلا من استخدام أسلوب الدفاع راحت الخيالة المغربية ومشاتها تهاجم الجيش الفرنسي فتمكنت من حصاره وأحكمت الطوق حوله، وفي هذه الأثناء تعطى الإشارة للقوات الفرنسية بتشغيل المدافع التي أثارت الذعر في صفوف الخيالة وحصدت المئات من المشاة ولقد تعمد قواد المعركة ضرب خيمة الخليفة، وهو ما

1 – أبو العباس أحمد، الناصري: الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، المصدر السابق، ص. 52. ويراجع أيضا: الإتحاف، ص-ص. 55-56،

2 – تاريخ المغرب الحديث وحضارته، المرجع السابق، ص. 339.

3 – المرجع نفسه، ص. 339.

4 – أبو العباس أحمد، الناصري: الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، المصدر السابق، ص51.

5 - HENRI, LAVAUZELLE : La Guerre Au Maroc, Op. Cit., P.48 :

6 – أبو العباس أحمد، الناصري: الاستقصاء، المصدر السابق، ص. 52، يراجع: المذكرات، ص. 120.

دفعه إلى تغيير زيّه وإسقاط الشارات والشمسية للاحتماء من نار العدو. وبعد مرور ساعة مَـــن القتـــال أراد المغاربة معرفة مكان قائدهم فلم يجدوا أثرا له. وهنا شاع الخبر بأنّه قد قتل[1].

ساهمت هذه الإشاعة في إثارة الفوضى لدى الجنود، فأستغلها البعض في الهروب والبعض الآخـــر في احتلال خيمته والاستيلاء على كنوزها، فاقتتلوا حول اقتسامها والعدو كار عليهم و لم يتمكن ولي العهد مـــن تدارك الأمر رغم النداءات الموجهة لجنوده بالثبات، إلاّ أنّ هول المعركة ومظاهر الموت والهزيمة أثارت في نفسه الاضطراب ففقد الأمل في النصر. وللنجاة بحياته وبمن معه من فرسان فضّل الانسحاب من المعركة والتوجـــه صوب فاس ظُهرا، وفعلا لقد كانت كارثة مرعبة ضربت السلالة الملكية الشريفية في العمق. فما هي أســبابها (الهزيمة)؟ وما هي النتائج التي ترتبت عنها؟

أسباب الهزيمة:

لقد تعدّدت الروايات التاريخية واختلفت فيما بينها حول هذه الأسباب ولذلك سأحاول أن أوردهـــا وأتعرّض لها بالمقارنة والنقد لأصل إلى الأسباب الحقيقية للهزيمة.

أولا-يذكر الناصري:«ولما التقى الجمعان ونشبت الحرب غيّر الخليفة زيّه بأن أسقط المظلّة ودعا بفرس كميـت فركبه ولبس طيسانا آخر فاختفى ... ولما التفتوا إلى جهة الخيمة و لم يروه ... قال المرجفون بأن الخليفة قـد هلك. فهاج الناس وتسابق الشراردة إلى المحلة فعمدوا إلى الخباء الذي فيه المال فانتهبوه وتقـــاتلوا عليـــه ... ولكن لم يهزم المسلمين إلا المسلمون كما رأيت »[2]. ولا شك أن هذه الحادثة ساهمت مباشرة في هزيمة الجيـش المغربي.

ثانيا– طبيعة الجيش المغربي الذي كان يقاتل بعنجهية وتكبر « إذا حضروا القتال وكانوا على ظهور خيولهـــم فهم في تلك الحال مساوون في الاستبداد لأمير الجيش لا يملك من أمرهم شيئا وإنما يقاتلون هدايـــة مـــن الله لهم»[3]. وبالإضافة إلى هذا ففي هذه المعركة وجد ولي العهد صعوبة كبيرة في التنسيق بين الجنـــود المحـــترفين والجنود المتطوعين.

ثالثا– طبيعة الأرض فهي ذات مسالك صعبة -الأشجار -وبالتالي أعاقت الخيالة أثناء تحركاتها (الكر والفـــر) هذا فضلا عن وجود 13 قطعة مدفعية قديمة تجرها الجمال.

رابعا– تفوق الجيش الفرنسي في العدة الحربية فمثلا كان بحوزته 64 مدفعا مقابل 13 مدفعا للمغاربـــة هـــذا فضلا عن طريقة توظيفها بدون هوادة، حتى أن الخيول المغربية لم تتحمل دويّها فتراجعت بفرسانها إلى الـــوراء، وعليه فالمدفعية الفرنسية ساهمت في حصد مئات المغاربة دون أن يقدموا شيئا في المعركة.

خامسا– تفوق الجيش الفرنسي في التنظيم، بينما الجيش المغربي سيطرت عليه الفوضى والإعجاب بـــالنفس والغرور، وعدم توفره على قيادة عسكرية لها خبرة بمجال الحرب، و الذي ساهم في الهزيمة أكثر هو اســـتخدام المغاربة أسلوب الهجوم بدلا من الدفاع وهم في مواقعهم.

---

1 – أبو العباس، أحمد الناصري: الاستقصاء، المصدر السابق، ص، 52.

2 – المصدر نفسه، ص. 52.

3 – عبد الحق، المريني: الجيش المغربي وتطوره عبر التاريخ، ط 5 دار نشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997، ص. 123.

سادسا– عدم أخذ الجيش المغربي الحذر والحيطة من العدو، حتى أن العيون التي أخبرت بزحف العدو لم يعبأ بها ظنا منهم أن الفرنسيين لا يقومون بهذا العمل وهذا يعكس مدى الثقة العمياء لدى حاشية ولي العهد في العدو الفرنسي وما يؤكد لنا اضطراب الجيش المغربي هو رأي الجنرال "لامورسيير" الذي ضمّنه وصفه الدقيق للجيش المغربي في رسالته إلى السلطان عبد الرحمان بعد معركة إيسلي [1].

سابعا– عدم أخذ قادة الجيش المغربي برأي الخبير المجرب الأمير عبد القادر، وعليه فالعدو الفرنسي عندما لاحت له تلك الخيام الناصعة البياض وخيمة السلطان قاتل بحمية ليجعل منها غنيمة له كما أن المواجهة المباشرة للعدو عجلت بالهزيمة هي الأخرى.

ثامنا– إن عدم مشاركة عبد القادر في المعركة حال دون تحقيق نصر مظفر للمغاربة، ولو شارك فيها لتغيرت لصالحهم بل ولعجّلت بالقضاء على الوجود الفرنسي، لكن نتيجة لأنانية الانتهازيين ودور الجواسيس الفرنسيين المندسين في صفوفهم حالت دون تحقيق ذلك، ونتيجة لهذه الأسباب انهزم الجيش المغربي شر هزيمة وترك وراءه نتائج وخيمة جدا على المغرب الشرقي والمهاجرين الجزائريين المتواجدين به، فما هي تلك النتائج والآثار؟

نتائجـــها:

1– بالنسبة للمغرب: صنفتها إلى نتائج سلبية ونتائج إيجابية.

1–1 النتائج السلبية:

- خسائر بشرية قدرت بـ: 800 شهيدا، وما بين 1500-2000 جريحا، 1200 أسيرا[2]

-الاستيلاء على مخلفات الجيش المغربي: المعدات الحربية، الذخيرة (18 مدفعا) وعلى خيمة[3] ولي العهد ومظلته وعلى18 علما من أعلامه والكثير من الغنائم الأخرى.

- احتلال منطقة وجدة.

- الخراب والدمار الذي خلفه القصف المدفعي لكل من طنجة وموغادور "الصويرة".

- احتلال منطقة الصويرة والنهب والسلب الذي تعرضت له من قبل الشياظمة عندما أدركوا نزول العدو بها، واحتلال المدينة –ملك السلطان الخالص ومصدر إيراد له– يعتبر ضربة قاسية للاقتصاد المغربي خاصة وأن السلطان كان معروفا بالبخل[4].

---

1 – مخ، م، ح، ج: رسالة الجنرال لامورسير إلى المولى عبد الرحمن عقب هزيمة إيسلي، رقم 2755، يوجد ضمن مجموعة رسائل تاريخية، ص. 189 ينظر في الملحق رقم: 4.

2– عبد الحق، المريني: الجيش المغربي وتطوره عبر التاريخ، المرجع السابق، ص124. ويراجع أيضا: Histoire de l'Algérie Contomporaine, p 198.

3– غنم الفرنسيون 11 قطعة مدفعية، 18 علما من الأفراك الأميري والمظل ومراسلات ولي العهد، وقد أرسل أفراك سيدي محمد إلى باريس وعرض في حدائق قصر توليري (tuillery) وتطلب نقل الخيمة من المغرب 40 بغلا وفككت إلى 148 حملا. ولإعادة تركيبها أحضر فراشا وميكانيكيين يعملان بالأويرا تحت مراقبة فونطين (fontaine) مهندس الملك وكان شعاعها 8م وعلوها 5م أما المظل فكان وزنه 7كلغ ودائرته 4م و34 سم وعلوه 2م و38 سم وفي أعلاه كرة فضية مذهبة، مصنوع من الحرير الأحمر المطرز بخيوط ذهبية وفضية ومن داخله بالحرير الأخضر، يراجع: الجيش المغربي وتطوره في القرن 19، ص204

4– مجهول : مخ،خ،ع، ر، رقم 425.ص.15.

- الاستيلاء على جزيرة الصويرة ساهم في تفكيك بطارياتها المدفعية وتدميرها والاستيلاء على 120 مدفعا نصفها إسباني والبعض الآخر إنجليزي، إلا أنهم اكتفوا بأخذ بعضها وإلقاء الباقي منها في البحر[1].

- الانهيار المعنوي الذي أصاب السلطان بعدما سمع بخبر الهزيمة البرية والخسائر البحرية وهو ما زاد في غيظ السلطان وكمده فعمد إلى جماعة من قواد الجيش وحلّق لحاهم تأديبا لهم[2].

- أثرت هذه الأحداث عل مركز المغرب السياسي على المستوى الدولي، فأصبح المغرب المنيع والقوي بعد احتلال الجزائر وضعفه عن نصرتها يعيش تحت التهديد المستمر لاستقلاله فمن مشاكل الحدود التي تثار في كل مناسبة إلى اغتصاب بعض أجزائه من فرنسا تارة ومن إسبانيا تارة أخرى بل كاد المغرب يفقد استقلاله نهائيا عقب موقعة إيسلي[3].

- اختفاء الأسطول المغربي من الوجود بعد هذه المعركة التي فرضت فيها فرنسا على المغرب إلغاءه، وهكذا نجحت المؤامرات الأجنبية الدنيئة في القضاء على قوة المغرب البحرية.

1-2 -النتائج الإيجابية:

إن هزيمة إيسلي كان لها دور إيجابي في المغرب ويمكن أن نبرز ذلك في النقاط الآتية:

- حسب المنوني فإن هزيمة إيسلي كارثة ثانية أو شرارة أخرى تطير على المغرب فتكون أكبر من سابقتها، إنها هجوم فرنسا على الجزائر ثم تدخل المغرب تدخلا مسلحا لنصرة الجارة القريبة دون جدوى عام 1844م:

تلك المصيبة أنست ما تقدمها ومالها مع طول الدهر نسيان[4]

وعليه فالهزيمة كانت درسا قاسيا للمغرب الذي لم يأخذ بأسباب التقدم.

- أثارت الهزيمة الحمية الدينية للشعراء والأدباء المغاربة ومن بين هؤلاء ابن إدريس الذي رفع شكوى للسلطان يُعبر له فيها عن ما آل إليه الوضع قائلا[5]:

وآمل من جدواك كل عناية ونصرا عزيزا يهدم الشرك و الكفر
وقد جاوروا من عصبة الكفر أمة تريد بنصب الماكرين لها الجرا
وأظهر لها من عز جاهل نصرة ترد على الأعقاب من سامها ذعرا
وتخلي ديار المسلمين من العدى و تكسبها من بعد نجسهم طهرا

- الشعور بضرورة التعبئة للدفاع عن البلاد لدى السلطان إلا انه تراجع عن ذلك كما يرى صاحب الاستقصاء « لما وقعت الهزيمة بعث بإثرها رسله يطلب الصلح مع السلطان المولى عبد الرحمن، لم يظهر عجزا ولا فل ذلك من عزمه بل استأنف الجد وشرع في جمع العدد ...ثم هادن الفرنسيين »[6] نتيجة للضعف الفرنسي، إلا أن العناصر الشعبية واصلت نضالها بشكل جدي معتبرة أن الخطر يخصها هي فحماس الشعب

1- إبراهيم، حركات: المغرب عبر التاريخ، ج3، المرجع السابق، ص304

2- أبو العباس أحمد، الناصري: الاستقصاء، ص53، وراجع أيضا: الإتحاف، ص59.

3 - محمد، المنوني: مظاهر يقظة المغرب الحديث، المرجع السابق، ص.25.

4 - المرجع نفسه، ص-ص. 16-17.

5 - المرجع نفسه، ص.40.

6 -أبو العباس أحمد، الناصري: الاستقصاء، المصدر السابق،ص 53..

المغربي سيبطل كل المحاولات الفرنسية الرامية إلى: إجهاض المساندة المغربية للجزائريين، وهذا ما سيبدو لنا في الفصلين المتبقيين.

- الاستنكار الذي أبدته قبائل المغرب الشرقي تجاه جنود السلطان المنهزمين «و التي طارت بها خيولها و لم تقف إلا وراء ملوية »[1] فالقبائل قامت بالإغارة على الجيش المتراجع فنهبته وبخته، وهذا التصرف ينم عن التعبير بعنف عن سخطها وغضبها على مخزن لم يقم بواجبه على الوجه المطلوب[2] وهو تعبير عن رفضها للخضوع والاستسلام لالتزامات المخزن تجاه فرنسا خصوصا فيما يتعلق "بحياد المغرب" والكف عن تقديم أية مساعدة للمجاهدين الجزائريين وكذا مطاردة عبد القادر وإلقاء القبض عليه [3].

2- بالنسبة لفرنسا: من نتائجها على الطرف الفرنسي:

- الخسائر البشرية: 04 ضباط قتلى، 10 جرحى، 23 ضابط صف قتيل، 26 جريحا.

- استخدمت فرنسا الهزيمة كوسيلة ضغط على السلطان، ولإجباره على وضع حد لنشاط عبد القادر ولتحقيق مآربها اتبعت سياسة فرق تسد. وفي الوقت نفسه أظهرت قدرتها على متابعة القصف واحتلال أجزاء أخرى من المغرب الشرقي، كما حاولت طلب تعويضات مالية من المغرب، إلا أن "دي نيون" حال دون ذلك لأنه كان يعرف جيدا بخل السلطان[4].

وللوقوف أكثر على الحقيقة، لا بد من الإشارة إلى الرسائل التي تم تبادلها بين قادة فرنسا والسلطات المغربية وفيما بينهم وبين حكومتهم، فبعد يومين من المعركة كتب "بيجو" خطابا إلى سيدي محمد لمعرفة نياته حول السلم والصلح، فأجابه هذا الأخير في تاريخ 18 أوت أن مجهوداته ستكون المحافظة على السلام، في الوقت الذي كتب فيه بوسلهام -دون علم السلطان- إلى "دي مارينو" أنه مستعد للتفاوض مع الفرنسيين، و كتب "بيجو" إلى "دي نيون" في تاريخ 17 أوت 1844 حول هذه التحركات ما نصه: «أعتقد أنه علينا الآن أن نهمل أي شيء من أجل صياغة معاهدة جيدة تنقذ الشروط التي لها بالجزائر والتي تضعنا في موضع مشرف بالنسبة لعلاقات فرنسا مع المغرب... ويمكننا أن نكون اليوم كرماء دون ضعف إذ أننا ضربنا بكل قوة»[5].

وفي 19 أوت 1844 كتب "جوانفيل" إلى وزير الحربية مبررا هجومه قائلا:«حينما تأكدنا من سوء نية المغاربة بالنسبة إلينا ولعبهم على الطرفين، وحينما وجدنا في نفس الوقت فرصة للضرب دون أن يؤدي ذلك إلى تعقيدات ولا إلى صعوبات مع الدول الأجنبية... ولقد أخذنا وجدة من ناحية وموجادور من الناحية الأخرى كرهائن... فرنسا لم تكن ترغب الدخول في حرب مع المغرب، حرب دموية ومميتة، لن يكتب لها نهاية إلا بعملية غزو جديدة لجزائر جديدة»[6].

1 - ثريا، برادة: الجيش المغربي وتطوره في القرن 19، المرجع السابق، ص156.

2 - المرجع نفسه، ص156.

3 - عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر1832-1845، المرجع السابق، ص. 141.

4 - حلال، يحيى وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص، 193

5 - المرجع نفسه، ص188.

6 - المرجع نفسه، ص:189

3- بالنسبة للمهاجرين الجزائريين في المغرب الشرقي:

لقد استخدم "بيجو" وأعوانه لغة التهديد والوعيد والكذب على السلطان لتشويه صورة عبد القادر الذي حضي بمكانة كبيرة في المغرب الشرقي وقام بمراسلة نجل السلطان سيدي محمد فيما نصه:«إن لعبد القادر أطماعا على ملكة (كذا) أجدادكم، وقد كون أتباعا وأنصارا من بين أعيان البلاد وقادتها »[1] ثم ألح على طرده من المغرب ولكي يقنع السلطان أو أعيانه كتب له ما نصه:« وكما أخذت كلام أحد الوشاة وهو الحاج عبد القادر الذي كان غرضه وفائدته في الفتنة بيننا وربما هناؤه وعيشه في شدة الأهوال ... وله والله غرض وطمع في تمليك البعض من رعيتكم »[2] ثم يواصل كلامه مجددا شروط الصلح مع المغرب وهي حسب رأيه تفريق جيش الحاج عبد القادر بحيث لا يبقى معه أحد وحمله ومن معه ووضعه بإحدى مراسي المغرب، وأن يلتزم السلطان بعدم خروج هذا المفسد من موضعه.

لم يكتف "بيجو" بهذا الطرح بل ذهب إلى تخويف السلطان من عبد القادر فذكر «إياكم ثم إياكم ثم إياكم والغفلة لأن طرف رعيتكم التي بجوارنا كلها فاسدة ومع هذا إن مستكم الغفلة والتراخي يقدر الحاج عبد القادر بجمع أهل الفساد نصيب في نصيب ويقوم بها إلى أن يصير في غاية ضدكم ببذل الجهد »[3] ثم سرعان ما يطرح له فكرة التعاون في القضاء عليه فيقول:« ألا ترى لو يقع ذلك ويكون الخير بيننا سترى والله ما يحل به منا لاكن (كذا) المراد أن لا يبلغه الله ولا غيره لذلك ويقطع دابر من سعى في خراب الدولة الهشامية (كذا) وإذا وقع الخير بيننا انقطع التشويش بين الجانبين »[4].

ويختم رسالته بوصف شنيع في حق عبد القادر «وإنما خوفك من الحية الرقطاء التي استأنست بها وأدخلتها بثوبك رأفة منك وحنانة إلى أن تؤلمك فالتفت لما يأتيك من الحية ولا تظن أن العيش يصفا معها بعشرة وأقتل سمها قبل أن تؤلمك بسمها، والله شاهد ومطلع على نصيحتنا كنصيحة الأب لإبنه والله على ما نقول وكيل»[5].

لقد حاول ولي العهد الرد وبصورة حازمة على هذه الادعاءات الفرنسية، فكتب بشأن عبد القادر ما نصه:« وان ما طلبت من نقل السيد عبد القادر فقد كان عندنا بصدد الانتقال –بأمر مولانا المؤيد- ولذلك تأخر بأمرنا إلى واد القصب بواسطة بعض العمال، وحيث كررتم الطلب والكتب في إبعاده لداخل الإيالة ها نحن أمرنا أيضا سيدنا أيده الله في تلك النواحي وهو الشيخ حمدون أمرا جازما بنقله إلى وسط هذه الأقطار المصونة بجميع أهله حتى لا تبقى له رأسا بتلك النواحي أخبار (كذا) فضلا عن أن يعود إلى تلك الديار »[6].

---

1 –مخ. م.ح.ج: رسالة الجنرال "بيجو" إلى نجل السلطان سيدي محمد بعد أخذ محلته عقب معركة إيسلي،المخطوط السابق، رقم 2755 ينظر في الملحق رقم4

2 – المخطوط نفسه.

3 – المخطوط نفسه.

4 – المخطوط نفسه.

5 – المخطوط نفسه.

6 – أحمد،العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، المرجع السابق ص471.

إلا أن السلطات الفرنسية لم تكتف بهذه الإجابة فأضافت حتى كيفية التعامل مع عبد القادر «وأخبرتنا بكتابك عن الحاج عبد القادر ... فليس ها كذا (كذا) الطلب منك بل أردنا أن ينتقل بأهله ومن معه إلى مرسة (كذا) من مراسيكم البعيدة وتلزموا أنفسكم أن لا يخرج من موضع وُضع فيه قط... تلزموا أن لا يرجع لمضادتنا بالنواحي الشرقية »[1]. ويحاول هنا إيهام ولي العهد بأن عبد القادر هو السبب في القتال«ولم يكن بيننا سبب في القتال إلا هو فقط ولولا حضوره لم يقع ما وقع »[2].

ونتيجة لإجابة ولي العهد التي اتهم فيها "بيجو" بالغدر «ثم إنكم غدرتم ولا وقفتم عند كلمتكم وليس ذلك بقانون ولا معروف بين الدول »[3]، يحاول "لامورسيير " التخفيف من حدة هذه اللهجة مبينا له فائدة الصلح قائلا: «والآن تبين لك أن طريق الخير واضحة إن أخذتها بلغت المرام بسرعة و عفيت بلادك من الفساد وارتكاب الأهوال»[4]. إلا أن فرنسا سرعان ما تضع السلطان أمام الأمر الواقع فيما يلي:

1. احتفاظ فرنسا بكل من وجدة والصويرة .
2. استخدام الجيش الفرنسي حق مطاردة المجاهدين الجزائريين داخل المغرب الشرقي.
3. قنبلة المزيد من الموانئ المغربية.
4. فرض الحصار الاقتصادي على سواحله الغربية وعلى حدوده الشرقية.
5. انتشار القوات الفرنسية ضمن تراب المغرب الشرقي[5].

وأمام إجابات البلاط المغربي المتناقضة كتب "بيجو" إلى "جوانفيل" أنه يفكر في الهجوم على فاس وعرض عليه آراءه بهذا الشأن وذلك بواسطة جيش قدره ألفا جنديا وثلاثة ألوية من الفرسان، وعشرون مدفعا وبوسائل نقل كافية لمدة شهر.[6] ولقد كان من الصعب على السلطان أن يضحي بأكثر من هذا، وعليه فلم يكن له خيار آخر إلا القبول بالشروط الفرنسية ولو بشكل غير مباشر، فجاءت ما يعرف باتفاقية طنجة 1844. فما هو أثرها على التعاون الجزائري المغربي؟

أثر اتفاقية طنجة 1844 على التواجد الجزائري في المغرب الشرقي:

لقد جاءت اتفاقية طنجة لتضع حدا للتعاون الجزائري المغربي، ونلمس ذلك من خلال الشروط التي قدّمتها فرنسا للسلطان وتعهد هذا الأخير بالعمل على تطبيقها، ومن أهم الشروط التي تناولت قضية الحاج عبد القادر نجد: الشرط الثالث الذي نص على امتناع السلطان عن تقديم الدعم والمساعدة لأعداء فرنسا، الشرط الرابع الذي نص على اعتبار عبد القادر خارج على القانون وبالتالي يجب مطاردته من طرف الفرنسيين في الجزائر، ومن طرف الجيش المغربي في المغرب الشرقي إلى أن يتم إلقاء القبض عليه.

1 - أحمد، العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، المرجع السابق، ص474.

2 - المرجع نفسه، ص474.

3 - المرجع نفسه، ص468.

4 - المرجع نفسه، ص468.

5 - إبراهيم، حركات: المغرب عبر التاريخ، ج3، المرجع السابق، ص206.

6- Charles, André, Julien : histoire de l'Algérie Contomporaine, op cit., Tome 2, p199.

كما طرحت الاتفاقية إمكانية جلاء القوات الفرنسية عن وجدة وموغادور في حالة تطبيق الشروط: 1، 2، 3، 4، ثم ضرورة رسم الحدود بين البلدين وإرساء المحبة والسلام بين البلدين، ورغم ما تضمنته الاتفاقية من إيجابيات لصالح فرنسا ظهرت ردود فعل معارضة لها، ففي مساء التوقيع عليها كتب "بيجو" ما نصه« لن نقدم أي نقد لهذه المعاهدة التي افتقرت إلى أكثر تعبيراتها بساطة والتي أخليت من كل لفظيات منمقة، وأصبحت ببساطة مجرد تصريح قدمه المولى عبد الرحمن لكي يعبر به عن رغبته في ألا يضرب بعد ذلك، وتصريح تجيب عليه فرنسا بعدم ضربه بعد ذلك، هذا علاوة على أنه ليس هناك مع دولة مثل المغرب ضرورة لعقد معاهدة بل هناك توجيهات تبلغ وعقوبات تقرر»[1].

إلا أن "جوانفيل" كان متفائلا عكس ما ذهب إليه "بيجو" فكتب ما نصه « لقد حصلنا بهذا اليوم (كذا) على أكثر مما كانت الحكومة تطلبه وأكثر مما كنا قد حصلنا عليه في أي وقت مضى في المغرب وذلك بدون أي معونة لنفوذ أجنبية، ... ولقد حصل المولى عبد الرحمن بعد أن شعر بثقل سيفنا دليل على كرمنا فمصالحه هي مصالحنا، إنه صديق نقوم بصنعه ويمكنه أن يصبح مفيدا لنا »[2]، ومهما يكن فإن فرنسا تمكنت من فرض شروطها وما على السلطان إلا التسليم بها والعمل على تطبيقها.

لقد تأثر عبد القادر كثيرا بمضمون هذه الاتفاقية، وخاصة فيما يتعلق بالحدود وتعاون فرنسا والمغرب على مطاردته، والأكثر من ذلك هو تخلي السلطان رسميا عن تأييد حركة الجهاد الجزائرية معتقدا آنذاك أنه يستطيع الحصول على نتائج حسنة ويحمي بلاده من خطر الزحف الفرنسي!، إلا أن هذا التصور كان خاطئا وجلب الويلات على المغرب و لم يكن يدرك السلطان أن هذا الصلح كان بين الذئب والحمل الوديع.

ويذهب معريش محمد العربي إلى القول أن هذه الاتفاقية وضعت حدا أيضا لرغبات السلطان التوسعية في الجزائر، فقرر أن يتجنب الاصطدام مع فرنسا وينبذ أحلامه التوسعية في الجزائر[3]. ولعل أبرز ما ترتب عن هذه الاتفاقية هو ظهور التقارب الفرنسي المغربي على حساب حركة الجهاد الجزائرية، وهذا ما سنعرفه في الفصل الخامس.

1 - يحيى، جلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية، المرجع السابق، ص196، ويراجع أيضا:
(Documents relatifs à la guerre Franco-Morocaine de 1844), R.A., n°54, P.P.62-83.
2 - المرجع نفسه، ص198.
3- محمد العربي، معريش: المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1873 – 1894، المرجع السابق ص-ص29-30

خاتمـــــــة

مما سبق ذكره نخلص إلى ما يلي:

المغرب الشرقي سلطة وشعبا وفّر قاعدة جغرافية هائلة للمجاهدين والمهاجرين الجزائريين، خاصة بعد سنة 1843م والتي يمكن عدّها بمثابة قاعدة خلفية وملجأ آمنا لهم.

الوجود الجزائري في المغرب الشرقي ومناصرة قبائله لهم دفع بفرنسا إلى ضرورة تعقبهم واحتواء نشاطهم، وفي ظل رفض المغرب هذا الطرح جرّ عليه ما عرف بمعركة إيسلي 1844م. معركة كان بإمكان المغرب أن يكسب شرف الانتصار فيها لولا نشاط بعض الوشاة الذين منعوا عبد القادر من المشاركة في المعركة، كما لم يأخذوا بنصائحه وتوجيهاته.

إن انتصار فرنسا في معركة إيسلي استخدمته فرنسا كورقة ضغط ضد المغرب الذي أصبح مطالب بالتنازل عن المبادئ والمواقف التي تبناها منذ سنة 1830. في الوقت الذي بكّرت فيه بتوظيف ورقة العرش المغربي الذي أصبح مهددا من طرف عبد القادر، وأنه هو السبب الرئيسي في نشوب معركة إيسلي.

أثمر الانتصار العسكري بانتصار سياسي ودبلوماسي تجسد في اتفاقية طنجة التي فرضت فرنسا من خلالها شروطها على المغرب، في الوقت الذي ساهمت في كسب صداقة السلطان على حساب حركة الجهاد الجزائرية ورعاياه المناصرين لها بالمغرب الشرقي، وهذا ما سيؤدي إلى ظهور ما يعرف بالتقارب المغربي الفرنسي.

انهزام الجيش المغربي واحتلال فرنسا للصويرة ووجدة و تهديدها المباشر بالتدخل في أراضي المغرب الشرقي، سيدفع بالسلطان إلى مواجهة الموقف وفق ما يخدم مصالحه –حسب رأيه– ولكي يتجنب الكثير من المآسي في المستقبل، فأصبح مطالب بطرد الوجود الجزائري من أراضيه، وأمام هذا الطرح ستظهر بوادر انشقاق في صفوف البلاط المغربي على نفسه إلى قسمين: قسم مؤيد له وقسم مؤيد للجزائريين، وهذا ما سيساهم في خلط أوراق البلاط المغربي وفرنسا بالمنطقة كما سنرى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التقارب المغربي الفرنسي وأثره على حركة الجهاد الجزائرية (1844 – 1846)

- مقدمة
- المواقف المختلفة من اتفاقية مغنية 1845م.
  1. موقف فرنسا.
  2. موقف السلطان.
  3. موقف قبائل المغرب الشرقي.
- أثرها على حركة الجهاد الجزائرية في المغرب الشرقي.
- موقف المغرب الشرقي من الجهاد الجزائري (1844-1846):
  1. الموقف الرسمي.
  2. الموقف الشعبي:
     - مرحلة ما بعد إيسلي 1844 – سبتمبر 1845.
     - مرحلة ما بين أكتوبر 1845 – جويلية 1846.
- التعاون الفرنسي المغربي وتصفية حركة الجهاد بالغرب الجزائري (1844-1846):
  - المرحلة الأولى (سبتمبر1844-ديسمبر1845:
    - الجهود الفرنسية.
    - الجهود المخزنية.
  - المرحلة الثانية (جانفي – جوان 1846):
    - الجهود الفرنسية.
    - الجهود المخزنيـــة.
- خـــــــاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

بعد أن أملت فرنسا شروطها على سلطان المغرب في اتفاقية 1844 انفتح الباب أمامها للمطالبة بالمزيد من التنازلات، فجاءت اتفاقية مغنية 1845 التي حاولت أن تضع حدودا بين المغرب والجزائر، لكي تتمكن من القضاء على نشاط حركة الجهاد الجزائرية عبر التخوم الجزائرية-المغربية. فكيف كان موقف البلاط المغربي وقبائل المغرب الشرقي والريف من هذه الاتفاقية؟

إذا كانت اتفاقية مغنية ساهمت في ظهور التقارب بين البلاط المغربي وفرنسا، فإنها دفعت بقبائل المغرب الشرقي والريف إلى الثورة ضد السلطان والى مواصلة دعمها للمجاهدين الجزائريين، وعلى هذا الأساس سأحاول عرض موقفين مختلفين هما الموقف الرسمي والموقف الشعبي، لأن الأول توقف رسميا عن دعمه للمجاهدين الجزائريين بينما واصل الثاني دعمه لهم.

ولمحاولة احتواء دعم القبائل المغربية للمجاهدين الجزائريين ضاعفت فرنسا من نشاطها الدبلوماسي في كل من طنجة، الرباط، مراكش، باريس. ومن تحرشاتها العسكرية عبر التخوم المغربية الجزائرية، لتثمر في الأخير بظهور تعاون مغربي - فرنسي ضد حركة الجهاد الجزائرية في كل من الغرب الجزائري والمغرب الشرقي عبر مرحلتين رئيسيتين، فما هي حيثيات هذا التعاون؟ وما هي نتائجه على حركة الجهاد الجزائرية؟

وبعد اطلاعي على هذه العناصر وجدت اختلافا كبيرا بين الدارسين لهذه الفترة، لأن الدارسين المغاربة رأوا في موقف القبائل والريف تمردا على السلطة المغربية الشرعية، بينما ذهب المشارقة إلى رأي مخالف، وكان الذين تناولوا هذا الموضوع من الجزائريين تحامل البعض منهم على السلطان المغربي، أمّا المهتمون الفرنسيون فقد كانت لهم مواقف أخرى، ولتوضيح هذا فضّلت أن أبدأ هذا العرض بما يلي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المواقف المختلفة من اتفاقية مغنية 1845م:

كان أمر تحديد الحدود بين الجزائر والمغرب مهما للسياسة الفرنسية في الجزائر وهو ما أكدته اتفاقية طنجة السابقة الذكر، إذ اشترطت في أحد بنودها على سلطان المغرب أن يعمل على تعيين هذه الحدود، لكن السلطان تماطل مدعيا أن الحدود معروفة لا داع لتحديدها، الأمر الذي أدى إلى زيادة الضغوط الفرنسية على السلطان وإرغامه على قبول الأمر الواقع وإرسال سيدي أحمد القادر[1] يوم 29 نوفمبر 1844 إلى سي حميدة قائد وجدة للقيام بمهمة تعيين الحدود، ومن جانب فرنسا تم تعين فريق من الضباط في جانفي عام 1845 برئاسة الجنرال دي لاري أريشيد ايزيدور[2] " DE LA RUE ARISTIDE ISIDOR "وبرفقة بورسيه (POURCET) وليون روش ومارتنباري (MARTIN PREY).

تمكن الطرف الفرنسي القوي وبدهاء من فرض شروطه على الطرف المغربي الذي اكتفى بالتوقيع على الشروط الفرنسية يوم: 18 مارس 1845م الموافق لـ 9 ربيع الأول 1261هـ[3]، وتمثلت هذه الشروط في سبع نقاط من أهمها: – إبقاء الحدود على ما كانت عليه زمن الأتراك العثمانيين في الجزائر، – تعيين خط الحدود من البحر المتوسط شمالا إلى ثنية الساسي جنوبا على مسافة 150 كلم، وجنوب هذه المنطقة – فقيق – تعتبر صحراء[4]، وقبل معرفة أثرها على التواجد الجزائري في المغرب الشرقي و موقف السلطان وفرنسا من شروط هذه الاتفاقية لابد من الوقوف عند الملاحظات الآتية:

1– أن التناقض حاصل بين الباحثين الذين تناولوا مسألة الحدود الجزائرية –المغربية[5] حول خط الحدود وعلى أساسه فالمسألة تبقى عالقة لندرة الوثائق الخاصة بها.

2– تذكر بعض المصادر أن الاتفاقية كانت مرفقة بنص تجاري، وأن الشروط التي صادق عليها سلطان المغرب ليس هي نفسها التي صادق عليها الملك الفرنسي[6].

1– أحمد القادر هو شقيق عبد السلام السلاوي الباشا السابق

2– "دولاري أريشيد ايزيدور (1795–1872) كان برتبة ملازم سنة 1814 ورئيس الحرس الملكي، التحق بالسفارة الفرنسية باستنبول في شهر مارس 1815. ثم رئيس الحرس الملكي ببلجيكا في العام نفسه، ترقى إلى رتبة نقيب عسكري "قبطان" (Capitaine) سنة 1816. أرسل عام 1834 إلى روسيا في بعثة إلى الأقاليم الجنوبية، رقي سنة 1836 رقي إلى"ملازم أول – عقيد" lieutenant colonel 1839 رقي إلى عقيد Colonel، 1844 مارشال ميدانMaréchal de Camp، 1845 حاكم إقليم قسنطينة، كلف بالبعثة لتحديد الحدود 1845 أحيل على التقاعد ونفي عقب ثورة 1860. توفي في 21 مارس 1872، يراجع:: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر ص 503.

3– مديرية الوثائق الملكية: مجموعات وثائقية، مج 1، المصدر السابق. ص– ص475–479، يراجع: الإتحاف. ص–ص 166– 169.

4– ينظر الخريطة بالملحق رقم.7، وبشأن نص الاتفاقية ينظر: الحجوي محمد بن الحسن، شروط معاهدة 1845، مخ، خ، ع، ر، رقم: 934.

5– من بين هؤلاء: المكي، حلول: مسالة الحدود المغربية الجزائرية. أحمد، العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر. رضوان، محمد: منازعات الحدود في العالم العربي. فمنهم من يراه عند نهر ملوية، ومنهم من يراه عند نهر التافنا.

6– مديرية الوثائق الملكية، المج 1المجموعة،1،ص–ص.475–479 هي رسالة صادرة من السلطان إلى بوسلهام.

3- حصل التباس حول عدد بنود الاتفاقية فهناك من قال أنها ستة شروط بينما قال البعض الآخر بأنّها سبعة[1].

4- الاتفاقية لم تحدد الحدود بقدر ما ساهمت في تعقيدها أكثر، خاصة وأن المنطقة تتشكل من قبائل متداخلة فيما بينها وغير مستقرة.

1- موقف فرنسا.

قابلت فرنسا المصادقة على الاتفاقية بالارتياح، ففي مساء يوم 18 مارس 1845 كتب "دي لاري" إلى وزير الحربية ما نصه:« فالواقع أننا لم نتمكن من رسم حدودنا كما كانت في وقت العثمانيين، بل أننا علاوة على ذلك زدناها وضوحا وتحديدا... وتقسيم الأهالي المسلمين الذين يسكنون هذه المنطقة بين أمير المؤمنين وإمبراطور مسيحي، نجحنا في تقسيم الصحراء، وهذا التقسيم لم يكن موجودا من قبل»،[2] وانطلاقا من هذا التصريح نُدرك جيدا مدى خطورة هذه الاتفاقية، ليس على حركة الجهاد الجزائرية المتواجدة بالمغرب الشرقي فحسب، وإنما على السلطان وقبائل المغرب الشرقي.

2- موقف السلطان.

فوجئ السلطان عبد الرحمن بنص اتفاقية الحدود، فكتب رسالة مباشرة إلى عامله بوسلهام بن علي مُستنكرا ما فعله المفاوضان المغربيان ومعتبرا أنهما خدعهما المفاوضون الفرنسيون واشتروا ذمتيهما بالمال، وأنهما تجاوزا رسالة التفويض التي نصّت على أن تبقى حالة الحدود كما كانت عليه أيام الحكم التركي للجزائر. ومما جاء فيها :«فإن حميدة (كذا) بن علي عامل وجدة مع الطالب أحمد الخضر خدعهما نائب عدو الدين فيما كلفناهما به من الوقوف معه على الحدود حتى أدخل في الحد طرفا وافرا من بلاد قبائل إيالتنا السعيدة لناحية إيالة الجزائر ونحن لم نرض ذلك ولا نوافق على تسليم بلاد قبائل إيالتنا».[3]

ويواصل السلطان رسالته إلى أن يُشير إلى الملحق التجاري الذي كان مُرفقا بالاتفاقية فيقول: «وزادوا مع ذلك مجاراته في أمر البيع والشراء بين الإيالتين بما لم نأذن لهم فيه و لم نعرج عليه»[4]، و لم يكتف السلطان بذلك بل كتب ظهيرا رحمانيا في يوم 30 مارس 1845 إلى بوسلهام مُعلنا له فيه عن رفضه للاتفاقية جاء فيه: « فاعلم أننا عملنا الحيف من أول وهلة، فأسرع في مباشرة الأمر على الكيفية التي قدمنا لك، ولا تال جُهدا في فسخ ما عقد الطماعان الساقطا الهمة، ولاكن (كذا) الطمع يعمي ويصم، والسلام»[5].

ويشاطر محمد بن إدريس السلطان الرأي فيكتب هو الآخر إلى بوسلهام معبرا له عن رفضه للطريقة التي تمت بها المصادقة على معاهدة الحدود في ما يلي: «وعلمنا ما ذكرت من شدة الأسف الذي اعتراك حين

---

1 - المتعارف عليه أن الاتفاقية ذات سبع شروط، إلا أنه حسب علي السوسي فهي ست شروط في مخطوطه: منتهى النقول ومشتهى العقول، م.خ. ع. ر. رقم D 633.

2- جلال،يحي وآخرون:مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية: المرجع السابق،ص-ص206-207.

3- مديرية الوثائق الملكية: مجموعات وثائقية، المج 1، المصدر السابق ص 487.

4- المصدر نفسه، ص 487. ويراجع الملحق رقم 6.

5- المصدر نفسه، ص 489، ويراجع الملحق رقم 7.

أمعنت النظر في نسخة المحادّة ووقفت على ما زاده حميدة (كذا) من المحاراة في البيع والشراء وغير ذلك فتّحه الله، فقد تجرأ على الدين، وفتح بابا عظيما على المسلمين. والظن به أن الطمع هو الحامل له على ما فعل»[1].

ومن خلال هذه النصوص يمكن تحديد أسباب رفض السلطان لاتفاقية الحدود في النقاط الآتية:

1. تجاوز المفاوضان المغربيان لأوامر السلطان.
2. تخطي خط الحدود المتعارف عليه أثناء حكم الأتراك للجزائر في نظره.
3. تضمّن الاتفاقية لشروط تجارية مع المغرب.
4. الطريقة التي تمّت بها المصادقة قائمة على أساس شراء الذمم والخداع وهنا يُشير إلى وجود رشوة.

هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى طرحها "ليون روش" تعود إلى تدخّلات القنصل الإنجليزي في طنجة الذي رأى في أن الاتفاقية التجارية تضرّ بمصالح بلاده، ويقول أيضا أن السلطان المغربي رضخ إلى احتجاجات الأمير عبد القادر الذي كان يراسل أصدقاءه في بلاط فاس باسم القبائل المغربية[2]. ولكن يبقى السؤال المطروح هو هل السلطان استمر في رفضه لبنود الاتفاقية؟

إنه وبمجرد أن علمت السلطات الفرنسية بموقف السلطان سارعت إلى محاولة احتواء الموقف لصالحها، فقامت بتكثيف نشاطها الدبلوماسي لدى السلطان، وذلك من خلال إقدام "دي لاري" على إرسال "ليون روش" إلى السلطان في يوم 12 ماي 1845 حاملا معه خطابين، الأول إلى السلطان والثاني إلى وزيره محمد بن إدريس، فكلّف السلطان من جهته بوسلهام بالتفاوض معه بطنجة، إلاّ أنّ "روش" حاول دحض الحجج التي قدّمها السلطان في رفضه للمعاهدة واكتفى بكتابة مُذكرة للسلطان ليُجيب عنها وقفل راجعا إلى مكانه.

وفي يوم 3 جوان 1845 أرسل وزير السلطان بخطاب إلى "دي لاري" يشرح له فيه رغبة السلطان في إعادة النظر في الاتفاقية، إلا أن هذا الطرح لم تستسيغه فرنسا وهو ما دفع بـ "ليون روش" إلى تقديم إنذار شديد اللهجة إلى السلطان، ونتيجة لذلك استلم بوسلهام من السلطان يوم 19 جوان 1845 الأمر بالموافقة عليها في الرسالة الآتية: « وما وقع فيه الزيادة على حدود الترك فلا تفويض فيه ولا نقبله، وقد صحّ عندنا ما وقع من التعديل في بعض الأماكن حسبما تطالعه في التقييدة الدارة عليك... إن الحد هو تافنا الوادي المعلوم... فإن رضوا بالحدود على ذلك الوجه أعلمنا نُجرد نسخة ونطبع له عليها، وإن لم يرض فليقع السكوت على ذلك من الجانبين وتبقى الحدود على شهرها بما كان بين هذه الإيالة وإيالة الترك »[3].

إن هذا الموقف الجديد من السلطان يدفع بـ "دي لاري" إلى مراسلة وزيره للحربية ليهنئه على هذا النجاح الذي تحقق لفرنسا في ما نصه: « ومعاهدة لالة مغنية ليست مجرد اتفاقية للحدود، بل هي في نفس الوقت معاهدة مبادئ، تضع الأهالي المسلمين بين أمير مسيحي وبين سلطان المغرب، وتضع إمبراطورية الجزائر

1- مديرية الوثائق الملكية: مجموعات وثائقية، المج 1، المصدر السابق، ص489.

2- مناصرية، يوسف: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832- 1847، المرجع السابق ص 78.

3- وثائق خ، ح، ر: المحفظة رقم 16، الوثيقة رقم 40، بتاريخ 29 جمادى الأولى 1261هـ/ 5 جوان 1845 رسالة السلطان إلى بوسلهام. يُنظر الملحق رقم 8.

على نفس قدم المساواة مع إمبراطورية المغرب، وتعترف للفرنسيين بحق تتبع الأمير داخل الصحراء المغربية».[1]

لقد علّقت الصحف الفرنسية هي الأخرى على هذا النصر ففي جريدة "ديبا" (Débat) كتبت تقول «ولكن تعترف أيضا بأن سيادتنا (الفرنسية) تمتد في الصحراء الكبرى بتحديدها في هذا الجزء من البلاد المعروف باسم بلاد البنادق، القصور، العقال، والعيون التي تخضع لنا والقبائل التي تخضع لإمبراطوريتنا».[2]

إنّ موافقة السلطان على الاتفاقية كانت نتيجة للجهود التي قام بها "ليون روش" بجانب التهديدات التي تعرّض لها، فالسلطان كان مُخيرا بين الموافقة والمواجهة الحربية فرضخ لتهديد فرنسا مُعلنا مصادقته على الشروط التي قال عنها بأنها لا ضرر فيها على المغرب.[3]

بعدما ضمنت فرنسا مصادقة السلطان على الاتفاقية ضاعفت من نشاطها الديبلوماسي بواسطة قناصلها وموظفوها في المغرب لمحاصرة المجاهدين الجزائريين، ولإبراز خطورة هذا النشاط فإن "دي لاري" أرسل بكتابين: الأول إلى السلطان والثاني إلى وزيره ولأهميتهما نورد بعض ما جاء في الأول للسلطان. فبعد مدخل وضح له من خلاله أواصر المحبة والمودة التي تربط فرنسا بالمغرب، وأن عبد القادر هو سبب فسادها « وسبب الفساد الواقع بين الدولتين إنما نشأ عن حلول الحاج عبد القادر بقرب الحدود، ولا يخفاكم أنه أصل كل فساد وعنه ينشأ، وبفساده تنقضي المحبة المعقودة بين الدولتين، وهو نازل الآن في بلد قلعية وتروهم في ضيافته وإعانته هو وسائر دائرته ».[4] ولم يكتف بهذا الطرح بل تعد ذلك إلى وصف عبد القادر بصفات ذميمة كما طعن في صحة جهاده « وما ذلك إلا من كذبه على القبائل بالتمر بيط والجهاد يختلهم به بلا طاقة وفقه. هذا كذب محض، يزعم أن ليس غيره آمر بالدين والجهاد إنما سعيه هو إفساد رعية المغرب، وهذا الحال لا يخفى على سعادتكم، وفيه خطر كبير للدولتين ».[5]

وفي آخر رسالته يحذر السلطان منه ويقترح عليه فكرة التعاون ضده « وجب علينا إزالة هذا المرض خوفا من زيادته وربما جر لنواحيكم البلاء المحيط به وكل ذلك وقع بإذن الله، فنرجو من سعادتكم العمل بكلامي، وبذل مجهودك في إزالة الحاج عبد القادر لأنك ألزمت نفسك بذلك بواسطة الشرط الرابع من شروط الصلح (طنجة 1844) »،[6] ويطلب منه أخيرا أن يرسل سفارة إلى فرنسا للتشاور في الأمور ولعقد أواصر المحبة والسلام بين الدولتين.

1- جلال، يحي وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص 215.

2-المرجع نفسه، ص 215.

3- يزعم السلطان أنه وافق على الاتفاقية بعد إدخال تعديلات عليها، ضمن بنود لا ضرر فيها للمغرب، ولكن أثناء عملية البحث لم نعثر على هذا التعديل أو البنود المعدلة. وللعلم أن ما جاء في هذه الاتفاقية هو عبارة عن شروط إلزامية وليس بنود كما يحلو للبعض أن يسميها، بل هي لم تكن اتفاقية ولا معاهدة وإنما هي عبارة عن سلم مفروض لا غير.

4- مولاي عبد الرحمن بن زيدان: الإتحاف، المصدر السابق، ص-ص 169-171 والرسالة الثانية لابن إدريس من ص 172إلى ص174.

5- المصدر نفسه، ص.171.

6- المصدر نفسه، ص.171.

وعلى إثر ذلك سارعت فرنسا إلى استغلال فرصة التقارب هذه فأرسلت "ليون روش" وبرفقة "دي لاري" إلى المغرب في شهر أوت 1845[1] لبحث المسألة مع السلطان، وتبادل نُسخ المحادثة بين فرنسا والمغرب بعد موافقة الدولتين عليهما، وللنظر في شأن التحركات الجزائرية عبر التخوم، ومن أجل تكوين سفارة مغربية تُوفد إلى باريس لبحث مسألة العلاقات الثنائية، وبعد محادثات مُطوّلة وافق السلطان على المطالب الفرنسية خاصة في ما تعلق منها بإيفاد سفير عنه إلى باريس وهو ما تم فعلا.

سفارة عبد القادر أشعاش إلى باريس:

لقد تردّد السلطان في إرسال هذه السفارة وفي تعيين الشخص المناسب لها، ونلمس ذلك من خلال رسالته إلى بوسلهام بعدما وافق عليها « فهذا الآن عقد صحيح ورأي بالسداد صريح، وبهذه النية نوجّهه إن شاء الله، ونحن نختار من يصلح لهذا »[2]. ولقد اتجهت رغبة السلطان في البداية إلى اختيار القنصل المغربي محمد الرزيني منذ جمادى الثاني 1261هـ، إلا أن ابن إدريس التزم الحيطة والحذر والتأني وهو ما أدى في الأخير إلى تعيين الحاج عبد القادر أشعاش للقيام بهذه السفارة في رمضان 1261هـ.

سافر أشعاش إلى باريس خلال شهر ديسمبر 1845م برفقة جماعة من الأعيان وأصحبه بهدية وبكتاب إلى الملك الفرنسي جاء فيه: « فإن المراسلة بين الدول والمواصلة بين الملوك الأول (كذا) تفتح للمودة أبوابا وتُيسر للمواصلة أسبابا، وتزيد الود وُدا والعناية تجديدا، وتزرع حُبّ الحب في القلوب، وتُقرّب البعيد وتُيسر المطلوب.»،[3] وسفر أشعاش كان ضمن شروط قيّده بها السلطان أبرزها:

1. أن لا يُبرم أمرا ولا يعقد كلاما.
2. محو ما صدر بين الإيالتين وإشاعة ذلك.
3. المطالبة بتسريح ما عندهم من أسرى مسلمين.
4. عقد الأمل على إبطال شرط متابعة عبد القادر الجزائري وإراحة السلطان من الكلفة به.

استُقبلت السفارة المغربية في باريس أحسن استقبال حيث أقيم لها احتفالا عظيما، ولقد حضي أشعاش بمعاملة خاصة خلال مدة إقامته التي دامت سبعة أسابيع، ولقد علق " دي شا ستو "على مضمون الرسائل التي نقلها أشعاش إلى الملك بقوله:« توجد مائة عام من الفرق بين هذه الرسائل وبين تلك التي وُجدت في ميدان معركة إيسلي »[4].

1- وثائق خ،ح،ر: محفظة 17 الوثيقة 21، رسالة السلطان إلى بوسلهام بتاريخ 13 شعبان 1261هـ/17 أوت 1845 -حول إيفاد فرنسا لكل من "دي لاري" وليون روش إلى المغرب.

2- وثائق خ،ح،ر: محفظة 17 وثيقة رقم 09، عبارة عن رسالة من السلطان إلى بوسلهام بتاريخ 22 جمادى الثانية 1261هـ/28 جوان 1845.

3- محمد، داود: تاريخ تطوان، المصدر السابق، المج،3،ص295.

4- إبراهيم ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص 354.

لاشك أن أشعاش بعد عودته من باريس ساهم في تغيير موقف السلطان أكثر لصالح فرنسا، إذ جاء بفكرة جديدة وبتصريحات تعكس مدى تأثره بفرنسا[1]. ومحاولة منها لتثمين هذه السفارة قامت فرنسا بإيفاد سفير عنها إلى السلطان بمراكش يوم: 26 ذي القعدة 1262هـ، والتي وصلها يوم 12 ذي الحجة 1262هـ، برفقته هدية الملك الفرنسي[2] وكتاب منه إلى السلطان، وبعد قراءة نصه وترجمته رد عليه السلطان بقوله «سنكون معكم على ما كان عليه أسلافنا وأنتم جيراننا لكم علينا حفظ الجوار وقد كنا قبل نسمع عنكم مالا يليق، أما اليوم فقد تحققنا صدق محبتكم في جانبنا وأننا مستعدون لقضاء شؤونكم »[3].

إذا كانت فرنسا قد ظفرت في الأخير بتحسين علاقتها مع سلطان المغرب، وفرض صورتها أمام بعض الدول. فإن التساؤلات المطروحة هي: هل يستطيع السلطان الالتزام بما تعهد به؟ وهل يمكنه مجاراة فرنسا وتنفيذ مطالبها المستقبلية ؟ وتقدم الكثير من التنازلات على حساب حركة الجهاد الجزائرية المرابطة بالمغرب الشرقي؟ قبل معرفة الإجابة عنها أحاول الحديث عن موقف القبائل المغربية من اتفاقية 1845م[4].

3- موقف قبائل المغرب الشرقي.

لقد كان رد فعلها قويا جدا، فهي الأخرى رفضت هذه الاتفاقية واعتبرتها مساسا بهيبتها وشرفها، ومن أبرز هذه القبائل نجد منها أولاد جرير وذوي منيع وأولاد سيدي الشيخ[5] وبني يزناسن وغيرها، ومن مظاهر رفضهم لها هو ما أشار إليه السلطان في رسالة إلى عامله بتطوان جاء فيها:« وقد ورد علينا أولاد سيدي الشيخ المحسوبون من إيالتنا وسألوا عن رسم الحدود فوجدوا فيه تناقضا، فلهم قصور بها وبها أصول و أجنتهم ومحل خزن أمتعتهم وأضافوها لإيالة الترك وهو الأبيض وبوسمعون وشلالة وكذلك تيوت فبوصول كتابنا هذا إليك كلمهم في هذه البلاد أن يسلموها »[6].

1- من بين تصريحاته ما ذكره للسيد "دي شا ستو" القنصل الفرنسي بطنجة: " لو أني شرحت لحمي لتغذية ممثل فرنسا وأرقت دمي لينهل منه، فإن ذلك سيكون ضئيلا جدا إذا ما رأيت أن أبرهن للجميع على مدى ما يغمر قلبي من الاعتراف بعطف سلطان الفرنسيين الأعظم" يراجع: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب، ص80.

2- تشمل ستة مدافع نحاسية من الطراز الجديد، أربعة أفراس من إناث الخيل العتاق

3- مولاي عبد الرحمن بن زيدان: الإتحاف، المصدر السابق، ص 78.

4- للعلم فإن السلطان في الوقت الذي أرسل فيه أشعاش إلى باريس، كان قد أرسل أيضا أحد بني عمومته المدعو سيدي محمد بن سلطان سرور إلى الجزائر في أواخر شهر أوت 1845 ليشرح للمارشال بيجو مواقف المغرب الودية تجاه سياسة الحكومة الفرنسية، وأن يعمل معه على إقامة السلم عبر منطقة الحدود الجزائرية المغربية ومن النقاط التي يمكن الإشارة إليها أيضا، فإذا كانت سفارة أشعاش مقيدة بشروط سلطانية فلماذا مكث كل تلك المدة في باريس؟

5- ينحدر أصلهم من أسرة الخليفة أبو بكر الصديق، تنقلت أسرهم من مكة المكرمة إلى كل من مصر، تونس، المغرب الأوسط تحت قيادة سيدي معمر الذي قادها إلى بلاد بني عامر، استقروا في بادئ الأمر في منخفض واد الفلتة ما يقرب أربعة أجيال، فشيدوا القصور وأقاموا القباب على أضرحة أجدادهم، غادر البعض منهم المنطقة فاستقروا بفقيق حيث شكلوا وحدة جغرافية وروحية عبر النخوم الجزائرية المغربية,أعطوا ولاءهم لحركة الجهاد الجزائرية وناصروها بمختلف الإمدادات، امتد إليهم النفوذ الفرنسي عقب اتفاقية 1845 التي قسمتهم إلى أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة. يراجع: إبراهيم، مياسي (من تاريخ أولاد سيدي الشيخ)، الثقافة ع114، ص-ص. 115-119، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري1881-1912، ص-ص27-29.

6- عبد الوهاب بن منصور: الوثائق، ج 2،المصدر السابق، ص72 الرسالة كتبت في تاريخ 4 رمضان 1261هـ.

لم تكتف هذه القبائل بتقديم عرائض الرفض والشكوى للسلطان فحسب وإنما حاولت أن تُعبر عن رفضها بطريقتها الخاصة المتمثلة في الإغارة على القوات الفرنسية ومنعها من التنقل في أراضيها، ولذلك أصبحت هذه القبائل تعيش مواجهات يومية بينها وبين القوات الفرنسية.

إن قبائل المغرب الشرقي وأهل الريف تجاهلت تلك الالتزامات الرسمية التي تبناها المخزن المغربي، بل ورأت في ذلك أنها سياسة مسالمة ومداهنة منه تجاه فرنسا، وعليه يمكن طرح التساؤلات الآتية: هل كان رفض القبائل للاتفاقية نابعا من حس ديني وطني؟ أم كان مجرد الدفاع عن مصالحها الشخصية؟ وهل ستواصل تمسكها برفضها أم تتخلى عنه فيما بعد؟ ما هي ردود الفعل الفرنسية والمخزنية تجاه هذا الرفض؟ كيف كان موقفها من المهاجرين الجزائريين الذين احتموا بها؟. وقبل أن نحدد أثرها على حركة الجهاد الجزائرية المرابطة آنذاك بالمغرب الشرقي رأيت ضرورة تسجيل الملاحظات الآتية:

1- الاتفاقية كانت مجحفة في حق المغرب لأنها تمت في ظروف غامضة فرض فيها الطرف القوي رأيه[1].

2- الطريقة التي تمت بها المصادقة على الاتفاقية كانت غير نزيهة إذ تمت برشوة ممثلي السلطان[2] وهو ما دفع بهما إلى تجاوز تعاليم سلطانهم.

3- النشاط الذي قامت به الديبلوماسية الفرنسية عقب المصادقة على الاتفاقية، فكان" ليون روش" الشخص المناسب للقيام بهذا الدور، وهنا يمكن أن أتساءل كيف قبل المغاربة التعامل معه وهو الذي كان قد خان عبد القادر الجزائري من قبل؟

4- التحريض الفرنسي المبكر للسلطان ضد عبد القادر وأنصاره، يتبين هذا من خلال رسائله التي تبادلها مع ممثلي فرنسا التي صورت عبد القادر بالعدو اللدود للسلطان، وخوفته منه مستخدمة في ذلك ألفاظ دينية لإيهام السلطان بدورها الخفي، ولكي تسخر من أذهان المغاربة مرة أخرى.

5- إقدام فرنسا على تجاوز مناعة بلاط السلطان بالانفراد بأعيان كانوا من أنصار القضية الجزائرية، ومحاولة حشو رؤوسهم بأفكار مصلحيه، وملء بطونهم بالفرنكات الفرنسية مثلما حدث للسفير أشعاش.

أثرها على حركة الجهاد الجزائرية في المغرب الشرقي:

مما سبق ذكره يمكن حصر هذا الأثر في النقاط الآتية:

1. لقد تضمّن الشرط السابع منها: أنه ليس لعبد القادر حق اللجوء إلى المغرب أو العودة إلى الجزائر، وأن يلتزم السلطان بعدم تقديم المساعدة له، كما يؤكد على ضرورة الوفاء بما جاء في الشرط الرابع من اتفاقية

1- الطرف الفرنسي كان هو الأقوى وذلك من خلال الشخصيات التي مثلته، والمكان الذي تم فيه التفاوض،-مغنية- المحاطة بالجند الفرنسي ومدفعيته، ولا شك أن هذا الوضع فرض على مفاوضي السلطان حالة من الذعر و الفزع.

2- تتحدث الوثائق المغربية في أجزائها: ج 2 عن سياسة فرنسا التي قامت برشو كبار الموظفين المغاربة- حاشية السلطان – وهي التي يسميها البعض بسياسة "الضبلون " لكي تعمل بحرية في المغرب،ويعتبر ليون روش أول من دشن هذه السياسة لمكره وخداعه ولمعرفته باللغة العربية، ومن بين الذين ذهبوا ضحية هذه السياسة نذكر: أرشت الوزير محمد بن إدريس بمبلغ 25،900 فرنك، وبوسلهام بمبلغ 10،368فرنك،ومحمد بن عبد المالك بن عبو باشا طنجة بمبلغ 18.000 فرنك، وحميدة بن علي بمبلغ 25.000 فرنك...الخ. يراجع:

Caillée، Jacques، une mission، Léon Roches à Rabat en 1845، Casablanca، 1947 P.P 85، 86.

عبد الوهاب بن منصور: الوثائق، ج 2، ص-ص 32، 33.

طنجة 1844، وبالتالي فسلطان المغرب ملزم بطرده من أراضيه أو سجنه بإحدى مراسيه، وعليه فالاتفاقية جاءت لتقطع حبل الوصال الذي كان بينه وبين الجزائريين.

2. الاتفاقية كانت ثمرة أساسية سمحت لفرنسا استخدام حق المطاردة داخل المغرب الشرقي، ومع مرور الزمن وإضافة إلى تحركات عبد القادر أرغم السلطان على أن يكون مخيرا بين أمرين: السماح لفرنسا بالتوغل في أراضيه أو تنفيذ ما تعهد به، ولذلك ستكون كل من طنجة ومغنية ومراكش محطات لتعاون فرنسي مغربي ضد حركة الجهاد الجزائرية[1].

3. إذا كانت حركة الجهاد الجزائرية راهنت على قبائل الريف والمغرب الشرقي في مساعدتها، فإن الاتفاقية جاءت لكي تمزق وحدة هذه القبائل وتقسمها إلى قسم خاضع لها مباشرة، وقسم آخر غير خاضع لها وبالتالي إحداث الارتباك في صفوفها وتقييد تحركاتها وتقزيم قوتها حتى تعرقل مساعدتها للجزائريين[2].

4. إن مسألة الحدود كانت تهم عبد القادر أكثر من المغرب، فهي جاءت لكي تضع حدا لتحركاته من و إلى المغرب الشرقي، وذلك من خلال حشد القوات الفرنسية عبر خط الحدود الممتد على مسافة 150كم من البحر المتوسط شمالا إلى ثنية السماسي جنوبا.

5. إن تبادل نسخ الاتفاقية بين السلطان والملك الفرنسي يعتبر بمثابة اعتراف رسمي من السلطان بالوجود الفرنسي وهذا ما لمسته من خلال الوثائق السابقة، وعليه فالضرورة اقتضت أن يكون هناك تبادل ديبلوماسي، وتعاون فعال بينهما ضد الخطر المشترك الذي أصبح يهددهما حسب تصريحات ممثلي فرنسا للسلطان "ليون روش" و" دي لاري".

موقف المغرب الشرقي من حركة الجهاد الجزائرية (1844 – 1846):

منذ سنة 1845 التزم المغرب كله والمغرب الشرقي والريف المغربي خاصة موقفين متناقضين من حركة الجهاد الجزائرية، فالموقف الرسمي – السلطان والمخزن – توقف عن تقديم الدعم والمساندة نزولا عند رغبة الفرنسيين، بينما استمر الموقف الشعبي – القبائل- في تدعيمها ومساندتها إلى غاية شهر ديسمبر 1847. ورغم ما في الموقف الأول من سلبية فإن ذلك لم يمنع السلطان من أن تكون له مواقف إيجابية لصالح المهاجرين الجزائريين خلال الفترة الممتدة من(1844-1847).

1-الموقف الرسمي. يمكن رصده في ما يلي:

1. إنه أثناء سفر عبد القادر أشعاش إلى باريس زوده السلطان برسالة تضمنت التماسا يعفيه من شرط متابعة عبد القادر وطرده من بلاده، كما نصت عليه اتفاقيتي طنجة 1844 ومغنية 1845 إذ قال له: « وأخبرت بالضالة المنشودة والحسنة المقصودة وهو بمجرد وصوله يسرحون ما عندهم من أسارى (كذا) المسلمين وربما

1- حلال، يحي وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص217.

2- يظهر هذا التقسيم من خلال: ضم قبائل جزائرية هي: المحيا، وحميان الجنبة وبنوقيل، وعمور الصحراء وأولاد سيدي الشيخ الغرابة، وضم قصور جزائرية إلى المغرب هي فقيق وايش، أما العرب الذين يخضعون للجزائر: أولاد سيدي الشيخ الشراقة وكل الحميان باستثناء حميان الجنبة، والقصور التابعة للجزائر هي: عين الصفراء وسفسية وعسلة وتيوط وشلالة والأبيض وبوسمعون.

يبطلون شرط الحاج عبد القادر ويريحون (كذا) من الكلفة به»[1]، وقد يكون طلب الالتماس هذا ناتجا عن عجز السلطان وعن تعاطفه مع المجاهدين الجزائريين.

2. أصدر السلطان ظهيرا رحمانيا في تاريخ 4 جمادى الثانية 1263هـ إلى خليفته سيدي محمد بشأن جواز اكتيال الجزائريين القمح لأنفسهم من المغرب ومنعهم إن أرادوه لغيرهم فكتب له ما نصه « فقد بلغنا أن أعراب الصحراء من الواسطة وغيرهم يدخلون أفواجا بعدد كثير لكيل الزرع من قبايل (كذا) الايالة... وإن كانوا يأخذون ذلك لأنفسهم ويحملونه لإقامة بنيتهم فأترك سبيلهم فإنهم إخواننا ولا سبيل لمنعهم»[2].

3. احتضانه لرجال الدين الجزائريين الذين كانوا رفقة الأمير عبد القادر وآثروا الهجرة إلى المغرب، وكان من بين هؤلاء قاضي الأمير عبد القادر بن محمد الذي عندما حل بالمغرب أمر السلطان ابنه سيدي محمد بواسطة ظهير رحماني يلح فيه على ضرورة الاهتمام به وإعانته في ما نصه «فبوصوله إليك مر (كذا) الطالب علال الشامي يدفع لحامله الفقيه السيد عبد القادر بن محمد قاضي الحاج عبد القادر بن محيي الدين ثلاثين مدا من القمح إعانة له على مؤنته، وينظر له دارا يسكنها مناسبة لحاله وإن كان أهلا للتدريس يجعل له ما يستحقه من المشاهرة... وقد كتبنا لولد عمنا مولاي عبد الهادي بذلك بأن يجعل له ما يستحقه فإن قيمة كل أحد ما يحسنه»[3].

4. قدم للمهاجرين الجزائريين خاصة الأشراف منهم كل سنة خمسمائة مدا من القمح بالمد الفاسي مع خمسمائة مثقالا كذلك وكان بما خمسمائة ريالا أو ما يقرب منها، وذلك زيادة على صلته لهم في الأعياد، وكذلك عوامهم من أهل الحرف والزراعة، فقد أصدر أوامره لعماله باحترامهم وتوقيرهم وعدم تكليفهم بأي عمل من الأعمال المخزنية.[4]

5. استقباله لقبائل الحشم وبني عامر التي تركت دائرة الأمير عبد القادر، فأنزلهم على نهر سيبو بين التسول والبرانس[5] ومنحهم أراضي خصبة لزراعتها والانتفاع بها، وحملهم لمراكش وأنزلهم بأخصب البلاد بالسويدات من قبيلة الرحامنة من عرب حشم البلاليين إخوانهم[6].

6. احتضانه لأعيان الأمير عبد القادر الذين تخلوا عنه وآثروا الهجرة إلى دار السلطان ومن بين هؤلاء: الميلود بن عراش ومحمد بن ايكرو وغيرهم، ومما قام به السلطان مثلا مع ابن عراش هو التوسط له عند الفرنسيين بإطلاق سراح ابنته بواسطة رسالة بعثها إلى ابنه سيدي محمد يوم: 16 ربيع الثاني 1263هـ/3 أفريل 1847م جاء فيها: « وبعد فقد أخبر خديمنا القائد الميلود بن عراش أن بنتا له أسرها النصارى ولا زالت عندهم وطلب تسريحها، فبوصول كتابنا هذا إليك مر قائد وجدة أن يكاتب كبيرهم الذي بتلمسان...

1- وثائق خ،ح،ر: محفظة 17 وثيقة رقم 09، عبارة عن رسالة من السلطان إلى بوسلهام في تاريخ 22 جمادى ثانية 1261هـ/ 28 حزيران 1845م.

2 -مولاي عبد الرحمن بن زيدان: الإتحاف، المصدر السابق، ص125

3-Ismail, Hamet: le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger، op، cit.،P81.

4 -مولاي عبد الرحمن بن زيدان: الإتحاف، المصدر السابق، ص 124.

5- أحمد الناصري السلاوي: الاستقصا، المصدر السابق، ص 56.

6- المصدر نفسه، ص61.

في تسريحها وتوجيهها إليه فإنه الآن في جوارنا وفي ظل دولتنا[1]».

7. إقدامه على إطلاق سراح المساجين الجزائريين بقايا معركة الحشم وبني عامر في رسالة كتبها إلى أحمد بن المعطي يوم: 02 رمضان 1264هـ/2 أوت 1848م جاء فيها: « وبعد فيرد عليك مساجين الحشم مع حشمهم... أمرنا وصيفنا فرّجي بتوجيههم لولدنا سيدي محمد أصلحه الله فنأمرك أن تسلك بهم مسلك إخوانهم الذين توجهوا على يد وصيفنا الجيلاني... والقيام بمؤنتهم واركابهم ومن معهم من عيالهم حتى يخرجوا من ايالتنا ويصلوا لخديمنا الحاج موسى الغربي وعددهم ثمانون»[2].

2-الموقف الشعبي:

في الوقت الذي قيد فيه السلطان عبد الرحمن نفسه بشروط اتفاقيتي طنجة ومغنية بالتوقف عن دعم المجاهدين الجزائريين، فقبائل المغرب الشرقي والريف قدمت لهم الكثير من المساعدات خلال ثلاث مراحل الأولى منذ لجوئهم إلى المغرب الشرقي وعقب هزيمة إيسلي قامت باحتضانهم، والثانية حين قدمت لهم المساعدات بل وساهمت معهم في الجهاد، وفي الأخير دافعت عنهم ضد القوات الفرنسية وجنود المخزن المطاردة لهم. وكانت هذه المواقف محكومة إلى العوامل الآتية:

1. العلاقات التاريخية والاحتكاك المباشر بين القبائل المغربية والمجاهدين الجزائريين منذ سنة 1830، هذه العلاقات كانت قائمة على القرابة والنسب والاشتراك في مردود الأرض.

2. العلاقة المتينة التي كانت تربط عبد القادر الجزائري بشيوخ هذه القبائل أمثال الشيخ ميمون وبوزيان، وأن عبد القادر كان في نظر المغاربة من الطريقة القادرية التي حطت رحالها بالمنطقة في شخص شقيقه محمد السعيد، وبالتالي فالزوايا الدينية كان لها أثر في ذلك، ونلمس ذلك من خلال الدعم الروحي الذي تلقته حركة الجهاد الجزائرية من لدن فقهاء وعلماء المغرب الذين ربطتهم صلات قوية بالطرق الصوفية المنتشرة هناك.

3. مراعاة لشخص الأمير عبد القادر البطل الذي احتضنوه ودافعوا عنه ضد العدو الفرنسي وضد سياسة سلطانهم المداهنة للفرنسيين[3].

4. الرفض القاطع لاتفاقيتي طنجة ومغنية، فما إن علمت القبائل المغربية بشروطهما أعلنت عن مواقفها المؤيدة للمهاجرين والمجاهدين الجزائريين.

5. إحساس القبائل عن وعي بخطورة الموقف الذي أصبح يهددها بعد سقوط العاصمة الجزائرية ومدن الغرب الجزائري ومغنية في قبضة العدو[4].

6. المراهنة على مناعتها وتحصنها بمنطقة جغرافية صعبة المسالك جعلتها تقوم بعمليات فدائية ضد القوات الفرنسية وترفض أوامر السلطان، وحينما تشعر بالخطر تتحصن بها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها تاريخيا تبدو مستقلة تماما عن السلطان وأحكامه لا تصل إليها فقررت القيام بالجهاد ضد الفرنسيين.

1- Ismail Hamet: le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger, op. cit., P89.

2- Ismail Hamet : Ibid., p121.

3- جلال، يحي وآخرون: مسالة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق ص 225.

4- لطيفة بنابي سميرس: الموقف المغربي من تطور الأطماع الأوربية (1830-1845) المرجع السابق، ص107.

7. التقاء أهداف حركة الجهاد الجزائرية بأهداف هذه القبائل المتمثلة في التصدي للخطر الأجنبي المشترك الذي أصبح يهددها، وعليه فإن عبد القادر كان يمثل في نظرها البطل لذلك تجاوبت معه في الدفاع عن الدين والأرض والعرض[1]. تمت هذه المواقف المساندة خلال المراحل الآتية:

1. مرحلة ما بعد إيسلي 1844 إلى غاية شهر سبتمبر 1845.
2. مرحلة تواجد عبد القادر الجزائري بالغرب الجزائري من سبتمبر 1845 إلى شهر جوان 1846.
3. مرحلة عودة عبد القادر إلى المغرب من جويلية 1846 إلى شهر ديسمبر 1847.

2-1 مرحلة ما بعد إيسلي 1844- سبتمبر 1845:

أثناء معركة إيسلي[2] انسحب الأمير إلى نهر ملوية بساحل البحر بموضع يقال له صبرة قرب عين ماء بها قرية تسمى زورا فاستوطنها – وهي تابعة لقبيلة قلعية- برفقة دائرته والقبائل الجزائرية التي التحقت به مثل الحشم وبني عامر والجعافرة وبعض أعيانه كمصطفى بن التهامي والبوحميدي ومحمد بن عيسى البركاني وابن عراش وأخويه مصطفى والحسين.

لقد كان موقف أهل تلك الناحية مفيدا لجهاد الجزائريين فيذكر لنا صاحب المذكرات ما نصه: « وفرح بنا أهل تلك الناحية، خصوصا العرب أولاد ستوت وأهل قارت ومن حاذاهم من الشلح كالمطالسة وبني بويحي ومن ثم من البرابر وأقامونا وجيشنا هدايا وزيارات مترادفة»[3]، وتعود أسباب اختيار هذه الناحية للنزول فيها إلى ما يلي:

1. حصانة موقعها الجغرافي ضد أي خطر محتمل من العدو الفرنسي.
2. نفوذ الطريقة القادرية بها ونزول شقيقه محمد السعيد بقبيلة قلعية حيث كلف بإدارة شؤون الزاوية القادرية بها.
3. عامل تاريخي يعود تفسيره إلى ما كان شائعا حول أن آل محيي الدين نزلوا من الريف المغربي قبل أن يستقروا بمعسكر بالغرب الجزائري.
4. مساندة زاوية سيدي رمضان ذات النفوذ الروحي الكبير على بني سناسن للمجاهدين الجزائريين.
5. تأييد قبائل شرق الريف مثل أولاد ستوت وبني بويحي والمطالسة للمجاهدين الجزائريين، فامتزجت أهداف عبد القادر بأهداف سكان هذه الناحية.

إن نزول المجاهدين الجزائريين بهذه الناحية كان برأيي يهدف إلى تجميع القوات وتنظيمها وتدريبها، والحصول على معونة المغاربة المادية والمعنوية، ثم التوغل من جديد في أراضي الغرب الجزائري لمواصلة حركة الجهاد وهو ما تم فعلا، ولذلك ارتأيت أن أتتبع هذه الخطوات وأبرز دور المغاربة خلال هذه المرحلة في الفقرات الآتية:

1- ندوة المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص450.

2- مذكرات الأمير عبد القادر، ص121، البيان المعرب، ص130.

3- المصدر نفسه، ص121.

اتخذ عبد القادر من المغرب الشرقي قاعدة لتجميع المجاهدين وتدريبهم على استعمال السلاح، فأقام لذلك معسكرات كانت تبدو للعيان في وجدة وضواحيها، ثم بنى مراكز للتكوين والتدريب على الجهاد والتي انتشرت في مختلف مدن وقرى المنطقة الشرقية، وكانت أهم هذه المراكز متواجدة على الضفة اليسرى لنهر ملوية لا سيما في سهول صبرا[1].

وشملت تحركات عبد القادر مختلف قبائل الناحية سيما بين قبائل المطالسة وبني توزين و بني وليشك وبني سعيد، أين كان يجد حسن الاستقبال والاستقرار، وقد أكد هذا "بيجو" للضابط "لامورسير" في رسالة يوم 18 جوان 1845: «إن الأمير عبد القادر يتحرك بحرية بالمغرب الشرقي دون أن يجد من يوقفه عند حده، فاتفاقية مغنية لم تحترم من طرف المغاربة»[2].

استغل عبد القادر المنطقة أيضا في عقد تجمعات كبيرة للمجاهدين، في عيون سيدي ملوك قرب وجدة وفي مدينة عين زورا في ناحية الناظور، خاصة وأن هذه المنطقة كانت مسقط رأس أجداده، ولقد عبّر "كافينياك" عن هذه الحالة في رسالته إلى الجنرال "دي لا مورسيير" يوم: 30 سبتمبر 1845 بقوله: «إن عبد القادر هو سيد البلاد الجبلية ما بين الحدود الشمالية وتافنا السفلى، لقد حشد فيها كل المهاجرين من تافنا إلى الدوابر، ومن البحر إلى جبال الجنوب، لم يبق هناك أحد، إنه لنجاح هائل لعبد القادر»[3].

ونتيجة لهذا النشاط تكون قبائل المنطقة دعمت المجاهدين الجزائريين عن طريق مدهم بالمجاهدين من أبنائها والزج بهم في معسكرات التجمع التي أقامها عبد القادر لتتعلم فنون الحرب والقتال، وسنرى أن هؤلاء سيشاركون فيما بعد إلى جانب الجزائريين في ميدان المعارك عبر التخوم وحتى داخل التراب الجزائري.

لم يبخل سكان الناحية عن مد المجاهدين بما يحتاجون إليه، فمنحوهم الأراضي الزراعية قصد زرعها واستغلالها في تموين أنفسهم بإنتاجها، في الوقت الذي قام فيه المغاربة بتدعيم مراكز التموين التي أقامها عبد القادر بالحبوب والخيول وعلف الماشية وكل ما يحتاج إليه من مؤونة[4].

و لم يمتنع المغاربة أيضا خلال هذه المرحلة عن تقديم الأسلحة مجانا للمجاهدين فمنحوهم تسهيلات لاقتنائها من مصادر أجنبية، فقد قدمت القبائل المستقرة بنواحي تازة بعد شهر مارس 1845 مباشرة إمدادات عسكرية لعبد القادر سيما الذخيرة الحربية كالبارود بالإضافة إلى القرب التي كانت تستخدم لحمل الماء للمجاهدين أثناء المعارك.[5] ولضمان أكبر قدر ممكن من الدعم للمجاهدين الجزائريين قام عبد القادر بالكتابة إلى شيوخ وأعيان القبائل ملتمسا منهم إعانته بما يستطيعون، وكان من بين هؤلاء أهل فقيق الذين كان لهم دور كبير في مناصرته ومؤازرته.

1- عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر 1832-1845، المرجع السابق ص، 148.

2- GEORGES، Yver (La question marocaine en 1846) op، cit.، p202.

3- إبراهيم ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص 346.

4- عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر 1832-1845، المرجع السابق، ص148.

5- المرجع نفسه، ص-ص: 151-152.

ولقد سبق لعبد القادر أن اتصل بهم في سنة 1836م، وأثناء هـذه المرحلـة ورد إليـه جوابهـم في 12 جمادى الثانية 1262هـ/1845م يُعلنون فيه عن استعدادهم لمساعدته خاصة أعيان قصر الوداغير وزناكـة. في الوقت الذي قام فيه بتجديد الاتصال بهم عن طريق الرسائل التي بعث بها مع رجلين من أهل زاويـة أولاد سيدي الشيخ وهما: السيد حمزة بن أبي بكر والسيد الشيخ بن الطيب لأعيان الوداغير يُثنّهم فيها عن نجدتـه، خاصة وأنه يعلم جيدا أنهم من المهرة في صناعة المتفجرات[1].

وقد جاء في خطابه لأهل فقيق: «ابعثوا لنا رجالا يعرفون صناعة اللغم تحت الأرض، ولكـم علينـا وعلى السلطان مزية كبيرة، ولكل واحد مائة ريالا دراهم وجميع مؤونة الصنعة وكراء الدواب علينا»[2].

فكان جواب أهل فقيق له بشأن طلبه ما نصه: «أيّد الله مقام أمير المجاهدين الحاج عبد القادر بن محيي الدين... فليكن في كرم علم سيدنا أنا قد أجبناك مع الرسول الأول، وسبب تخلفنا عنك عدم الأمان فيمـا بيننا والآن قد منّ الله تعالى بالملاقاة مع جيراننا، واتفقنا عل نصرة الدين وجهاد الملحدين، واعلـم لنـا مـع الرسول إن كان الكافر لازال في منزله، فاعلم لنا بما يُقوّم المجاهد من الزاد، وكم يمكث في قدومه وإيابـه. في جمادى الثانية 1262هـ»[3].

ولإظهار أثر هذه المراسلة أكتفي بالإشارة إلى أنها نبّهتهم إلى خطورة الموقـف الفرنسـي ولذلـك أصبحت خُطب الجمعة في مساجدهم تُدوي بالدعوة إلى الاستعداد للجهاد، ومؤازرة المجاهدين الجزائريين، و لم يكتفوا بذلك بل قاموا بالمساهمة وبقوات رمزية من متخصصي نصب الألغام مع عبد القادر، وسنرى فيما بعد أن هذا الأخير سيحطّ رحاله بينهم أثناء انسحابه من الغرب الجزائري إلى المغرب الشرقي.

و لم يكتف عبد القادر بالكتابة إلى أهل فقيق فحسب[4] وإنما وسّع ذلك إلى مختلف شـيوخ القبـائل، فكتب عدة مرات لأهل الريف وجباله، ووصلت رسائله إلى أولاد مولاي عبد السلام بـين مشـيش وأولاد ستوت والمطالسة وبني بويحي وبني سناسن والأنجاد.

ومع مرور الزمن أصبح المغرب الشرقي قبلة للمهاجرين الجزائريين الذين فروا بدينهم ونزلوا بـالقرب من الدائرة، وهو ما أدى إلى ارتفاع عدد الخيام المحيطة بها التي بلغت حوالي ستة آلاف خيمة خلال شهر أوت 1845. وبلغت قواته خلال هذه الفترة ألف وستمائة من الفرسان والمشاة النظاميين، بالإضافة إلى حوالي ألفين من فرسان القبائل المهاجرة[5] هذا فضلا عن القوات المغربية المتطوعة.

1- أحمد، مزيان: مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي خلال القرن 19 فقيق ما بين (1845-1903)، المرجع السـابق، ص126، إنّ جواب أهل فقيق جاء متأخر بحوالي تسع سنوات (1836، 1845) ومرد ذلك إلى ذلك الصراع الذي كان قائما بين أهل القصور حول منبـع عين تزادرت بين الوداغير وأهل زناكة، ولذلك لم يراهنوا على تفريغ قصورهم من حراسها، وخوفا أيضا من أي خطر خارجي محتمل آنـذاك من القبائل المجاورة، وبعدما تمكنوا من احتواء هذا الصراع لجدهم يستجيبون لنداء عبد القادر، وهذا الأخير كان على علم كبير بقدراتهم الفكرية في شؤون صناعة الأسلحة، ولذلك نراهم مدوه أثناء حصاره لعين ماضي 1838 برجال مهرة في تفجير الألغام.

2- المرجع نفسه، ص126.

3- المرجع نفسه، ص126.

4- العربي، هلالي: فجيج، تاريخ، وثائق، معالم، المطابع المغربية طنجة، 1981، ص-ص، 58-59.

5- مولاي، بلحميسي: (الأمير عبد القادر والسلطان مولاي عبد الرحمن من الألفة والوئام إلى الجفوة والخصام) ص55. الذي قدّر عددهم بحـوالي 6000 جزائري.

مما سبق يمكن القول أن عبد القادر أصبحت له مكانة مرموقة بين القبائل، فأحبه أهلها وناصروه في جهاده ضد الفرنسيين، و لم يفته أن وظف هذه المكانة في تنفيذ الكثير من العمليات الاستشهادية عبر منطقة التخوم الجزائرية-المغربية، الأمر الذي مكنه من مهاجمة فرقتين فرنسيتين الأولى قرب جامع الغزوات على ساحل الغرب الجزائري والأخرى بناحية عين تموشنت فقتل العدد الكثير منهم وأسر حوالي مائتين من الجند الفرنسي[1].

كما سجل انتصارات ساحقة على القوات الفرنسية في معركة سيدي إبراهيم[2] خلال شهر سبتمبر 1845م التي قتل فيها الجنرال مونتناياك (Montagnac) ومعظم جنوده، ومعركة سيدي موسى التي استسلم فيها الضابط مارين (Marin) وجنوده البالغ عددهم مائتين[3]. عقب ذلك مباشرة كتب عبد القادر إلى نائب دائرته أن يذهب برؤوس الفرنسيين المقطوعة إذا وصلوه ليلا إلى سوق الأحلاف ليشاهدهم كل عدو وصديق، في الوقت الذي كتب فيه إلى السلطان والأعيان والأشراف المغاربة ما نصه: «السلام على المغاربة عموما وعلى العلماء والأولياء والوزراء والأكابر خصوصا... وبعد إن كنتم خصصتم لنا الإسلام دونكم قبلناه ورضيناه... ونحن فيه اخوة والجهاد فرض علينا وعليكم، فكيف بكم لم تحصل منكم إعانة لنا لا بنفس ولا بمال ونحن ببلدكم»[4].

فكان جواب أهل المغرب على لسان السلطان كما يلي: «إن الحاج عبد القادر الحشمي قد لزمكم في كتابه بأكبر التشريفات والتلزمات فبماذا تواجبونه (كذا) في هذا الأمر، فاتفقوا على جوابه فيما سيذكر... ونحن أهل المغرب الأقصى لا يطيق حاضرنا وبادينا وسائر أهل نادينا على شيء من غير المهادنة على أنفسنا وأولادنا ومالنا وبلادنا، فلا نطيق على إعانتكم لا بنفس ولا مال»[5]. لا شك أن هذا الجواب يعكس الموقف الحقيقي للمخزن المغربي من حركة الجهاد الجزائرية، إلا أن هذا لم يثن قائدها عن مواصلة نشاطه وانتصاراته التي رفعت من معنويات المجاهدين الجزائريين، وعززت مكانتهم في نظر المغاربة خاصة عندما شاهدوا قافلة الأسرى الفرنسيين.

وأمام هذا الوضع الجديد ساهمت القبائل المغربية بحركات خاطفة على القوات الفرنسية ثم الانسحاب نحو الداخل للتغرير بالجيوش الفرنسية، وهو ما قام به بنو سناسن، فبعدما تعقبتهم الجيوش الفرنسية حتى وصلت تافوغالت انقضوا عليها من كل حدب وصوب و لم ينج منها إلا القليل[6]، وعليه فالقوات الفرنسية كانت تلقى نفس المصير كلما توغلت نحو الداخل لمتابعة هذه القبائل.

1- قدور بن علي البشير اليزناسي: بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، المرجع السابق، ص75.

2- Journal Akhbar: N° 634 du 07 octobre 1845.

3- مولاي بلحميسي(الأمير عبد القادر والسلطان مولاي عبد الرحمان من اللفة والوئام إلى الجفوة والخصام)، المرجع السابق، ص67.

4 - المزاري: مطلوع سعد السعود، المصدر السابق، ص226.

5 - المصدر نفسه، ص226.

6- قدور بن علي البشير اليزناسي: بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، المرجع السابق، ص75.

إن هذه الانتصارات جعلت القوات الفرنسية المرابطة على التخوم تعيش القلق والاضطراب وهو ما أكده الجنرال "لامورسير" إلى المارشال "سولت" (Soult) في رسالة يوم 27 سبتمبر 1845 «يجب أن لا اكتمكم أن الوضع أصبح خطيرا جدا»[1]. وأمام هذه الوضعية التي لاشك أنها كانت في صالح الأمير فقد استغلها في العودة من جديد للجهاد في الغرب الجزائري. والسؤال المطروح هو هل استمرت القبائل المغربية في دعمها للجهاد الجزائري ؟ وما هي الإجراءات التي اتخذها الأمير؟ هذا ما سنعرفه في المرحلة الثانية.

2-2 مرحلة ما بين أكتوبر 1845 – جويلية 1846:

عرفت حركة الجهاد الجزائرية خلال هذه المرحلة تطورات خطيرة، سواء بالمغرب الشرقي أو بالغرب الجزائري، فبعدما توفرت لديه قاعدة خلفية بهذه الناحية توغل عبد القادر عبر الغرب الجزائري إلى غاية منطقة القبائل –جرجرة– للقيام بحركة استنزاف ضد العدو الفرنسي، في الوقت الذي ترك فيه دائرته وراءه في أيادي آمنة لدى قبائل المغرب الشرقي، فما هي حقيقة هذه الحركة؟ وما هو دور قبائل المغرب الشرقي فيها؟

اعتمادا على الرسائل التي كان بعث بها عبد القادر خلال المرحلة السابقة إلى قبائل الغرب الجزائري[2]. تعرف هذه المنطقة ثورة عامة ضد العدو الفرنسي، ساهم فيها عدة ثوار كان أبرزهم محمد بن عبد الله[3] الملقب بالشريف بومعزة، فهل كان لهذا الأخير ارتباط بالمجاهدين الجزائريين؟ وهل كان ينتمي إلى المغرب الشرقي؟

اختلفت الروايات التاريخية حول الإجابة عن هذه التساؤلات ويمكن التمييز بين رأيين مختلفين:

الرأي الأول: يرى أصحابه أن ثورة بومعزة هي امتداد لحركة الجهاد الجزائرية التي خاضها الأمير عبد القادر، وأن بومعزة ما هو إلا جندي من جنوده سار تحت أوامره ومن بين هؤلاء نذكر:

- شوقي عطا الله الجمل الذي قال: «وكان من أشهر من برز من أعوان عبد القادر في هذه الآونة محمد بن عبد الله الذي اشتهر باسم بومعزة»[4].

1- إسماعيل، العربي: المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص263.

2- سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، القسم1، المرجع السابق، ص295

3- من مواليد 1825 مغربي الأصل وهو من ناحية وزان، ينتمي إلى الطريقة الصوفية الطيبة الوزانية –الطيب الوزاني– التي لها اتباع ومريدين في الغرب الجزائري حل بالجزائر حوالي 1838م، نزل ناحية الشلف، وتزوج من أولاد يونس، وأخذ في العبادة وإظهار الورع، كان يدرس في الأحوال بالمنطقة ويبني في العلاقات وجلب معزة أصبحت رفيقة له، وجعل من حليبها غذاء له، حتى اشتهر بين الناس أنه "بومعزة". ظهر اسمه في ثورة 1845 بالغرب الجزائري –الظهرة– ظل يناضل إلى غاية 13 أفريل 1847م، حيث استسلم للقائد "سانت ارنو" بعدما تنقل بين الجزائر والمغرب، نقل إلى فرنسا حيث سجن بها. فندق الشاذلي ليري، خصص له معاش قدره 1500 فرنك، ويذكر العربي إسماعيل أنه برز اسمه من جديد في صالونات الأرستقراطية الفرنسية، حيث كان يغدو ويروح في رفقة سيدات المجتمع الراقي، ونقلا عن سعد الله أبو القاسم فإن جريدة الأخبار. لسنة 1849 جويلية في ص-ص84-100 زعمت بأنه كانت معه أميرة فرنسية تعلمه الرشاقة والضرب على البيانو. أطلق سراحه سنة 1849 أثناء حكم "لويس نابليون"، فانتقل إلى المشرق، انظم سنة1845 إلى الجيش العثماني برتبة عقيد.

يراجع: المقاومة الجزائرية ص 289، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص، ص 294-296، المارشال بيجو، ص97: الموسوعة العسكرية، ص453، وللعلم فإن جريدة: journal el- akhbar الصادرة في سنوات 1845، 1846، 1847 تناولته بشكل كبير، خاصة الجانب العسكري من ثورته فهي تتحدث عنه باسهاب كبير

4- المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، المرجع السابق، ص281

• العسلي، بسام في قوله: «عاش مناخ الحرب وعمل تحت راية الأمير عبد القادر، ثم تزعم الثـــورة في جبال الظهرة وواد الشلف... حتى إذا ما طاردته القوات الفرنسية التجأ إلى الأمير عبد القادر، وأقام معه فـترة من الوقت ثم عاد إلى منطقة الظهرة»[1].

• العربي، إسماعيل: «وفي أوائل فبراير 1847 (الصواب هو 1846) غادر الأمير أطـــراف الصحـــراء و برفقته فرسان بني حسن... ثم اتجه إلى جبال جرجرة، حيث كان ابن سالم وبومعزة وغيرهما من زعماء القبائل في انتظاره للسير تحت أوامره»[2].

• يحي، جلال: «ازدادت نيران الثورة الجزائرية اشتعالا في كل مكان... فامتدت إلى جبـــال الظـهرة ووادي الشليف (كذا)... وعيّن عبد القادر "بومعزة" خليفة له»[3].

• وجاء في الموسوعة العسكرية «فالتف حوله زعماء القبائل من جديد وانظم إليه بعض الذين تـــابعوا القتال في أثناء غيابه بمراكش مثل بومعزة، لكن قوات عبد القادر أخذت تتضاءل إذ قضي على أهم أعوانـــه بومعزة في نيسان، أفريل 1846 (الصواب هو 1847)»[4].

• ابن عبد القادر محمد «ولحق بالأمير، وانخرط في سلك قواده، وأقام معه في الدائرة مـــدة، وفي ســنة 1263هـــ/1847م انفصل عنه في لمة من أصحابه... جاء إلى دمشق وأقام عند الأمير شهورا»[5].

• سعد الله أبو القاسم: «تنقل من 1845-1847 الظهرة والونشريس والشلف... لكن الأمير لم يحاربـه مثل موسى الدرقاوي، بل تركه في جهاده ربما باتفاق سري معه»[6].

الرأي الثاني: يذهب أصحابه إلى القول أن بومعزة لم تربطه علاقة بحركة الجهاد الجزائرية انطلاقا من عدة اعتبارات خاصة وأن الرجل مغربي الأصل[7] ومن بين هؤلاء نذكر:

• يحي، بوعزيز: «عاد ليتابع حركة الجهاد، و لم يخلص بومعزة في تعاونه معه (أي مع الأمير) فانظم إليـه بعض الوقت ثم انفصل عنه بعد أن أدرك أن شخصية الأمير تحول دون هيبته هو»[8].

• إبراهيم، ياسين: نقلا عنه يذهب "مارسيل ايمري" إلى القول أن عبد القادر كان حذرا منه-بومعـزة-، لأن حركته كانت دينية في عمقها، وأوضحت رسالة من أحد الضباط الفرنسيين في شهر نوفمـبر 1845 أن الشرفاء في الجزائر، ومنهم بومعزة كانوا يعارضون دعوة عبد القادر للقبائل الجزائرية إلى الهجرة للمغـــرب،

1- المارشال بيجو، المرجع السابق، ص 97

2 المقاومة الجزائرية المرجع السابق، ص 295.

3- السياسة الفرنسية1830-1900، المرجع السابق، ص161.

4- يراجع ص: 435.

5- تحفة الزائر، المصدر السابق ص 481.

6- الحركة الوطنية الجزائرية ج 1، المرجع السابق، ص 296.

7- من الذين أكدوا مغربية أصله المغربي نذكر: سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، ص 321. بن منصور عبد الوهاب: قبـــائل المغرب، ج 1، ص 179، يحي جلال: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، ص 228، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج 3، ص 213.

8- ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص31.

ويدعوهما إلى البقاء في بلادها وقتال الفرنسيين»[1].

إذا وانطلاقا من المعطيات التي قدمها أصحاب الرأي الأول والأصل المغربي لبومعزة يمكن القـــول أن هذا الأخير ما هو إلا استمرار لحركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري، ونشاطه يعكس لنا مـــدى مســـاهمته كشخصية مغربية في الجهاد، إذ هو جزء لا يتجزأ من المغرب الشرقي، وعليه فما هو الدور الذي قام به؟ وإلى أي مدى دعّم الجهاد الجزائري؟

نتيجة للسياسة الفرنسية التي بدأتها فرنسا في الغرب الجزائري عقب انسحاب عبد القادر إلى المغـــرب الشرقي، أصبحت بوادر الثورة متوفرة فاستغل بومعزة هذه الظروف وأعلن عن ثورته التي احتضنها ســـكان الغرب الجزائري، فظهرت في كل من الظهرة والشلف والونشريس، وساهمت في إرباك العدو الفرنسي الـذي سارع إلى طلب النجدة من وراء البحر، فكانت هذه أحد الأسباب لعودة الجنرال "بيجو" للمنطقـــة لمحاولـــة احتواء الوضع.[2]

شكل "بيجو "طوابير من المحاربين لمتابعة تحركات بومعزة إلا أنه لم يظفر به بفعل مـــا وجـــده مـــن مساندة أهالي المنطقة في البدايات الأولى من عمر الثورة مارس 1845.

في هذه الأثناء كان عبد القادر مخيما بدائرته قرب نهر ملوية، فكيف كان موقفه من هذه التطـــورات؟ من غير المستبعد أنها تكون بعثت فيه الحماس وهو ما يفسر قيامه بغارات على القوات الفرنســـية في ســـيدي إبراهيم وجبل كركور وسيدي موسى خلال شهر سبتمبر 1845.

بعد معركة سيدي إبراهيم واتصال عبد القادر بالسلطان لطلب المساعدة تأكد لعبد القـــادر امتنـــاع السلطان عن مساعدته، ولذلك قرر مواصلة الجهاد بالمراهنة على قبائل المغرب الشرقي، ففي هذه الأثناء كـــان يتوفر على ستة آلاف خيمة وثلاثة آلاف فارس، ويذكر أديب حرب[3] أنه كان يتوفر على حوالي ســـتة آلاف مقاتل معظمهم من فرسان بني سناسن والغسال وأولاد رياح وأولاد ملوك، وكان ينتظر الفرصـــة الســـانحة للعودة إلى الجزائر وهو ما تم فعلا.

غادر عبد القادر دائرته متوجها نحو الجزائر عبر التخوم المغربية الجزائرية آخذا معه المجندين والمتطوعين من المغاربة الذين دُربوا في مراكزه السابقة الذكر، في الوقت الذي ترك فيه دائرته في أيادي آمنـــة بـــالمغرب الشرقي، ويمكن أن نُميز في هذه المرحلة دورين اثنين للمغاربة الأول هو المساهمة في الجهاد مباشرة مع عبـــد القادر، والثاني هو مناوشة القوات الفرنسية المرابطة على التخوم[4] والدفاع عن الدائرة وحمايتها أثناء غياب عبد القادر.

1- موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص347.

2- رجع إلى الجزائر خلال شهر أكتوبر 1845، استمر في حربه للجزائريين إلى غاية شهر ماي 1847.أين ترك زمام الأمور لكل من:بار و بيـــدو والدوق دومال ولامورسيير، يراجع التحفة، ص،486.

3- التاريخ العسكري والإداري، ج 2 ص 512.

4- Georges، Yver: (La question marocaine en 1846)، op. Cit. P.212.

الدور الأول:

غادر عبد القادر دائرته باتجاه الجزائر خلال شهر أكتوبر 1845 وبرفقته المجندين المغاربة، فقصد في بداية الأمر الحامية الفرنسية بمعسكر، إلا أنه سرعان ما عدل عنها بالانسحاب نحو تاكدامت، حيث تمكن من تحقيق الكثير من الانتصارات على العدو الفرنسي، خاصة وأن قبائل المنطقة باركت عودته بل وساندته في حركته ثم مر جنوب سبدو وسعيدة ليصل في الأخير إلى منطقة القبائل أين يوجد خليفته أحمد بن سالم وبومعزة في انتظاره[1].

وخلال شهر جانفي 1846 قام بمحاولة جريئة لاقتحام العاصمة، فوصلت جيوشه حتى سهول متيجة ثم انسحب إلى مدينة بوغني أين عقد اجتماعا لأنصاره، وفي هذه الأثناء حاولت القوات الفرنسية تطويق حركته إلا أنها لم تنجح في ذلك، وكعادتها لجأت إلى إعلان التعبئة الشاملة فشكلت ثمانية عشر طابورا لمطاردته بالمنطقة، في الوقت الذي تفننت فيه في عمليات الإبادة الجماعية مثل مذبحة غار الفراشيش[2].

نتيجة للإجراءات الفرنسية[3] ضد عبد القادر فُرض على هذا الأخير الانسحاب باتجاه الجنوب أين حط رحاله بمنطقة العمور وأولاد نايل وأولاد سيدي الشيخ، إلا أن هؤلاء التمسوا منه أن لا يمكث عندهم لكي لا يتعرضوا لعقاب فرنسا، فقالوا له: «أيها الأمير المعظم إن نسألك بالله -تعالى- أن لا تعرضنا للحرب، والبلاء مع عدو ديننا ودنيانا بإقامتك عندنا في بلادنا... فلما سمع الأمير كلامهم رق لحالهم، وأشفق عليهم وارتحل عنهم مغربا إلى دائرته».[4]

ولم تتوان السلطات الفرنسية في استخدام كل الوسائل والأساليب لإلقاء القبض على عبد القادر، لكن المنطقة كانت ثائرة في عمومها، لأن وجوده شجع على ظهور الكثير من القيادات الروحية معلنة عن جهادها وقد دانت معظمها بالولاء له، فحاول رجال الطريقة الدرقاوية الاستيلاء على موقع فرنسي في بلعباس، كما حاول أحد الأشراف وهو الفاضل[5] تخليص تلمسان من أيدي جنود الاحتلال.

فالشيخ الفاضل حاول الهجوم على حامية تلمسان إلا أنه لم يتمكن من ذلك، وعندما اشتد الضغط عليه توغل في أراضي المغرب الشرقي واستطاع أن يجمع حوله أولاد مطر وأولاد بلاغ، ولاجئين جزائريين من سهل ميسورين وأن يعود بهم إلى الجزائر برفقة بعض المجندين من الأبْحاد والمزاوير وأولاد أحمد بن إبراهيم،

1- العربي، إسماعيل: المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص 295.

2- تعرضت لها قبيلة أولاد رياح التي شاركت في الثورة بمنطقة تنس، وعندما تعرضت للخطر احتمت بإحدى المغارات – الغار- وهو ما دفع بالجنرال بيليسيه إلى محاصرتها بداخله وعندما رفضت الاستسلام أمر جنوده بإشعال الحطب عند مدخل الغار، استمرت العملية ما بين 17-18 جوان 1845 دون أن يخرج أحد، انتهت الجريمة إلى اختناق ما يزيد عن ألف شخص ! يراجع: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص- ص 238-241.

3- تم تشكيل طوابير جهنمية لمطاردة عبد القادر، مستخدمة في ذلك سياسة الإبادة الجماعية، اشرف عليها ضباط لهم خبرة بفن القتل والتعذيب مثل: "ارجوفيل" وماري ويوسف، ولامورسيير، بيليسيه، جيري كورن، بيدو، سانت آرنو، بورجولي، ابنار، بيجو... وتجوزقم أكثر من 1010000 جندي.

4- ابن عبد القادر محمد: التحفة، المصدر السابق، ص464.

5- كان قد ادعى السلطنة على تلمسان أثناء غياب الأمير في المغرب، ينتمي إلى إحدى الطرق الصوفية بالمنطقة التي شاركت في ثورة 1845.

وهاجم تلمسان في معركة يوم 24 مارس 1846م[1] لكنها انتهت إلى الفشل، ومرد ذلك اكتشاف خطته مبكرا من طرف "كافينياك "ولعدم تكافؤ القوى أيضا.

وفي هذه الأثناء نشطت حركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري، وكانت منطقة التخوم المغربية الجزائرية ميدانا خصبا للكثير من العمليات الاستشهادية التي تبناها رجال قبائل التخوم[2] لمحاولة إرباك العدو الفرنسي، والدليل على ذلك هو أنهم مهدوا الطريق لإيصال المساعدات العسكرية لعبد القادر وهو بالغرب الجزائري، وذلك من خلال السماح للبوحميدي بإرسال مائتين فارس لدعم قواته، ولقد ساهم في عملية مراقبتها وإيصالها كل من الشيخ ميسون وبوزيان اللذين استفادا من عطاء عبد القادر الذي كان يرسل لهما من الجزائر غنائم غزواته.[3] فأربك نشاط عبد القادر جنرالات فرنسا الذين رأوا سبب ذلك هو مساندة قبائل المغرب الشرقي للأمير فوجهت اهامها لسلطان المغرب، وهو الذي سنتحدث عنه حين نتعرض للتعاون الفرنسي المغربي.

أما عبد القادر فبعد أن حظي باستقبال وإكرام أولاد سيدي الشيخ، ارتحل عنهم نحو دائرته بالمغرب الشرقي برفقة من بقي معه من المجاهدين، والغنائم التي تحصل عليها، ثم حط رحاله بأهل فقيق جوان 1846 الذين تزود منهم بما يحتاج إليه من مؤونة، ثم واصل سيره باتجاه دائرته التي وصلها خلال شهر جويلية 1846[4] فماذا وجد في انتظاره؟ قبل أن نجيب عن هذا السؤال، يجدر بنا أن نعرف حيثيات الدور الثاني من هذه المرحلة، وكيف كنت ردود الفعل الفرنسية والمخزنية حولها؟

الدور الثاني:

بهذا الدعم المغربي توفرت للأمير عبد القادر طاقة بشرية هائلة من المهاجرين الجزائريين الذين وصل عددهم إلى حوالي ستة آلاف خيمة وثلاثة آلاف فارس[5] تربعت على مساحة جغرافية تفوق 5 كم^2. ولاشك أن هذا العدد الهائل كان يحتاج إلى التموين والتسويق والأمن والاستقرار ولذلك كانت أراضي المغرب الشرقي قاعدة جغرافية لكل تحركاتهم في ظل غياب عبد القادر بالغرب الجزائري.

استفاد المهاجرون الجزائريون من مردود الأرض التي منحت لهم فموّنوا أنفسهم، بجانب الدعم الذي كان يأتيهم جاهزا من حبوب وأموال وملابس وهدايا، كما تمكنوا من إدارة شؤونهم بأنفسهم في مجالات الحياة اليومية وهو ما دفع البعض إلى اعتبار نظام الأمير هذا دولة داخل دولة[6]. وذلك بفعل ما قام به أهالي

1- أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص299 ويراجع أيضا:

Georges, Yver : La question marocaine en 1846. p.223.

2- Georges, Yver : (La question marocaine en 1846), Op. cit. P, 212.

3- Ibid, P. 236.

4- عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر 1832-1845، المرجع السابق، ص156. الذي ذكر بأن الأمير وصل دائرته ومعه حوالي 4000 مجاهد، بينما صاحب التحفة يكتفي بذكر حوالي 30 مجاهدا عندما كان بجبل العمور، ص462-463، ينظر الخريطة بالملحق رقم، 8.

5- إذا سلمنا بهذا العدد الهائل من الخيم وافترضنا أن في كل خيمة خمسة أشخاص –لأننا لا نعرف حجمها– فإن العدد الإجمالي يكون حوالي: 30000 مهاجر جزائري حلوا بالمنطقة!.

6- مولاي، بلحميسي: (الأمير عبد القادر والسلطان مولاي عبد الرحمن من الألفة والوئام إلى الخفوة والخصام)، المرجع السابق، ص55.

المغرب الشرقي وهو ما أكدته رسالة حاكم وهران إلى قائد وجدة: «عشرون من عسكرنا ماتوا بين مغنية وغابة البطيم قتلوهم عشرون فارسا من النجوع الذين تحت حكمك... عشرون من رعيتك قطعوا الطريق على قومانية صغيرة من الفرنصيص... ولازم يكون بلغك أن قومين من المزاوير وبني مدرار مكنوا عند مشرع قدارة بن فنا لاجل يضربوا قائد جامع الغزوات حين كان راجع من تلمسان»[1].

وفي تقرير في تاريخ 11 أكتوبر 1845م من المارشال "سولت" إلى "بيجو" يؤكد فيه هذا الطرح: «كان يجب على المارشال أن يوجه أنظاره ضد جموع الأمير والتوغل عند اللزوم في أراضي الإمبراطور... بغرض معاقبة بني سناسن وجزء من أنكاد المغرب الذين رافقوا الأمير عبد القادر في عدوانه الخادع»[2].

ولقد لعب شيوخ القبائل دورا كبيرا في تحريضها على الجهاد، مثل الشيخ حمدون بن عبد الرحمن الكرومي قائد الكرارمة الذي رفض الانصياع لأوامر السلطان في التوقف عن مساعدة عبد القادر، وقد كلفه ذلك أن عزله السلطان من منصبه.

ولم يكتف شيوخ هذه القبائل بذلك بل حرضوا قبائلهم على الجهاد ورغبوهم فيه، كما ساهم أنصار عبد القادر من المرابطين في القيام بهذا الدور، وهم الذين كانوا يشرفون على توفير الحاجيات الضرورية للدائرة، ويتلقون غنائم الأمير من الجزائر لتباع في الأسواق هناك، ثم تُصرف في شراء الخيول وتجهيز فرق الفرسان، وهذا ما أكدته رسالة السلطان إلى بوسلهام يوم: 15 أوت 1845م، كتعليق حول رسالة الجنرال "بيجو" جاء فيها: «من نزوله بملوية واشتغاله بالضرب والغارة على قبائل الإيالة الجزائرية، وانه يبيع ما ينهب لهم بوجدة ونواحيها على عين وُلاة سيدنا من غير ناه ولا منته»[3].

وفضلا عن ذلك فالمغرب الشرقي وظفه الأمير بمثابة سجن لكثير من الأسرى الفرنسيين الذين فاق عددهم المائتين وكم حاولت السلطات الفرنسية فك أسرهم بالتوسط لدى السلطان إلا أن قبائل الناحية منعته من ذلك، وهذا ما تؤكده رسالة السلطان إلى عبد القادر أشعاش: «وما ذكرت على شأن ما طلب قونصو الفرنصيص من أمرنا الشريف لبني يزناسن بالوقوف في فك أسراهم الذين عند الحاج عبد القادر ودائرته إلى اليوم... ولو كانوا هم والدايرة عند الأمر ما أبقينا أسيرا عندهم»[4].

ولعل أبرز ما قام به هؤلاء هو تولي مهمة الدفاع عن الدائرة ومن معها من المهاجرين الجزائريين، من خطر الجند الفرنسي وجند السلطان[5]. حينما حاولوا اقتحامها أثناء غياب الأمير عنها، لكن محاولاتهم باءت بالفشل، وما يؤكد هذا الدور ما جاء على لسان السلطان إلى أشعاش:«فاعلم أن هؤلاء بني يزناسن ومن يليهم ... لأنهم جاءوا في الحدود مع وعر جبالهم، وهم الحامون للدائرة المذكورة»[6]. وفي رسالة أخرى إلى بوسلهام يقول فيها: «وليس الكلام مع دائرته وإنما الكلام مع القبائل المتحملون لهم»[7].

1- ندوة المغرب الشرقي: ص، 431.

2- Georges Yver، (La question marocaine en 1846). op. Cit. P 210.

3- وثائق خ،ح،ر: المحفظة رقم 17، الوثيقة رقم 21، رسالة السلطان إلى بوسلهام بتاريخ 13 شعبان 1261هـ/ 11أوت 1845.

4- وثائق،خ،ح،ر: المحفظة رقم 18، الوثيقة رقم 35، رسالة السلطان إلى عبد القادر اشعاش بتاريخ 16 رجب 1262/ 10 جويلية 1846.

5- خلال هذه المرحلة كانت العلاقات الجزائرية المغربية على المستوى الرسمي قد عرفت نوع من الفتور والتوتر.

6- وثائق،خ،ح،ر: محفظة 18، وثيقة رقم 35، رسالة السلطان إلى عبد القادر أشعاش بتاريخ 16 رجب 1262هـ/ 10 جويلية 1846م.

7- وثائق،خ،ح،ر: محفظة 17، وثيقة رقم 01، رسالة السلطان إلى بوسلهام بتاريخ 2 جمادى ثانية 1261هـ/ 8 جوان 1845م.

التعاون الفرنسي المغربي وتصفية حركة الجهاد بالغرب الجزائري(1844-1846):

للوقوف على حقيقة هذا التعاون ارتأيت الإشارة إلى الوثائق التي اعتمدت عليها في هذا الشأن فهي عبارة عن مجموعة من الرسائل[1] تمت بين سلطان المغرب والديبلوماسيين الفرنسيين بكل من طنجة ومراكش وبين هؤلاء وبعض الشخصيات من البلاط المغربي، ومجموعة أخرى تمت بين جنرالات فرنسا وبعض القبائل في الغرب الجزائري، وبين سلطان المغرب وعُمّاله في كل من وجدة ومراكش وتطوان وطنجة، وبينه وبين شيوخ قبائل المغرب الشرقي وأهل الريف.

هذه الوثائق ذات أهمية تاريخية كبيرة لأنها صادرة عن أشخاص عايشوا الأحداث التاريخية فهي مؤرخة في الفترة ما بين1844 -1846م. تناولت أحداثا جرت على منطقة التخوم المغربية الجزائرية، فهي تمكننا من الإجابة على كثير من الأسئلة العالقة ، يغلب على هذه الوثائق خاصة الفرنسية الموجهة للسغاربة الطابع الخاص بألفاظها الدينية، وتُبين أن كاتبها على إطلاع واسع باللغة العربية لذلك تبدو في ظاهرها ذات أبعاد حسنة وطيبة، ولكن في باطنها مداهنة ونوايا سياسية ، ومن جانب البلاط المغربي فقد وظف عبارات تُنقص من قيمة الفرنسيين والجزائريين، بينما يحمل البعض منها تهديدات وإغراءات. وانطلاقا من مضمون هذه الوثائق وتاريخ صدورها ارتأيت أن أبين التعاون المغربي الفرنسي في مرحلتين.

1-المرحلة الأولى (سبتمبر 1844 - ديسمبر 1845):

1-1 الجهود الفرنسية:

أهم ما يميز هذه المرحلة العلاقات المتميزة بين طرفين هما السياسة الفرنسية والمخزنية المغربية في المنطقة، إذ بالإضافة إلى ما سبق ذكره يمكن حصر السياسة الفرنسية في النقاط الآتية:

1. إرغام سلطان المغرب بعد معركة إيسلي على توقيع اتفاقية مغنية عام 1845 وتنفيذ ما جاء فيها من شروط، وعندما حاول التهرب من عدم التصديق عليها لاحظنا في السابق كيف تمكنت فرنسا من إقناعه بذلك.
2. إثر التعاون الشعبي المغربي الجزائري تدخلت فرنسا وبعثت الشك في نفس السلطان وما رسائل "دي لاري" السابقة الذكر إلا دليل على ذلك.
3. عقب الانتصارات التي سجلتها حركة الجهاد الجزائرية عبر منطقة التخوم المغربية -الجزائرية نشطت الآلة الديبلوماسية الفرنسية ففي 8 أوت 1845 كتب "لامورسير" إلى الدوق إيسلي ما نصه:«إن عبد القادر محاط بثلاثة آلاف، أو أربعة آلاف مهاجر، ومن الثابت أنه يستعد للعودة من دون معارضة سلطان المغرب له الأمر الذي يمثل خطرا دائما.»[2]
4. أثناء الانتصارات في معركة سيدي إبراهيم كتب "كافينياك" إلى "لامورسيير" يوم 30 سبتمبر 1845م ما نصه: «لقد أصبح عبد القادر الآن سيد البلاد التي تمتد بين الحدود الشمالية وأعالي نهر تافنا إنه لنجاح

1- تم التفاوزها من مصادر متعددة تم التطرق إليها في الفصل الرابع.

2-Georges Yver: (La question marocaine en 1846). Op. Cit. P. 206.

هائل لعبد القادر، وأنا أشعر أنني عاجز عن وضع عوائق في طريق زحفه»[1].

وقبل هذا التصريح بثلاثة أيام كان "لامورسيير" قد كتب إلى "سولت" ما نصه «ويجب أن لا أكتمكم أن الوضع أصبح خطيرا جدا، لقد ارتكبت أخطاء بشأن عدد من المسائل، وبعض هذه الأخطاء هي، أقل خطورة في حد ذاته (كذا) منها بالقياس إلى عواقبها»[2].

5. خلال شهر أكتوبر تم استدعاء المارشال" بيجو" الذي حمل معه لغة الحديد والنار إلى الجزائر، فباشر نشاطه ابتداء من يوم: 15 أكتوبر 1845 فكتب له "سولت" يبارك عمله قائلا: «الأمر الأساسي هو أن نقضي على ثورة مختلف القبائل في ولاية وهران، وتطرد عبد القادر منها وتحطم قواته، إذا لم يمكن القضاء عليها»[3].

أقدم "بيجو" على بث الفتنة في صفوف القبائل الموالية للأمير تارة بالتهديد:« إذا لم يغلقوا آذانهم لهذا الطموح المزيف الذي يدعي أنه سلطانكم [يعني به عبد القادر] الذي لا يهمه أن يضحي بكم، وكل غرضه هو أن يحقق طموحه... فإذا فضلتم على هذا الحكم الأبوي حكم عبد القادر المستبد القاسي... وحينئذ لا تلومون إلا أنفسكم لما سيلحق بكم... وأنا قد عدت ومعي جيشان»[4]. وتارة أخرى بالوعيد قائلا: ألم نرد إليكم نساءكم وأطفالكم وشيوخكم (بعد المعارك، وفي بعض الأحيان جزءا من قطعانكم أيضا[5].

لم تكتف السلطات الفرنسية بذلك بل راحت تحشد عشرات الآلاف من جنودها عبر الحدود الوهمية التي أقامتها مع سلطان المغرب بقصد تضييق الخناق على التحركات الجزائرية عبرها، كما طلبت منه المشاركة في هذا العمل، وقد أكد هذا السلطان نفسه في رسالته إلى بوسلهام جاء فيها «فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود همز حاكم الجزائر في مراكب النار، وما ذكر على شأن ما أعدوا من عسكرهم... بقصد إتباع الحاج عبد القادر أينما فر من إيالتنا السعيدة، وإلحاحهم في توجيه الحركة له من جهتنا عن إتباعه»[6].

وفي خلال شهر أكتوبر كان السلطان قد أكد لبوسلهام مدى الاستعدادات الفرنسية على الحدود فيقول له: «فقد وصلنا كتابك مخبرا بما أخبرك الفرنصيص من ورود شيطان الجزائر في الاثني عشر ألف من العسكر بقصد إتباع الحاج عبد القادر أينما كان ولو لإيالتنا السعيدة»[7]. ولتطويق الجهاد الجزائري ولمعرفة نوايا السلطان أرسلت إليه "ليون روش" و"دي شاستو" خلال شهر أوت 1845 للاحتجاج بشدة على الدعم الذي يتلقاه عبد القادر من المغرب، فتم استقبال هذه البعثة من طرف البلاط المغربي يوم 21نوفمبر1845م، وكان روش يحمل معه أربعة مطالب رئيسية هي أن:

1. يُرسل السلطان فرقة عسكرية إلى شرق البلاد.
2. يُعين ابن عبو على قبائل الريف.

1- إسماعيل، العربي: المقاومة الجزائرية، المرجع السابق، ص 263.

2- المرجع نفسه، ص263.

3- المرجع نفسه، ص266.

4- المرجع نفسه، ص266.

5- المرجع نفسه، ص266.

6- وثائق،خ،ج، ر: محفظة 17 وثيقة 39 رسالة السلطان إلى بوسلهام بتاريخ 13 ذو الحجة 1261هـ/ 13 نوفمبر 1845م.

7- وثائق،خ،ج، ر: محفظة 17 وثيقة 38. رسالة السلطان إلى بوسلهام بتاريخ 29 ذو الحجة 1261هـ/ 31 أكتوبر 1845م.

3. يُرسل سفارة مغربية إلى باريس، أضاف روش مطلب آخر هو على السلطان أن يبقى في الربـــاط إلى غاية تسوية الأزمة[1].

عندما استقبله السلطان بادره "روش "بالقول: إن الأمير عبد القادر يهدد عرش المغرب اكثر مما يـهدد فرنسا، لأن فرنسا قادرة أن تمنع عليه دخول الجزائر و أنها أتت الآن لتضع نفسها في خدمة السلطان للقضـــاء على العدو المشترك، و تعمل معه على إخضاع القبائل المغربية التي تساند الأمير فأجابه السلطان بأن الأمير هـو أكبر أعدائه، و لذلك سر روش بهذا وكتب خطابا له إلى ابن إدريس يوم: 26 نوفمبر 1845 جاء فيه: «إذا مـا اضطررنا أن ننتقم لأنفسنا فإننا سنساعد على نشأة مصاعب أكثر خطورة من تلك التي نحاول الخروج منـــها، والواقع أنه بدلا من أن نقاوم عمليات هجوم عبد القادر الذي التجأ إلى الأراضي المغربية وهو يحتاج إلى وقـت مُعين لكي يُنظم فيه وسائل هجومه، ولكي يجمع ما لا يزيد على ألفي فارس أو ثلاثة آلاف جندي، سنتسـبب في إثارة القبائل التي تمتد بين البحر حتى الصحراء، ومن تازة حتى وجدة، وسيستفيد عبد القادر مـــن هـــذه الثورات، وسيجعل الثوار يعلنونه سلطانا وسيؤسس بهذا الشكل سلطنة يمكنه بقواته أن يقاوم سلطان المغـرب علانية، وسيستدعي في ممتلكاته الحربية كل العناصر الثائرة الموجودة في الجزائر وسيوجه ضدنا هجماته بشـكل يجبرنا بطبيعة الحال على غزو بلاده إذا ما كنا نرغب في الإطاحة بحكمه»[2].

وصرح أمامه السلطان بما يلي « أكد لجنسك بأنني أعتبر عبد القادر أكبر أعدائي: وبأنني ســـأعامله على هذا الأساس... ولكن قلبي رحيم، وإذا جاء إلي فإنني سأستقبله وأسامحه»[3].

وألح روش بالقول: «إنه يجب تدعيم المحبة والأخوة بين فرنسا والمغرب، وأن ذلك لا يكون إلا إذا قدم السلطان أداة قاطعة تعبر عن حسن إرادته لتقتنع فرنسا أن رسائلها وصلت إلى مسامع السلطان وأن كل شيء يسير بأمره»[4]، ثم قفل راجعا إلى طنجة التي وصلها يوم 27 نوفمبر 1845.

بعدها استجاب السلطان لهذه المطالب ووافق على تعيين ابن عبو[5] على إقليم الريف، وعندما كـــان هذا الأخير متخوفا من مباشرة عمله فإن روش قوى عزيمته ووعده بمساعدة فرنسا له وبدأه بتقديم مبلغ مـــن المال مقداره 40 دوبلون (Doublons) كمصاريف أولية له[6]، ثم كتب إلى الحكومة الفرنسية يقـــترح عليـــها

1- يوسف، مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب (1832-1847)، المرجع السابق، ص51.

2- جلال،يحي وآخرون :مسالة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية،المرجع السابق،ص.260.

3- المرجع نفسه، ص241.

4- يوسف مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832ـ 1847)، المرجع السابق،ص53.

5- هو محمد بن عبد المالك. ابن عبو باشا طنجة كان رجلا فقيرا كثير العيال وكان يتقاضى أجرا ضئيلا فاغتنم نفوذ منصبه، ولجأ إلى جمع المال من الأهالي فتحسنت وضعيته المالية في طنجة، ولما عينه السلطان على إقليم الريف ساءت حالته فاشتكى ذلك إلى قنصل فرنسا في طنجـــة وكـــان روش مطلعا على ذلك فساعدته هذه المعلومات على تنفيذ عملية الرشوة! يراجع مهمة ليـــون روش في الجزائـــر والمغـــرب (1832-1847)، ص80.

6- يتساءل الأستاذ يوسف مناصرية في كتابه أعلاه ص80 عن نوع الدوبلون الذي أخذه ابن عبو لأن هناك ثلاثة أنواع منـــه: الأول مقـــداره 20 فرنك و38سنتيما والثاني 71 فرنكا والثالث بين52 و81 فرنك و لم يكتف روش بهذا العمل بل اقترح عليه اتباع خطة تنظيمية لتهدئة القبـــائل مفادها أن يعين ابن عبو نائبين منهم يقيم الأول في وجدة – والثاني في قصبة سلوان قرب مدينة مليلية. كما اقترح عليه أيضا أن يتـــبع مـــع القبائل سياسة القوة من جهة و سياسة الخداع من جهة أخرى. وأن السياسة الأخيرة لا يتسنى له تطبيقها إلا برشوة شيوخ القبائل!.

تقديم مبلغ خمسة عشر أو عشرون ألف فرنك سنويا إلى ابن عبو لمساعدته على القيام بهذه المهمة لصالح فرنسا.

وحينما علم وزير الخارجية بنتائج رحلة روش كتب إلى قنصله بطنجة يوم 5 ديسمبر 1845 ما نصه: «سيكون للقرارات التي اتخذها السلطان إذا ما نُفذت كما نأمل تأثير كبير على الهدنة في إقليم وهران، ولا يمكنها إلا أن تساعد بقوة على تدعيم العلاقات الودية بين فرنسا والمغرب»[1]. ولتأكيد أواصر المحبة بين البلدين فالسلطان وافق أيضا على إرسال سفير له إلى باريس مثلما سبق وأن ذكرنا، وتعتبر هذه السفارة بمثابة خطوة هامة في مسار التعاون والتقارب بين المغرب وفرنسا. واعتمادا على هذا يمكن استنتاج جملة من الأمور منها:

1. النوايا المبكرة لفرنسا في زرع العداء بين السلطان والأمير بتخويف السلطان من خطر عبد القادر على أنه أخطر من فرنسا نفسها.
2. التهديد بالغزو المحتمل لأراضي المغرب.
3. إقناع السلطان بضرورة التعاون الفعال لمواجهة الخطر المشترك.
4. محاولة كسب ود السلطان.
5. اختراق البلاط المغربي بواسطة الرشوة التي قُدمت لممثلي السلطان الديبلوماسيين وقادته العسكريين.

1-2 الجهود المخزنية:

كانت الجهود المخزنية المغربية خلال هذه المرحلة تُبذل في نفس النهج الذي كانت تريده السياسة الفرنسية، وعليه فالسلطان ملزما بتنفيذ ما جاء في شروط اتفاقية طنجة، ولذلك تحرك لتطبيقها انطلاقا من إزالة القيود التي قيد بها نفسه قصد استرجاع أراضيه التي أخذت منه ووضع حد للشائعات التي روجتها فرنسا حول إمكانية زوال عرشه لصالح عبد القادر، وتجنبا للمزيد من الضغوطات والتهديدات الفرنسية التي أقلقته بالقضاء على التواجد الجزائري بأراضيه للعيش في أمن وسلام.

بادر السلطان بتوجيه رسالة إلى الأمير مفادها الخروج من المغرب الشرقي أو التوجه إلى حضرة السلطان إلا أن عبد القادر رفض الاستجابة له واحتمى بالقبائل التي فهمت رسالة السلطان جيدا، فوضعت يدها في يد عبد القادر لأنها رفضت هي الأخرى طرد هذا المهاجر المجاهد. ولا شك أن رفض الأمير الاستجابة لنداء عبد الرحمن مرده لا يستطيع التوجه إلى الغرب الجزائري خوفا من السقوط في قبضة العدو كفريسة جاهزة، ورفض الذهاب إلى فاس خشية من الأسر، وإذا لم يكن هذا فنفسه جُبلت على حب الجهاد والاستشهاد، وعليه فعبد القادر أصر على مواصلة الجهاد انطلاقا من الأراضي المغربية.

إذن وانطلاقا من هذه المعطيات عمل السلطان على جبهتين الأولى هي طرد المجاهدين الجزائريين. والثانية هي محاولة كسب صفوف القبائل المتحملون لهم إلى جانبه، فما هي الجهود المخزنية خلال هذه المرحلة؟ وما هي النتيجة التي أسفرت عنها؟

بدأ السلطان تدشين سياسته بإصدار أوامر إلى عماله بالمغرب الشرقي لطرد عبد القادر وهذا ما تؤكده الرسالة الآتية التي جاءت في شكل إجابة عن مطالب فرنسية نصها: «وما يطلبون من طرد الحاج عبد القادر

1- جلال يحي وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص263.

من إيالتنا السعيدة فتحمل لهم به وقل لهم إن فلانا قد أمر بطرده المرة بعد المرة وكرر الكتب بذلك لعماله وبعدما بلغه أنه فر لطرف جبل لا تنال أهله الأحكام بطرف الإيالة أعاد الكتب بجد في طرده، حتى لا يبقى له حس ولا أثر بهذه الإيالة»[1].

ومن خلال بعض الرسائل التي بعثها عبد القادر للسلطان نلمس بأن للأمير رغبة في عدم استفزاز السلطان وأن وجوده بالمغرب ما هو إلا وجود ظرفي لا غير، وهذا ما جاء في رسالة السلطان إلى بوسلهام في هذا الشأن يوم: 30جانفي1845 « وبعد فبوصول كتابنا هذا إليك وجه كتاب الحاج عبد القادر بن محيي الدين الذي كنا وجهنا لك لتصالح ما التزم به بأنه لا يتحرك بشيء مما يوجب نقض الصلح مع العد والكافر فقد ظهر من أتباعه بعض ذلك وأردنا إقامة الحجة عليه »[2].

وفي اليوم الموالي مباشرة يكتب السلطان إلى العامل نفسه يخبره بما توصل إليه عبد القادر مع قبائل المنطقة، وأنه نقض ما تعهد به للسلطان وما جاء في هذا الخطاب: «إن السيد عبد القادر نقض ما كان عاهد الله عليه من عدم إحداث شئ في جانب أعداء الدين إمضاء للصلح الذي أبرمناه له، وقد رام استهواء تلك القبائل وما ولاها»[3]، ثم يأمره فيها بتجهيز الجيش لطرده: «فبوصول كتابنا هذا إليك عين مائة فارس من الجيش الريفي تنهض صحبة خد يمنا القائد محمد بن عبد الصادق بقصد نقض ما يبرمه وحل ما يعقده مع تلك القبائل»[4].

لم يكتف السلطان بهذا الطرح بل دافع عن وجهة نظره أمام عماله وقواد جيشه قائلا: «وإنه ليس مراده الجهاد وإنما مراده إثارة الفتنة والفساد فيعامل بنقيض مقصوده، وكنا أردنا الفراق معه على وجه جميل حيث آوى إلينا وحط رحاله لدينا فإذا به سول له شيطانه ما فيه هلاكه وخسرانه»[5]. يكون السلطان بهذا الموقف حاول التقليل من نشاط حركة الجهاد الجزائرية.

وخلال شهر فيفري1845 ونتيجة لزيادة حدة المطالب الفرنسية كتب مرة أخرى إلى عامله ليخبره بالإجراءات التي اتخذها بهذا الشأن في ما نصه: «وأخبرت أن قونصو الفرنصيص (كذا) بالغ في السؤال عن الحاج عبد القادر وأحواله وما يفعل فقد قدمنا كتب العمال لتلك النواحي بالتأكيد في أمره ومحو أثره وإخراجه من الايالة طوعا أو كرها والسلام»[6].

1- وثائق،خ،ح،ر: محفظة رقم14 وثيقة رقم24 رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي بتاريخ 11رجب1260 هـ-27 جويلية1844 م تعتبر هذه الوثيقة خارجة عن نطاق المرحلة المعنية بالدراسة، ولكن طرحها مهما لأنها تؤكد إصرار السلطان على التخلص من عبد القادر.

2- وثائق،خ،ح،ر: محفظة رقم15 وثيقة رقم35 رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي بتاريخ21 محرم1261 هـ 30 جانفي1845م.

3- وثائق،خ،ح،ر: محفظة رقم15 وثيقة رقم38 رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي بتاريخ 22محرم1261 هـ 31 جانفي1845م. ومن مضمونها نستخلص أنها كجواب عن رسالة عبد القادر للسلطان- لم نعثر عليها- ولكن يبدوا أن محتواها تضمن التعهد بعدم التعرض للفرنسيين والمكوث بالمغرب الشرقي إلى غاية جمع شمله وترتيب شؤونه، ثم العودة إلى الجزائر.

4- وثائق،خ،ح،ر: محفظة رقم15 وثيقة رقم38 رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي بتاريخ 22محرم1261 هـ 31 جانفي1845م.

5- وثائق،خ،ح،ر: محفظة رقم15 وثيقة رقم38 رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي بتاريخ 22محرم1261 هـ-31جانفي1845.

6-وثائق،خ،ح،ر: محفظة رقم16 وثيقة رقم05 رسالة من السلطان إلى بوسلهام بن علي بتاريخ10 صفر 1261 هـ/ 18 فيفري 1845م.

أما تقرير بوسلهام إلى ممثل فرنسا في يوم18 ديسمبر1845 فلقد جاء فيه: «إنكم تذكرون لنا فيما يتعلق بالشيخ سيدي عبد القادر، إن هدفه هو التآمر ومحاربة هذه السلطنة السعيدة ،إن مولانا السلطان قد أظهر نياته ورغباته في أن يطرده من بلاده إذ أنه هو السبب في سوء التفاهم الذي يسود بين دولتكم وهذه السلطنة السعيدة»[1].

وأمام هذه السياسة المخزنية القائمة على التسويف، اضطرت السلطات الفرنسية إلى ضرورة الضغط أكثر على السلطان من أجل تصفية حركة الجهاد الجزائرية التي كانت لها تحركات عبر التخوم الجزائرية المغربية، ولقد أثمر هذا الضغط أواخر فيفري ومطلع شهر مارس بوضع قيد آخر ضد السلطان يكمن في اتفاقية لالة مغنية 18 مارس 1845 إلا أن هذه الاتفاقية زادت من تمسك قبائل المغرب الشرقي أكثر بالمجاهدين الجزائريين.

وخلال شهري أفريل وماي 1845 شهدت المنطقة الكثير من التحركات الجزائرية المغربية لاستفزاز القوات الفرنسية، في الوقت الذي شهد فيه البلاط المغربي موجة من الاضطراب أحدثتها اتفاقية الحدود وفي هذه الأثناء راهنت فرنسا على توظيف حرب الشائعات، وما الرسائل التي بعثها "دي لاري" إلى السلطان وابن إدريس إلا دليل على ذلك. وهذا ما أكدته رسالة بوسلهام بن علي إلى ابن إدريس ونصها«وبعد فقد وصلنا ساعة التاريخ كتابك وصحبة كتاب عدو الله دلاري (كذا) الذي جاوبته فيه »[2].

وفي ظل إصرار السلطان على رفض الاتفاقية وأمام مناصرة قبائل المغرب الشرقي للجزائريين وخوفا من ضياع الفرصة أمام فرنسا، سارعت إلى احتواء الوضع لصالحها عن طريق إرسال البعثات الديبلوماسية إلى البلاط المغربي للإيحاء بخطر عبد القادر على السلطة المغربية، إذ جاء في إحدى الرسائل السلطانية إلى بوسلهام بشأن الضغط الفرنسي على السلطان نطرد عبد القادر يوم: 08جوان1845 ما نصه «وأما الحاج عبد القادر فأجبه بأن لسنا عنه بغافلين ولا بأمره متهاونين ومنازعته اليوم معنا أكثر من منازعته معكم، ونحن نرتقب في أمره من السياسة وحسن التدبير ما يحسم مادته إن شاء الله، ولا زلنا في أمره جادين على الوفاء متمادين، والسياسة والتدبير تقضي عدم العجلة وبغض التأخير، فانه لا ينفع في دأبه إلا إعمال الحيلة وارتكاب السياسة ونحن أحرص الناس على أمره وأعرف الناس بخداعه ومكره وليس الكلام مع دائرته وإنما الكلام مع القبائل المتحملون لهم »[3].

وتأكيدا لسياسة السلطان في مسالمة عبد القادر فان هناك خطابا لابن إدريس إلى الجنرال "دي لاري" يوم: 25 أوت1845 يؤكد فيه دواعي هذه السياسة ومن ما جاء فيه: «إن سيدنا لا يرفض أبدا أن يرسل جيشا لمحاربته علنا ولكن التفكير في المحبة والإخلاص الذي حصل عليها عند هذه القبائل يجعله يخشى من نشأة تعقيدات خطيرة، إذا أنهم لم يتخلوا عن رجل طلب إليهم اللجوء، وسيتجمعون حوله وسيعودون إلى حمل

1 - جلال يحي وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص225.

2 - Ismail. Hamet: Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger. op.cit.p73.

3- وثائق خ.ج.ج.ر: مخطوطة 17 وثيقة رقم01 رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي بتاريخ 2جمادى الآخرة 1261 هـ / 08 جوان 1845م.

السلاح ضد السلطان الحقيقي ويضاعفون من إخلاصهم لعبد القادر، الذي سيصل بهذه الطريقة إلى مبتغاه»[1].

ثم يوضح له في خطابه الإجراءات التي قام بها السلطان للقضاء على نفوذه بالمغرب الشرقي في ما نصه « وهناك محلة في الريف للمحا فضة على القبائل وأعطيت الأوامر الأكثر صراحة لحاكم منطقة الأحلاف لكي يشغل الأمير عبد القادر ويحاصره ويقضي على نفوذه، وقريبا بإذن الله ستنتهي المسألة ويطفا (كذا) مشعل الشر»[2] ومن خلال هذه الرسالة نستنتج الملاحظات الآتية:

1- التأكيد على الدور الفعال الذي قامت به قبائل الناحية تجاه الأمير.

2- استعمال السلطان الحيلة والسياسة في إخراجه دون ثورة القبائل ضده.

3- إصرار السلطان على التعجيل بتصفية قضية عبد القادر.

4- النفوذ الكبير الذي حظيت به حركة الجهاد لدى قبائل المنطقة.

وأمام هذه التطورات ضاعفت فرنسا من ضغوطها وذلك بإظهار جيوشها على الحدود لإيهام السلطان بغزو المغرب ومطاردة عبد القادر وهذا ما جاء في رسالة السلطان إلى بوسلهام قوله: فقد وصلنا كتابك مخبرا بما أخبرك الفرنصيص من ورود شيطان الجزائر في الاثني عشر ألفا من العسكر بقصد اتباع الحاج عبد القادر أينما كان ولو لإيالتنا السعيدة. فكيف كان موقف السلطان أمام هذه التطورات؟

أقدم خلال شهر أكتوبر1845 م على توجيه رسالة إلى القبائل المتحصلة للمجاهدين الجزائريين وخص بالذكر بني يزناسن وأنكاد، وهي رسالة مملوءة بالكثير من التهديد والوعيد، فحاول السلطان أن يبين القصد من حركة الجهاد بقوله: «وما مراده إلا إثارة الفساد وجلب الشر والفتنة للمسلمين كما جلبها لإيالة الجزائر وغيرها فأوقعهم في الكفر وانقادوا بسببه لاستيلاء الكفار وأسلموا أنفسهم لأحكامه، وعاد عليهم شؤم فعله بالدين»[3].

ثم يحاول السلطان توضيح أسباب الخلاف بينه وبين عبد القادر وما يريد بالقبائل: «وقد خدعكم بإظهار الدين وأحوال الصالحين وما في ضميره إلا الفساد وإيقاد الفتنة بين العباد ونحن لا نكره الجهاد بشروطه ونكره ما يعود بالضرر والغلبة لجانب الإسلام، ولكن هذا المشؤوم أراد نقض ما أسسناه من الصلح الشرعي(إشارة إلى اتفاقية مارس1845) وإيقاد الفتنة بعد إطفائها، سعيا في هضم جانب عزكم وإفساد دينكم ودنياكم، وتكدير خاطرنا عليكم وأنتم لا تشعرون»[4].

ولم يكتف السلطان بهذا بل حاول الدفاع عن الصلح المعقود مع العدو الفرنسي قائلا: «ولو رأينا الخير للمسلمين في غير الصلح ما ارتكبناه فلا يفيدهم إلا ذلك، فاسألوا أهل العلم وما ورد في صحيح

1- جلال، يحي وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية: المرجع السابق ص 227.

2- المرجع نفسه، ص.227.

3- ابن عبد القادر محمد: تحفة الزائر المصدر السابق ص -ص 487 -489 ويؤرخ لها بتاريخ 3رمضان 1263هـ / وهو ما يوافق شهر سبتمبر 1847م. والصواب هو انها صدرت خلال شهر أكتوبر تقريبا 1845 أي بعد اتفاقية مارس1845 ولعل صاحب التحفة أخلط بينها وبين التي أصدرها السلطان للقبائل بعد معركة قلعة 1847م مثلما سنرى.

4 - ابن عبد القادر محمد: تحفة الزائر المصدر السابق ص -ص 487 -489.

البخاري ومسلم في فضل الجهاد وأحكامه والصلح وأقسامه، ليعلم حال عبد القادر وجهله بالسّنة وغيرها وإن من تبعه فقد باء بالضلال وحاد عن شريعة الهدى»[1].

ورغم الانتصارات التي حقّقها المجاهدون الجزائريون عبر منطقة التخوم فالسلطان حاول التقليل من شأنها، وهذا ما نلمسه في خطابه إلى بوسلهام بن علي يوم:31أكتوبر1845م حيث يقول:« نسأل الله أن يدمر الكافرين، ويجعل كيدهم في نحرهم ويكفينا أمر هذا الفتان الذي كلما خمدت نيران الكفر أوقدها وجر الوبال للمستضعفين »،[2] ثم سرعان ما يُفسّر موقفه هذا قائلا: «فإنا نحب نصر الإسلام وظهور أهله على عبدة الأصنام، ولا نكره ما يحل بهم، ولاكن (كذا) على وجه لا يكون لهم معه انتصار ولا يتأتى لهم به دفاع ولا أخذ ثار، فان الحاج عبد القادر إنما يصطاد الغرة ويخطف ما قدر عليه، ويترك المستضعفين في الوبال مع عدو الدين ويجر الفتنة لهذه الإيالة أراح الله منه البلاد والعباد »،[3] فكيف كان موقف عبد القادر من هذه الإجراءات؟ لم يتضايق عبد القادر منها بل أخلط أوراق البلاط المغربي بالتوغل في الجزائر بقوات هائلة من المجاهدين. تاركا وراءه الدائرة في مكان آمن لدى قبائل الناحية.

وأمام التطورات التي عرفتها منطقة الغرب الجزائري بعودة عبد القادر إليها تحركت الآلة الديبلوماسية والعسكرية الفرنسية باتجاه المغرب، مُعتبرة أن السلطان هو المسؤول الأول والأخير عن ما حدث. فأرسلت "ليون روش" إلى المغرب ليطالب السلطان بالتحرك لوضع حد لهذه التطورات ولما كان عاجزا عن ذلك راح يعرض عليه أن فرنسا ستضع نفسها في خدمته وبعد استقباله من طرف السلطان خلال شهر نوفمبر1845، وبعد مشاورات مطولة قفل روش عائدا إلى طنجة التي وصلها يوم 27 نوفمبر 1845م.

ونتيجة لهذه الضغوط الفرنسية والدور الفعال الذي قام به روش أقدم السلطان على إرسال مبعوثه إلى فرنسا ليعزز العلاقات بين البلدين، فسافر أشعاش خلال شهر ديسمبر1845، وتُعتبر هذه السفارة خطوة رئيسية في إطار التعاون المغربي الفرنسي لتصفية حركة الجهاد الجزائرية بالمغرب الشرقي وهنا تنتهي المرحلة الأولى من هذا التعاون، ومما سبق ذكره من الجهود المخزنية أسجّل الملاحظات الآتية:

- حاول السلطان عبد الرحمن طرد الوجود الجزائري بالمغرب الشرقي، إلا أن هناك عدة أسباب حالت دون ذلك، وهناك من يرى بأن هذه الفترة هي فترة صراع مرير بين السلطان والأمير حول الشرعية والنفوذ بالمنطقة[4].

- عجز المخزن عن تلبية المطالب الفرنسية بالمنطقة وفي الوقت نفسه الإصرار على تنفيذها بأي طريقة.

- تأثر المخزن بالسياسة الفرنسية، ولذلك نراه قد وظّف في رسائله ألفاظا تنم على أن المخزن كان يتكلم بلسان فرنسا! وعليه فجهوده ما هي إلا مجرد استجابة للضغوطات الفرنسية لا غير.

1- ابن عبد القادر محمد: تحفة الزائر المصدر السابق ، ص- ص 487 -489.

2- وثائق،خ،ح،ر: محفظة رقم17 وثيقة رقم38 رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي بتاريخ 29ذوالحجة 1261هـ 31 أكتوبر 1845م.

3- وثائق،خ،ح،ر: محفظة رقم17 وثيقة رقم38 رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي بتاريخ 29ذوالحجة 1261هـ 31 أكتوبر 1845م.

4- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ج3 المرجع السابق ص213 إلا أنه لنا رأي آخر في الموضوع سنراه في حينه.

– الدعم الكبير الذي تلقاه عبد القادر من قبائل الناحية التي رفضت هي الأخرى الاستجابة لمطالب السلطان، وعليه فإن هذا الأخير أصبح في موقف صعب: ضغط فرنسا – حرب الشائعات –و رفض القبائل لأوامره ودعمها المتنامي للمجاهدين الجزائريين.

– استعمال السلطان السياسة والحيلة مع قبائل الناحية لتفريقها وإضعافها وبالتالي الانقضاض على الأمير بالتهديد ومحاولة التقليل من قيمة الجهاد الجزائري، والطعن في شخص قائده.

– إدراك فرنسا لحالة الضعف التي وصل إليها المخزن ولذلك عرضت عليه فكرة التقارب والتعاون ضد الخطر المشترك وهو ما تم فعلا خلال شهر ديسمبر 1845.

2– المرحلة الثانية:(جانفي– جوان 1846):

2–1. الجهود الفرنسية:

أثناء غياب الأمير عبد القادر عن المغرب الشرقي تعاونت فرنسا مع البلاط المغربي لصد الخطر المشترك الذي هددهما، إذ قامت فرنسا بالعمل على جبهتين: الأولى هي الغرب الجزائري، إذ بعودة عبد القادر اتسعت حدة الثورات. والجبهة الثانية هي المغربية حيث توجد دائرة الأمير وأنصاره، فحاولت فرنسا تشتيت الصفوف الثائرة بها، لهذا ظهرت محاولات القضاء على الدائرة الأميرية في المغرب الشرقي بشكل جلي عقب عودة الأمير إلى الغرب الجزائري، ونلمس ذلك من خلال تصريح المارشال "سولت" إلى "بيجو" خلال شهر أكتوبر 1845: « كان يجب على المارشال أن يوجه أنظاره ضد جموع الأمير والتوغل عند اللزوم في أراضي الإمبراطورية، إذا قادتكم المطاردة بعيدا عن الحدود، فلا تتردد في اجتيازها، بغرض معاقبة بني سناسن وجزء من أنكاد المغرب الذين رافقوا الأمير عبد القادر في عدوانه الخادع ولأجل هذا بإمكانك إكمال سيرك حتى الملوية»[1].

ومن دعاة هذا الخيار نجد أيضا "كافينياك" الذي جاء في تصريح له « تبقي عملياتنا دون نتيجة باهرة ما دمنا لم نقض على وجود الدائرة حول حدودنا ووسط السكان الذين يتعاطفون معها »،[2] وانطلاقا من هذه التصريحات ونتيجة للتقارب المغربي الفرنسي وانتشار الثورة في الغرب الجزائري، يمكن أن نميز موقفين متعارضين حول كيفية التخلص من الدائرة، فهناك من كان ينادي بالخيار العسكري وهناك من كان ينادي بالخيار الديبلوماسي[3].

وأمام هذه التحرشات الفرنسية ضد الدائرة الأميرية التي تحركت للجهاد بأمر من البوحميدي يوم 07 جانفي1846 نحو الغرب إلى الضفة اليمنى لنهر ملوية، إلا أن المرور كان صعبا بسبب ارتفاع منسوب المياه و لم تكن قوة البوحميدي مدعمة إلا بثلاث سفن فقط، وعليه فان الوصول كان يوم 15 جانفي 1846.

1- Georges Yver:(la question marocaine en 1846). op.cit.p 210

2- Ibid, P225

3– من أنصار الخيار العسكري كان سولت وبيجو وكافينياك ولامورسير ووارني. ومن دعاة الخيار الديبلوماسي كان الملك لويس فيليب ولبرون روش ودي شاستو وجيزو وبقية الوزراء.

وفي هذه الأثناء انتشرت شائعات مفادها أن جيش السلطان تحرك باتجاه الشرق لإعلان الحرب المقدسة[1]. وحاول" تيير" تكذيبها مصرحا « نحن بحاجة إلى تكذيب هذه الإشاعات بسرعة ويجب وضع حد للقلق الذي ينشرونه بين السكان»[2].

ونتيجة لهذا القلق المتزايد وأمام ارتفاع عدد المهاجرين الجزائريين نحو المغرب الشرقي صمم "كافينياك" على القيام بحملة عسكرية في عمق الأراضي المغربية، ففي يوم 07 فيفري 1846م شكّل جيشا في مغنية قوامه (4000 مشاة و800 فارسا نظاميا و400 قوميا) وفي اليوم الموالي غادرها نحو سيدي بوجنان إلا أنها عادت في اليوم نفسه نحو واد قيس وعبرته على الساعة الواحدة صباحا، ومع طلوع شمس اليوم الثالث وصلت سهل تريفة حيث ترك "كافينياك" المشاة وقطع بخيالته معظم السهل إلى غاية برج الشرع حيث توقف، في الوقت الذي سبقته فيه جواسيسه نحو الغرب حتى الملوية دون أن يجدوا أثرا للدائرة[3]، وبعودتهم قفل راجعا باتجاه الحدود دون أن يحقق نتيجة تذكر باستثناء المناوشات التي تعرض لها من قبائل الناحية.

إن هذا الاستطلاع الذي أقدم عليه "كافينياك" ساهم في إحداث اضطراب بين صفوف قبائل الناحية الموالية للمجاهدين الجزائريين خلال شهر مارس1846 فثارت ضد سلطة ابن عبو الذي عينه السلطان عليها.[4] ووقع خلل كبير داخل جيشه فلم يتمكن من السيطرة على الوضع فاستنجد بالفرنسيين وعلى رأسهم "دي شاستو" فقام هذا الأخير بالتدخل لدى حكومته بأن لا تكرر العمليات الاستفزازية لقبائل المغرب الشرقي خوفا من ثورتها وبالتالي ضياع الفرصة أمام دعاة الخيار الديبلوماسي.

و لم يكتف" شاستو "بإبلاغ حكومته حول تجنب الخيار العسكري، بل عرض الأمر على "ليون روش" الذي أجاب مباشرة بأن السلطان عاجز عن توفير الأمن بالناحية ولذلك عرض عليه مساعدته وكاتب ابن إدريس في ما نصه« إن السلطان إذا انفرد بالإنفاق على تجهيز هذه القوات فان أموال خزينته سوف تنفد إنني بهذا الاعتبار أعتقد دون أن أمس بكرامتكم، أن السلطان يستطيع الاتكال على أموال حكومتنا »[5].

وخلال شهر أفريل 1846 نشط أنصار الخيار العسكري بعد أن رأوا في ذلك الحل المناسب للقضاء على الدائرة، فاحتجاجات "بيجو" وشكاواه وتقاريره إلى حكومته لم تتوقف، كل ذلك من أجل الظفر بترخيص للعمل العسكري، وهناك رسالة كتبها إلى وزير الخارجية حول الموضوع ولأهميتها نورد أهم ما جاء فيها: « أيها السيد الوزير إن هناك خطرا أقل للبحث بقوات متكاملة عن الدائرة على الضفة اليسرى للملوية على أن تبقى على الحالة التي نعيش فيها حالة تسمح للأمير السابق أن يضعنا بلا انقطاع في ذعر وبالهجوم علينا دوريا فها هي ستة أشهر ونحن نلعب هذه اللعبة...أعتقد أن الوقت قد حان للذهاب للقضاء على المرض في صميمه غير أنني لن أباشر في أمر بهذا الحجم دون ترخيص صريح من الحكومة »[6].

---

1 - في الحقيقة أن هذا الجيش تحرك لتدعيم سلطة ابن عبو في الشرق وليس لإعلان الحرب المقدسة ضد الفرنسيين.

2-Georges. Yver: (la question marocaine en 1846) op.cit.p 217.

3- Ibid.p.p 219- 220.

4- من بين أسباب ثورة القبائل ضد سلطته: التعامل الواضح مع الفرنسيين ضد المهاجرين الجزائريين والسكوت عن حملة كافينياك، سياسة جمع الأموال من القبائل التي مارسها عليهم،خلافه مع مولاي إبراهيم قائد جيش السلطان،النقص الكبير في الأسلحة والمؤن وعلف الخيول. يراجع: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832-1847)، ص56.

5- يوسف، مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، المرجع السابق، ص55.

6- Georges.Yver: (la question marocaine en 1846). OP. Cit p: 235.

وحاول "بيجو" أن ينتقد الخيار الديبلوماسي الذي رأى فيه عدم تحقيق أهدافه بل انتقد حتى اتفاقيتي مغنية 1845 وطنجة 1844، ورأى أيضا في أن مسلمي شمال إفريقيا كلهم متحدون ضدنا، ورغم محاولة الحكومة الرامية إلى عدم الأخذ بخيار "بيجو "فإنه صرح بما هو أخطر من السابق « إن المخالفات المرتكبة ضد القانون الدولي والإهانات والاعتداءات المفتوحة ترغمنا عما قريب على القيام بحرب جدية»[1]. فكيف كان موقف فرنسا من هذا الطرح؟

لقد تحرك أنصار الخيار الديبلوماسي لإقناع "بيجو "بصحة رأيهم، ولذلك تم إرسال "ليسون روش" إلى الجزائر العاصمة لدفعه للعدول عن فكرته خلال شهر أفريل 1846 ومن أهم الحجج التي قدمها له:

- معارضة الملك الفرنسي نفسه للخيار العسكري ومعظم وزرائه.
- الحرب مع المغرب تؤدي إلى استفزاز السلطان، بل إلى ثورة قبائل المغرب الشرقي ضده.
- عدم الاندفاع وراء الحماس العسكري ولو بحجة المطاردة التي نصت عليها الاتفاقيتان السابقتان في حالة عجز السلطان.
- أخطار الحرب أكثر من إيجابياتها (نتائج سياسية خطيرة).
- لفت انتباه الدول الأجنبية كإسبانيا وبريطانيا.
- تضييع الصداقة التي تحصلوا عليها بصعوبة مع السلطان، وتحويلها إلى عداوة وبالتالي ضياع الأمل في إنقاذ الجزائر من خطر الحرب المقدسة، و لم يكتف روش وأنصاره بالوساطة بين الموقفين المتعارضين بل تمكن من إقناع وزير الحربية بالعمل الديبلوماسي ولذلك أصدر "جيرو" للعسكريين في الجزائر التعليمات الآتية:

1. عدم القيام بأي عدوان إلا لدحر عدو أو معاقبة القبائل المجاورة للحدود.
2. عدم المرور في أي حال من الأحوال إلى الضفة اليسرى للملوية دون تعليمات من الحكومة.
3. عدم القيام بالبحث عن ذريعة لإنشاء أي مؤسسة دائمة بين هذه الضفة وحدودنا، وبعد كل حملة يجب الدخول فورا إلى الأراضي الجزائرية[2].

كانت هذه التعليمات بمثابة الضربة القاضية لـ "بيجو" وأنصاره ويبدو أنه كان مستعدا حتى لتقديم استقالته بدلا من أن يكون صاحب هذه الأفكار الخاطئة التي تسود حول الموضوع الإفريقي، وخلال شهر ماي 1846 كان "بيجو" وأنصاره قد سلموا بالأمر الواقع دون أن يقتنعوا به، ولذلك تم الانتصار للخيار الديبلوماسي الذي ستكون فيما بعد مدينة الرباط وطنجة ومراكش ميدانا خصبا له. هذا الذي تعلق بالجبهة المغربية، أما الجبهة الجزائرية فقد نجح فيها الخيار العسكري حيث تمكن جنرالات فرنسا وعلى رأسهم "بيجو" نفسه من تطويق حركة الجهاد الجزائري في الغرب الجزائري[3]، وإجبار عبد القادر على الدخول من جديد إلى المغرب الشرقي خلال شهر جويلية 1846.

1- Georges.Yver: (la question marocaine en 1846). OP. Cit, P.P. 236 - 237.

2- Ibid, P 247.

3 -يظر الخريطة بالملحق رقم:9.

2-2 الجهود المخزنية:

تواصلت الجهود المخزنية هي الأخرى خلال هذه المرحلة، لكن بشكل آخر فعبد القادر الذي تذرع به الفرنسيون لدى السلطان هو الآن بالغرب الجزائري فما هي الفائدة إذن من هذه الجهود؟ إنها الضغوط الفرنسية التي نشطت خلال هذه المرحلة للقضاء على الدائرة، فهي التي حركت السلطان للعمل أكثر خشية من توغل القوات الفرنسية في المغرب الشرقي وهذا طبعا ليس في صالح السلطان، فما هي الجهود المخزنية خلال هذه المرحلة؟ والى أي مدى نجحت في تحقيق أهدافها؟

واصل السلطان جهوده بالمراهنة على أسلوب الطعن في حركة الجهاد الجزائرية رغم الانتصارات التي حققتها في الغرب الجزائري كما حاول السلطان التقليل من شأنها، ونلمس ذلك في خطابه إلى سيدي محمد يوم: 14 جانفي 1846 الذي قال فيه: «الحقيقة هي خلاف هذه الادعاءات فهو لا يقود غير عصابات خرقاء، و لم يتمكن أبدا من احتلال مركز فرنسي واحد بدون حساب أنه لم يكسب أبدا أية رقعة من الأرض، إنه يقود حثالة من صعاليك القبائل الشرقية التي ملأ بها بلادنا سهولا وجبالا بينما ينتظر النصارى نهاية الخريف لا يعبئون به»[1]. لا شك أن هذا الخطاب يؤكد لنا من جهة أخرى مدى الدعم الشعبي لعبد القادر.

وفي أواخر شهر جانفي 1846 وبعدما استقبل سفيره العائد من باريس قال له: « أقسم بأنني سأطرد عبد القادر، سأقبض عليه أو أقتله، ولن أتردد بعد اليوم بين مسلم عدو لي ونصارى أصدقاء »[2]ولا شك أن هذا التصريح كان وليد ذلك الأثر الذي تركه له سفيره عندما شرح له حقيقة ما وقف عليه بفرنسا من اهتمام متزايد بالمغرب، ورغبة فرنسا الصريحة في توطيد علاقتها مع السلطان ضد خصومه.

ولتأكيد رغبة السلطان في محاصرة المهاجرين الجزائريين قام بتعيين محمد بن عبد المالك المعروف بابن عبو عاملا على الريف خلال شهر فيفري 1846 وهذا ما طالب به روش السلطان من قبل، وبوصوله إلى منطقة الريف شرع في العمل فورا ضد أنصار المهاجرين الجزائريين، وامتدت سلطته حتى شملت قبائل المطالسة وبني ياحي، وفي الوقت نفسه أقدم السلطان على عزل الجيلالي بن العواد قائد الجيش المغربي بالناحية وتعيين مولاي إبراهيم مكانه، وخلال شهر مارس 1846 شهدت منطقة الريف عدة اضطرابات[3] عجز ابن عبو في فرض سيطرته عليها، وقام شيخ بني سناسن بالتحريض على الجهاد، وهو ما أثار الكثير من التخوفات السلطانية التي بادرت إلى محاولة إمداد ابن عبو بالمزيد من القوات العسكرية.

وعلى اثر هذه المستجدات تم إصدار الأوامر السلطانية إلى كل من: عامل تازة بوزيان بن الشاوى، وعامل وجدة حميدة الشجعي. بتجميع قواتهما وقوات قبائلها لمساعدته، وفي هذه الأثناء حاولت فرنسا التوسط لدى السلطان في فك الأسرى من الدائرة إلا أنها لم تفلح. ونتيجة لذلك تحركت قوات أخرى من فاس نحو الريف بقيادة ابن عم السلطان مولاي إبراهيم بن عبد المالك، فوصلت إلى شمال الريف خلال شهر

1- Ismail.hamet: Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger.op.cit.p.p 76-78.

2- إبراهيم ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر. المرجع السابق ص 353.

3- بسبب الموقف المتحامل لابن عبو تجاه المجاهدين الجزائريين.

أفريل 1846 وعسكرت بموقع تافريست بغرض مراقبة تحركات الدائرة وإعادة الأمن والاستقرار إلى المنطقة. ونتيجة لهذه المضايقات عرفت الدائرة الكثير من التطورات أبرزها:

1- انهيار مادي ومعنوي، فتخلت عنها قبائل الهازج وأولاد منصور وبني واسين وأولاد ملوك، وعبروا التخوم في جماعات صغيرة إلى أراضيهم.

2- قيام بني هاشم وبني عامر والجعافرة بالتوجه صوب فاس مصطحبين معهم أسرهم، فأحسن السلطان إليهم ومنحهم مساحة من الأراضي على ضفاف نهر سيبو.

3- استجابة الكثير من الرؤساء المهمين لدعوة السلطان، فاستجاب الميلود بن عراش ومحمد بن ايكرو كما وضع محمد ابن عبو البركاني نفسه تحت القائد ابن عبو.

4- مغادرة شقيق الأمير -محمد السعيد- لجبال بني يزناسن والتوغل في الغرب لكي يجد ملجأ آمنا لدى السلطان، ولقد بقي على رأس الدائرة في هذه الأثناء كل من البوحميدي ومصطفى بن التهامي.

5- إقدام مصطفى بن التهامي على قتل الأسرى الفرنسيين بعد فشل عمليات الوساطة لإطلاق سراحهم.

ورغم هذه المعطيات فالسلطان واصل جهوده أكثر لتضييق الخناق بشكل كبير على المهاجرين الجزائريين، ففي خلال شهر ماي 1846 قام بعزل حميدة الشجعي[1] عامل وجدة وتعيين عامل جديد هو حمو الروداني الذي باشر نشاطه خلال الشهر نفسه، ولتأكيد معارضة السلطان للخيار العسكري في تصفية نشاط الدائرة بعث برسالة إلى ملك فرنسا يوم: 07 ماي 1847 حول الموضوع جاء فيها: «الحاج عبد القادر وأتباعه ضررهم على دولتنا أكثر وأمر... غير أننا ارتكبنا بابا لسياسة يكون فيه سد باب الفتنة عن الجانبين وحسم مادة الفساد من الجهتين ومن غير ارتكاب قتال يؤدي إلى خسارة العامة واختلال أحوالها... فإن ذلك ما يقوي جانبه الضعيف ويجد به السبيل لما يرومه من التحريف»[2]. وخلال شهر جوان 1846 بدأت الجهود المخزنية تعطي ثمارها، واتضحت بشكل جلي خلال الأشهر التي تلت هذا التاريخ وقبل معرفة ذلك هناك ملاحظات رأيت ضرورة تسجيلها حول الجهود الثنائية خلال هذه المرحلة في النقاط الآتية:

1. التأكيد على التعاون الثنائي لتصفية حركة المهاجرين الجزائريين بالمغرب الشرقي من جانب المخزن وتطويق حركة الجهاد بالغرب الجزائري من جانب فرنسا.
2. الضغط الفرنسي على المخزن المغربي بالتهديد وبالوعيد وبالرشوة.
3. سعي فرنسا الحثيث إلى المحافظة على الصداقة مع السلطان.
4. أثمرت الجهود الثنائية بالكثير من النتائج التي سنرى أثرها خلال مرحلة عودة عبد القادر إلى المغرب الشرقي خلال شهر جويلية 1846.

1- وذلك بسبب كراهية بني يزناسن له وإصرارهم على عزله، تعامله مع الفرنسيين بكثير من اللين، الاتهام الذي وُجه إليه من طرف السلطان أثناء مفاوضات رسم الحدود باتفاقية مغنية 1845.

2- إبراهيم ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر المرجع السابق، ص354.

خـــاتمـــة

مما سبق ذكره أخلص إلى ما يلي:

- اتفاقية مغنية 1845 حالت دون استمرار دعم المغرب الشرقي للمجاهدين الجزائريين بالغرب الجزائري، كما قلصت من نشاطهم وتحركاتهم عبر التخوم المغربية الجزائرية التي أصبحت تحت الرقابة الفرنسية، كما ساهمت في تفتيت وحدة قبائل التخوم.

- ضاعفت فرنسا من نشاطها العسكري عبر التخوم والدبلوماسي لدى بلاط السلطان، كما استمرت في توظيف ورقة العرش المغربي المهدد من طرف الأمير إلى أن اقتنع السلطان بها، وهو ما فرض وجود تعاون مغربي فرنسي لصد الخطر المشترك.

- نجاح فرنسا في تصفية حركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري مرده:

1. عدم تكافؤ القوى.
2. سياسة الأرض المحروقة.
3. نشاط العملاء الجزائريين الموالين لفرنسا، وهذا ما سيدفع بعبد القادر إلى اللجوء من جديد إلى المغرب الشرقي.

- الجهود المخزنية ضد المهاجرين الجزائريين ساهمت في تشتيتهم، في الوقت الذي لمسنا فيه تأييد كبير لهم من قبائل الناحية التي دخلت في خط المواجهة ضد الجيوش المخزنية والفرنسية للدفاع عنهم.

- خلصت فرنسا في الأخير إلى اقتناعها وتأكدها من تحرك سلطان المغرب للعمل بمفرده ضد المهاجرين والمجاهدين الجزائريين المتواجدين بالمغرب الشرقي، مع التزامها بتقديم الدعم والمساعدة له دون التدخل المباشر في أراضيه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل السادس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التعاون المغربي الفرنسي وتصفية حركة الجهاد الجزائرية بالمغرب الشرقي 1846-1847

- مقدمة
- عودة عبد القادر الجزائري إلى المغرب الشرقي 1846 وردود الفعل المزدوجة
  1. المغربية - الشعبية -
  2. الفرنسية
  3. المغربية - المخزنية -
- موقف عبد القادر من تحركات المخزن.
- التصادم المغربي الجزائري (جوان - ديسمبر 1847)وتصفية حركة الجهاد الجزائرية بالمغرب الشرقي:
  1. معركة تافريست.

     أسبابها، أحداثها، نتائجها.
  2. معركة قلعية.

     أسبابها، أحداثها، نتائجها.
  3. معركة الحشم وبني عامر.

     أسبابها، أحداثها، نتائجها.
  4. الحملة العسكرية المخزنية وتصفية حركة الجهاد الجزائرية(أكتوبر-ديسمبر1847).
- التسليم وردود الفعل المزدوجة :
  1. الفرنسية
  2. المغربية
- خـــــاتمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقدّمة

أثمرت الجهود الفرنسية والمخزنية السابقة بتصفية حركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري، وهو مـــا دفع بقا ئدها إلى اللجوء من جديد إلى المغرب الشرقي خلال شهر جويلية 1846، فما هي ردود الفعل المغربية -الرسمية والشعبية- والفرنسية من هذا اللجوء الجديد؟

إنّ فرنسا ستتجنب بلا شك خلال هذه المرحلة التدخل العسكري المباشر في أراضي المغرب الشـــرقي على أساس أن تترك المخزن المغربي يعمل لوحده ضد حركة الجهاد الجزائرية، فما هي الإستراتيجية التي راهـــن عليها ؟ وكيف كان موقف الجزائريين منها؟

وإذا كان المخزن نجح في الأخير في تأليب معظم قبائل المغرب الشرقي ضد المُهاجرين الجزائريين تـــارة بالتهديد وتارة أخرى بالوعيد، فإنه فضّل حسم الموقف لصالحه عبر أربع معارك عسكرية، فما هي حيثياتهـــا؟ وما هي نتائجها؟

وأمام خطورة هذه الأحداث الدموية -الجزائرية والمغربية- فضّل عبد القادر الجزائري الخروج بوجـــه مُشرّف من الدائرة التي ضاقت عليه من كل الجهات عن طريق التّسليم للجند الفرنسي، فكيف كان موقـــف كل من المغرب وفرنسا من هذا الطرح الجزائري؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة فضّلت أن أتناولها ضمن العناصر الآتية:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عودة عبد القادر الجزائري إلى المغرب الشرقي 1846 وردود الفعل المزدوجة:

خلال شهر جويلية 1846 حطّ الأمير عبد القادر رحاله من جديد في المغرب الشرقي ومعه من المجاهدين حوالي أربعة آلاف مجاهدا[1] حيث توجد دائرته ومقر قيادته بمنطقة ملوية.

والسؤال المطروح هو كيف كانت ردود الفعل المغربية المخزنية والشعبية حول هذه المستجدات؟

للإجابة عن هذا السؤال فضّلت أن تكون من خلال الحديث عن مرحلتين: الأولى ما بين جويلية 1846 إلى ماي 1847 والثانية ما بين شهر جوان إلى شهر ديسمبر 1847.

وجد عبد القادر تغيرات كثيرة أحدثتها الجهود الثنائية الفرنسية والمغربية التي تمت ضد أنصاره من المهاجرين الجزائريين، ومن قبائل الناحية التي ناصرتهم خلال فترة غيابه بالغرب الجزائري، فتقلّص عدد أفراد الدائرة إلى حوالي أربعمائة شخص ومائة وخمسون فارسا برئاسة البوحميدي وابن التهامي وهاجرت معظم القبائل المناصرة لهم إلى فاس وعاد أعيانها إلى الجزائر، كما وجد الأسرى الفرنسيين قد قُتلوا، ورغم هذا الوضع عمل عبد القادر على تجديد قوة دائرته وإعادة الأمل في نفوس أنصاره، وهذا نتيجة لعودة المساندة الشعبية له.

ردود الفعل المغربية (الشعبية):

رغم الوضع الذي آلت إليه الدائرة فسان عودة عبد القادر بعث الأمل من جديد في نفوس قبائل الناحية فواصلت دعمها للمهاجرين الجزائريين وإن بأقل حدة، لأن سياسة المخزن السابقة حالت دون ذلك، وعليه ففي خلال هذه الفترة انشطرت مواقف قبائل الناحية إلى قسمين الأول أنساق وراء المخزن، والثاني واصل مناصرته للمهاجرين الجزائريين، وسأكتفي بالإشارة إلى القسم الثاني لأن القسم الأول أصبح في صف المخزن. وأتتبع ذلك إلى غاية شهر جوان 1847 أين تعرف العلاقات الجزائرية المغربية مجرى آخر.

في أواخر شهر جويلية 1846 واصلت قبائل المطالسة بعين زورا دعمها للأمير فاحتضنته وقدّمت له الكثير من المساعدات، خاصة في ظل كراهيتها المتنامية لبوزيان بن شاوي، كما وجد الدعم والمساندة لدى بني يزناسن، يُفهم هذا من كتاب السلطان إلى عامله بتطوان عندما طلب منه الفرنسيون فك ما تبقى من أسرى لدى الأمير، فكتب السلطان إلى عامله خلال شهر جويلية نفسه 1846 ما نصه: « فاعلم أن هؤلاء بني يزناسن ومن يليهم لو كانت فيهم استقامة تامة وحسن طاعة، ما تأخر إخراج الحاج عبد القادر ودائرته إلى اليوم، لأنهم جاءوا في الحدود مع وعر جبالهم وهم الحامون للدائرة المذكورة، وقد ألقى إليهم الحاج عبد القادر من ترهاته ما سحرهم به حتى ظنوه على الحق، وسرى ذلك منهم فيما وراء تازة من القبائل»[2].

1- عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر، 1832، 1845، المرجع السابق ص، 156، بينما يذكر صاحب التحفة أن عدد المجاهدين الذين كانوا مع الأمير نحو السبعين فارسا بعد ما انتقل من أولاد سيدي الشيخ نحو فقيق، وتذكر بعض المراجع أن بومعزة كان برفقته: المارشال بيجو، م2، 97. تحفة الزائر ص481.

2- وثائق خ ح ر: محفظة رقم 18، وثيقة رقم 35، رسالة السلطان إلى عامله بتطوان عبد القادر أشعاش في تاريخ 16 رجب 1262 هـ/10 جويلية 1846.

وخلال شهر أوت 1846 لم يتمكن بوزيان من توفير الأمن بالناحية ففر ومن معه من قوات مخزنية. وفي هذه الأثناء أعلن قسم كبير من التسول والبرانس وقسم من قبائل مكناسة وهم بنو يعلى، أعلنوا الحرب على القوات الشريفية ولذلك أصبحت القبائل الآتية: المتالسة وبنو ياحى والتسول والبرانس وقسم من الأحلاف وأغلبية بني يزناسن في صف المهاجرين الجزائريين [1]. ونتيجة لهذه الحركة ظهرت إشاعات مفادها أن الأهالي شبه المستقلين في الشرق قد اقترحوا على الأمير أن يكون سلطانهم إلا أنه رفض ذلك لأن السلطان لم يحاربه علنا، وبعضهم أشاع أن الأمير سيحضر إلى فاس قريبا لتأدية الرسالة التي عهد الله بها إليه لإعادة مجد الإسلام، وهي ما تسببت في إثارة القلق والاضطراب في صفوف المخزن.

وخلال الفترة الممتدة من شهر أوت 1846 إلى مارس 1847 اتخذ عبد القادر من المناطق الواقعة إلى الشرق من ملوية مقرا لدائرته وأنصارها، وفي هذه الأثناء حدث تغير كبير في صفوف القبائل المساندة له وهو ما تؤكّده رسالة السلطان إلى ولي العهد بتاريخ 05 ديسمبر 1846 التي جاء فيها:« ومن رجوع الدائرة عليه، وتفرق الذين كانوا يأوون إليه من شدة سوء بغيه وما أجمع عليه الكرارمة من عداوته والتضييق عليه». [2] في الوقت الذي قام فيه المطالسة بإجبار الأمير على ترك أراضيهم ونهبوا منه ما يقرب من مائة من دواب الحمل محمّلة بالحبوب [3].

نتيجة لهذه الاعتداءات اضطر الأمير أن يكاتب سلطان المغرب في مارس 1847 ليُحذره من مغبة الامتناع عن نهي هذه القبائل عن القيام بأعمالها العدائية ضده: «فإني كاتبتكم أولا والتمست منكم كف ضرر قبائلكم المجاورة لنا وتعديهم على من تبعني وسوء معاملتهم لهم لأنهم كلهم أولاد دين واحد وشريعة واحدة، **فلم يأتيني جواب عن ذلك، أنا صابر ومتحمل لما يحدونه كراهية سفك دماء المسلمين مدة ستة أشهر فإن لم** تردعهم الآن عن أفعالهم إنني ألتزم المحاماة عن حقوقي والمحافظة على شرف أتباعي. **ولذا بادرت باخباركم** والسلام»[4]. ومن خلال هذا النص أسجل الملاحظات الآتية:

1. تكرار مكاتبة الأمير للسلطان عدة مرات خلال هذه الفترة.
2. التزام السلطان بعدم الإجابة عن رسائله.
3. التماس الأمير كف الضرر وكراهية سفك الدماء.
4. الإعلام بإمكانية التزام مبدأ الدفاع عن النفس.
5. تأكيد الأعمال العدائية من بعض القبائل ضد المهاجرين الجزائريين.

وخلال الشهر نفسه ظهرت بعض المناوشات التي كادت أن تؤدي بحياة الأمير في عين زورا فسقط ثمانية من أعوانه في يد قائد تازا الذي أرسلهم مُكبّلين إلى فاس، وفي هذه الأثناء لم تتأخر قبائل الريف في إعلان خروجها على الأمير وانضمامها إلى السلطان. ونتيجة لدهاء الأمير وحنكته السياسية تمكّن

1- يحي، جلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص 282.

2- ISMAIL .HAMET: le gouvernement marocain et la conquête d'Alger; op .cit p:89

3- يحي، جلال وآخرون : مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص 292.

4- ابن عبد القادر، محمد : تحفة الزائر، المصدر السابق، ص-ص 470 --471.

خلال شهر أفريل 1847 من إعادة بني سناسن وكبدانا والمتالسة وجزء من القلايا وبني توزين إلى صفه، فسنحته هذه القبائل مختلف الإمدادات، في الوقت الذي هرب فيه خصمه محمد التوزيني نحو الغرب مُعلنا أن الأمير تلقّى فعلا الإمدادات من هذه القبائل وأنه يتوفر على حوالي ثلاثمائة فارسا وستمائة من الرماة[1].

وتحت هذا الضغط قام عبد القادر خلال شهر ماي1847 بالاتصال بشيخ قبيلة الكرارمة حمدون عبد الرحمان الكرومي، الذي طلب إليه أن يُخبر ولي العهد بفاس باستعداداته للخروج نحو الصحراء وقد أشار إلى هذا الاتصال السلطان نفسه في رسالته إلى ولي عهده يوم: 20 ماي 1847 ونص ما جاء فيها: «إن الفتان وعد بالخروج إلى الصحراء على شروط أشار إليها، والتزم ابن عبد الرحمان بذلك»[2]، إلا أن السلطان قابل هذا الطرح بالرفض وهذا من خلال ما نصّه «فقد كتبوا بوعده الخروج المرة بعد المرة، و لم يف لهم، وأظن أن هذا منه حيلة ومكيدة، وأنه يحاول أمرا ينتظر تمامه»[3].

و لم يبق السلطان في موقف الرفض بل اعتبر ذلك تواطؤا من الكرارمة مع عبد القادر ضد المخزن ولذلك قال: «وأعلم أن فهمنا مقصود الكرارمة بما أشار إليه ابن عبد الرحمان في كتابه، من أن الفتان طلب منهم أمورا ووجدوها (كذا) ورغبوا في إنجازها، وهو أنهم يتركونه لنا خيالا يخوفونا به، ويموهونا به علينا ويعيشون في الخوض(كذا) قبّحهم الله وقبّحه، فتفطن أصلحك الله لدسائسهم وتلبيسا تهم وإياك أن تقبل لهم شروط مكرهم أو تصغي إلى تلبيس نكرهم وكن من أمرهم على بال فان فساد أهل الزمان في ازدياد».[4]

وقبل معرفة ردود فعل عبد القادر حول هذه التطورات، من الضرورة بمكان معرفة ردود فعل المخزن حول عودة عبد القادر وما تلقاه من إمدادات شعبية، وحول ردود الفعل الفرنسية السابقة الذكر فيما بين شهر أوت 1846 إلى شهر ماي 1847.

ردود الفعل الفرنسية:

إنّ الوسائل التي وظفتها فرنسا للقضاء على حركة الجهاد بالغرب الجزائري أدّت إلى طرد عبد القادر الذي عاد إلى المغرب الشرقي، في هذا الوقت كانت فيه فرنسا تُراهن على الخيار الدبلوماسي في تصفية قضية المهاجرين الجزائريين بالمغرب الشرقي، ولذلك ضاعفت من ضغوطها على السلطان. ويمكن رصد ردود فعلها في ما يلي:

انطلقت فرنسا من ردود فعل تعكس نجاح الجهود الثنائية، ونلمس ذلك من رسالة القنصل الفرنسي بطنجة إلى وزير الشؤون الخارجية "جيزو "يوم: 23 أوت 1846 التي جاء فيها: «إنني أعتقد أننا قد توصلنا أخيرا إلى تحريك سلطان المغرب الكسول، إن قلقه يظهر أمام الجميع من الأوامر المتعددة التي يصدرها في كل ناحية، ومن البلاغات التي يرسلها إلى شرق سلطنته، إنني أعتقد أن الوقت يقترب من حل، وعلينا أن نأمل بشدة في أن يتم ذلك دون أن نُجبر على التدخل الفعلي للحدود»[5].

1- ismail, hamet: le gouvernement marocain et la conquête d'Alger; op ,cit. P.95.

2- Ibid, P.92

3- Ibid, P.92

4- إبراهيم ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر. المرجع السابق ص-ص 391-392.

5- يحي، جلال وآخرون : مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص 284.

ولتثمين هذه النتيجة قامت فرنسا بجهود دبلوماسية للاقتراب من السلطان، ففي يوم 28 سبتمبر 1846 كتب القنصل الفرنسي بطنجة "دي شاستو " إلى ابن إدريس يلتمس منه القيام بزيارة رسمية من الدبلوماسيين الفرنسيين إلى السلطان فوافق ابن إدريس على طلبه، وبدأت الاستعدادات الرسمية لقبول هذه البعثة الفرنسية بالبلاط المغربي.

شارك في تمثيل هذه البعثة كل من "ليون روش" و"دي شاستو "وحشد كبير من الممثلين للملك الفرنسي لويس فيليب الذي أرسل معهم هدية ثمينة[1] إلى السلطان، غادرت البعثة مدينة مزغان مساء يوم 23 نوفمبر 1846 وتمكّنت من دخول الأراضي المغربية يوم 12 ديسمبر 1846، أين قوبلت بمدينة مراكش بحشد كبير من قوات المخزن تُقدّر بحوالي مائتي فارس مغربي ثمّ سارت باتجاه قصر المامونية.[2]

استغل روش خبرته السابقة في معرفته بالمغاربة وإتقانه الجيد للغة العربية في التحدث بطلاقة إلى أعيان المدينة الذين أكدوا لهم النيات السلمية لفرنسا، وأكدوا لسيدي الحاج العربي خاصة - رئيس الطريقة الطيبية الوزانية - أن فرنسا ستحترم معتقدات المسلمين المغاربة. وفي 13 ديسمبر قدّمت البعثة أوراق اعتمادها للسلطان وأرسلوا بالهدية إليه، فاكتفى هذا الأخير بإظهار التحية المتبادلة وأكد أن فرنسا حليفة له.

التقى رجال البعثة بالسلطان -وعلى رأسهم روش- يوم 17 ديسمبر 1846م، حيث شرح للسلطان النيات السلمية لبلاده، ورغبة الملك في توطيد العلاقة مع السلطان، كما اقترح عليه بعض النصائح والتوجيهات بشأن بعض الإصلاحات لتنظيم وتنمية بلاده و لم ينس أن ضخّم له الوضع الصّعب الذي أصبح عليه المغرب، و لم يكتف بذلك بل راح يُضخّم أيضا خطر عبد القادر على العرش المغربي، ونتيجة لهذه المعطيات الروشية أظهر السلطان حقده على عبد القادر وأنه سيعمل ضده بكل ما يستطيع، بشرط أن تتركه فرنسا يعمل لوحده، وأن لا تتوغل في أراضيه بحجة مطاردة عبد القادر، لأن ذلك سيثير قبائل الناحية ضد السلطان[3].

وفي يوم 23 ديسمبر 1846 غادرت البعثة المدينة مُتجهة نحو موغادور وبرفقتها مئات من الفرسان لتأمين حراستها، لتصل إليها يوم 30 ديسمبر 1846 أين استقبلهم المولى سليمان وهنّأهم على مشاعر الوُد التي حظوا بها لدى السلطان، وفي يوم 01 جانفي 1847 انطلقت البعثة عائدة نحو طنجة ولديها شعور كبير أنها حققت أهدافها خاصة المتعلقة بزيادة نفوذ فرنسا لدى السلطان. وفي يوم 03 جانفي 1847 وصلت إلى مدينة طنجة[4].

وانطلاقا من شهر جانفي 1845 أصبح على فرنسا أن تراقب تطور الأوضاع بالمغرب، وتتدخل لدى السلطان عند الضرورة، لأنه تحرّك فعلا لتلبية مطالب فرنسا، وما بقي لها إلا أن تدفع به قُدما لمواصلة تنفيذها. ففي خلال شهر أفريل 1847م كتب ممثل فرنسا إلى ابن إدريس ليُعبّر له عن ضرورة تحرك السلطان أكثر في ما نصّه: إن السلطان هو الذي يمكنه أن يطرد الأمير كما تعهّد بذلك، وليس الأهالي بقادرين على مهاجمة أحد

1- اشتملت على: 06 خيول، بطارية مدافع حملة، تتكون من أربعة مدافع، 02 هاوون.

2-Journal El - Akhbar : n°833, 9ème année, jeudi 20 Moharem 1263/14 janvier 1847 p.01.

3- Journal El - Akhbar : n° 834, 9ème année, dimanche 17 janvier 1847.p.1 28 Moharem 1263.

4- Journal El - Akhbar : n° 834, 9ème année, dimanche 17 janvier 1847.

المجاهدين. ومما سبق ذكره من ردود فعل فرنسية أخلص إلى الملاحظات الآتية:

1. استمرارية فرنسا في التمسك بالحياد الديبلوماسي.
2. اطمئنانها إلى ما حققته من نتائج مُرضية.
3. استمرارية توظيف ورقة عبد القادر وخطره على العرش المغربي.
4. حظيت فرنسا بتدعيم ومساندة الطريقة الطيبة الوزانية.
5. نفوذ فرنسا الكبير لدى السلطان، وأمام هذه الردود الفرنسية كيف كانت ردود الفعل المخزنية حولها؟

ردود الفعل المغربية – المخزنية –:

إذا كانت الجهود المخزنية السابقة قد ساهمت في إحداث اضطراب كبير في صفوف المهاجرين الجزائريين، فان عودة عبد القادر من جديد إلى المغرب الشرقي أحدثت ضجّة كبيرة في البلاط المغربي الذي لم يكن يتوقع عودته، وعليه فالجهود المخزنية ستتضاعف بشكل كبير في الفترة الممتدة ما بين أوت 1846 إلى غاية شهر ماي 1847. وهذا ما سنعرفه في ما يلي:

في شهر جويلية 1846 يُصرح السلطان في رسالته إلى عبد القادر أشعاش أن الأمير بعد عودته إلى المغرب من جديد تحصّن لدى بني سناسن فيقول: «وهم الحامون للدائرة المذكورة وقد ألقى إليهم الحاج عبد القادر من ترهاته ما سحرهم به، حتى ظنوه على الحق، وسرى ذلك منهم فيما وراء تازة من القبائل».[1] ويُبين لنا هذا الخطاب النفوذ الذي حظي به عبد القادر لدى هذه القبائل ومن والاها من ناحية تازة.

ونتيجة لهذا النفوذ كتب السلطان إلى ولي عهده بفاس يأمره فيه بالاستعداد لتقليص نفوذه ووضع حد للضغوطات الفرنسية، كان ذلك خلال شهر أوت 1846 في ما نصه: «أما بالنسبة إليكم فاستخدموا كل مجهوداتكم ضد المهيج، واستخدموا كل نشاطكم لوقف تحركات وعمليات أعوانه في هذه المنطقة وبشكل يجعل طرده يضع حدا لحديث أعداء الدين، وعندئذ ستتخلص القبائل من طغيانه، إذ أنه أظهر حقدا مُميتا لحكومتنا، ويبحث عن الفرص لمضايقتنا، ليخلصنا الله برحمته من هذا الرجل ويُفسد أعماله».[2]

ونتيجة لذلك أرسل السلطان بتعليمات إلى النواحي الشرقية يأمرهم فيها بالتحرك ضد الأمير، ومن أهمها خطابه إلى ولي عهده يوم: 23 سبتمبر 1846 الذي جاء فيه: «ولا تُقصّر في تحريض العُمال المقابلين والقبايل (كذا) على تعجيل هرده وأخذه وإبطال كيده، وضعّف لهم أمره وقلّل فايدتهم في العجز عنه...وذكّرهم عاقبة مكره وما يضمر من نكده ولا تألوا جهدا في داك (كذا) حتى يأخذه الله ويرد كيده في نحره ويجعل دايرة سوء (كذا) عليه، فانه أعدى أعداء المسلمين، وفتنته أكبر عليهم من فتنة المشركين، ولا تال جُهدا في إمداد المحلة بكفايتها فانك بذلك تُعان على عدوك، فدين الناس اليوم هو الطمع».[3] ولتثمين هذه التعليمات التي لم تكن خافية عن فرنسا ضاعفت نشاطها الديبلوماسي لدى السلطان كما سبق وأن عرفنا.

1- وثائق خ،ع،و: محفظة رقم 18 وثيقة رقم 35. رسالة السلطان إلى عبد القادر أشعاش بتاريخ 16 رجب 1262هـ.

2- Ismail, hamet, Le gouvernement marocain et La conquête d'Alger, OP,cit, p-p.76 - 78.

3- Ibid, P. 87.

إنّ هذه البلاغات السلطانية الصادرة إلى عُماله نجدها قد ساهمت في تأليب بعض القبائل ضد تحركات الدائرة وهذا ما أكّده خطاب السلطان إلى ولي عهده يوم: 05 ديسمبر 1846 في ما نصه« وبما وقع له القتال مع المطالسة وفراره وسطهم وإيقاع بحرب الأحلاف (كذا) فقد كنا نظن إعانته وإيواءه إعانة للإسلام والمسلمين، فإذا به أعدى أعدائهم ومن خدعنا بالله انخدعنا له فلا بد قف في التحريض على السكان ولا تقصّر حتى يريح الله منه العباد وينقطع أمره في تلك البلاد والسلام»[1].

ومحاولة منه لتخفيف حدة غضب السلطان فان عبد القادر كاتبه خلال شهر مارس 1847 مُلتمسا منه كف أذى القبائل التي انحازت للمخزن، إلا أن التماساته لم تلق أي جواب سوى مواصلة التحريض ضده، ونتيجة لذلك حاول عبد القادر الاتصال بحاكم مليلية الإسباني خلال شهرى أفريل و ماي 1847م[2] لعله يجد مخرجا لما آل إليه الوضع. ورغم إيجابيات هذا الاتصال فان الظروف التي أحاطت بالمهاجرين الجزائريين حينها حالت دون الاستفادة منها، ورغم ذلك فان فرنسا لم تكف عن دفع السلطان للسير قُدما في تنفيذ شروطها، ففي يوم 30 أفريل 1847 كتب ممثل فرنسا إلى ابن إدريس شاكيا من عدم جدوى الجهود المخزنية: «إنّ السلطان هو الذي يمكنه أن يطرد الأمير كما تعهد بذلك، وليس الأهالي بقادرين على مهاجمة أحد المجاهدين»[3].

وانطلاقا من شهر ماي 1847 تضاعفت الجهود المخزنية لأن عبد القادر قام بحملة تأديبية ضد قبائل الحميان جعل الكثير من القبائل يعودون إلى صفّه[4]، في الوقت الذي نشب فيه صراع بين قبيلتي الزمور وبني مطير، فتخوف السلطان من أن يستغله عبد القادر لصالحه، ولذلك كتب إلى ولي عهده خطابا يوم: 17 ماي 1847 يحثه فيه على تجاوزه وإطفاء نار الفتنة بين القبيلتين في ما نصّه: «ونحن نراعي أمر الفتان الحاج عبد القادر، فقد بلغنا استفحال أمره و انتشار ضرره، ونُريد من يسعى في أمر الألفة والجماعة ما أمكن، ليكون ذلك عونا إلى ما نحاول من اجتثاث أصله وحسم مادة فساده، ولا شيء أعون على ذلك من صلاح القبائل واستقامة خدمتها»[5].

ومن أهم الإجراءات التي قام بها السلطان في هذا الشأن أذكر ما يلي:

1- تجهيز قوة عسكرية من المخزن تُقدر بألفين وخمسمائة فرسانا رماة مُزودين بقطع مدفعية بقيادة عبد الكريم بن الشرقي قائد القبائل الريفية ومولاي الحسن ابن عم السلطان.

2- دعا إلى فاس كل من بوزيان بن الشاوي وبعض زعماء القبائل الريفية وعلى رأسها محمد التوزيني للتشاور في كيفية التصدي لنفوذ عبد القادر.

3- تعيين القائد محمد بن سالم الأحمر مكان ابن عبو بسبب المرض الذي أصابه نتيجة يأسه في القضاء

1- Ismail, hamet, Le gouvernement marocain et La conquête d'Alger,.OP,cit, P 89.

2- يراجع الدراسة التي قام بها الدكتور يحي بوعزيز: مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا و حكامها العسكريين بمليلية، وهي دراسة قيّمة حول هذا العنصر.

3- يحي، حلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية والمشكلة الصحراوية. المرجع السابق، ص295.

4- كبداني، المطالسة: بني توزين: قسم من قلعية، بني يزناسن.

5- إبراهيم ياسين : موقف الدولة العربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص 389.

على نفوذ عبد القادر[1] فرجع إلى طنجة إرضاء لسيّده.

4- قيام شيخ الزاوية الطيبة الحاج العربي الوزاني بإرسال رسالة إلى أنصاره بالجزائر يدعوهم فيها إلى التوقف عن مقاومة الفرنسيين، وصبّ لعناته على أولئك الذين يُنصّبون أنفسهم باسم الدين كدعاة للجهاد.

5- تجهيز حوالي خمسة آلاف جندي في تازة.

6- تزويد جيش محمد بن سالم الأحمر بألفين من فرسان المخزن والحاج الوليشكي قائد بني وليشك بخمسمائة فارسا وأربعمائة جنديا ثم توجيه الأوامر بالتحرك تجاه عبد القادر: «فجُدّ في أمره وحرّض الأحمر على الجد في اجتثاث أصله والسعي في محو شره... فاوض الأحمر بالتحريض والحرص على قضاء الأمر من غير طول يوجب الملل والضجر، وليتحرز من مكايد (كذا) الفتان وخداعه ويُجدّ في طرده وإبعاده ويُقابله في تلوناته بما يبطل سحره، فانه أقوى منه كيدا وأطول منه في الدهاء»[2]. والسؤال الذي يمكن طرحه هو كيف كان موقف عبد القادر من هذه التحركات؟.

موقف عبد القادر من تحركات المخزن:

نتيجة لتضافر الجهود الثنائية في تصفية المجاهدين الجزائريين المهاجرين بالمغرب الشرقي أقدم قائدهم على ثلاثة خطوات رئيسية هي:

أولا: انطلاقا من عدة اعتبارات تاريخية ودينية لم يبادر عبد القادر إلى مجابهة تحرّشات واعتداءات بعض القبائل بالمثل، بل قام بمراسلات علماء مصر ليستفتيهم حول ما حدث، وكان على رأس هؤلاء الفقيه محمد عليش[3] في كتاب ضمّنه نقاطا عدة[4].

1- الأفعال التي قام بها السلطان ضد المهاجرين والمجاهدين الجزائريين بالمغرب الشرقي.

2- مهادنة السلطان للنصارى على حسابهم.

3- أمر السلطان للأمير بترك باب الجهاد ورفض الأمير لهذا الأمر ويوضّح له فيه أنه ليس للسلطان ولاية عليه ولا هو من رعيته، وفي هذه الأثناء فعبد القادر لأول مرة يترع طابع الولاء الذي أقرّ به للسلطان منذ سنة 1833، فهل كان صادقا في ما ذهب إليه؟ أم لكي تجد أسئلته آذانا صاغية لدى فقهاء مصر؟

4- رأي الشرع في هذه المسائل وهل يجوز قتاله أوترك باب الجهاد؟. لقد جاءت إجابة الشيخ عليش في صالح الأمير والتي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

1- الأفعال التي قام بها السلطان كُلّها محرمة شرعا.

2- جواز قتاله جوازا عينيا لأنه حينئذ كالعدو والبغاة المتغلبين.

3- التحريض على قتاله والاستعداد له بالعدة والعتاد. وانطلاقا من هذه الإجابة فان عبد القادر سيتسلح

1- من كبار الأبطال ووجوه الأعيان شيخ بني مالك بن رباح محمد بن سالم الأحمر المالكي.

2- Ismail , hamet : Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger. op. cit.p97.

3- هو محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله (1217-1299هـ/1802-1882م) فقيه مغربي الأصل ولد بالقاهرة، وتعلم بالأزهر الشريف وولي مشيخة المالكية فيه. من مؤلفاته : فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك جمع فيه فتاويه.يراجع: الأعلام،مج،6،ص، 19.

4- ابن عبد القادر محمد : تحفة الزائر، المصدر السابق ص 471-476 حيث تضمنت كتاب الأمير ونص الجواب عنه.

بهذه الفتوى للدفاع عن نفسه، وقبل معرفة الخطوة الثانية التي قام بها هناك نقاط لفتت انتباهي وهي في غاية الأهمية ويبدو أنها -حسب رأيي- لم تُطرح من قبل وهي:

1- لم يؤرّخ صاحب التحفة لهذه المسألة، ولكن انطلاقا مما جاء في نص الأسئلة التي كُتبت في سنة 1847م/1263هـ، وعليه فهل هي كُتبت في شهر مارس أو أفريل أو ماي؟ ومن تكفّل بحملها إلى مصر؟ وما هي المدة التي استغرقها حاملها بين الذهاب والإياب؟ وانطلاقا من أن عبد القادر قد كاتب السلطان في شهر مارس 1847م فهل مدة ستون يوما كانت كافية للقيام بهذه الرحلة من المغرب إلى مصر؟ خاصة وأنّ الظروف الأمنية جدّ متدهورة.

2- هل كان عبد القادر فعلا في حاجة إلى هذه الفتوى؟ وهو الذي ذيّل الأسئلة بمسائل فقهية وأجاب عنها.

3- لماذا الشيخ عُليش لم يحاول إصلاح ذات البين بين الأمير والسلطان؟ وأجاب مباشرة بجواز القتال، فهل هي دعوة مصرية مغربية لسفك الدماء؟ خاصة وأن عُليش فقيه مغربي الأصل، ومن غير المستبعد أنه استعان بفقهاء مصر في تحرير هذه الفتوى.

ثانيا: وظّف عبد القادر هذه الفتوى كسلاح للدفاع المشروع عن النفس، وهو الذي ما زال يتوفر على حوالي ألف ومائتين[1] فارسا وثمانمائة من المشاة، هذا فضلا عن جنود القبائل الذين ما زالوا في صفه، فتذكر لنا بعض المصادر أنه لما لم ير بُدا من أن يحمي حوزته، فأنذر وأعذر وأوعد وحذّر ثم بطش بأهل الفساد، ومد يده إلى إقامة الأحكام الشرعية فيهم وأخذهم بالرهبة وبالغ في ذلك حتى لاذوا بالطاعة، فزال بذلك عن المهاجرين ما أهمّهم وأغمّهم وأدركوا من رضى العيش وبُعد الصيت ما حرك من سلطان مراكش السواكن وأوقعه في الخوف على ملكه، ثم بلغه أن أهل فاس قاعدة مملكته وغيرهم من أهل القصبة بعثوا إلى الأمير يدعونه إلى الاستيلاء على بلادهم وأخذهم بنصرته إلا أن عبد القادر كان له موقف آخر وهو ما جاء في الخطوة الثالثة.

ثالثا: حاول التخفيف من حدة التوتر بالاتصال بحاكم مليلية الإسباني في أن يتوسط له لدى السلطان لايجاد مخرج سلمي لقضيته، وفي الوقت نفسه وتعبيرا عن رغبته السلمية كاتب السلطان على لسان شيخ قبيلة الكرارمة حمدون بن عبد الرحمن الكرومي مُعلنا له رغبته في الخروج نحو الصحراء وفق شروط،[2] حسب جواب السلطان إلى ابنه، إلا أن السلطان رفض طلب السماح له بالخروج، ومرد ذلك حسب رأيه هو وجود تواطؤ كبير بين الكرارمة والأمير ولذلك نصح ابنه بقوله: «فتفطن أصلحك الله لدسائسهم وتلبيساتهم وإياك أن تقبل لهم شروط مكرهم»[3].

وما يؤكد لنا هذا الطرح الذي تقدم به الأمير للسلطان هو ما جاء في كتاب ابن السلطان سيدي محمد

1- محمد السعيد: نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته، المخطوط السابق مخ،م،ج : رقم 09، ص13.

2- لم أقف على خطاب الأمير الذي تضمنها، ولكن يمكن تحديدها انطلاقا من المعطيات المتوفرة آنذاك وهي : كف أذى القبائل ضد المهاجرين الجزائريين، وعدم تعريضها من طرف المخزن، السماح لعبد القادر بالمكوث في المغرب الشرقي إلى غاية إعادة تكوين قواته والدخول بها من جديد إلى الجزائر عبر الصحراء، فرض تعاليم الدين الإسلامي في قبائل الناحية الخارجة عن طاعة السلطان خاصة التي أخذت من السلب والنهب شعارا لها، التحرك بحرية في المغرب الشرقي وجمع المساعدات المالية لتسريح المجاهدين الجزائريين.

3- إبراهيم ياسين : موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص 391 - 392.

إلى والده يوم: 1 جوان 1847م ويوضّح له أيضا أسباب تفكير الأمير في الخروج نحو الصحراء: «وخبر الشيطان عبد القادر كنا قدمنا لسيدنا، وهو أن أمره اضمحل وعزم على الخروج للصحراء، وجعل يقدم ضعفاء دايرته أمامه وارتحل من المطالسة إلى بني تزين (كذا) ومنهم إلى ما بين بني وليشك وبني سعيد يوهم أنه يخرج لصبرة ومنها إلى الصحراء وقبايل الناحية التي هو لها شاع فيهم النفاق»[1].

ثم يواصل خطابه ليُحدد له قوة الأمير فيقول: «فليس معه على ما ثبت عندنا إلا نحو الثلاثمائة من الخيل والستمائة من الرماة ولا بد أن ينحاش إليه الشياطين من قبائل تلك الناحية، إذ لا تخلو قبيلة من شياطين يكونون فيها»[2]. ويؤكد لنا هذا الخطاب مرة أخرى مدى تمسّك قبائل المغرب الشرقي بالمجاهدين الجزائريين وانحيازهم إليهم رغم الجهود المخزنية المناهضة لهم.

وأمام هذه الجهود المخزنية والإجراءات الفرنسية المراقبة والمشجّعة لها لم يكن أمام المخزن إلا تنفيذ ما تم الاتفاق عليه وهو أن تتركه فرنسا يعمل لوحده، وهذا العمل أثمر في الأخير بابعاد فرنسا عن الصراع وترك المغرب والمجاهدين الجزائريين وجها لوجه في معارك دموية عنوانُها بـ التصادم المغربي الجزائري.

التصادم المغربي الجزائري (جوان-ديسمبر1847) وتصفية حركة الجهاد الجزائرية بالمغرب الشرقي:

أمام إصرار السلطان على تصفية حركة الجهاد الجزائرية، ورفض عبد القادر التعجيل بالخروج من المغرب الشرقي، وأمام تزايد الضغوطات الفرنسية والنفسية للسلطان لم يكن هناك بديل آخر عن حتمية هذا التصادم الدموي الأخوي الذي تعددت أسبابه، وكثرت الأقاويل حوله، ولمعرفة حقيقة ما جرى عن كثب حاولت مقارنة الأحداث والروايات التاريخية للخروج منها بالكثير من الحقائق، ففي خلال سبعة أشهر جرت أربع معارك أخوية مأساوية كانت كافية لتصفية حركة الجهاد الجزائرية بالمغرب الشرقي.[3] وانطلاقا من الإطار الزمني لهذه المعارك فهي مُرتبة ومُمثلة في ما يلي:

1. معركة تافريست:

أسبابها:

- قيام قبائل الأحلاف بالإغارة على البوحميدي ونهب الكثير من إبل وأغنام الدائرة، فراسل عبد القادر قائد هم أن تكف رعيته عن أفعالها، إلا أنه رفض ذلك فرد عليه عبد القادر: «حيث لم تكف الظلم عن المظلوم فإنّا نأخذ متاعنا من من ظلمنا فتبين الأمر حينئذ أنه منه وبإذنه»[4]. ونتيجة لذلك قام عبد القادر بالإغارة على الأحلاف لاسترداد ما نهب منه من إبل وأغنام وأموال.

- تحرك القائد محمد بن سالم الأحمر لقتال الأمير كما جاء على لسان السلطان له: «فجُدّ في أمره وحرّض الأحمر على الجد في اجتثاث أصله والسعي في محو شره»[5]. وفي الوقت نفسه قيام فرنسا بتحريض الأحمر

1- Ismail , hamet : Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger ,op ,cit p. 95.

2- Ibid., p. 95.

3- ينظر الخريطة بالملحق رقم.10.

4- الأمير عبد القادر : المذكرات، المصدر السابق، ص-ص،122-123.

5- Ismail , Hamet : Le gouvernement marocain et la conquêt d' Alger , op. cit , p 97.

في القضاء عليه: «وقد كتب الرومي كتابا للقائد الأحمر في شأن الفتان المذكور»[1].

– إصرار الأحمر على خروج عبد القادر أو قتاله ورفض التماس الأمير الذي لم يكن يريد إلا العافية والمسالمة، بل اعتذر له عن الخروج بضعفاء المهاجرين إلى الصحراء لبُعد المسافة، فيذكر صاحب الإتحاف: وكتب إليه يتبرأ مما نسب إليه من البهتان، وأقسم بصدق ولايته للسلطان وبرهن على أنه مستظل بحمى أمير المؤمنين[2].

أحداثها:

الأمير كان مُخيما بين أرض بني توزين والمطالسة من قبائل الريف، والقائد الأحمر خيّم بتافريست ثم أرسل العيون لاستطلاع أمر الدائرة، وبعد انقطاع الوصال بين القائدين أخذ الأمير حذره واستعد للدفاع عن النفس، ولقد بادر الأحمر إلى مفاجأة الدائرة إلا أن الأمير تفطّن له، فتظاهر بأنه جاء لزيارته ومنح له فرسا وتظاهر أمامه بالود والمسامحة، ثم قفل راجعا دون تحقيق هدفه.

ونتيجة لهذا الموقف استدعى الأمير أنصاره: المتالسة، بنو بوعي، القلايا، وجزء من بني سناسن واقترب من معسكر القوات المخزنية مابين: 6 إلى 7 جوان 1847 م وعندما اقترب منه اضطربت القوات الشريفية واستعدت للقتال ولكن الأمير أخبرهم أنه جاء لزيارة الأحمر لا غير، ثم اختار الأمير خمسين فارسا بقيادة البوحميدي وأمرهم بالتوجه إلى مقر القيادة المخزنية ليعلن نياته السلمية أمامها، لكن وصول هذه القوات أثار الهلع والفوضى في صفوف الجيش المغربي قرب قلعة تافريست -أين يقيم الأحمر- وعلى إثر ذلك نهض الأحمر وحاول إطلاق النار مباشرة على البوحميدي، إلا أن حرس هذا الأخير ردوا عليه بالمثل فكان مصيره الموت. ونتيجة لهذه الحادثة المؤلمة انسحب البوحميدي صوب الأمير.

ونتيجة لهذه الحادثة تحرّكت القوات المخزنية[3] لتعقّب فرسان البوحميدي إلا أن الدائرة كانت عليها، ويصف لنا صاحب المذكرات ذلك فيقول :« وما فاجأنا إلا وقومه وسط حللنا ونحن جلوس وخيلنا غائبة والجيش على مسافة يوم بخيله في الربيع – المرعى- فركب أناس قليلون وتكلم البارود، فانهزموا بعون الله، ومن الغد حصلت لهم أنفة فركبوا وركبنا قبالتهم ثم رجعوا إلى محلتهم»[4].

وقد ترك الجيش المغربي محلته وقفل فارا باتجاه الغرب إلا أن عبد القادر لم يتبعهم. وبذلك تنتهي هذه الواقعة الأليمة التي جرت بين الجيشين!

نتائجها:

1. انهزام القوات المخزنية وقتل القائد الأحمر – خسائر بشرية مادية –.

2. استيلاء الأمير عبد القادر على محلة الأحمر وبما احتوت عليه من خزائن وخيل وبغال وفرش وأمتعة،

1- Ismail , Hamet : Le gouvernement marocain et la conquête d' Alger . op. cit . p 95.

2- ابن زيدان: الإتحاف، المصدر السابق، ص61. ويراجع أيضا: تحفة الزائر، ص-ص. 389-390.

3- بلغ عدد القوات المخزنية حوالي 9000 مقاتل، بينما لم يكن يتوفر الأمير إلا على 1500 فارس و400 مشاة، وعليه فالمعركة لم تتم مباشرة- وجها لوجه- ومرد انهزام القوات المغربية الفوضى والاضطراب الذي حل بها.

4- محمد السعيد: نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته، المخطوط السابق،ص.13.

وأموال وأثقال وحريم.

3.الحادثة كانت سبة ومعرة للسلطان اهتز لها ضمير الشعب المغربي ونقم عليه لإقدامه على محاربة إخوانه المسلمين الذين جاءوا إلى بلاده طلبا للأمان فطعنهم من الخلف، ولذلك سموه بالسلطان المشؤوم[1].

4. قيام الأمير بتكوين وفد ضم جماعة من الأعيان والعلماء برئاسة أبي عبد الله محمد السقاط، وأرسلهم إلى السلطان وبرفقتهم كل ما تركته محلة الأحمر للاعتذار لديه حول ما حدث، فقوبلوا بكل تجلة وإكرام وتحقق السلطان من براءة ساحة الأمير من أقوال المرجفين، ثم انقلب الوفد عائدا إلى الأمير مغمورا بجود السلطان وكرمه[2]. وقبل معرفة ردود الفعل المخزنية حول الواقعة هناك ملاحظات رئيسية أود أن أشير إليها في ما يلي:

1.اختلاف كبير بين من تعرض للواقعة[3] حول من المتسبب الرئيسي في وقوعها؟ فهناك من نسبها لجيش المخزن المغربي وهناك من نسبها للجيش الجزائري. وانطلاقا مما سبق ذكره يمكن القول أن الأمير كان في موقف الدفاع، وبالتالي يمكن استبعاد الفكرة **الثانية** .

2..السفارة الجزائرية بعد الحادثة إلى السلطان تؤكد النوايا السلمية والحسنة تجاه المخزن،.وفي الوقت نفسه تبعد عن عبد القادر طابع السلب والنهب، لأنه أعاد كل ما وقع بين يديه إلى السلطان وهو عكس ما ذهب إليه البعض أنه ترك المحلة المغربية للنهب والسلب[4].

3.ما احتوت عليه محلة الأحمر من هدايا وأموال وجدت في ميدان المعركة من غير المستبعد أن المخزن كان يسعى إلى توزيعها على شيوخ قبائل الناحية لاستمالتهم إلى جانبه.

ردود الفعل المخزنية:

يمكن معرفتها من خلال الرسائل التي تم تبادلها بين السلطان وعماله، ففي يوم 18 جوان 1847 وبعدما وصل خبر الحادثة إلى السلطان بمراكش كتب إلى ابنه يصف له هول ما حدث «وعلمنا ما صدر من الغادر الناكث عبد القادر أهلكه الله بقدرته وأخذه بحوله وقوته»[5] ثم يوضح له تعاون الشيخ التوزيني مع الأمير «وخصوصا الشيطان التوزيني قبحه الله فإنه كان يحتال على هذا من قبل بتفريق كلمة القبائل الريفية وإنشاء الشنئان بينها »[6]، وفي الوقت نفسه يحذر ابنه من خطر القبائل الريفية «فإن القبائل الريفية ذوات عدة وعدد وبأس شديد مع كثرة الغدر والإبقاء للمكر. إنما العهدة على هؤلاء المترتبة الذين سعوا في هذا وخدعوك بالأخبار بغير الواقع»[7].

1- نجي، بوعزيز : ثورات الجزائر في القرنين 19، 20، المرجع السابق، ص 32.

2- ابن زيدان : الإتحاف، المصدر السابق،ص 61 وفي الحقيقة أن الوفد توجه إلى فاس -حيث سيدي محمد- لان خطاب السلطان فيما بعد عكس ما ذكره صاحب الإتحاف !

3- من بين هؤلاء نذكر، الجيش العرمرم، ص 221، البيان المعرب: ص131، طلوع سعد السعود: ص239، نبذة عن حياة الأمير عن القادر وأسرته، ص 13، الإتحاف، ص 61، النحلة ، ص 489.

4- نعني بذلك كل من : العربي، إسماعيل، المقاومة الجزائرية، ص213، ومؤلف: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، ص 297.

5- Ismail, Hamet: Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger, op, cit, P 99.

6- Ibid, P99.

7- Ibid, P 99.

و لم يكتف السلطان في خطابه بذلك بل اعتبر الواقعة كارثة جديدة حلت بالمغرب: «وقد كانت واقعة النصارى بوجدة أخف لأن النصراني فعل ما فعل ورجع أدراجه وهذه الواقعة هي الطامة لظهور هذا الشيطان المتلبس»،[1] ويشاطر ابن إدريس السلطان في ما ذهب إليه وذلك من خلال الرسالة التي بعثها إلى "دي شاستو" في اليوم نفسه ونص ما جاء فيها «إن كل الآراء التي قدمتها لنا بشأن عبد القادر قد تحققت، ورأينا خيانته ومكره وشقاوته ورفع النقاب عن شقاوته التي كان قد أخفاها حتى الآن، لقد انتهى أمر الصبر لم يبق الآن لعبد القادر إلا انتقام إلهي، وعلينا أن نخفي حتى أثار أقدامه من هذا العالم»[2].

ومن أهم الإجراءات المباشرة للمخزن أذكر ما يلي:

1. تعيين محمد بن عبد الصادق[3] مكان الأحمر قائدا على الريف، وبرفقته مائة جندي.
2. طلب سيدي محمد من والده التعجيل بالقدوم إلى فاس قبل أن تنتهي فترة هدوء القبائل المرتبطة بفترة الحصاد وجني المحاصيل.
3. إرسال قوة عسكرية قوامها ثلاثة آلاف جندي بقيادة أبي محمد الشرقي إلى تازة في أواخر شهر جوان 1847م، الذي بادر عند وصوله بتأديب قبيلة غياثة وتسكين ناحية تازة.
4. إرسال تعزيزات عسكرية جديدة إلى قائد بني يزناسن ميمون ولد البشير وقائد الأحلاف بوزيان بن الشاوي.

وفي يوم 5 جويلية 1847 يبعث السلطان بخطاب إلى ابنه سيدي محمد يؤكد فيه على الإجراءات السابقة. ويضيف أخرى كالاحتراس وإذكاء العيون والجواسيس ويشرح له سبب قتل القائد الأحمر في المعركة السابقة، « وأخبرت أن الأحمر هو الذي استعجل الأمر قبل أوانه واستبد برأيه حيث رءا (كذا) بعض الضعف ووهن الفتان وإنما أفسد عمله فرار من معه»[4]، ثم يوضح له موقفه من عبد القادر « إنا كنا نظن أن الشيطان لا يبلغ به هذا المبلغ حتى يتمحض للعناد ويفسد دينه بما ارتكب من الإفساد فإنه استفزه الشيطان للضلال وأوقعه في هوة الوبال والخبال»[5]، في الوقت الذي يوصيه فيه بالتلطف مع القبائل وعمل الحيلة معها «وما طلبت من عدم التعرض لمتسوقة القبائل الريفية والإغضاء عنهم فذلك الواجب وهو الرأي والنظر والزيادة في الاحتراز والتعامي عنهم والإغضاء حتى كأنه لم يصدر منهم شيء يحملهم على التوبة والنصيحة والقيام على ساق الجد في الخدمة والسعي في أخذ من أوقعهم في ذلك»[6].

ولتثمين الجهود المخزنية بادر "دي شاستو" خلال شهر جويلية 1847 إلى تدعيم مركز ابن عبد الصادق

1- Ismail, Hamet: Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger, op. cit., P 99.

2- يحي، جلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص298.

3- أظهر استعداده الكبير للتعامل مع الفرنسيين، خاصة روش ودي شاستو لأنهما قدما له الكثير من التسهيلات، وعرضا عليه فكرة الاعتماد على مفعول الأموال والهدايا لإبعاد زعماء القبائل عن عبد القادر، وان تدعم هذه الوسيلة بقوة مخزنية.

4- Ismail, Hamet: Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger, op. cit. P. P102-103.

5- Ibid. P.P.102-103.

6- Ibid, P.P 102-103.

بالمكافئات المالية، وقد أظهر عدد كبير من الشيوخ والمرابطين استعدادهم لقبول هداياه.[1] كما أن قائد وجدة بوزيان العبدوني أظهر هو الآخر استعداده للتعاون مع الجنرال "لامورسيير" الذي أمدّه يوم 19جويلية1847م بثلاثين بغلا محمّلة بالقرطوس[2]،وفي ظل هذه الأثناء تنزل واقعة أخرى بين الجزائريين والمغاربة،إنها معركة قلعية وقتالها لدائرة الأمير.

2. معركة قلعية:

أسبابـــــها:

1. التحريض الذي تلقته من السلطان وعُماله بالناحية كنتيجة للجهود السابقة.
2. غياب الأمير عبد القادر رفقة جيشه عن الدائرة.
3. قبائل الناحية – منهم قلعية – ليست لهم همة إلا شن الغارات على بعضهم بعضا وقطع الطريق والنهب وقتل النفوس بغير حق.[3]
4. الرغبة في النهب والسلب والحصول على الغنائم – الأموال والمتاع – أي الطمع.

أحداثـــــها:

جرت أحداثها عبر مرحلتين ففي المرحلة الأولى التي تبدأ بنهاية واقعة تافريست مباشرة، وجد عبد القادر أن القبيلة قد أغارت على المتسوّقة من الدائرة ونهبت محالهم، فأمر أفرادها برد ما نهبوه منها إلا انهم رفضوا ذلك فأجبرهم بالقوة على رد ما نهبوه، وهذه الوقائع جرت خلال شهر جويلية 1847، ودليل ذلك رسالة السلطان إلى سيدي محمد يوم: 21 جويلية 1847 التي تطرق فيها إلى الواقعة فقال:«وعلمنا ما ارتكب الفتان أهلكه الله من نزوله على قلعية حتى ردوا ما كانوا نهبوا لأصحابه ووظف عليهم الزعيرة زيادة على ذلك»[4].

أمّا المرحلة الثانية فتبدأ أحداثها بالتزامن مع معركة الحشم وبني عامر خلال شهري أوت وسبتمبر 1847، فالأمير بعدما عاقب قلعية وتوجه نحو الغرب لملاقاة الحشم وبني عامر تُهاجم في هذه الأثناء قلعية الدائرة للمرة الثانية، وعلى اثر عودة عبد القادر إليها علم بالخبر فبعث إلى قبائل الغرب الدائرة به في المنزل كالأحلاف والمطالسة والسبع وغيرهم، لاستشاراتهم في شأن ما حدث فأجمعوا رأيهم على مساعدته عليهم وهوما تم فعلا. فهاجم قلعية وقُتل من الطرفين المئات، وتُعتبر هذه الواقعة الأليمة هي الثانية ضمن أحداث هذه الفترة!

نتائجـــها:

1- كشيخ بني وليشك محمد بن الحاج أحمد الوليشكي، محمد العطاري شيخ بني سعيد ومرابط القبيلة نفسها، بوزيان بن الشاوي، ميمون ولد البشير والمرابط التوزيني!.

2- إبراهيم، ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص401.

3- محمد السعيد: نبذة عن حياة الأمير عبد القادر و أسرته، المحفوظ السابق ص-ص13-14.

4- Ismail Hamet : Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger ,op.cit,p106.

1. الخسائر البشرية[1] واستنزاف القدرات العسكرية للأمير.

2. رضوخ قلعية للأمير وأداء ما عليها من غرامات التي قدرت بـــ 22 ألف كيس من الشعير نقلها الأمير إلى زايو حيث خزنها هناك [2]

3. توجيه قلعية لنداءات استغاثة إلى عدد من القبائل الريفية كبني سعيد وتمسمان وأولاد الشيخ و بـــني توزين لمساعدتها في الانتقام من الأمير.

4. اضطراب كبير في صفوف القبائل الريفية، وهذا ما يؤكده النص الآتي:«مع هذا الاضطراب الكثـــير، ودخول الخلل في تلك القبائل والاختلاف فقد عرّفتنا هذه الواقعة بقبائل الريف وأهله وبموافقتهم وانهم عبيـــد العصا وأتباع كل ناعق، مع أن كنا نظن فيهم الحمية والجد، فانظر إلى الفتان مع قلة من معه وكونه في غـــير بلده كيف توصل بالدهاء والمكر والسياسة إلى ما لم نتوصل إليه نحن بالكثرة وعدم السياسة»[3].

5. زيادة نفوذ عبد القادر بمنطقة الريف وتلقيه للكثير من المساعدات من القبائل، كما قام بإجراء أحكام الشريعة في حقّهم، وكفّهم عن القتل والسلب والنهب امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعـــون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾[4]. ويحاول السلطان تأكيد هـــذا الدعـــم وتغاضيهم عن طرده «وما اعمال (كذا) قبائل الريف من الخوف من الفتان إنما ذلك منهم كـــذب وتلبيـــس، وكيف يخافون منه وكل قبيلة تعد العشرة آلاف والعشرين ألفا من أهل المقاتلة والحمية، وانما ذلك منهم نفـــاق وخيانة وتقاعد عن الوفاء، يرون ما يفعل ويقدرون على منعه ولاكن (كذا) يقولون لم آمر بهـــا و لم تســـؤن قاتلهم الله أنى يؤفكون»[5].

6. تزايد الظغوطات الأجنبية – البريطانية، الهولندية –ضد السلطان خاصة الموجهة نحو إثارته ففي تقرير للقنصل الهولندي بطنجة يوم 14 أوت 1847 يُعلق فيه على الانتصارات التي أحرزها عبد القادر ونصـــه « في هذه الآونة الهدوء سائد في جميع النواحي، لتخليص ممالكه من وجود الأمير»[6].

وفي تقرير آخر له يوم: 27 أوت 1847 يؤكد فيه النفوذ السابق للأمير وخطره على عـــرش الســـلطان ونصه: « وقد اعترفت مناطق الريف وحميان الغرب بهذا المحارب زعيما، والرأي السائد أنه لن يتـــأخر حـــتى يدخل فاس نظرا لكون عدد من مؤيديه هنالك ينادونه وينتظرونه بفارغ الصبر... نحن نتوقع أن تقوم جمـــوع

1- اختلفت الروايات التاريخية حول عدد الضحايا بين مقلل ومكثر : فيذكر لنا صاحب مذكرات الأمير : فيما بين الستمائة والسبعمائة من قلعية ومن الأمير نيف وثلاثون دون الجرحى، أما صاحب الابتسام فيذكر نحو الثلاثمائة، ص428، أما صاحب التحفة فانه يذكر حوالي الســـبعمائة، ص.493.

2- إبراهيم، ياسين :موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص410

3- Ismail, Hamet : Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger ,op,cit,p106.

4 - سورة آل عمران، الآية، 104.

5- Ismail hamet : Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger ,op,cit,p106.

6- مولاي، بلحسيني:(الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان من الألفة والوئام إلى الخصومة والخصام)، المرجع السابق، ص-ص58-59.

هائلة في هذا البلد مُعلنة انظما مها للنبي المزعوم الذي يطمح إلى السلطة العليا في هذه المملكة »[1] وقبل معرفة ردود الفعل المخزنية حولها، هناك ملاحظات رئيسية يمكن حصرها في ما يلي:

1. قبائل قلعية هي التي بادرت بالعدوان على دائرة الأمير.
2. النتائج السابقة تؤكد لنا مدى المساندة الشعبية التي حظي بها عبد القادر لدى قبائل الناحية رغم انحياز بعضها إلى جانب المخزن.
3. استمرار السياسة الفرنسية والأوربية في إثارة الشائعات وتحريض السلطان للتعجيل بالتحرك نحو الشرق المغربي.
4. استمرار السلطان على الخط الفرنسي بنعت الأمير بالفتان، الشيطان، الغادر، الناكث، في الوقت الذي لم نلمس فيه هناك رد فعل عنيف من الأمير نحو السلطان.

ردود الفعل المخزنية: تتمثل فيما يلي:

- امتناع السلطان عن توجيه المدد إلى كل من التوزيني والوليشكي وتخوفه من الفوضى التي عرفتها الناحية، والنفاق الذي ظهرت به القبائل ضد السلطان.[2]

- التأكيد على استعمال السياسة في ألفتهم وحُسن التدبير، والسلطان هنا يناقض نفسه فيؤكد مرة أخرى باستعمال الجد وترهيبهم بما يوقظهم من سنة هواهم، ويستدل في ذلك بأبيات شعرية :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب.

- إصرار السلطان على قتال الأمير وتصفية حركة الجهاد وذلك من خلال المذبحة التي ارتكبها في حق قبيلتي الحشم وبني عامر والتي تُعتبر المعركة الثالثة في هذه الفترة.

3. معركة الحشم وبني عامر:

أسبابها:

اختلفت الروايات التاريخية حول هذه الحادثة فمنهم من رأى أنها مؤامرة دُبّرت من الأمير ضد السلطان، وهناك من رأى خلاف ذلك، وخدمة لموضوع البحث رأيت ضرورة الوقوف عندها لمعرفة حقيقة ما حدث ضد هاتين القبيلتين الجزائريتين.

الرأي الأول:

يرى أصحابه أنّ ما حدث هي مؤامرة دبّرها الأمير ضد عرش السلطان بمعاضدة هاتين القبيلتين، وعليه فالسلطان قام بإبادتهما عن آخرهما حماية لعرشه، ومن بين هؤلاء نذكر:

- أكنسوس[3]: « ثم دبّر مكيدة (يعني الأمير) ووجّه شرذمة عتيدة وأمرها أن تُظهر أنها عنه فارة هاربة مع أنها

1- مولاي، بلحميسي:(الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان من الألفة والوئام إلى الجفوة والخصام)، المرجع السابق، ص59.

2- Ismail, Hamet : Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger , op,cit,pp 102-103.

3 - محمد بن أحمد أكنسوس القرشي السوسي المراكشي، أبو عبد الله(1212-1294هـ/1796-1877م)، ولد بسوس وتعلم بها تولى فيها الوزارة وديوان الإنشاء، عزله المولى عبد الرحمان من منصبه، كان من الكتاب البارعين، توفي بمراكش، من أهم آثاره: الجيش العرمرم، حمائل الورد والنسرين في وزارة بني عشرين، يراجع: الأعلام،مج، 6، ص،19.

مستبطنة أفاعيه وعقاربه، فلما تفطن مولانا لتلك الدسيسة أمر باجتياح تلك الشرذمة الخسيسة».[1]

- الناصري السلاوي:« ثم أحتال بأن بعث جماعة وافرة من الحشم وبني عامر شيعته إلى السلطان قدّمهم أمامه في صورة هُراب مستجيرين بالسلطان فلما اطلع السلطان على دسيسته بعث إلى أولئك الجماعة عسكر من الشراردة فاجتاحوهم بعد جهد جهيد وقتال شديد»[2].

- صاحب الابتسام:« وسار حتى وصل قرب تازة عازما على الدخول للمغرب، واتفق مع بني عامر والحشم على الملاقاة في وادى (كذا) الحياينة ودخولهم جميعا إلى المغرب بقصد التغلب».[3]

- ابن عودة المزاري: يشاطر هؤلاء الرأي خاصة وأنه اعتبر عمل السلطان شرعي فيقول:«وسبب ذلك رجوعهم للدائرة في غاية الراحة والتوفير، فشرعوا في نهب الأموال وحرق الأشجار وقطع السبل بذلك، فأمر سلطان المغرب القبائل بالتسلط عليهم بالقتل».[4]

الرأي الثاني:

يرى أصحابه أن ما حدث هو مجزرة رهيبة ارتكبت في حق الحشم وبني عامر، وأن تحركهم باتجاه الأمير -نحو الشرق- ما هو إلا عودة إلى الدائرة التي غادروها عندما ضعف حالها والأمير بالغرب الجزائري، والآن وبعد أن عاد إليها الأمير وتحسنت أحوالها قرروا العودة إليها، ومن دعاة هذا الرأي نذكر.

-الأمير عبد القادر: «وكان ناسنا الذاهبون من عندنا مثل الحشم وبني عامر في تلك الأيام قدموا وعزموا على الرجوع نحونا ففعل بهم المخلوع ما لم نر فعله من النصارى».[5]

- ابن عبد القادر محمد:« فلما تمكن الأمير في أرض الريف، وثبتت قدمه فيها اعتزموا على الرحلة إلى سيدهم وكتبوا إليه أن يراقبهم في بلاد مكناسة، فأجابهم إلى ذلك وارتحل بدائرته إلى كرط قريبا من جبل قلعية، ثم سار في نخبة من فرسانه إلى بلاد مكانسة، وكان بنو عامر ارتحلوا مُشرّقين ففطن بهم جيرانهم فطيّروا الخبر إلى سلطانهم»[6].

- العربي إسماعيل: « وعندما اتجهت القبائل الجزائرية إلى الشرق، رأى السلطان عبد الرحمن في هذه عاملا من شأنه أن يعزز جانب الأمير ولذلك وجّه في أعقابهم قبيلة الشراردة تحت أوامر القايد (كذا) إبراهيم بن أحمد الأكحل للهجوم عليهم».[7] و انطلاقا من هذه الروايات يمكن تحديد الأسباب الحقيقية للمعركة في ما يلي:

1. تمكن الأمير عبد القادر من بسط نفوذه على أهالي الريف، والإشاعات التي روّجها القناصل الأجانب من خطر الأمير على العرش المغربي.

2. تخوّف السلطان من وصول الحشم وبني عامر إلى الدائرة وبالتالي معاضدتها وتقوية مركزها من الناحية

1- الجيش العرمرم، المخطوط السابق، ص -ص. 220-221.

2- الاستقصاء، المصدر السابق. ص 56.

3- مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام، المخطوط السابق، ص428.

4- طلوع سعد السعود المصدر السابق ص242.

5- المذكرات، المصدر السابق، ص122.

6- تحفة الزائر، المصدر السابق، ص491.

7- المقاومة الجزائرية، المرجع السابق ص 313.

العسكرية، حيث كانت قيمة فرسان بني عامر والحشم وشجاعتهم مُعترفا بها من الجميع في حركة الجهاد.

3. محاولة السلطان وضع حد لتحركاتهم نحو الشرق بقتلهم، وذلك من باب التهديد الموجه للقبائل المغربية نفسها المساندة للأمير، وإظهار قدرته العسكرية لتخفيف توتر القبائل العسكرية وتخوفها منه، ونلمس ذلك من خلال رسالته إلى ولي عهده يوم: 18 أوت 1847 م ونصها: «وأنظر ما نتج منهم من كثرة الإرجاف وإلقاء الرعب في القلوب ممّا سوّدوا به الصحائف وطوّلوا وهوّلوا، وخوّفوا من أمر الفتان وأنه قادم لتازة لا محالة»[1]. وعليه يمكن استبعاد فكرة التغلب والمكيدة أو الدسيسة التي نادى بها أصحاب الرأي الأول ومرد ذلك المعطيات الآتية:

- رغبة الحشم وبني عامر المبكّرة في مغادرة الدائرة نحو بلدهم الأصلي (الجزائر)، ويظهر ذلك من خلال طلبهم الذي قدّموه للقنصل الفرنسي بطنجة خلال شهر مارس 1846، والذي رفض طلبهم.

- مغادرتهم الدائرة باتجاه الغرب -مراكش- كانت في غياب الأمير عنها وعليه فمغادرتهم لها لم تكن بأمره و لم يكن يعلم بها.[2]

- هُم الذين بادروا بالكتابة إلى الأمير عندما قرروا السير نحوه[3] فأجابهم إلى مطلوبهم وتوجه غربا لاستقبالهم خاصة وأنهم من بن جنسه ووطنه.

أحداثها:

عندما سقطت إحدى الرسائل التي كانت بين الأمير وهاذين القبيلتين في يد جواسيس السلطان، والتي كانت تحمل تاريخ تحركهم نحو الأمير ومكان اللقاء ببلاد مكناسة، ونتيجة لذلك بعث سيدي محمد بقوة مخزنية من ثلاثة آلاف فارس بقيادة فرّجي لمنعهم من السير نحو الشرق وإجبارهم على الانتقال إلى مراكش، ولكن بني عامر الذين كانوا يتوفرون على ثمانمائة فارسا وألف ومائتي راجلا، تمكنوا من اختراق صفوف قوات فرّجي وساروا قُدما في اتجاه واد اللبن.

أما الحشم فهم أيضا رفضوا تنفيذ الأمر الذي صدر إليهم بالتوجه نحو مراكش ولجئوا إلى غريب في ملك زاوية وزان، أين طلبوا من رئيسها سيدي عبد الكريم بن علي التدخل لدى السلطان للعدول عن نقلهم إلى مراكش. إلا أنه في اليوم الموالي أحاطت القوات المخزنية بالموقع ومعها فرسان القبائل المجاورة وهُوجم الحشم وقُتل أغلبهم وأُسر الأحياء، و لم يتمكن بنو عامر من الوصول إلى المكان الذي تواعدوا فيه مع عبد القادر، لأن الجيش السابق الذكر تمكن من إدراكهم ببلاد الحياينة حيث أحاط بهم مع آلاف من فرسان قبائل الناحية. وقد وصف كل من أكنسوس[4] والناصري القتال الذي جرى بين بني عامر وحوالي اثني عشر ألف

1- إبراهيم ياسين : موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق ص406.

2- جاء في تحفة الزائر أن بني عامر أظهروا الخروج من الدائرة والدخول إلى مراكش لما نالهم من المشقة والتعب، ويذكر أيضا ذلك الخلاف الذي دار بين ابن التهامي والبوحميدي بشأن تقديم المساعدة إلى الأمير وهو بالغرب الجزائري. فأمر البوحميدي بتسليم الخيول التي بحوزتهم وهو ما أطلق بني عامر التي يعتقلها حيولها فخرجت باتجاه مراكش في نحو مائتي خيمة ص ص 464-465.

3- ابن عبد القادر محمد : تحفة الزائر المصدر السابق ص 491.

4- الجيش العرمرم، المخطوط السابق، ص220.

مقاتلا مغربيا.وصف يعكس قوة وشجاعة بني عامر.[1]

وهكذا واجهت القبيلتان الجزائريتان مصيرهما دون أن يتمكن عبد القادر من نجدتهما، بل أنه لم يتمكن حتى من الوصول إلى مكان الموعد، فقد رفضت قبيلتا التسول والبرانس السماح له باجتياز أراضيها وهددتاه بالسلاح، وفي هذه الأثناء اضطر الأمير على العودة إلى دائرته التي كانت قد أغارت عليها قبيلة قلعية.

نتائجها:

- القضاء على أهم قبيلتين جزائريتين هاجرتا إلى المغرب الشرقي للاحتماء بالسلطان، وإذا به يرتكب في حقهما مجزرة رهيبة راح ضحيتها اكثر من ثلاثة آلاف مهاجر جزائري[2].

- الذّل والهوان الذي تعرض له من بقي على قيد الحياة -الأسر-فأخذهم المراكشيون وباعوهم كعبيد في أسواق النخاسة، وهناك من رُمي بهم في ظلمة السجون[3].

- استيلاء المغارب على أمتعة وأسلاب القبيلتين خاصة الخيم والخيول.

- إعادة الأمل إلى السلطان وجنوده في إمكانية القضاء على ما تبقى من مهاجرين جزائريين بالمغرب الشرقي، وهو ما تم فعلا في المعركة الأخيرة والمصيرية.وقبل التطرق إليها هناك ملاحظات حول هذه المذبحة يمكن حصرها في ما يلي:

- تسرع السلطان في إصدار أوامره بتصفية الحشم وبني عامر.

- من غير المستبعد أن يكون هدف السلطان هو ترهيب القبائل المناصرة للجزائريين في أن تضع حد لمناصرتها إياهم.

- فقدان المهاجرين الجزائريين لطاقة بشرية هائلة وقوية كانت ستغير مجرى الأحداث بالمنطقة لصالحهم، من خلال خرق الطوق الفرنسي على التخوم المغربية الجزائرية، والدخول من جديد إلى الغرب الجزائري لمواصلة جهادهم.

- هذه المذبحة أعطت الضوء الأخضر للقبائل المترددة في مناصرة الجزائريين، فارتمت في صف المخزن المغربي الذي أصبح قويا في نظرها.

4. الحملة العسكرية المخزنية وتصفية حركة الجهاد الجزائرية (أكتوبر – ديسمبر 1847):

تُعتبر هذه الحملة امتدادا لما سبقها من معارك عسكرية، ونتيجة لخطورتها أشرف السلطان بنفسه على إعدادها جيدا، ونلمس ذلك من خلال رسائله إلى ولي عهده[4] يوم:29 سبتمبر 1847م حين قال له «فبوصول كتابنا هذا إليك تأهب للنهوض لهذا الأمر المهم بنفسك ولا تُظهر النهوض حتى تكون بمكناسة، وتُوجه لك من

1- الاستقصاء، المصدر السابق، ص.56 ويوردها أيضا صاحب الإتحاف، ص60.

2- تمّ تقدير عددهم انطلاقا من عدد الخيام التي كانت محيطة بدائرة الأمير

3- والأدل على ذلك هو رسالة السلطان إلى أحمد بن المعطي سنة 1848م يخبره فيها بإطلاق سراح مساجين الحشم وبني عامر وطردهم من المغرب الشرقي وعددهم ثمانون، يراجع: Le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger p.121

4- محمد بن عبد الرحمان بن هشام، لم أقف على تاريخ ميلاده، لعب دور كبير في عهد والده، إذ كانت له حرية التصرف في شؤون الدولة فيما بين1844-1859: كان في البداية من أنصار القضية الجزائرية ثم تخلى عن موقفه، شارك إلى جانب والده في الحملة العسكرية الأخيرة ضد الجزائريين بالمغرب الشرقي، بويع بالخلافة سنة 1276هـ/1859م.عرفت فترة حكمه العديد من الفتن الداخلية: منها ثورة عرب الرحامنة، معركة تطوان ضد الإسبان، منح امتيازات كثيرة للفرنسيين، يراجع: الأعلام،مج، 6، ص. 198.

المحلة التي معنا ... وتتوجه معك محلة الحوز والمدد الذي في الحياينة و غيره لتازا»[1]، ثم تناول الخطاب جزءا من سياسة السلطان في كسب القبائل: وأهل الحوز إن رأيتهم يتشوفون لأعانته (ابن عبد الصادق) اجعل لهم درهما للفارس في اليوم ويختم كتابه بالسؤال عن قدرات قواد جيشه، بيّن لنا عدد ما عند أبا محمد خيلا ورماتا(كذا) مخازني وغيرهم وعدد ما مع أخيك... وكم عندك بفاس كذلك»[2].

ولتأمين هذه الحملة توجه السلطان نحو فاس، ولما وصل إلى مكناس يوم 02 أكتوبر كتب إلى ابنه وأمره أن يُهيئ كل ما يحتاج إليه في حملته قبل التوجه إلى تازة خاصة فيما يتعلق بجلب الشعير من مختلف المناطق وتجميعه بتازة، وذلك لقلته بالمغرب الشرقي، وذكر بخصوص عبد القادر ما نصه: «والنظر فيما ترتكب في تدمير الفتان و أنت بفاس ورتب الأمور التي تحتاج إليها وتخاف تراخيها ولا تظهر حتى تُرتب الأمور وتهيئ الأسباب ... وبنفس وصولك إلى تازة يكون الشروع في منا جزته و منابذته، ولا تطول إقامتك هناك إلا نحو العشرة أيام وما قاربها، لأن الطول يوجب الملل عموما وخصوصا مع الغلاء والجدب»[3].

ويشرح الكتاب أيضا كتمان أمر النهوض والتزام الحذر والحيطة تُجاه زعماء وشيوخ قبائل الناحية «وأكتم أمر نهوضك مع تهيئ الأسباب ... هذا الجيش الفاسي ليس في أعيانهم رجل رئيس يقدم خدمة فيقوم بها أو يتولى خطه فيحسن التصرف فيها، فلا تُعوّل على أحد منهم وإنما هم أجسام بلا عقول ... وقد جربناهم واحد بعد واحد فما رأينا منهم من يصلح لصالحة ولا من تعود منه فايدة ونجدة»[4].

ويحاول في الأخير أن يُبين له ما يجب أن يكون معهم: «ونحن إنما نحامل الناس ونقضي بهم على علاتهم ونلبسهم على حالاتهم إذ الضرورة أحوجت إليهم فكن من أمرهم على بال واقتفي أثارنا في معاملاتهم تهتد وترشد»[5].

وللعلم فإنّ سنة 1847 تميّزت بجفافها الذي تسبّب في ضياع جزء هام من المحاصيل، فانتشر السلب والنهب وارتفعت الأسعار، فبلغ سعر القمح في طنجة 26 فرنكا للهكتولتر بدلا من 6 فرنك، بينما بلغ سعره بفاس أكثر من 20 أوقية للمدّ، ونتيجة لذلك انهارت قدرة الناس على الشراء وظهر الإملاق الشديد، فخرج الكثير من القرويين إلى الحقول بحثا عن جذور النباتات[6].

وفي ظلّ هذه الظروف تدخّل المخزن المغربي لإغاثة السكّان، فقدّم الكثير من المساعدات على شكل حبوب أو دراهم إلى أهل الفاقة، فمثلا ضعفاء تطوان استفادوا من حوالي 8000 مثقال،[7] ونتيجة لهذه الظروف الصعبة اضطرّت قبائل المغرب الشرقي إلى الاستنجاد بالسلطان ليمدّها بالمساعدات الغذائية، فأمدّها بذلك بشرط التخلّي عن دعم المهاجرين الجزائريين والالتزام بتوجيهات المخزن.

1- Ismail, , Hamet: Le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger op.cit.p.108. يُنظر الملحق رقم 9

2- Ibid,.p.10d

3- Ibid,.pp.111-112

4- Ibid., pp. 111-112.

5- Ibid., pp. 111-112.

6- محمد الأمين البزاز: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و19، المرجع السابق، ص174.

7- المرجع نفسه، ص175.

وفي يوم 18 أكتوبر 1847 يكتب أيضا لأبنه ليؤكد له ما ينبغي أن يكون: «ومقصودنا هو التيقظ والحزم والنظر في عواقب الأمور ... وكان الواجب تقديم النظر في أمور المخازنية وإعداد من يتقدم ومن يتأخر، واختيار الخيل الصحيحة للسفر ...وأن لا تتكل في ذلك على أحد فإنه لم يبق من يتكل عليه»[1] وفي الوقت نفسه يحذره من الوقوع في الخطأ السابق[2]، وهو أن يتجرد من كل مظاهر الأبهة «ينبغي لك مباشرة الأمور بنفسك وتسرد المحلة وتنظر في الزائد والناقص، فليس ينقص من قدرك إن ركبت على فرسك وسرّدت المخازنية بنفسك، بل لا يزيدك ذلك إلا عزا ورفعة ولا يكن غرضك في غلظ الحجاب والأبهة فان ذلك يكون لمن عنده من يكفيه من الأمور ويحفظه في الغيبة والحضور»[3]. وانطلاقا من الوثائق السابقة يمكن حصر إجراءات المخزن في ما يلي :

1. توجيه الإمدادات العسكرية بقيادة مولاي إبراهيم بن عبد المالك إلى عامل الريف ابن عبد الصادق والمقدرة بخمسمائة فارسا، وتوجيه مائتي فارسا إلى ميمون اليزناسي.
2. عزل قائد وجدة بوزيان العبدوني[4] وتعيين مكانه عبد المالك الروداني.
3. تجهيز القائد فرّجي بمئاتي فارسا وأخرى من عبيد البخاري.
4. الكتابة إلى أهل سوس بتجميع ثلاثمائة فارسا من عندهم.
5. توجيه الفقيه السيد الطيب بوعشرين وأخرون للقيام بدور الكتابة والتوجيه والإرشاد.
6. استعمال السياسة في استمالة القبائل وتوظيف مفعول الهدايا والأموال مع شيوخها وأعيانها.

وبتاريخ خروج سيدي محمد من فاس على رأس جيش قوامه خمسة عشر ألف فرسان رماة، توجه فيه مولاي أحمد نحو تازة وفي هذا يذكر صاحب المذاكرات ما نصه: «وعند هذا تحققنا أن العقون واخوته الثلاثة أقام لهم أبوهم جنودا مجندة بقصدنا وبعثنا الجواسيس والحواسيس فمن مقلل ومكثر إلى أن اجتمعت المحال بالتازة (كذا)، استخبرنا على اليقين أنهم قسّموا المؤونة للعلف على خمسة وثلاثين ألف فارس ...وتيقّنا أن السلطان دخل فاس»[5]، وكان على هذه التحركات في الأخير أن تتجمع بقصبة سلوان قبل بدء العمليات العسكرية ضد عبد القادر.

و في هذه الأثناء تنشط الديبلوماسية الفرنسية أكثر، ونلمس ذلك من خلال الاقتراح الآتي الذي قدّمه "دي شاستو" إلى ابن إدريس بشأن تطويق عبد القادر أثناء شهر نوفمبر 1847: وهو أن يتوجه سيدي محمد على رأس القسم الأعظم من الجيش عبر تازة إلى عين زورا ببلاد المطالسة ويسير مولاي أحمد بجيشه إلى تافريست، أما عامل الريف محمد بن عبد الصادق ومولاي إبراهيم فينتقلا محاذين لساحل الريف على سلوان، ويقوم بوزيان بن الشاوي مع قبيلة الأحلاف بالتمركز عند أقرب معبر من معابر ملوية، ويقوم قائد وجدة على رأس ألف فارس بالدخول إلى بلاد بني يزناسن، ثم يتوجه مع قواتها إلى الطريق التي يمكن أن يسلكها عبد

1- Ismail, Hamet: Le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger op.cit, p 114.

2- نعني به ما حدث في معركة ايسلي وظهور خيمة ولي العهد التي ساهمت في هزيمة الجيش المغربي.

3- Ismail, Hamet: Le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger op.cit, p 114.

4- سبب تعامله مع المهاجرين الجزائريين. و لتصرفاته مع الأجاد وبني يزناسن التي جلبت إليه الحقد والكراهية وبالتالي عصيان أوامره.

5 - الأمير عبد القادر: المذكرات، المصدر السابق، ص123.

القادر في حالة فراره نحو الصحراء»[1]، فكيف كان موقفه من هذه الخطة العسكرية؟

– قام بمكاتبة الشرفاء و الأعيان خاصة أولاد مولاي عبد السلام بن مشيش[2] بجبل العلم، الذين طلب منهم التوسط له عند السلطان ومُعلنا لهم استعداده لقبول شروطه، وخلال شهر أكتوبر تقابل هؤلاء الأعيان مع السلطان و عرضوا عليه الأمر فأجابهم بخطاب شديد اللهجة ونصه: «إنّه لم يعد مسلما حقيقيا ذلك الذي غدر بمضيفه بعد أن طلب ضيافته، و لم يعد مُسلما حقيقيا ذلك الذي لم يكتف بعصيان أوامر أمير المؤمنين بل تصرّف كسيد في إيالته ... انه فتان يجر وراءه ذيلا من النار والدم حيثما مر، ولا أريد أن أسمع شيء من زنديق، وشعلة من الشقاق، وإذا أراد تجنب مصائب جديدة فيترك إيالتي ويرحل إلى مكان آخر... إن أحدنا فقط هو الذي يجب أن يحكم في إيالتي»[3].

– قام بربط الاتصال مع الإنجليز الذين تحصّل منهم عبر سهل كبدانة على كمية من شحنات أسلحة تمثلت في مدافع وبنادق وبطاريات[4]، و في يوم 19 نوفمبر 1847 انتقل بدائرته من سلوان إلى زايو المطل على سهل تريفه ومع اقتراب الجيوش المخزنية من الريف عبر نهر ملوية إلى تريفة. إلا أن بني يزناسن قطعوا عليه الطريق فتراجع إلى الضفة الغربية للنهر و ما يؤكد ذلك هو رسالة ابن إدريس إلى "دي شاستو" يوم: 28 نوفمبر 1847 ونصها: «بعد أن قام بنو يزناسن بدفع عبد القادر و أظهروا له فوهات بنادقهم، لم يستطيع أن يفر إلى الصحراء، فرجع إلى البحر على الضفة الغربية لملوية، ولما رأى أنه لا يستطيع أن يسلك طريق عجرود بسبب قواتكم على الحدود أحنى رأسه المتكبرة فطلب الرحمة والسماح له بالانسحاب إلى الصحراء»[5].

ونتيجة لهذه الصعوبات حاول عبد القادر تذليلها عن طريق الاتصال بالسلطان، فقام بإرسال سفارة جعل على رأسها البوحميدي و بمساعدة محمد بن عبد الرحمن[6]. السفارة حملت معها هدية تناسب المقام وكتاب إلى السلطان، فوصلت إلى فاس يوم 27 نوفمبر 1847م، ويوم 3 ديسمبر تم استقبالها من طرف السلطان، فسلّمه البوحميدي كتاب الأمير الذي ضمّنه التنصل مما رُمي به من شائعات وأنه لازال على الطاعة والولاء للسلطان. وهنا تختلف الروايات التاريخية حول إدارة هذا اللقاء، فهناك من رأى بأنه كان وديا، وذلك من خلال الاستقبال الحار الذي حظي به الوفد.

1- إبراهيم، ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص 413.

2 -عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر (منصور) بن علي بن (أبو إبراهيم) الإدريسي الحسني، أبو محمد، لم أقف على تاريخ ميلاده، ناسك مغربي ولد بجبل العلم وقتل فيه شهيدا سنة 622هـ/1225م، من مؤلفاته رسالته المشهورة بالصلاة المشيشية، ترك ذرية كثيرة أصبحت تعرف بأولاد عبد السلام بن مشيش، هؤلاء اتصل بهم الأمير عبد القادر للتوسط لديه عند السلطان، يراجع: الأعلام، مج4، ص، 9.

3- إبراهيم، ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المرجع السابق، ص415.

4- أشرف على تقديم المساعدة للأمير الإنجليزيين " سان ليجير قرنفل " Saint Léger Gren Fell" المشهور عند المغاربة بلقب " بوطربوش " و"جون درو موند هاي " الكاتب الخاص للقنصل البريطاني إلا أن عامل الريف تمكن من إفشال هذه المحاولة التي قام بها رجال عبد القادر، وقتل البعض منهم، منهم ابن البوحميدي. يراجع: مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، ص 24.

5- إبراهيم، ياسين موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر. المرجع السابق، ص 417

6- تذهب مذكرات الأمير ص123، إلى القول أن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكرومي أخذ الأمان من السلطان وقدم لحونا طالبا أن نأذن له في إرسال سفير إلى السلطان من لدنا فاستحيينا منه و أجبناه لما طلب منّا مرافقة البوحميدي فسر حناه معه، وهذا خلاف ما ذهب إليه حركات إبراهيم بأن المبادرة كانت من طرف سيدي محمد الذي ألح على الأمير في أن يعتذر لوالده عن ما بدر منه، ويذكر ذلك بعد واقعة الجمانين والعمرات هرأن السفارة تمت فعلها

وأكتفي هنا بالإشارة إلى روايتين فالأولى ترى أن: «فلما دخل عليه وجلس بين يديه قال له أبو زيد : ماذا تريدون؟ فقال له البوحميدي : نريد خاطرك ورضاك و العفو عما سلف من الذنب، فقال له أبو زيد : اسمع أقول لك : إن أحب الحديث إلى الله أصدقه، وإنني لا أقبل منكم إلا إحدى الخطتين : إما الدخول لداخل الإيالة فتنزلون عندنا في عز وإكرام، وإما تخرجوا من الإيالة، وتتوجهوا حيث شئتم ولا أقبل منكم غيرها».[1]

بينما تذهب الرواية الثانية إلى القول : «حيث وجده في منتهى الغضب والاحتداد، ولقد اتهمه السلطان بقتل القائد الأحمر، ومنعه من الكلام وأنه لن يعطي الأمان للأمير إلا إذا حظر إلى فاس وذكر الذين نقلوا المقابلة لـ"شاستو" أن السلطان كان يزبد كجمل هائج»[2]، وهذه الرواية تُعبّر عن الحالة النفسية التي أصبح عليها السلطان، ويظهر الاختلاف أيضا حول مصير البوحميدي نفسه، فتكاد تجمع معظم المصادر والمراجع[3] على النهاية المأساوية له وهي إجباره على شرب السم الذي مات به.

إلا أن صاحب الإتحاف يخالفهم في ما نصه: «فأكرم وفادته واقتبله بجنان أبي الجنود... ولما مثل بين يديه وبلغه ما أتى لأجله أجا به المترجم ...فطلب البوحميدي الإمهال فأمهله صاحب الترجمة وأمنه وأبقاه في ضيافته»[4]، ولم يكتف بذلك بل يورد رسالة كتبها عبد القادر إلى البوحميدي وهو بسجنه بفرنسا ويدعو فيها إلى السلطان ويسأل فيها عن أحوال البوحميدي ومن ما جاء فيها: «من عبد القادر بن محي الدين ...إلى أخي سيدي محمد بن أحمد البوحميدي الوهاصي... فإني نسأل عن أحوالك ونرجو أن تكون في نعمة مثلنا... وقد بلغنا أن لك وجها عند السلطان وفقه الله للخير وأعانه، ولا تنسانا عند ضريح الدرياق المجرب مولانا إدريس وعند غيره من أهل الله أحياء أو أمواتا».[5]

وعندما وصل جواب السلطان إلى الأمير وفهم مضمونه كاتب ولي عهده في ما نصه: «وإننا كنا قديما في بلادنا مع كثرة جيوشنا وانتظام خزائننا نخطب على منابر مساجدنا في جمعاتنا و أعيادنا بالدعاء لكم والإعلام بطاعتكم ... فكيف الآن تخاطبونا بهذا الكلام البشيع واللفظ الشنيع ... فقد تبين الآن كذب ما كنتم تموهون به»[6]، ولتأكيد اندساس عناصر مثيرة بين الطرفين فإنه في الوقت الذي كان فيه البوحميدي بفاس جرت مناوشات دموية بين الجيشين وهو ما ساهم في فشل هذه السفارة.

وأمام فشل الحل الدبلوماسي لم يكن هناك بديلا عن التصادم العسكري فعبد القادر كان عاجزا عن الخروج من المغرب نحو الصحراء، ففي يوم 8 ديسمبر 1847 تجمعت قوات بن عبد الصادق مع جيش المولى أحمد وفي يوم 11 ديسمبر 1847 تقابلوا مع سيدي محمد عند سلوان ليصل عدد القوات المخزنية 30000 جنديا في الوقت الذي كان فيه عبد القادر وبمساندة المطالسة مقيما على ضفاف ملوية من جهة ساحل كبدانة

1- المهناوي، محمد : (مقاومة المولى عبد الرحمان لفرنسي الجزائر من خلال مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام)، المرجع السابق ص79.

2- يحي، جلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص311 ويراجع أيضا: المقاومة الجزائرية،ص317

3- من بينها نذكر: مذكرات الأمير، ص123، تحفة الزائر، ص493، التاريخ العسكري والإداري، ج2، ص571، نبذة عن حياة الأمير عبد القادر و أسرته، ص13.

4- مولاي عبد الرحمن بن زيدان: الإتحاف، المصدر السابق ص62.

5- المصدر نفسه، ص- ص 65 – 67. والرسالة بتاريخ 10 ذو القعدة 1264 هـ.

6- عبد القادر : المذكرات، المصدر السابق، ص124.

على مسافة 3 ساعات من جيش المخزن و بحوزته ألفان من جنود المشاة وألف ومائتان من الفرسان.

اضطر عبد القادر إلى توظيف دهاءه العسكري وهي المبادرة بالهجوم ليلا على قوات المخزن التي سرعان ما تفرّقت حول نفسها وخلفت وراءها ما بين ألف و مائتي قتيل وجريح وحوالي خمسين مجاهدا في صفوف الجزائريين، وحاولت القوات المغربية تعقب جيش الأمير إلا أنها تنهزم للمرة الثانية، ولكي يخفي هزيمته لجأ سيدي محمد إلى قطع رؤوس فرسانه القتلى وأرسلهم إلى فاس لتعلق على أسواره كدليل على انتصاره وعرفت هذه الواقعة بحادثة الجسلين[1]. ويوم 13 ديسمبر انسحب الأمير شرقا على الضفة اليسرى للملوية. وبالذات نحو منطقة زايو قرب مصب النهر.

ومحاولة منه احتواء هذه الهزيمة كاتب السلطان قبائل الناحية الأنجاد وبني يزناس للعمل ضده ومن ما جاء في كتابه: «انظروا ما تكرر على أسماعكم من وقائع غدره، و ما رمى به المنحاشين إليه من ظلمه وضره، فقد كاد أن يزلزل يقينكم، ولو ساعد تموه لبدل دينكم... إنه عدو مضل مبين فتيقظوا لدسائسه... وأصرموا حباله و من معه وأخرجوهم و ضيقوا عليهم»[2]. ثم كاتب كل من قلعية و كبدانة و ما جاورهم من قبائل البربر وعرب تريفة، ولاشك أن هذه الكتب كان لها مفعول قوي لدى القبائل التي انحازت إلى جيش المخزن.

أخذت الدائرة تضيق على المهاجرين الجزائريين الذين كانت جيوش السلطان تتعقبهم، فدارت معركة أخيرة بين الجيشين على ضفاف واد عجرود هُبت أثناءها محلة الأمير وما نجا منها إلا القليل، فشرّق بهم إلى أن دخل جبل بني خالد قاصدا الصحراء ظنا منه أنه يجد عندهم العون و النصير، إلاّ أنّ شيخ بني خالد قلّب له ظهر المجنّ، فلم يسع الأمير حينئذ إلاّ النظر في أمره وانتهاز الفرصة في الخلاص من مكائد العدو ومكره، خاصة وأنه وجد نفسه محاطا بشبكة حيكت خُيوطها ببراعة عجيبة يستحيل عليه الإفلات من بين ثقوبها. فجمع مجلسه وخطب فيهم وكانت النتيجة هي القبول بالتسليم للجيش الفرنسي وهو ما تم فعلا.

التسليم وردود الفعل المخزنية والفرنسية:

تمت مراسيم التسليم للجند الفرنسي وفقا شروط طرحها عبد القادر[3]، وذلك مابين 23-27 ديسمبر 1847. وبذلك تم وضع حد لحركة الجهاد الجزائرية بالمغرب الشرقي، وقبل معرفة ردود الفعل المزدوجة حول هذا لابد من طرح التساؤل الآتي: لماذا آثر عبد القادر التسليم للفرنسيين بدلا من التسليم لجيش السلطان؟ يمكن حصر الإجابة عن هذا السؤال في ما يلي:

1. استناد الأمير إلى عامل تاريخي وذلك من خلال تسليم الكثير من قادته إلى الجيش الفرنسي وأخص بالذكر، أحمد بن سالم و بومعزة والفاضل،... إلخ، والذين حضوا بمكانتهم لدى فرنسا.

1- وقعت يوم (11 ديسمبر 1847)، ومفادها أن عبد القادر أخذ جملين وربط عليها حزم من الحلفا -التبن- ثم رشهما بالقطران وأشعل النار فيهما ليلا فانطلقا مسرعين داخل المعسكر المخزني. وهو ما أثار الهلع والفزع و جعل المعسكر يتقاتل مع بعضه بعضا، يراجع : تحفه الزائر، ص 494، الاستقصاء- ص 57.

2- مولاي عبد الرحمن بن زيدان : الإتحاف المصدر السابق، ص-ص 63-64، إلا أن صاحب التحفة يورد رسالة أخرى بهذا الشأن. وهو خطأ لأن الرسالة التي أوردها تتعلق بالصلح (اتفاقية مغنية 1845) ومحاولة إقناع القبائل الرافضة لها بقبولها، ولقد وظفت هذه الرسالة في الفصل الرابع والخطأ نبه وقعت فيه بديعة الجيسي بشأن هذه الرسالة في ص 141.

3- يراجع تحفة الزائر، ص-ص 500-503.

2. لم ينس عبد القادر ذلك التعهد الذي قيد به السلطان نفسه في اتفاقيتي طنجة ومغنية وهو إلقاء القبض عليه وسجنه في إحدى مراسيه. ولم ينس أيضا وعود السلطان بقتله، ولذلك فوّت الفرصة على السلطان وجنوده.

3. جاء على لسانهم أن المصير للجند الفرنسي أولى من التولي للمغاربة لأنهم لا عقد عندهم ولا قانون يضبطون به أحوالهم مع أصدقائهم أو مع أعدائهم.

4. لاعتقاده أن الجيش الفرنسي بيت ملك منذ قديم الزمان وضوابط شؤونهم مضبوطة ويعرفون قدر الرجال الأبطال فيعطونهم قدرهم من التعظيم والحرمة ولو كانوا أعداءهم.

5. حاول الأمير في عام 1865 أن يُبرر تسليمه للفرنسيين في رسالة كتبها رافضا اقتراح فرنسا عليه منصب ملك دولة عربية مستقلة بسوريا فقال: «قمت بمحاربة الفرنسيين لمدة 15 سنة من أجل بلادي، لكنني عندما رأيت تعب رفاقي ورفض القبائل الجزائرية لنصرتي والسير في طريقي، وعمل المغاربة على تسليمي للفرنسيين، فهمت ... أنّ مهمتي انتهت وإلى الأبد»[1].

6. لعدم ثقته في المغاربة، خاصة وأنه يعلم أن أعذاره والتماساته السابقة لم تراع، وهو الذي قال: فلم يلتفتوا لعذرنا، لأن قبول المعذرة شأن كرام الناس والمغاربة لئام الناس، واستدل في ذلك بقول الولي الصالح العياشي[2]: لا تأمنوا غريبا بعدي. وهناك سؤال آخر يجدر بنا طرحه، لماذا عبد القادر لم يستجيب لنداءات أولاد المختار وأولاد الغازي وأولاد تفجيرت بعدم التسليم وهم الذين قالوا له: «الفرنسيس لا أمان له فلا تأمن في أمانهم فوافقنا نمشي بك الليلة إلى بني بوزق أو إلى حيث تريد ولا ترجع للنصارى ونوصلك حيث شئت. وإن أردت أن تبقى عندنا فابق تخفيك حتى يمشي المغاربة، تمشي حيث أردت»[3].

إن هذا الموقف يعكس لنا آخر مساندة شعبية مغربية للمهاجرين الجزائريين إلى أن الأمير آثر التسليم خوفا من نشوب الحرب من جديد بين هذه العناصر المساندة له وبين العناصر المساندة للمخزن بقيادة المختار بوتشيش[4] وعليه فالأمير لم يستسلم[5] إلى الفرنسيين بقدر ما سلّم راية الجهاد بل وتوقف عن مواصلته وهو في موقف قوة. والأدلّ على ذلك هو فرضه لشروطه على الطرف الفرنسي.

ردود الفعل الفرنسية:

استقبلت السلطات الفرنسية نبأ الاستسلام بمزيد من الارتياح، ولذلك راحت تُقيم الاحتفالات في شوارع الجزائر العاصمة و مسارحها، وذلك عن طريق جلب الكثير من الفرق الموسيقية الفرنسية في الوقت

1- المهناوي, محمد:(مقاومة المولى عبد الرحمان لفرنسي الجزائر من خلال مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام) المرجع السابق ص86.

2 – عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (1037-1090هـ/1627-1679م) أبو سالم،فاضل من أهل فاس نسبته إلى قبيلة آية عياش، قبيلة من البربر تتاخم الصحراء من أحواز سجلماسة، من أهم مؤلفاته: الرحلة العياشية، تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية، يراجع: الأعلام، مج،4، ص، 129.

3 – الأمير عبد القادر : المذكرات، المصدر السابق، ص-ص 130-131.

4- Journal El-Akhbar n° 980, 9ème année, mardi 19 Moharrem 1264, 28 décembre 1847, p1.

5- هناك فرق بين الاستسلام دون قيد أو شرط وبين التسليم الذي فرض فيه الأمير شروطه ومن الذين يشاطرون فكرة التسليم نجد صاحب النحفة، ص 498، البيان المغرب، ص 131، ومن الذين يشاطرون فكرة الاستسلام نجد حركسات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ص 215؛الموسوعة العسكرية، ص 177.

الذي كانت فيه مدافعها تدوّي بالعاصمة مُعلنة للشعب الجزائري نبأ ما حدث[1]، وللتعبير أكثر عن الموقف الفرنسي أكتفي بالإشارة إلى ما كتبه: "شاستو" إلى وزير الشؤون الخارجية: «لقد اختفى اليوم كل عامل الخلاف بين فرنسا والمغرب، وآمل أنه لم يعد علينا إلا أن نزيد في توثيق علاقات التفاهم بين الدولتين، وسنعمل تدريجيا على إدخال الحضارة في هذه الإمبراطورية التي لا تزال على درجة كبيرة من البربرية والتخلف»[2].

ردود الفعل المخزنية :

استقبل المخزن هو الآخر نبأ تسليم الأمير بمزيد من الفرح والسرور، ففي يوم 25 ديسمبر 1847 أمر سيدي محمد بإطلاق 21 طلقة مدفع، وإقامة الزينات والاحتفالات عبر مختلف المدن المغربية، وأمر المولى عبد الرحمن من جهته بقراءة خطاب رسمي له في المساجد مُشيدا بهذا النصر العظيم وللوقوف على حقيقة ردود الفعل المخزنية أكتفي بالإشارة إلى وثيقتين رئيسيتين في ما يلي:

الوثيقة الأولى عبارة عن رسالة كتبها السلطان إلى أحمد بن المحاطية يوم: 30 ديسمبر 1847، مُعتبرا أن ما حدث هو فتح عظيم ونص ما جاء فيها: «الفاسد الفتان وخليفة الشيطان، أبعد في الخسارة وامتطى مطي الخسارة... وسوّلت له نفسه الأمّارة الاتصاف بالإمارة وأراد شق عصا الإسلام وصدع مهج الأنام... واستبطن المكر والخداع وفاق فيه عابدي وُد وسُواع، وهو في خلال ذلك يظهر مظهر يستهوي بها أهل الجهالة و العماية والضلالة. فآيسنا من رشده، وعرفنا مضمر قصده، فجهزنا له محلة منصورة ذات أعلام منشورة فكانت الكرة عليه ... واستدبر المعركة وهام وعادت جموعه جمع تكسير وجيوشه موزعة بين قتيل و أسير»[3].

أمّا الوثيقة الثانية فهي عبارة عن رسالة كتبها أحمد بن بومهدي الهواري إلى السلطان يوم: 23 جانفي 1848م، ويصور فيها انطباعه حول ما حدث ونص ما جاء فيها : «ورد علينا من حضرة مولانا ما فتح الله به على المسلمين من رد الفاسد الفتان وخليفة الشيطان على كيده، وبارت تجارته وباء بالخسارة واتضح للمسلمين ضلاله، فحصل بالقطر من السرور والفرح ونشر الأعلام ما أدهش العقول وأنعش الأفهام، فيا ليتها من مزية م تزل على مر الليالي تتلى وتسمى ...فقد تلطف خليفة مولانا ونجله حتى استظهر ما استبطنه الخداع من متابعة حزب أهل ود وسواع ...فصار من هذا عرش الملك في أعلا عز وفاق، واتسق بذلك الأمر أي اتساق وليسهمني سيدي من ذلك الأجر الذي أعقبه الله بالبركة»[4].

ورغم هذا الطرح المخزني، فإن إبراهيم ياسين[5] يورد رسالة للمولى عبد الرحمن لعاملة بتطوان، يتعجب فيها السلطان من الموقف الذي اتخذه عبد القادر ويعتبره سوء خاتمة. وأظن أن هذا الموقف يندرج ضمن المواقف المتناقضة للسلطان، وفي الوقت نفسه فهناك من ينفي رغبة السلطان في تسليم الأمير للفرنسيين في حالة

1- Journal El-Akhbar, n°980, 9ème année, 19 Moharrem 1264 H, 28 décembre 1847. p1.

2- يحي، جلال وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، المرجع السابق، ص316.

3- Ismail, Hamet: Le government Marocain et la conquête d'Alger, op cit. p.118.

4- Ibid, P.121. يُنظر الملحق رقم: 10.

5- موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر. المرجع السابق، ص431.

وقوعه بين يديه[1]. ويستدل في ذلك بعلاقة أسرة الأمير بالسلاطين العلويين الطيبة خاصة في عهد المولى عبد الحفيظ[2] الذي اقترح على الأمير عبد المالك[3] منصب رئاسة عساكر الثغور. ومن خلال الوثيقتين الأخيرتين وما سبقها من وثائق مخزنية، يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

1. استمرار السلطان في الطعن في حركة الجهاد الجزائرية.
2. استمراره في وصف الأمير بصفات ذميمة، و التي لم يسلم منها حتى بعد خروجه من المغرب.
3. مطابقة الموقف الفرنسي للموقف المخزني في كيفية التعامل مع نبأ التسليم.
4. تصوير الأمير بمثابة الشخص الطامع في العرش المغربي، وتُشكل هذه النقطة محطة رئيسية في الموضوع لأنها تعتبر محور التصادم الجزائري المغربي، فهل كان فعلا للأمير عبد القادر أطماع في عرش المغرب؟

اختلفت الروايات التاريخية حول هذا الطرح فهناك من أكده وهناك من نفاه تماما. ولكل منهما وجهة نظره وأدلته. ولذلك بقيت هذه النقطة معلّقة بين مد و جزر ولمعرفة حقيقتها أرى من الضرورة بمكان طرح هذه الأسئلة التي لم تطرح من قبل-حسب ما أعتقد- وهي متى تم طرح هذه الفكرة؟ ومن الذي طرحها؟ وأين كان عبد القادر عندما طرحت؟ وما هي القدرات التي كان يتوفر عليها لضمان تولي عرش السلطان؟

الرأي الأول: يشاطره الكثير من المؤرخين و الباحثين المغاربة.

- إبراهيم، حركات : «بدأ يدعو لنفسه في مناطق الشمال التي تميزت عبر تاريخها الطويل و في فتراته بأن تنظر بحذر إلى السلطة المركزية»[4].

- أكنسوس : «وبرقت له بارقة ...وجاوز حده، حتى أنه من فرط جهله طمع في ملك الغرب كله، وكان يصرح بذلك جهارا ويظهره في محافله إظهارا»[5].

- الناصري : «وانه رام الاستبداد بل والتملك على المغرب، فلما كانت هزيمة إيسلي ازداد طمعه فصار يدعو أهل النواحي إلى مبايعته والدخول في طاعته، وكاتب الخواص من أهل فاس والدولة و كاتبوه على ما قيل»[6].

- إسماعيل مولاي : «يرى أن الأمير عبد القادر قام بالثورة ضد المغرب»[7].

- أبو العلا إدريس : «فبعد أن زحف الأمير عبد القادر لهذه الإيالة مستنجدا أهلها وطالبا مالها، ففتنه

1- محمد المهناوي :(مقاومة المولى عبد الرحمان لفرنسي الجزائر من خلال مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام)، المرجع السابق، ص86.

2- عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد العلوي (1280-1356هـ/1863-1937م) ولد بفاس ونشأ في قبيلة بني عامر، من سلاطين الدولة العلوية في المغرب الأقصى، عرفت فترة حكمه فرض نظام الحماية على المغرب سنة 1912م، التي أرغم على إمضائها، يعتبر أول من نظم الجيش المغربي على الأسلوب الأوربي الحديث، وأول ملك في الدولة العلوية حمل وساما أجنبيا، يراجع: **الأعلام**، مج،3، ص277.

3- عبد المالك بن عبد القادر الجزائري، ولد في سنة 1285هـ/1868م، بدمشق وتعلم بها، يتقن اللغتين التركية والفرنسية، كان خطيبا وشاعرا غادر دمشق سنة 1903إلى المغرب، تولى في سنة1906 قائدا للشرطة الدولية بطنجة، التحق بثورة الشيخ بوعمامة، وعندما ألقى هذا الأخير السلاح سنة 1904، انظم إلى الثائر المغربي بوحمار، ثمّ انظم إلى صف المخزن المغربي بقيادة السلطان مولاي عبد العزيز، لعب دور كبير في الأحداث التي عرفها المغرب في الثلاثين سنة الأولى التي عرفها المغرب في القرن 20م. يراجع: أبحاث آراء في تاريخ الجزائر، ج،1، ص107.

4- المغرب عبر التاريخ، ج، 3، المرجع السابق، ص211.

5- الجيش العرمرم، المخطوط السابق، ص 221.

6- الاستقصاء، المصدر السابق، ص 56.

7- تاريخ وحدة وأنكاد في دوحة الأمجاد، ج، 1، المرجع السابق.ص،146.

أعرابها و أناموه في فرش الغرور وقربوا له القواصي القاصمة الظهور، فما له ومبارزة سلطانه الذي أعلن بمبايعته»[1].

- قدور بن علي البشير: «وعقب هذه الكارثة أخذ الغرور يتعاظم في نفس الحاج عبد القادر فأظهر الانقضاض على المغرب ...و لكن المولى عبد الرحمن قد تفطن للخديعة، فكانت بينه وبين الحاج عبد القادر وقعة التسول التي أفشلت (طابوره الخامس)»[2].

الرأي الثاني :

يرى خلاف ذلك ويذهب أنصاره إلى القول : أن عبد القادر لم تكن له أطماع في عرش المغرب، ورغم المكانة الشعبية التي حظي بها لدى قبائل المغرب الشرقي، و أمل هؤلاء في أن يكون الأمير سلطانهم فإنه رفض هذا العرض، و من بين هؤلاء نذكر:

- محمد السعيد : «انتشر صيته بأرض المغرب وأحبه جميع أهله لفضيلة الجهاد ... فحسده سلطان المغرب لذلك خشية منه على أرضه وإيالته مع أنه لم يكن له قصد إلاّ السكن بتلك الأرض حتى يفتح الله أو يأتي بأمر من عنده»[3].

- "هنري تشرشل" فقد اتصل عبد القادر برسائل من أعلى المستويات في الدولة ... وترجّوه أن يأتي لإنقاذ الدولة المغربية من انهيار وخراب محقق ودعوه لتولي عرش أجداده ولو كان عبد القادر مجرد مغتصب عادي للسلطة لما كلفه الأمر الآن اكثر من مد يده والاستيلاء على صولجان المغرب، ولكن دافعه الحقيقي كان الوطنية وليس الطموح»[4].

- الأمير عبد القادر: «وكنا اثر تلك الوقائع (معركة إيسلي) انتقلنا بأهلنا إلى وادي ملوية بساحل البحر بموضع يقال له صبرة ... و أجريت الأحكام حينئذ على كل مخالف برضا العقلاء أهل الدين...ولما بلغ سلطان المغرب أكد له الحسد والبغض السابقين، فكاتب قائد الأحلاف وقتئذ (القائد حمدون) فهلا أردت ذلك بالحاج عبد القادر وقومه قبل أن يحدث منهم أمر؟»[5]. فكيف كان موقف عبد القادر من هذه الطروحات؟

من خلال ما ذكره في قوله: «لقد رفضت عرضا مُغريا وُجّه إليّ بطريقة إجماعية ليس فقط لأن ديني يمنعني من مضرة حاكم أختاره الله، ولكن لأنني بعد أن عرفت المغرب بمشاكله الداخلية، شعرت أن ذلك سيقتضي مني على أقل اثنتي عشرة أو خمسة عشرة سنة، لا لكي احكم مثل مولاي عبد الرحمن ولكن لكي يكون في استطاعتي أن أفرض القانون وأن أجعل حكومتي محترمة»[6].

وانطلاقا من هذا الموقف يمكن الإجابة عن الأسئلة السابقة في ما يلي: تم طرح فكرة الخطر على العرش و لأول مرة من جنرالات فرنسا، بعد لجوء عبد القادر إلى المغرب سنة 1843 والتي تم تثمينها فيما بعد بالبعثات

1- الابتسام عن دولة ابن هشام، المخطوط السابق، : ص 429.
2- بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، المرجع السابق، ص 76.
3 - نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته، المخطوط السابق، ص-ص 13-15.
4- حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق 225.
5- المذكرات، المصدر السابق، ص 121.
6- حياة الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص225.

الديبلوماسية و تبادل الزيارات الثنائية، مع استغلال ظروف المغرب الداخلية والحالة النفسية للسلطان، وما يؤكد هذا الطرح هو نصوص الوثائق الفرنسية السابقة الذكر، وهذا يندرج ضمن السياسة الفرنسية.

- عندما طُرحت الفكرة كان عبد القادر مخيما بالمغرب الشرقي (1843–1845) ولكن لماذا استمرت فرنسا في طرحها بعد عودته إلى الغرب الجزائري (1845–1846)؟ لا شك أن هذا يعكس مدى صحة هذا الطرح الفرنسي للفكرة، أمّا قدرات الأمير فإنها كانت لا تسمح له بتحقيق ذلك، لان القدرات التي توفرت لديه بعد لجوءه إلى المغرب وظّفها أثناء عودته إلى الغرب الجزائري والتي تركها وراءه (دائرته) سرعان ما انقسمت على نفسها نتيجة للجهود الثنائية التي عرفناها فيما سبق ذكره، و حتى القبائل التي راهن عليها في مساعدة حركة الجهاد أصبحت منحازة إلى صف المخزن.

ونتيجة للضغوطات الفرنسية أصبح السلطان يعمل بنشاط كبير ضد المهاجرين الجزائريين، والأدل على ذلك هو مضمون الخطابات التي أرسلها إلى عماله بالمغرب الشرقي، والتي لم تكن تخلو من الكلمات التالية : الفتان، الغدار، الخادع، الشيطان، الطماع وتعتبر فرنسا هي أول من استخدم هذه التعبيرات ثم سرعان ما أصبحت جارية على لسان المخزن و مما سبق ذكره يمكن القول أنه لم تكن لعبد القادر الجزائري أطماع في عرش المغرب، وبعيدا عن المغالطات التاريخية نثمن هذا الحكم بالمعطيات الآتية:

1. عندما طُرحت الفكرة بشكل جلي عقب معركة إيسلي، فالأمير صحيح أنه كان بالمغرب الشرقي، ولقي كل الترحاب لدى قبائله، فلو صح ذلك ما كان لعبد القادر أن يتوغل في الغرب الجزائري للجهاد. وهو الذي لم يكن يضمن نجاته من الموت
2. ما جاء على لسان الأمير في خطاباته إلى السلطان، ومضمون الرسائل التي نقلتها الوفود الجزائرية إلى السلطان تنفي ذلك.
3. إن الطلب الذي قدّمه عبد القادر للسلطان في آخر المطاف بالسماح له بالانسحاب إلى الصحراء بعد إعادة تشكيل قواته ينفي ذلك أيضا.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خـــاتمـــة

مما سبق أخلص إلى النتائج الآتية:

- استمرارية الدعم المغربي الشعبي للمهاجرين والمجاهدين الجزائريين وإن بأقل حدة إلى غاية شهر ديســـمبر 1847م رغم إجراءات المخزن المناهضة لهم.

- نجاح الديبلوماسية الفرنسية في الانفراد بعناصر من المخزن كانت مناصرة للجزائريين كالوزير محمد بـــن إدريس وابن عبو وولي العهد سيدي محمد بفعل الرشوة والزيارات الرسمية والمجاملات الدينية.

- رفض السلطان لالتماسات عبد القادر وشروحا ته حول المغزى من وجوده بالمغرب الشرقي، وفي الغـالب فإن ردود فعل السلطان سيطر عليها طابع التسرع في إصدار الأحكام الجزافية وبألفاظ نابية نقلت من اللســـان الفرنسي إلى السلطان المغربي، وهي تُعبّر عن الحالة النفسية التي وصل إليها السلطان الذي وقع في فخ ما يعـرف بالحرب السيكولوجية اليوم.

- التعامل الساذج لرجال البلاط المغربي مع الديبلوماسية الفرنسية والخال من كـــل محتـــوى للمنـــاورة أو التخطيط عكس الفرنسيين.

- نجاح المخزن المغربي في تصفية حركة الجهاد الجزائرية بفعل العناصر الآتية:

1. التهديد والوعيد الذي تعرضت له القبائل المناصرة لهم، تارة باستخدام السيف والعصـــا وتـــارة أخـــرى باستخدام مفعول الهدايا والرشوة والحيلة.
2. الطعن في حركة الجهاد الجزائرية وبلسان السلطان نفسه ورجال الطرقية كالطيبية والدرقاوية.
3. استخدام سلاح الجوع ضد القبائل المناصرة للجزائريين في ظل الأزمة الغذائية التي عرفها المغرب الشـــرقي طيلة سنة 1847، إذ وُظّف الجوع كسلاح فعّال ضدّها.
4. الدعم الفرنسي وبمختلف أشكاله لرجال المخزن المغربي.
5. تفتيت الوجود الجزائري بالمغرب الشرقي بعناصر رئيسية من الدائرة الأميرية كالميلود بن عـــرّاش، محمـــد السعيد، وتحريض القبائل التي تخلت عنها بالعمل ضدّها.
6. المجازر المرتكبة في حق الحشم وبني عامر التي راح ضحيتها أكثر من 3000 مهاجر جزائري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــاتمـــة

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من نتائج جزئية خاصة بكل فصل، هناك نتائج عامة يمكـــن حصرهـــا في النقاط الآتية:

1. قوة التّضامن المغربي سلطة وشعبا مع الشعب الجزائري بصفة عامة وسكان الغرب الجزائري بصفة خاصـــة اثر المأساة التي حلّت بهم سنة 1830.

2. الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 وما ترتب عنه من مآسي، ساهم في ظهور حركة إصلاحية متعـددة المجالات بالمغرب، والتي يمكن عدّها من أول مظاهر اليقظة في مغرب القرن التاسع عشر.

3. التقاء أهداف حركة الجهاد الجزائرية في الغرب الجزائري بأهداف السلطان المغربي، من خلال مسـاهمتها في حماية التخوم الشرقية للمغرب، وتأخير الاحتلال الفرنسي له، وحماية مصالحه الاقتصادية والأمنية، بينما المغرب أمدّ في عمرها من خلال المساعدات والتسهيلات التي حظيت بها من لدنه.

4. قوة العلاقات الجزائرية المغربية على المستويين الرسمي والشعبي، فإذا كانت الأولى مردها الروابط التاريخيـــة والحضارية والجغرافية والعائلية والدّينية، فان الثانية مردها طابع الولاء والبيعة التي أقرّ بها عبد القادر للســـلطان المغربي، مقابل الوقوف إلى جانبه بل وإقحامه في مواجهة العدو الفرنسي بالغرب الجزائري، في الوقت الـــذي رأى فيه السلطان أنّ عبد القادر هو الشخص المناسب الذي حاول تجسيد مشروعه الوحدوي.

5. المغرب الشرقي كان الملجأ الآمن للمهاجرين والمجاهدين الجزائريين، خاصة في المرحلة الثانية من عمر حركة الجهاد الجزائرية(1843-1846).

6. التصادم العسكري المغربي الفرنسي في معركة واد إيسلي 1844م وما ترتب عنه من نتائج ســـلبية علـــى المغرب، دفعت بالسلطان إلى بداية التخلي عن المبادئ والمواقف التي تبنّاها ودافع عنـــها منـــذ ســـنة 1830م، وبالتالي ضياع مشروعه الوحدوي وبداية النهاية لعمر حركة الجهاد الجزائرية بـــالغرب الجزائـــري والمغـــرب الشرقي.

7. إنّ اتفاقيتي طنجة 1844م ومغنية 1845م ساهمتا في تمزيق وحدة قبائل التخوم المغربية الجزائرية، وقلّصـــت حجم المساعدات المغربية للجزائريين، بل فتحت الباب أمام فرنسا لاحتلال المزيد مـــن الصحـــراء الجزائريـــة والأراضي المغربية، وحتّى الإفريقية فيما بعد.

8. التناقض الملحوظ في تصرفات السلطان المغربي ومواقفه خلال الســـنوات الآتيـــة: 1830، 1832، 1836، 1837، 1838، 1839، 1841، في تعامله مع الدّبلوماسية الفرنسية، والذي يرجع إلى محاولة إخفاء دعمه العلني للجزائريين وتجنبا للمضايقات الفرنسية، وفيما بين (1844-1847) مردّه تأثره بالسياسة الفرنسية واضطـــراب حالته النفسية.

9. إنّ فكرة خطر عبد القادر الجزائري وأنصاره على العرش المغربي، هي بذرة فرنسية روّجتها وسائل الإعـلام والدبلوماسية الفرنسية، وعملاؤها من الطُّرقيين كالتيجانية والطّيبية، فانساق ورائها المخزن المغربي دون تَـــروٍّ

وتأكّد، وعليه فهو لم يخدم مصالح بلاده بقدر ما حقق أهداف فرنسا. وبالتالي فان السلطان المغربي يمكن عـــدّه من السلاطين التّفعيين المُغفّلين.

10. براعة فرنسا في اختراق طابع الولاء الأميري للسلطان من خلال تصوير عبد القادر بالعاهل المستقل عنه تارة، والطامع في عرشه تارة أخرى، هذا من جهة. ومن جهة أخرى نجحت في تجاوز مناعة البلاط المغربي مـــن خلال الانفراد بأعيان كانوا من أنصار القضية الجزائرية، بفعل مفعول الرشوة والهدايـــا والزّيـــارات الرّسميـــة والمجاملات الدّينية وتزوير الحقائق التاريخية.

11. نجاح فرنسا في تصفية حركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري ليس مردّه قوة العدو الفرنسي، بقدر ما يعود إلى معاول الهدم الداخلية الآتية: بقايا الأتراك، نشاط الطريقة التيجانية والجواسيس الفرنسيون وعملاؤهـــم من الجزائريين، وإلى تصرفات عبد القادر مع بعض القبائل الجزائرية والمغربية، التي حـــالت دون كســـبهم إلى صفّه، هذا فظلا عن وقوف سلطان المغرب إلى جانب فرنسا.

12. إنّ التصادم المغربي الجزائري نتيجة مأساوية كان بإمكان المخزن المغربي تجاوزها، لو عـــرف كيـــف يتعامل مع الظروف والشائعات الفرنسية التي أحاطت به، وبالتالي تجنّب تبديد طاقات شعبين شقيقين في معارك دموية مُفتعلة، كان بإمكان المخزن المغربي توظيفها ضد الخطر المشترك الذي كان يـــهدّدهما، والـــتي كـــانت ستُساهم من دون شك في تغيير المعطيات التاريخية آنذاك بالمنطقة.

13. إنّ تصفية حركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري والمغرب الشرقي، فتحت الباب على مصراعيه أمـــام المزيد من الأطماع الاستعمارية التّوسعية، في كل من الجزائر والمغرب خاصة، وفي منطقة المغرب العربي وإفريقيا عامة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحـــــق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 1

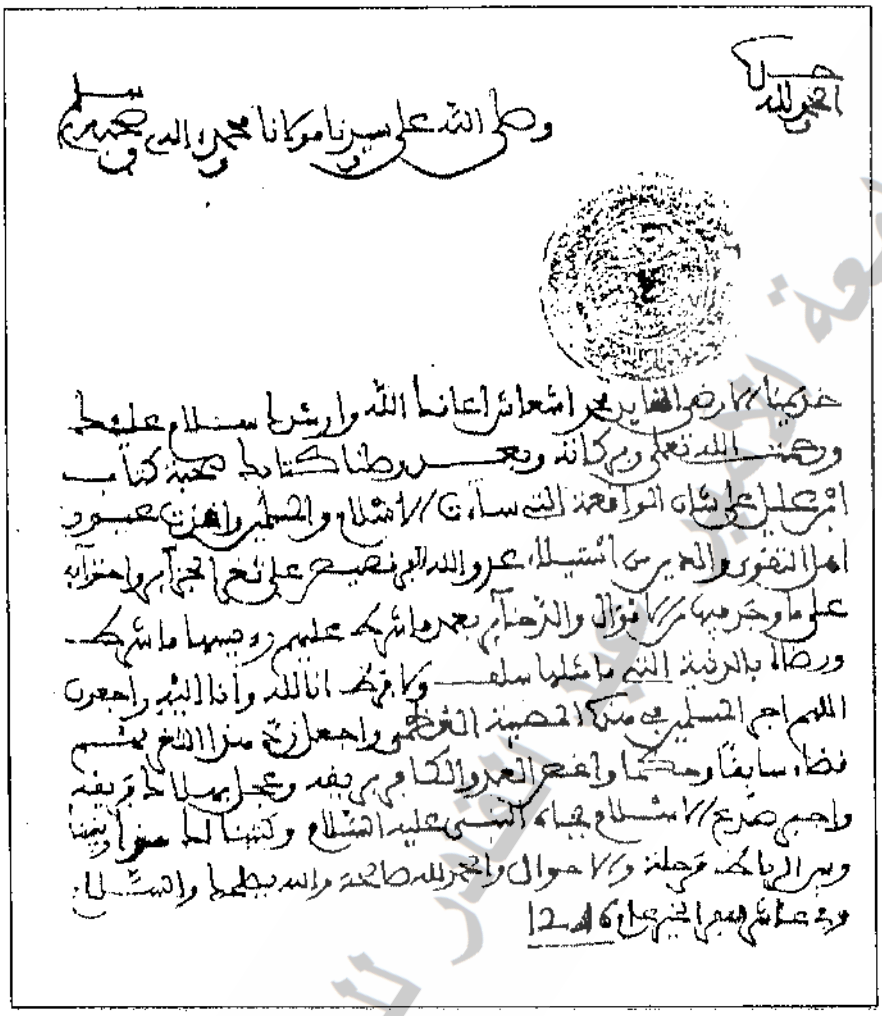

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

خديمنا الأرضى القائد محمد أشعاش أعانك الله وأرشدك، سلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته وبعد.

وصلنا كتابك صحبة كتاب ابن عليل على شأن الواقعة التي ساءت الإسلام والمسلمين، وأقذت عيون أهل التقوى والدين، من استيلاء عدو الله الفرنصيص على ثغر الجزاير، واحتوائه على ما وجد فيها من الأموال والذخائر، بعدما شرط عليهم رئيسها ما شرط، ورضاه بالدنية التي ما مثلها سلف ولا فرط، انا لله وانا إليه راجعون،

اللهم أجر المسلمين في هذه المصيبة العظمى، وأجعل رد هذا الثغر لهم قضاء سابقا وحكما، وأغض العدو الكافر بريقه، وعجل بهلاك فريقه، وأجبر صدع الإسلام بجاه النبي عليه السلام، وكتبنا لك هذا وبيننا وبين الرباط مرحلة، والأحوال والحمد لله صالحة، والله يصلحك والسلام، في عاشر صفر الخير 1246هـ.

الملحق رقم 2

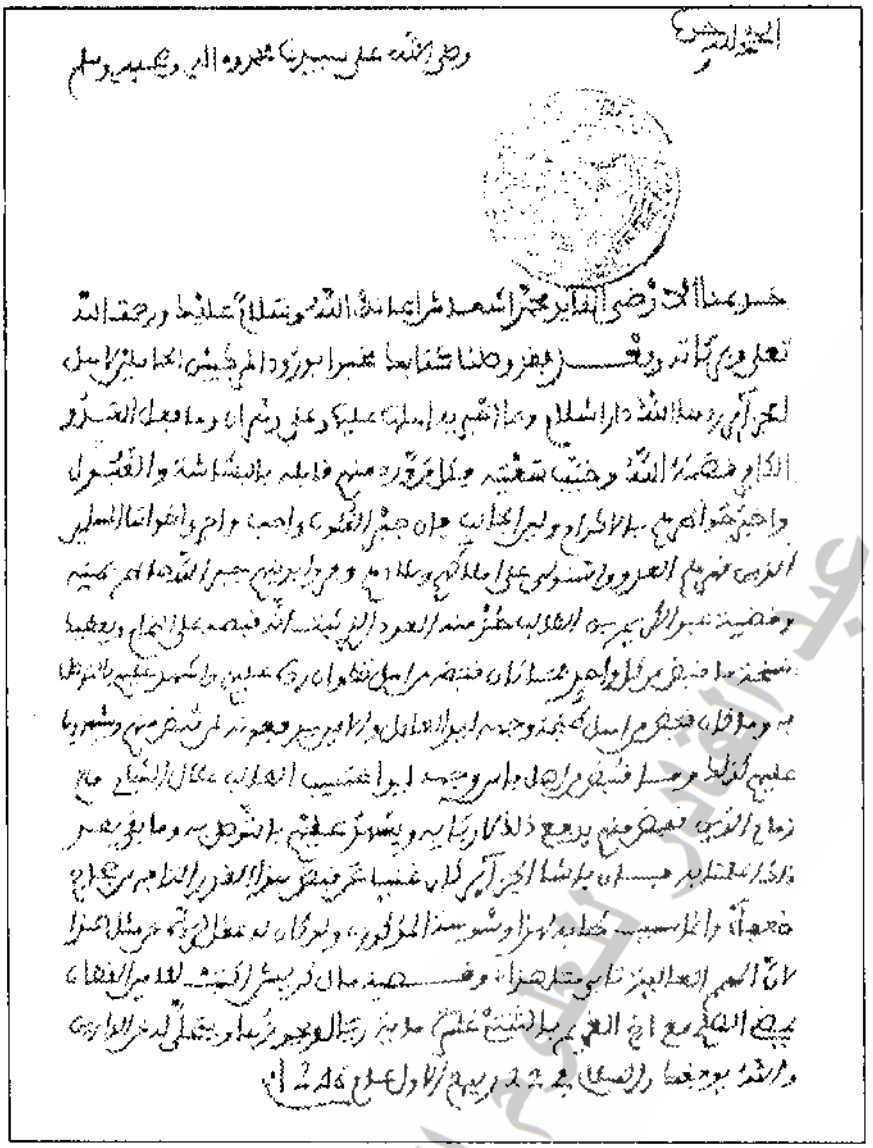

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـــه وصحبـــه وسلّم.

خديمنا الأرضى القائد محمد أشعاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته وبعد. فقد وصلنـــا كتابك مُخبرا بـــورود المركبين الحاملين لأهل الجزائر ردّهـــا الله دار إسلام، وبما أخبر به أهلها عليـــها وعلى وهران، وما فعل العدو الكافر قصمه الله وخيّب سعيه، فكل مـــن ورد منهم قابله بالبشاشة والقبـــول، وأجبر خواطرهم بـــالإكرام ولـــين الجانب، فان جبر القلوب واجـــب، وأحرى إخواننا المســـلمين الذيـــن قهرهم العـــدو واســـتولى علـــى أملاكهم وبلادهم وفروا بدينهم جبر الله حالهم بمنه. وقضية عبد الكريم بن الطالب حز منه العدد الذي ثبت أنه قبضه على التمام، ويعطيـــك نسخة ما قبض من كل واحد، فما كان قبضه من أهل تطوان رده عليه وأشهد عليهم بالتوصل به، وما كـــان قبض من أهل طنجة وجهه ليد العامل و الأمين يدفعونه لمن قبض منهم ويشهدون عليهم كذلك،وما قبـــض من أهل فاس وجهه ليد المحتسب الطالب علال الشامي مع زمام الذين قبض منهم، يدفع ذلك ويشهد عليـــهم بالتوصل به، وما بقي بعد ذلك أعلمنا به، فان باشا الجزاير كان غنيا عن قبض هذا القدر التافه من حجـــاج ضعفاء، وإنما سبب طلبه لهذا وسوسة المذكور، ولو كان له عقل لرده عن مثل هذا، لأن الهمم العالية تـــأبى مثل هذا. وقضية مال كريش أكتب للأمين القطان يمضي الصلح مع آخ الغريم باثني عشـــرة مايـــة ريـــالا ويحوزها ويتخلى له عن الدارين، والله يوفقك والسلام. في 22 ربيع الأول عام 1238هـــ.

جمعية الأمير عبد القادر للدراسات الإسلامية

الملحق رقم 3

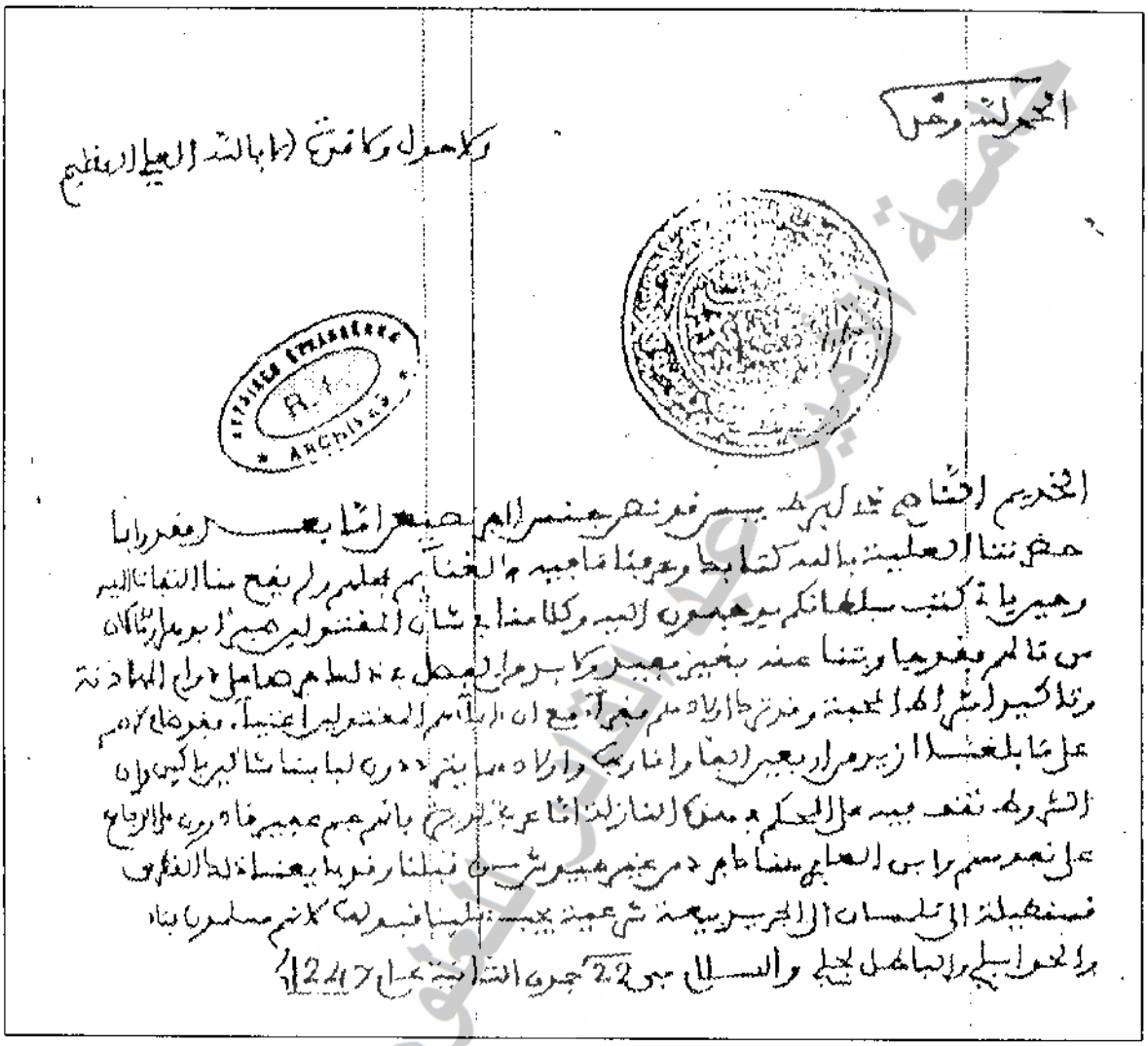

الحمد لله وحده — لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

الخديم الناصح دي لابورت قونصو جنس الفرنصيص أمّا بعد. فقد وافا حضرتنا العلية بالله كتابك وعرفنا مـــا فيه والغنايم جلهم و لم يقع منّا النفات إليه وحين ياتي كتب سلطانكم يوجهونا إليه، وكلامنا في شأن المقتولين ...بوهران وما كان من قتالهم فقد جاوبتنا عنه بغير مفيد، ولابد من الفصل في ذلك حرصا على دوام المهادنة وتأكيد أشراط المحبة، وقد ترك أولادهم فقراء مع أن آباءهم المقتولين أغنياء، فقد ضاع لهم على ما بلغنا أزيـــد من أربعين ألفا، وأقاربهما وأولادهما يترددون لبابنا شاكين باكين، وإنّ الشروط تقف فيه على الحكم في هـــذه النازلة، أمّا عرب الديرة فاهم جمّ غفير قادرون على الدفاع على نفوسهم، وابن العامري هناك، فرُد من غـــير جيوش من قبلنا، وقد بايعنا ذلك القطر من قسنطينة إلى تلمسان إلى الجريد بيعة شرعية يجب علينا قبولها، لأنهم مسلمون ...والحر أبلى والباطل يجلى والسلام. في 22 جمدى الثانية عام 1247هـــ.

الملحق رقم 4

الملحق رقم 5

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 6

الحمـــــد لله وحـــــــده

وصلى الله على سيدنا محمد وآلـــه

وصحبه

خديمنا الأرضى بوسلهام بن علـــي

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله

تعلى وبركاته وبعد. فان حميدة بن

علي عامل وجدة مع الطالب أحمد

الخضر خدعهما نائب عدو الديـــن

فيما كلفناهما به من الوقوف معـــه

على الحدود، وغرهم على عادتـــه

بترهاته، وبذل الطمع حتى أدخـــل

في الحد طرفا وافرا من بلاد قبـــايل

ايالتنا السعيدة لناحية بلاد ايالـــــة

الجزاير، وغرهما حتى طبع له حميدة

على الرسم الذي أتى به، ونحـــن

كنا فوضنا له ضنا منا أنه يقـــف

على حقوق المسلمين لعلمه بالبلاد

وأهلها، مع تقديمنا له المرة بعد المرة أن الحد يكون على ما كان بين دولتنا ودولة الترك أيام ولايتهم، وأمرنـــاك بالتقصي في ذلك وسؤال القدماء والأعيان من أهل البلاد المجاورة لهم، ولا يتكلم معهم حتى يستوعب ذلـــك فصدر منه ما صدر غفلة منه وبلها، ونحن لم نرض ذلك ولا نوافق على تسليم بلاد قبايل ايالتنا الـــتي كـــانوا يتصرفون فيها خلفا عن سلف، وقد تحين عدو الدين سفر أعيان تلك القبايل حتى وردوا لحضور العيد بحضرتنا الشريفة وطلب منه ذلك ليغره، ولما قرىء عليهم الحد هنا لم يرضوه و لم يقبلوه، وهاهم متوجهون ويقفـــون على حدود بلادهم مع جوارهم، فانهم يعرفونها كما يعرفون أبناءهم وحين يكون الوفاق على حدود الـــترك المعلومة حينئذ يتم الفصل ويمضي الأمر حسب ما في كتاب التفويض، فاعلم قونص جنس الفرنصيص بذلـــك ليلا يعتقد تسليمنا لما فعلوا خداعا ومكرا، وزادوا مع ذلك مجاراته في أمر البيع والشراء بين الايالتين بما لم نأذن لهم فيه و لم نعرج عليه، ولا خير للمسلمين فيه، وقس على هذا أمر الباشدور الذي تشير بتوجيهه فإنما يفعـــل مثل هذا وأقبح، فقد فسد الزمان وأهله ولا حول ولا قوة إلا بالله والسلام. في 27 ربيع الأول عام 1261هـــ.

الملحق رقم 7

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا وآله وصحبه وسلم.

خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته وبعد. فقد وصلنا كتابك جوابا عما كان كتبنا لك به في شأن حميدة بن علي الشركي وأحمد الخضر، وأن عدو الدين خذلهما وبذل لهما الطمع، حتى أدخلا طرفا وافرا من هذه الإيالة السعيدة في إيالة الجزائر، وعلمنا ما شرحت من عجزهما وبجرهما، وما ذكرت

في ذلك وأخبرت أن الأمر يسهل إن لم نطبع عليه، فاعلم أنا علمنا الحيف من أول وهلة فلم نطبع ولا نفعل في المستقبل إن شاء الله، وإنما طبع عليه حميدة فقط، فاشرع في مباشرة الأمر على الكيفية التي قدمنا لك ولا تـألل جهدا في فسخ ما عقد الطماعان الساقطا الهمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد توجه أصحاب البلد المجاورين ليقفوا على حدود بلادهم ويستظهروا برسومهم وتصرفاتهم مع أنا احترزنا من هذا كلـه حتى في كتاب التفويض، ذكرنا فيه أن الحدود تكون على ما كانت عليه أيام دولة الترك، و لم نقصر من الاحتراز والتحري والتقدم بالوصية ولاكن والطمع يعمي ويصم، والسلام. في ربيع الثاني عام 1261هـ.

الملحق رقم 8

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على مولانا محمد وآله وصحبه

خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته وبعد. فقد وصلنا كتابك وصحبتهما كتابا الفرنصيص مراجعا في أمر الحدود، وعلمنا انتصاره لوكيلهم واحتجاجه لصحة عملهم ورغبته في تصديقهم، فأجبه بأنا ما راجعناه إلا بالحق الثابت، وإنا وجهنا على قاضي المسلمين بوجدة حتى يبين ما هو على الصواب، وما وقع فيه الحيف والزيادة، ومع هذا كله ها نحن جددنا نسخة من النسخة التي طبع عليها حميدة حرفا بحرف، وحذفنا منها الفصول التي لم نأذن في ذكرها ولا الكلام فيها، وهو المجاورة في أمر التجارة وما تعلق بها لطبعه أسفلها، فإنا إن وضعنا خاتمنا عليه يضنون أنا رضيناه ويقيمون الحجة بختمنا عليه، وزدنا أنا أمضينا ما كان على حدود الترك المعلومة ونرفع الخلاف، فما كان في نفس الأمر على حدودهم يمضي، وما وقع فيه الزيادة تكون المراجعة فيه لتنقطع الأعذار من الجانبين، وإن كانت كلها على الحدود المذكورة فقد مضت، فأطلعه على النسخة، فإن قبلها على هذا الوجه نختم عليها، وتدفع له حين يأتي بنظيرها مطبوعة بخاتم طاغيته، وإن لم يقبل فلم يبق معه كلام، والسلام. في 10 جمادى الثانية عام 1261هـ.

الملحق رقم 9

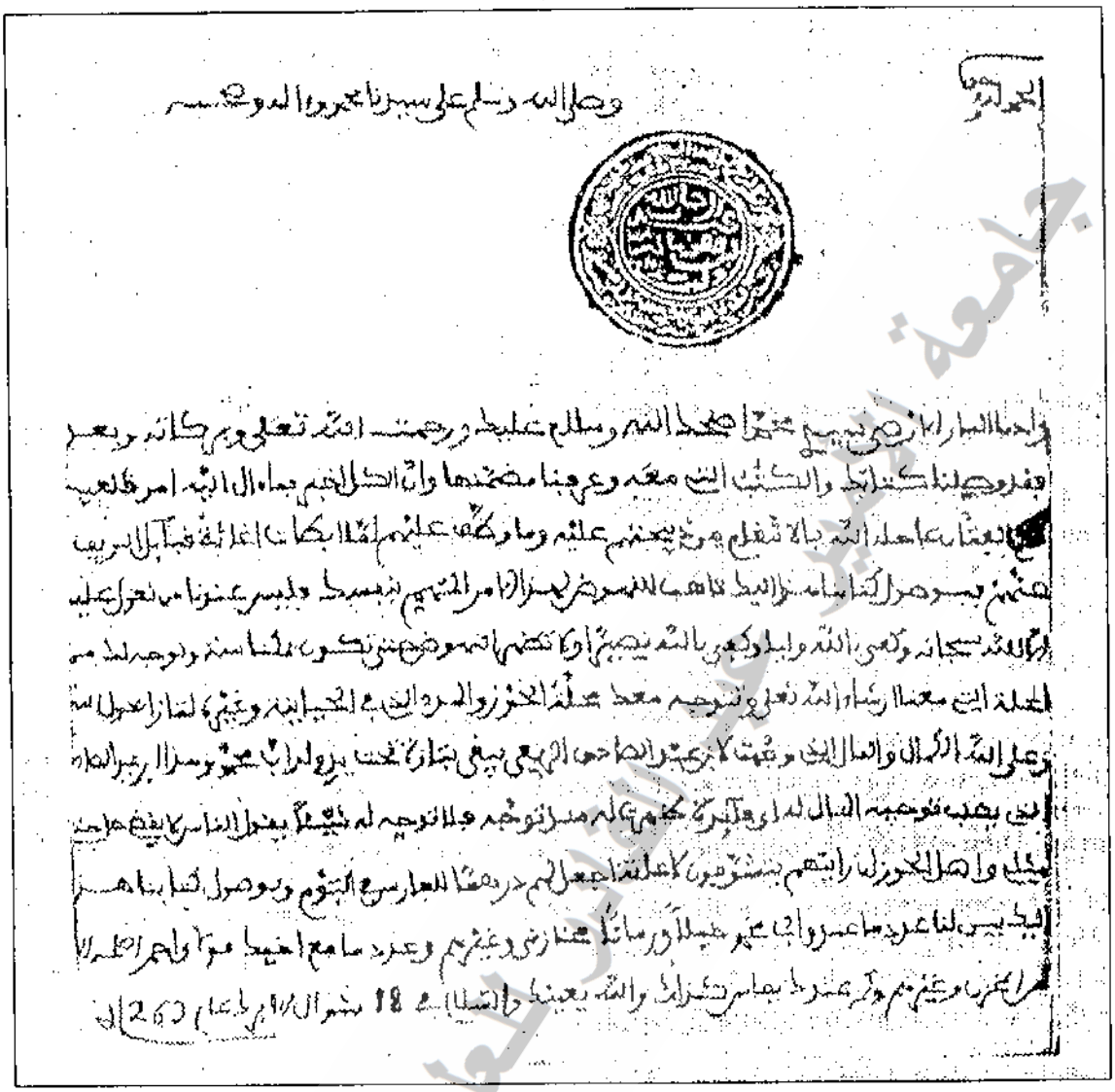

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ولدنا البار الأرضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمت الله تعلى وبركاته وبعد. فقـــد وصلنـــا كتابك والكتب التي معه وعرفنا مضمنها، وأن الكل أخبر بما عال إليه أمر قلعية مع الفتان عاجله الله بالانتقـــام من ذبيحتهم عليه، وما وظف عليهم لما أبطات إغاثة قبائل الريف عنهم، فبوصول كتابنا هذا إليـــك تـــأهب للنهوض لهذا الأمر المهم بنفسك فليس عندنا من نعول عليه إلا الله سبحانه وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا. ولا تظهر النهوض حتى تكون بمكناسة وتوجه لك من المحلة التي معنا إن شاء الله تعلى، وتتوجه معـــك محلـــة الحوز والمدد الذي في الحياينة وغيره لتازا بحول الله وعلى الله الكمال. والمال الذي وجهت لابن عبد الصـــادق الريفي يبقى بتازة تحت يد ولد آبا محمد، وهذا ابن عبد الصادق الذي يطلب توجيه المال له أي فائدة ظـــهرت له منذ توجّهه، فلا توجّه له شيئا، يقول الناس لا يقضي حاجتي مثلي؛ وأهل الحوز إن رأيتهم يتشوفون لإعانته اجعل لهم درهما للفارس في اليوم، وبوصول كتابنا هذا إليك بيّن لنا عدد ما عند أب محمد خيلا ورماتا مخازني وغيرهم، وعدد ما مع أخيك مولاي أحمد أصلحه الله وجيش المخزن وغيرهم، وكم عندك بفاس كذلـــك والله يعينك والسلام. في 18 شوال الأبرك عام 1263هـــ.

الملحق رقم 10

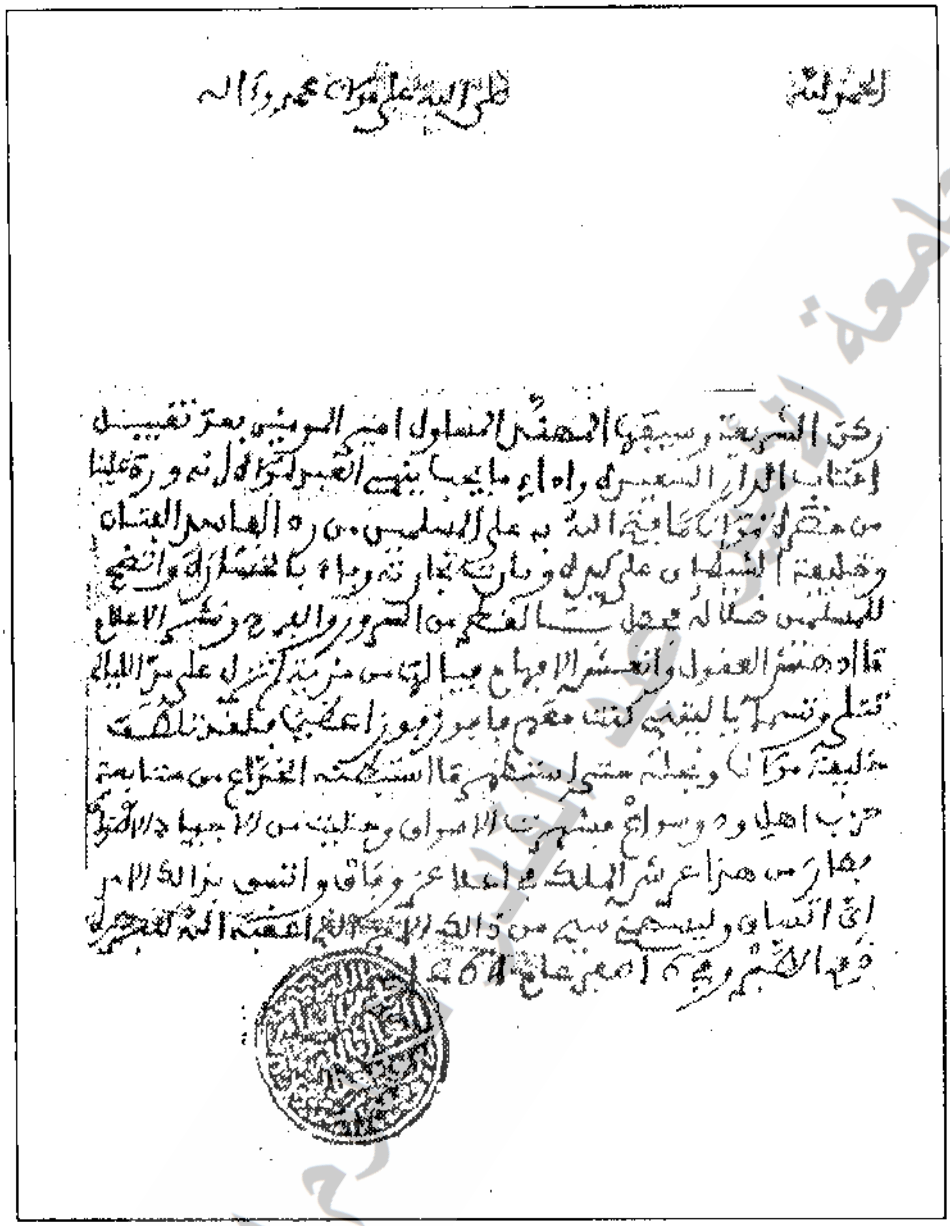

الحمد لله وصلى الله على مولانا محمد وآله.

ركن الشريعة وسيفها المهند المسلول أمير المؤمنين، بعد تقبيل أعتاب الدار السعيدة وأداء ما يجب بين العبـــد لمولاه، أنه ورد علينا من حضرة مولانا ما فتح الله به على المسلمين من رد الفاسد الفتان وخليفة الشيطان على كيده وبارت تجارته وباء بالخسارة واتضح للمسلمين ضلاله، فحصل بالقطر من السرور والفرح ونشر الأعلاء ما ادهش العقول وأنعش الأفهام، فيا ليتها من مزية لم تزل على مر الليالي تتلى وتسمى، يا ليتني كنت معـــهم فأفوز فوزا عظيما، فلقد تلطف خليفة مولانا وخوله حتى استظهر ما استبطنه الخداع من متابعة حزب أهـــل ود وسواع، فشهرت الأسواق

وخليت من الأجياد والأصناف فصار من هذا عرش الملك في أعلا عز وفاق، واتسق بذالك الأمر أي اتســـاق، وليسهمني سيدي من ذالك الأجر الذي أعقبه الله بالخير والبركة فوقع الضفر، وفي 10 صفر عام 1264هـــ.

الخـــرائط

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 1

المغرب الشرقي طبيعيا

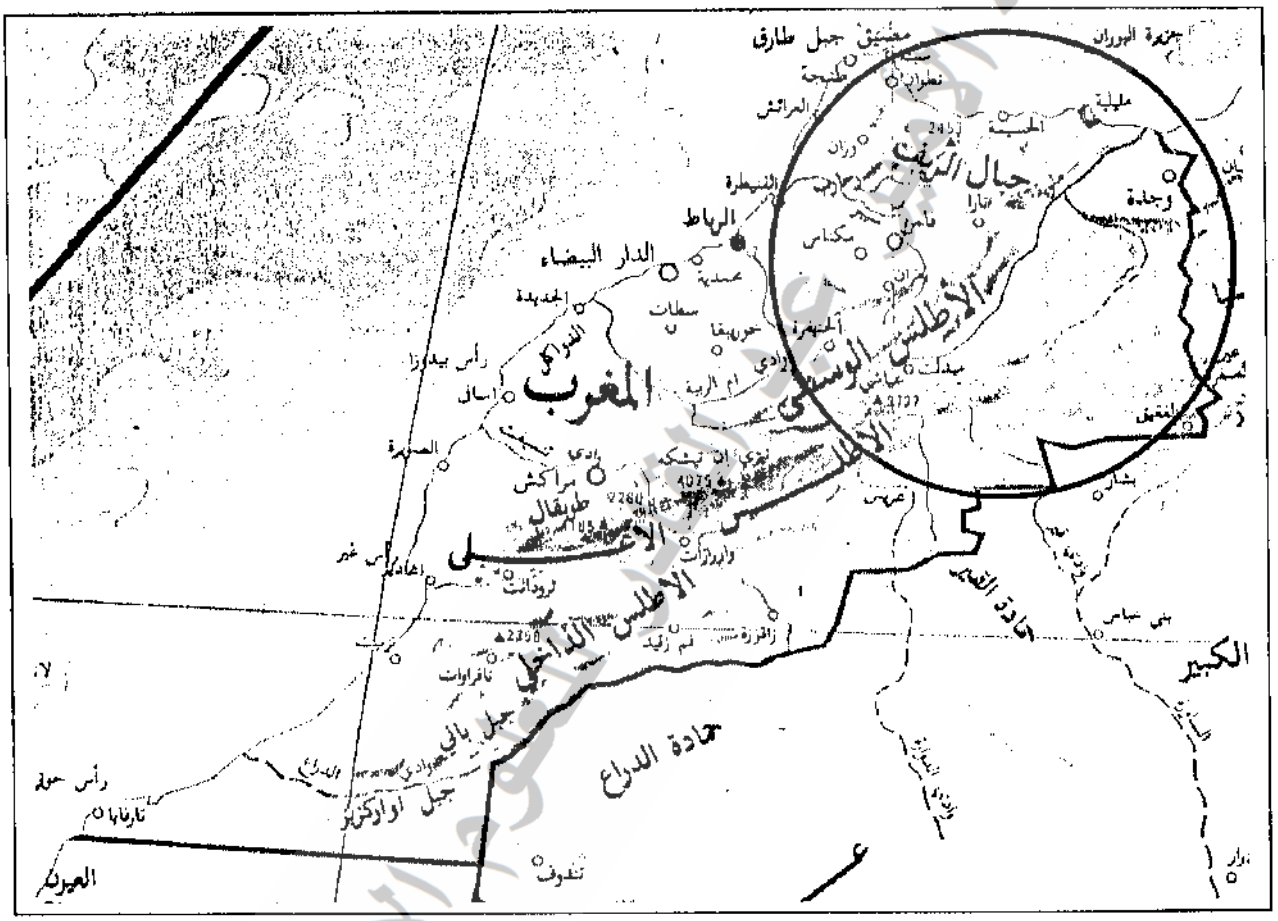

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 2

المغرب الشرقي بشريا

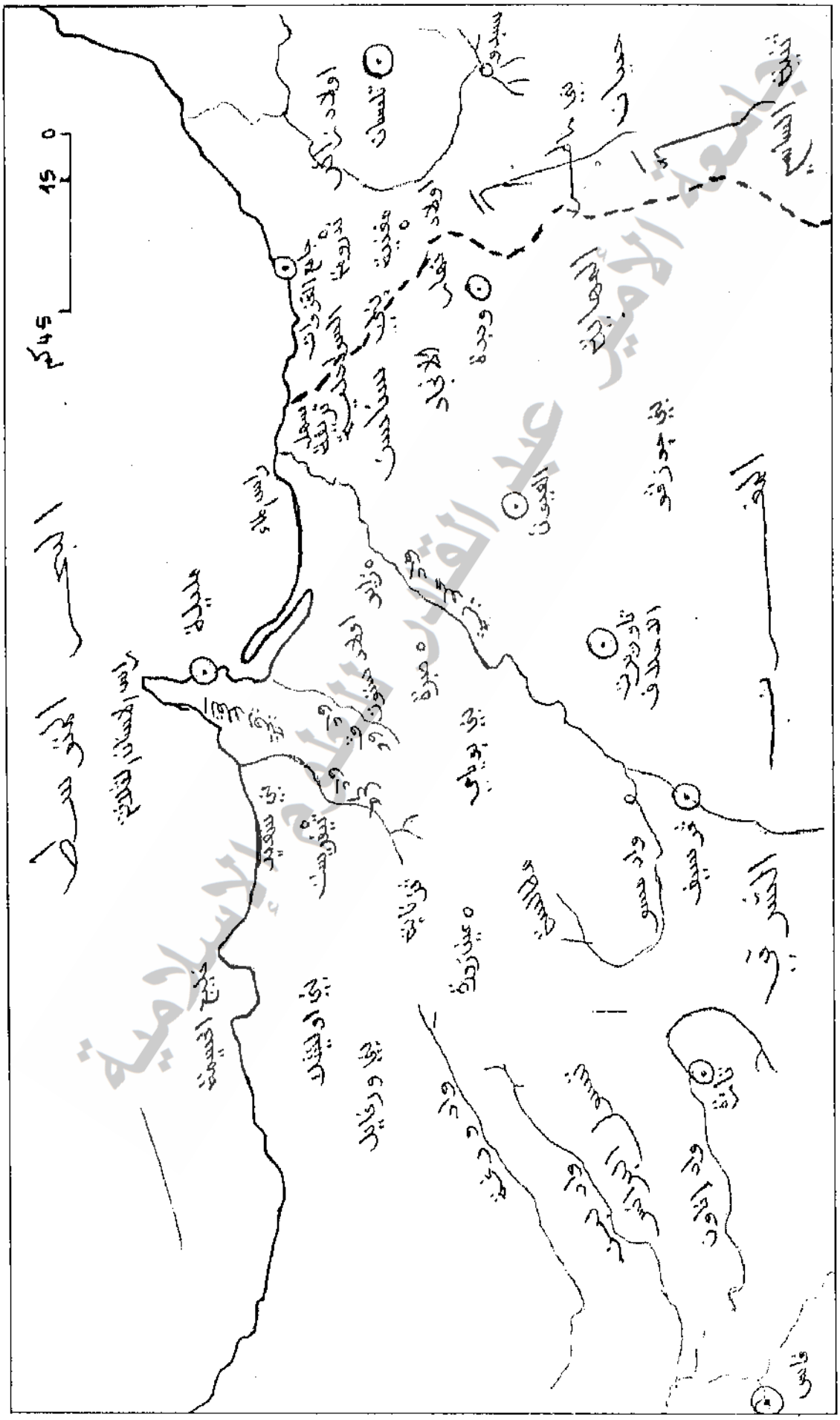

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 3

الغرب الجزائري طبيعيا

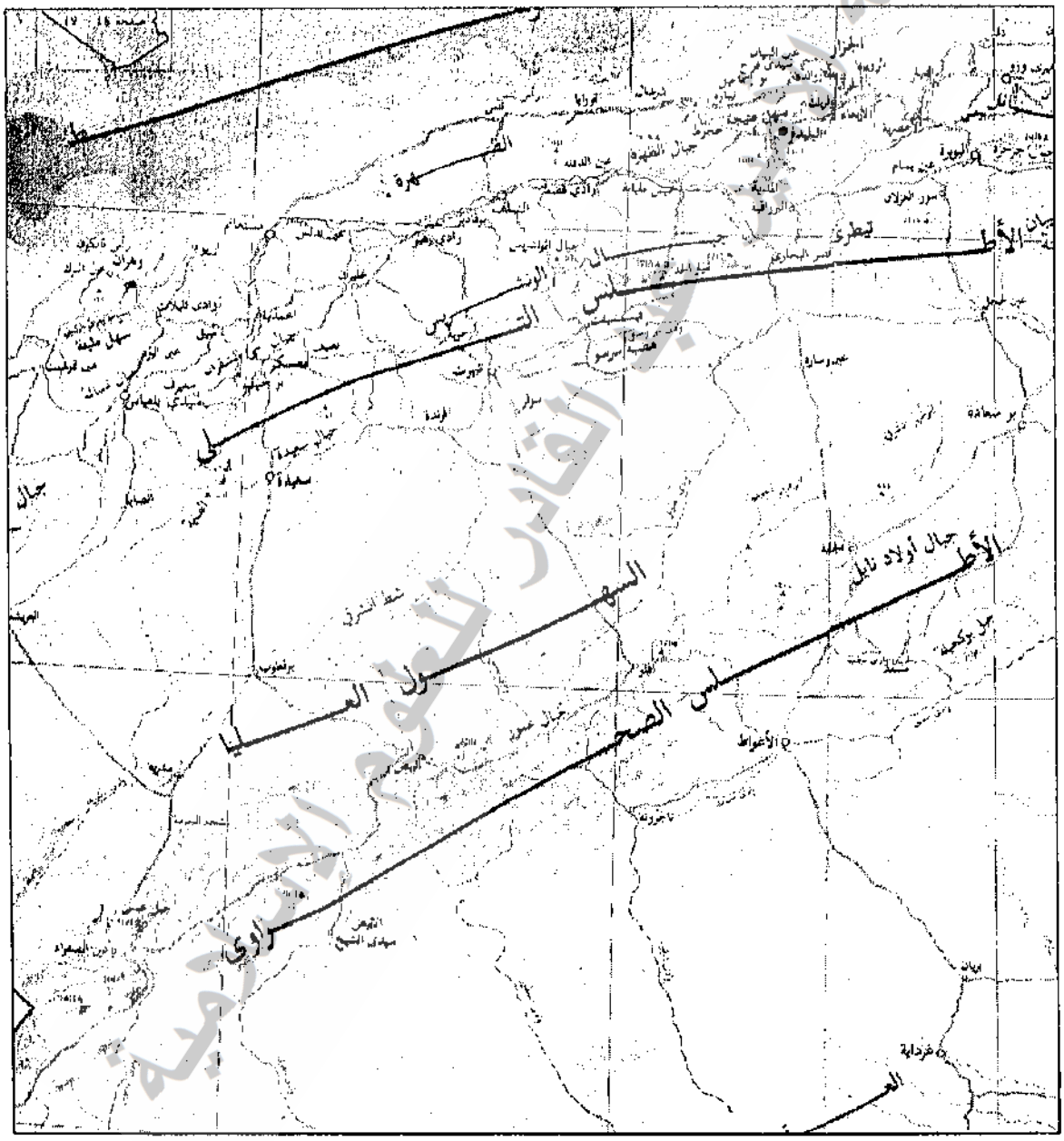

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 4

الغرب الجزائري بشريا

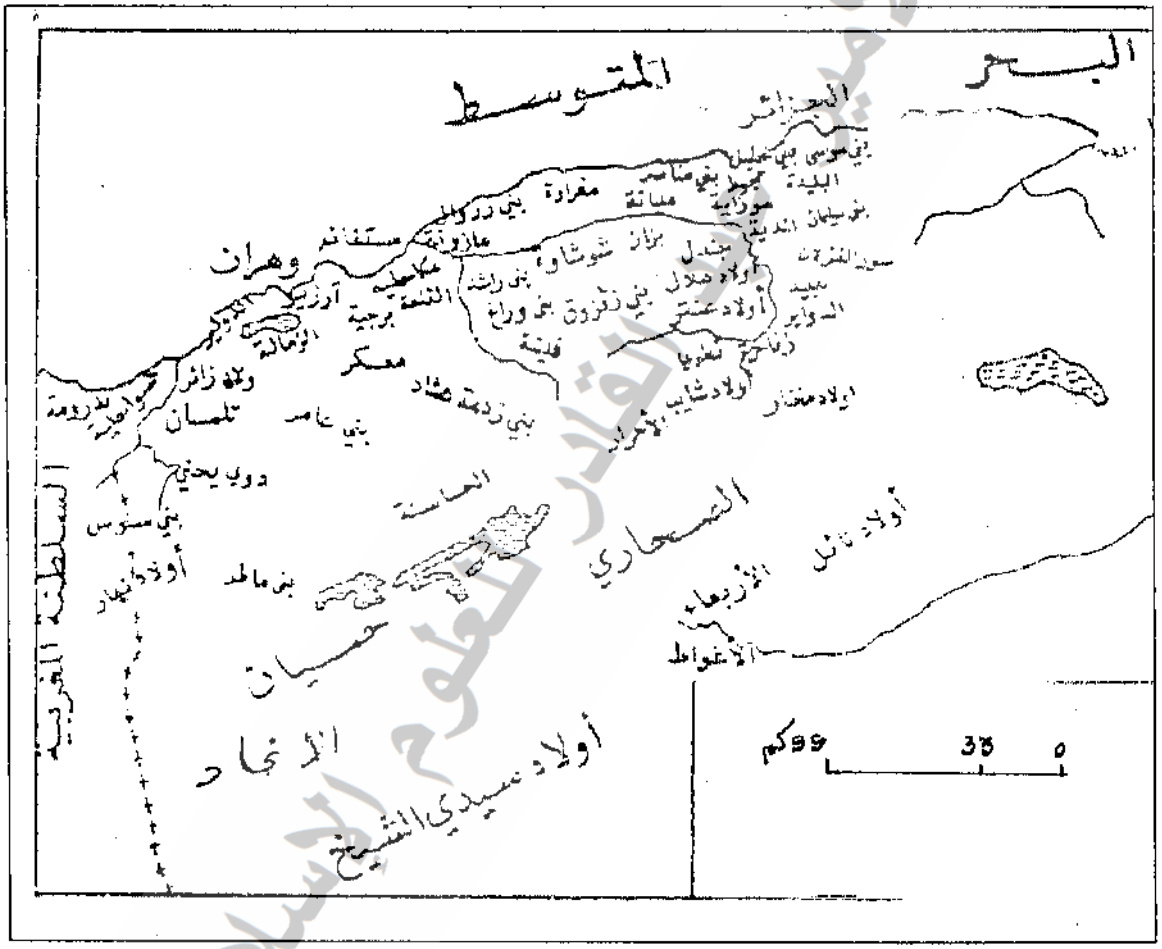

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 5

التواجد الجزائري في المغرب الشرقي

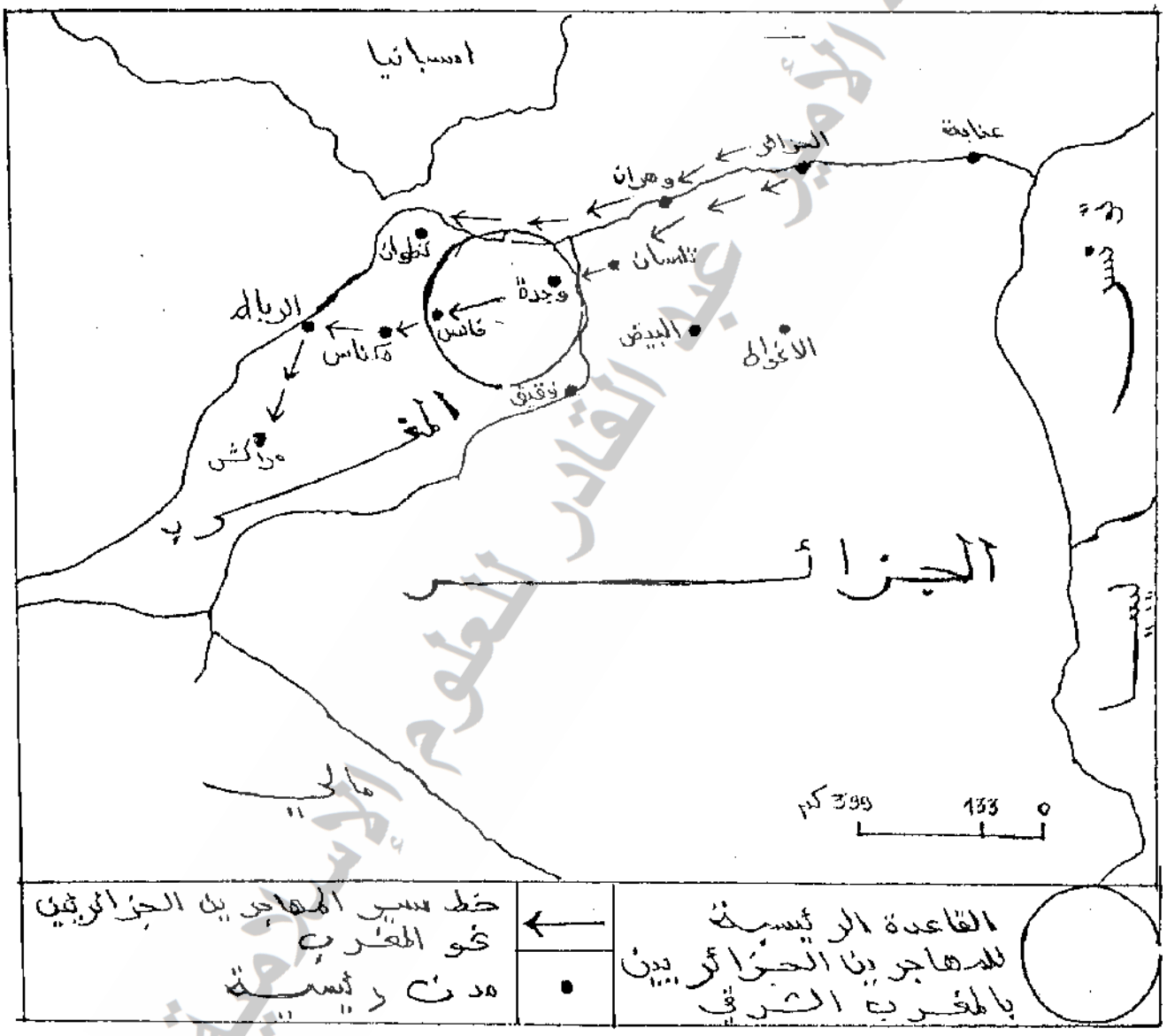

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 6

معركة إيسلي 1844.

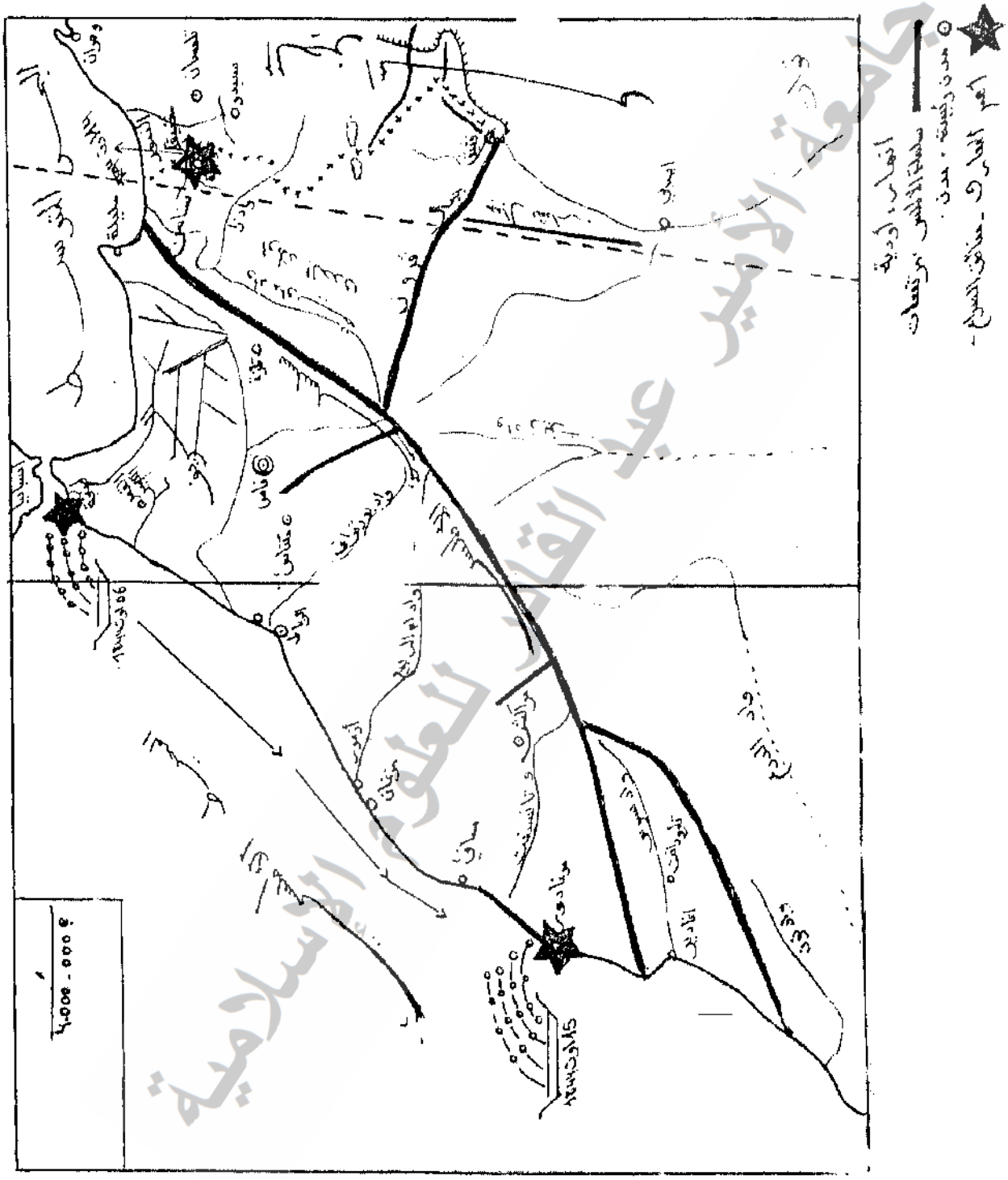

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 7

الحدود الجزائرية المغربية حسب اتفاقية مغنية 1845.

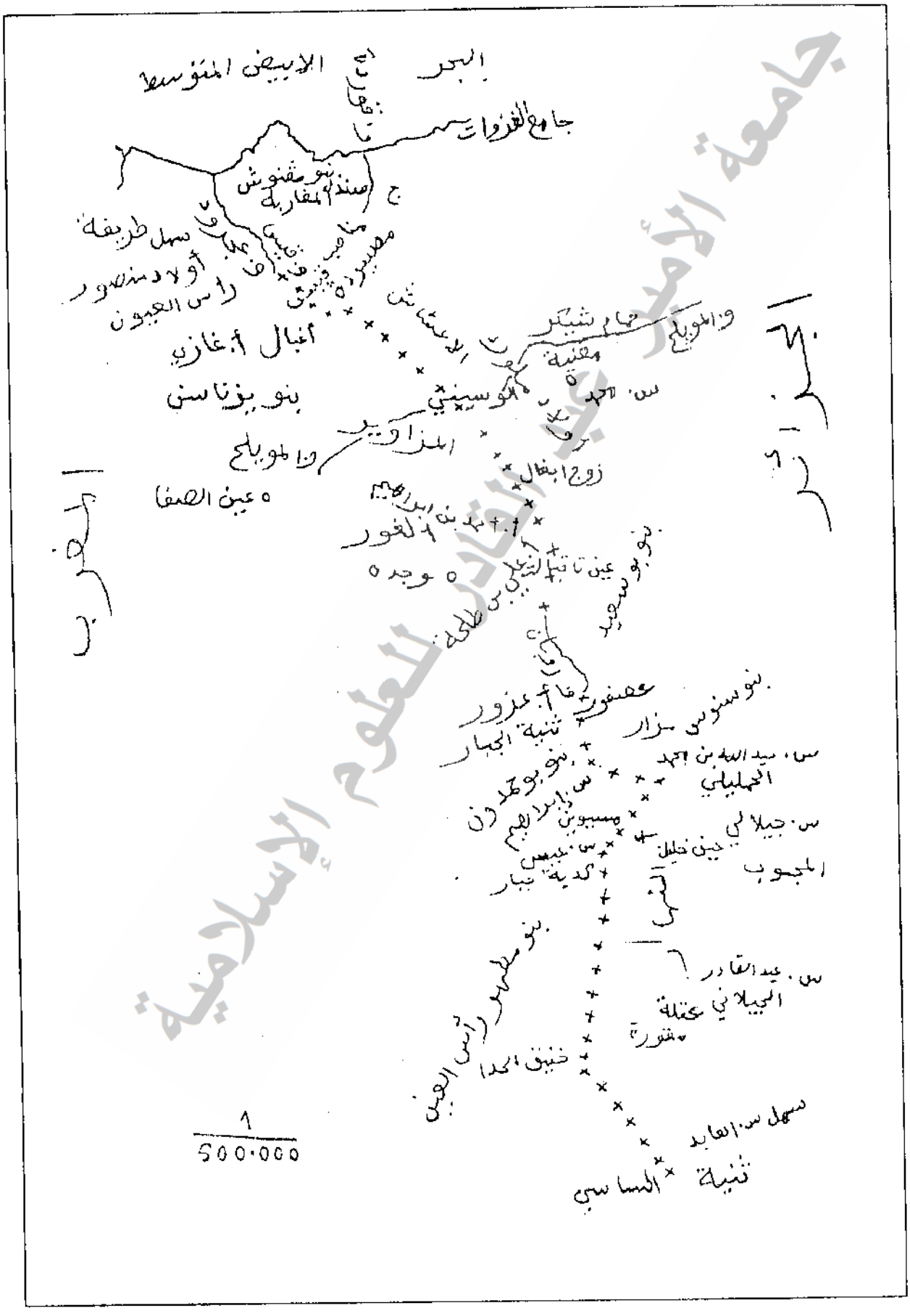

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 8

نشاط حركة الجهاد الجزائرية في الغرب الجزائري.

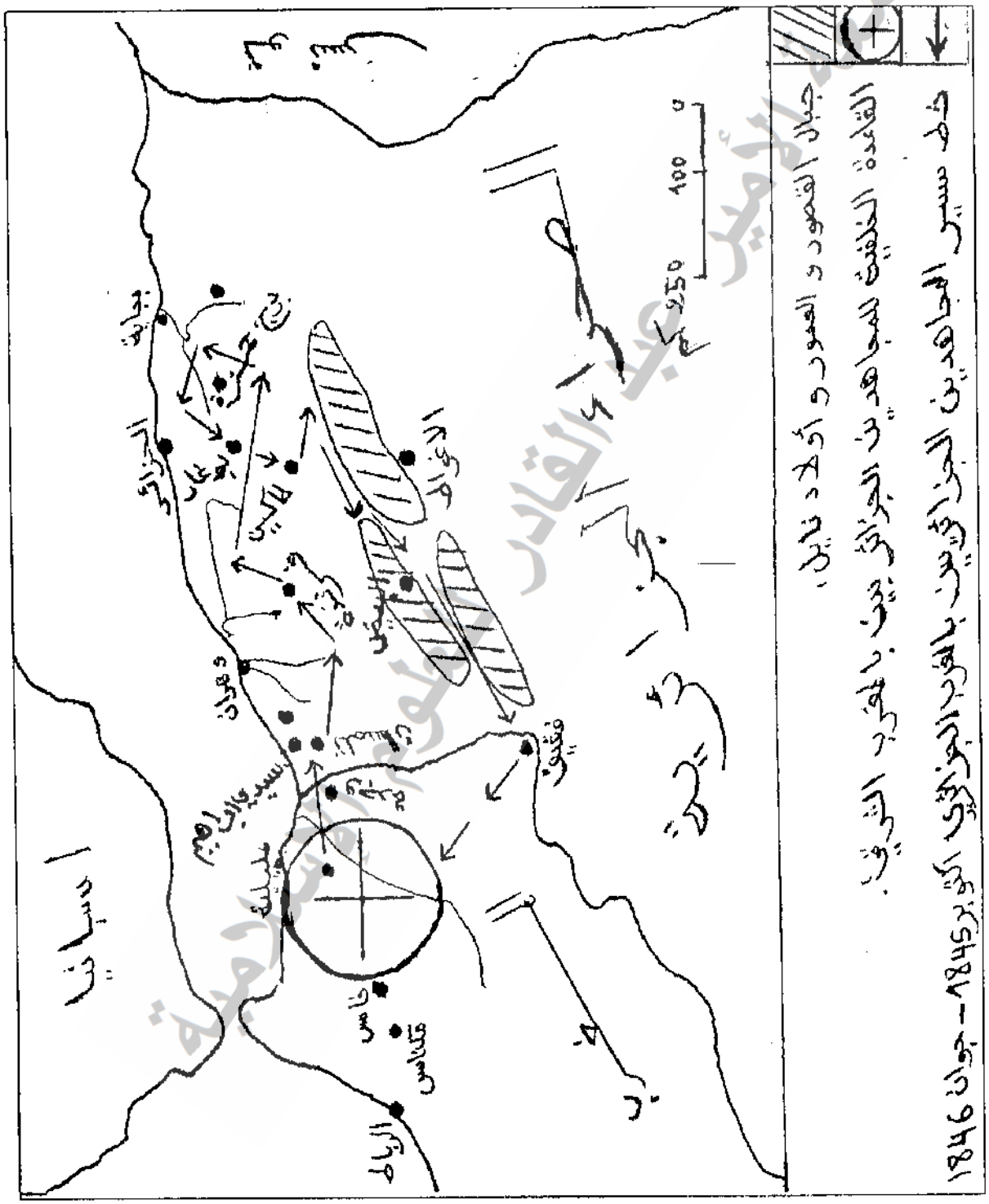

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم 9

أوضاع الغرب الجزائري في أواخر سنة 1846.

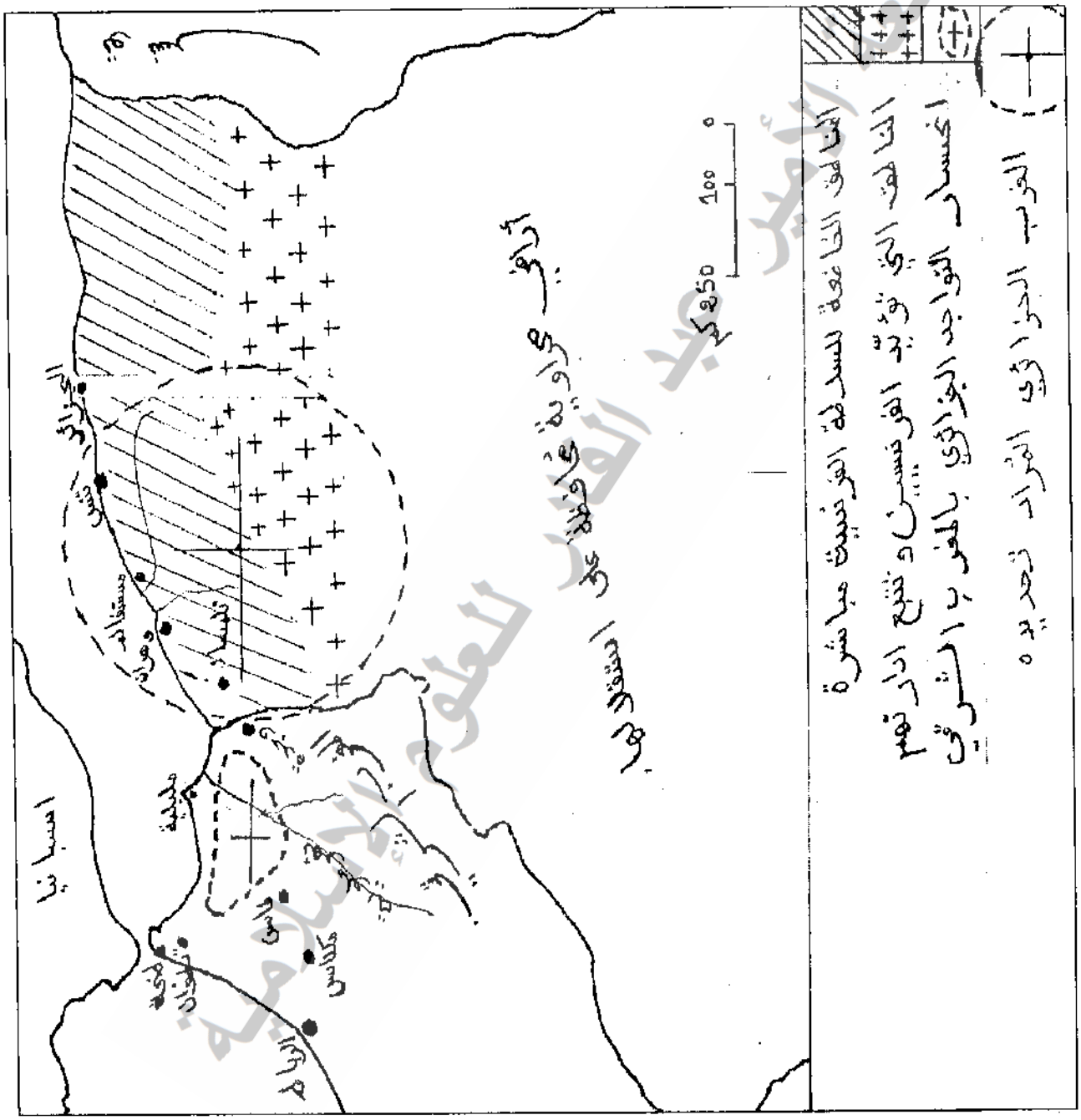

الملحق رقم 10

المعارك الجزائرية المغربية 1847.

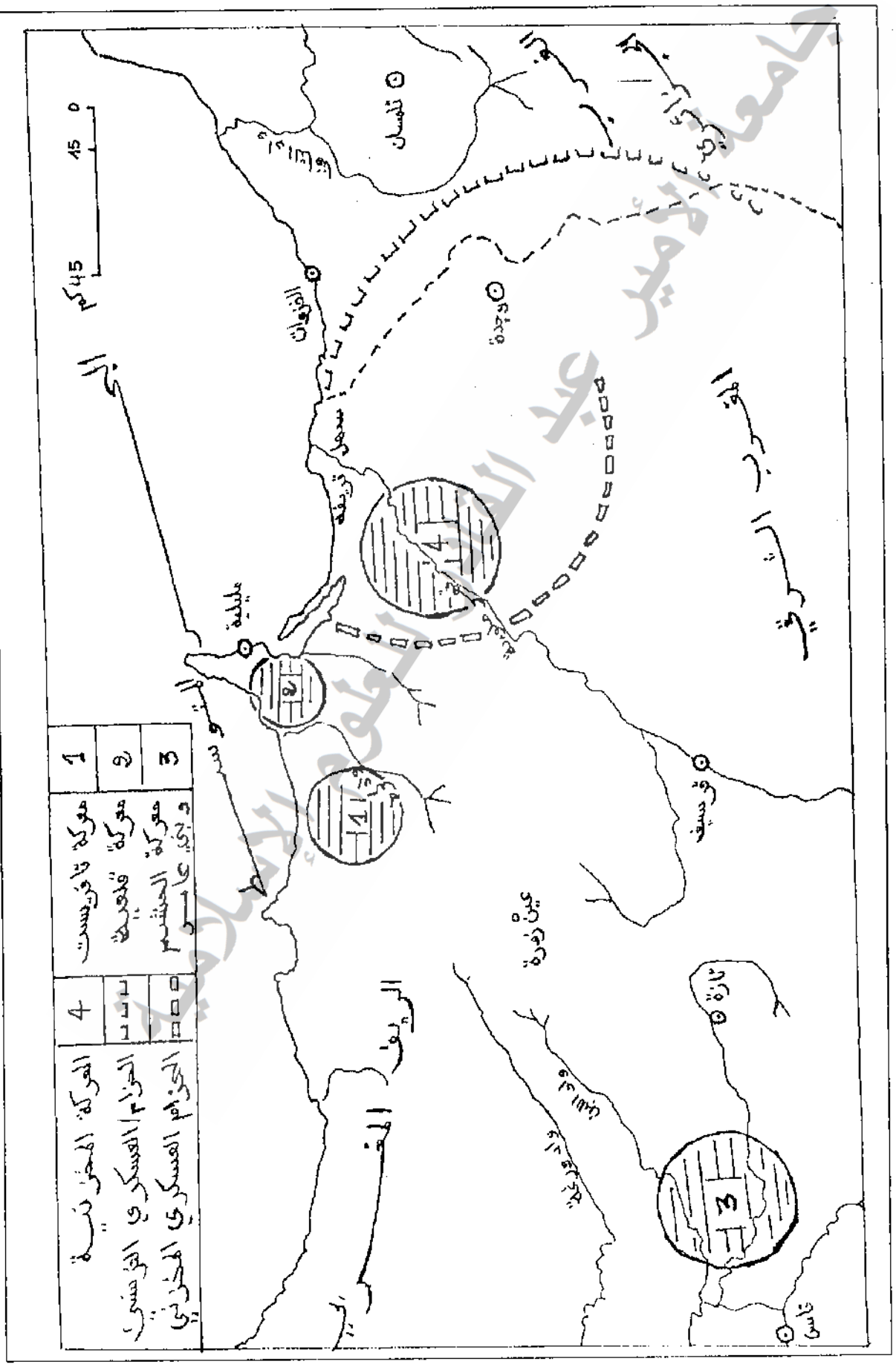

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع باللغة العربية:

❖ المخطوطات:

1- مخطوطات الخزانة العامة بالرباط:

- أبو العلا، إدريس: مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام، رقم 114 ح.
- أكنسوس: الجيش العرمرم، رقم 965 د.
- التسولي، علي : جواب العلامة التسولي عن الأسئلة الواردة من عبد القادر الجزائري، رقم 1131 ك.
- (ـــــ، ـــــ): الجواهر النفيسة فيما تكرر من الحوادث الغريبة، ج، 1.
- الحجوي، محمد بن الحسن: شروط معاهدة 1845 بشأن الحدود المغربية الجزائرية، ميكرو فيلم، رقم934.
- السوسي، علي: منتهى النقول ومشتهى العقول، رقم 623 د.
- المشرفي : الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، رقم 1463 د.
- اليفرني، أبو عبد الله محمد بن الحسن : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، رقم 1595د.
- المنوني، محمد: وثائق مخطوطة جمعها في 315 ورقة بخط أصحابها، أخذت منها : رسالة الأمير عبد القادر الجزائري إلى أهل تلمسان، وهي بخط يده، مصورة ميكرو فيلم رقم 1245.ص. 95.
- مجهول: مخطوط المكتبة العامة بتطوان، رقم 830.
- مجهول: جواب عن سؤال وارد من الحاج عبد القادر الجزائري على فقهاء فاس، رقم 13/2617 د.

2- مخطوطات مكتبة الحامة بالجزائر:

- الحسني، محمد السعيد بن محي الدين: نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته، رقم 9.
- المشرفي، العربي: ياقوتة النسب الوهاجة، رقم 3326.
- مجموعة رسائل مخطوطة كتبت في عهد الأمير عبد القادر، طبعت في مخطوط ضخم، رقم 2755، وظفت منها :

.رسالة الجنرال لاموريسير إلى السلطان عبد الرحمان.

.رسالة الجنرال بيجو إلى السلطان عبد الرحمان.

3- وثائق الخزانة الحسنية بالرباط:

- رفض السلطان المغربي لطلب قونصو فرنسا بشأن طرد المهاجرين الجزائريين وسلب غنائمهم، المحفظة.1، الوثيقة.25.
- استياء السلطان من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المحفظة.1، الوثيقة.34.
- بشأن معاملة المهاجرين الجزائريين بالمغرب، المحفظة.1، الوثيقة. 35.
- توظيف المهاجرين الجزائريين في الأعمال الحربية، المحفظة.1، الوثيقة. 37.
- موافقة السلطان على رغبة باشا الجزائر في القدوم إلى المغرب قصد الإقامة هروبا من المعتدين الفرنسيين بالجزائر، المحفظة.1، الوثيقة.33.
- تشديد حراسة الشواطئ حتى لا يتسرب العدو الفرنسي إلى المغرب، المحفظة.1، الوثيقة.38.

- وصول الإعلام بما حصل لداي الجزائر على يد المستعمرين الفرنسيين، المحفظة.1، الوثيقة.40.
- بشأن فتح تلمسان، المحفظة.4، الوثيقة.7.
- امتناع السلطان عن تبديل الاتفاقية المنعقدة بين المغرب وفرنسا، المحفظة.14، الوثيقة.23.
- قضية مقاطعة فرنسا للمغرب ومطالبتها بطرد الأمير عبد القادر الجزائري وانزعاج المغرب من ذلك، المحفظة.14، الوثيقة.24.
- الحث على الاستعداد للجهاد في سبيل الله، المحفظة.14، الوثيقة.25.
- أمر بإذاعة لفظ الجهاد ضد الفرنسيين بسبب ما أظهروا من العداوة ورفض الصلح، المحفظة.14 الوثيقة.30.
- **الإعلام بإلحاح فرنسا في تسوية مشاكلها مع المغرب ورغبتها في عقد الصلح، المحفظة.15 الوثيقة.05.**
- أمر بتوجيه كتاب الأمير عبد القادر بن محيي الدين إلى الحضرة الشريفية، المحفظة.15، الوثيقة رقم.35.
- الإعلام عن نقض الأمير عبد القادر الجزائري لعقد الصلح المبرم بين المغرب وفرنسا وتحريضه للقبائل الريفية على الجهاد، المحفظة.15، الوثيقة.38.
- بشأن الحدود المغربية الجزائرية 1845م، المحفظة.16، الوثيقة.40.
- تسوية قضية الحدود الجزائرية واهتمام السلطان بوجود الأمير عبد القادر الجزائري بين القبائل المغربية وضغط فرنسا على المغرب لإخراجه من المغرب الشرقي، المحفظة.17، الوثيقة.1
- الإعلام بتوجيه سفير المغرب إلى باريس، المحفظة.17، الوثيقة.9.
- وصول الإعلام بقدوم دولاري و ليون روش إلى المغرب وبحثهما في مسألة الحاج الأمير عبد القادر، المحفظة.17، الوثيقة.21.
- في شأن الحاج عبد القادر وقيامه بإيقاد نار الفتنة بين الكفار والمسلمين، المحفظة.17 الوثيقة.38.
- وصول الإعلام بشأن استعداد فرنسا لمطاردة عبد القادر وأنصاره ومطالبتهم للمغرب بالمشاركة في ذلك، المحفظة.17، الوثيقة.39.
- وصول الإعلام بمطالبة ملكة الإنجليز للمغرب في التضييق على الأمير عبد القادر لإرضاء فرنسا، المحفظة.17، الوثيقة.40.

❖ **المصادر المطبوعة :**

- القرآن الكريم.
- ابن محي الدين، عبد القادر: مذكرات الأمير عبد القادر (سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849)، تحقيق الدكتور محمد صغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح الجون، ط.2، شركة دار الأمة، الجزائر، 1995.
- ابن زيدان، مولاي عبد الرحمن: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس أو عبير الآس من روضة تاريخ مكناس أو حُسن الاقتباس من مفاخر الدولة العلوية وتاريخ مكناس، ج.5، ط.1135،2هـ/1937م.
- (ــــــ، ــــــــــ): الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356 هـ/1937م.

- ابن رويلة، قدور: وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تقديم وتحقيق : محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر،1968.

-تشرشل، شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة الدكتور، أبو القاسم سعد الله : الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.

- الجزائري، محمد ابن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ج.1،2، دار اليقظة العربية، بيروت 1384 هـ/ 1964 م.

- جوليان، شارل آندري: المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، ج.2، ط.2 تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر تونس 1983.

- خوجة، حمدان بن عثمان: المرآة، تعريب وتحقيق وتقديم: محمد العربي الزبيري، ط.2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981.

- الزهّار، محمد الشريف: مذكرات (1168 – 1246هـ/1754 – 1830م)، تحقيق: أحمد توفيق المدني، ط.2، ش.و. ن.ت، الجزائر، 1981.

- السليماني، ابن عبد الله: البيان المعرّب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، ط.1، مطبعة الأمنية الرباط، 1391 هـ/ 1971 م.

- الكولونيل، سكوت: مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981.

- الكتاني، محمد بن جعفر بن إدريس : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس،ج.3، طبعة حجرية، (نسخة مصوّرة) بـ: ك.أ.ع.إ ،جامعة محمد الخامس الرباط 1997.

- العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري،مج، 10، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بلا، ت.

- المزاري، الآغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، تحقيق ودراسة الدكتور : يحي، بوعزيز، ج.1،2 ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

- مديرية الوثائق الملكية : مجموعات وثائقية، دورية، تصدرها مديرية الوثائق الملكية، الرباط، 1396 هـ/1976 م.

- الناصري، أبو العباس أحمد : الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، الدولة العلوية، القسم الثالث، ج.9، تحقيق وتعليق: ولديه جعفر و محمد الناصري دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية.

❖ المراجع:

- إبراهيم، ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 – 1847، ك.أ.ع،إ/ د، د، ع، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1407 هـ/1987م، إشراف بوطالب إبراهيم.

- الأشرف، مصطفى: الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، م.و.ك، الجزائر. 1983.

- بوزيان، عمر: جذور اتحاد المغرب والجزائر 1832-1845، منشورات عكاظ، الرباط، 1988.

- بوعزيز، يحي : ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط.1، دار البعث قسنطينة، الجزائر 1400هـ / 1980 م.

- (ـــــ، ـــــ): بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، ط.1، دار الكتب الشرقية، تونس 1376هـ/ 1957 م.

- (ـــــ، ـــــ): مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، ترجمة: عن دميكيل دوايبالزا، د.م.ج، الجزائر، 1986.

- برادة، ثوريا : الجيش المغربي وتطوره في القرن 19 مساهمة في دراسة الإصلاح العسكري، د.د.ع/ ك.أ.ع.إ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1404هـ/1984م إشراف: إبراهيم بوطالب.

- (ـــــ، ـــــ): الجيش المغربي وتطوره في القرن 19، منشورات ك.أ.ع إ، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 27.مؤسسة كونكورد أدناود، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.

- بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ط.1 + ط.5، ترجمة : بنيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1948 + 1993.

- بن منصور، عبد الوهاب : الوثائق، ج.1.2، مج. 1، مديرية الوثائق الملكية، الرباط، 1976.

- (ـــــــ ، ـــــــ): قبائل المغرب، ج، 1،جائزة المغرب لسنة 1968م/1388هـ، المطبعة الملكية، الرباط.

- بن عبد الله، عبد العزيز : تاريخ المغرب العصر الحديث الفترة المعاصرة، ج، 2، مع المعجم التاريخي، مكتبة دار السلام ومكتبة دار المعارف، الدار البيضاء، الرباط، بلا، ت.

- بلحميسي، مولاي: أعمال ملتقى الأمير عبد القادر، مؤسسة الأمير عبد القادر، دار الحكمة الجزائر، 1998.

- بناني سميرس، لطيفة: الموقف المغربي من تطور الأطماع الأوربية 1845-1880، د.د.ع/ ك.أ.ع.إ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 83/82. إشراف : يونان لبيب رزق.

- البشير، قدور بن علي : بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1396هـ/1976م.

- البزاز، محمد الأمين: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر منشورات، ك أ.ع.إ، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 18، الرباط.1992م.

- الجمل، شوقي عطاء الله: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث الفترة المعاصرة مع المعجم التاريخي، ج.1، مكتبة السلام ومكتبة المعارف، الدار البيضاء، الرباط، بلا. ت.

- الجابري، محمد عابد: العصبية والدولة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1979.

- الحسني، بديعة: ناصر الدين الأمير عبد القادر الحسني، سيرته المجيدة في قضية من تاريخ الجزائر، ط.2، سلام للترجمة والنشر، دمشق، 1992.

- الخوينك، الياس بطرس : تاريخ نابليون الأول، مج، 3، دار مكتبة الهلال، بيروت، بلا. ت.

- حرب، أديب : التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائـــري 1808 – 1874 ج.1،2، ط.1، ش.و. ن.ت، الجزائر.1983.

- حركات، إبراهيم : المغرب عبر التاريخ.ج، 3، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط.2 1415هـــ/ 1992م

- حمو، رشيد: التجارة الخارجية على عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام، 1822-1859، من خلال وثـــائق الخزانة الحسنية بالرباط، ك، آ، ع، إ، 1406-1407هـــ/1986-1987م، فاس.

- داود، محمد : تاريخ تطوان، مج، 3، 6، 8، المطبعة المهدية تطوان، بلا، ت.

- رضوان، محمد : منازعات الحدود في العالم العربي، مقاربة سوسيو تاريخية وقانونية لمسألة الحدود العربيـــة، إفريقيا، المشرق، المغرب، الدار البيضاء، 1999 م.

- زوزو، عبد الحميد : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 – 1900)، م.و.ك الجزائر، 1985.

- الزبيري، محمد العربي : مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة و بوضربة، ط.2، ش. و.ن.ت الجزائر،1981.

- سعد الله، أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية، القسم الأول، ج.1، م.و. ك، الجزائر 1992 م.

- (ـــــــ، ـــــــ) : تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 – 14 هـــ / 16 – 20 م،ج.2 ط.2،م. و. ك، الجزائر، 1985.

- (ـــــــ، ـــــــ) : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القســـم الأول،ج.1، ط.2، ش.و.ن.ت، الجزائـــر، 1985.

- السعود، عبد العزيز : تطوان خلال القرن 19، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، منشورات جمعية تطـــوان أسمير، مطبعة الحداد يوسف إخوان، ش.م.م، تطوان 1996.

- سعد الله، فوزي : يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة، الجزائر، 1996.

- سعيدوني، ناصر الدين : النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثمـــاني (1798 – 1830) ط.2، م.و.ك، الجزائر، 1985.

- الطمار، محمد عمرو: تلمسان عبر العصور، م، و، ك، الجزائر، 1984.

- طلاس، مصطفى : فارس الجزائر الأمير عبد القادر، ط.2، طلاس للدراسات والترجمة والنشـــر، دمشـــق، 1984.

- العربي، إسماعيل : العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، د.م.ج، الجزائر 1982.

- (ـــــــ، ـــــــ) : المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط.2، ش.و.ن.ت، الجزائر 1982.

- العسلي، بسام : الماريشال بيجو 1748 – 1849، ط.2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1982.

- العافية، عبد القادر: جهود مولاي عبد الرحمان في نشر الوعي والدفـــاع عـــن ســـيادة المغـــرب، ط، 4، المغرب،1999.

- العقيقي، نجيب: المستشرقون، ج،1، 2، دار المعارف، القاهرة، 1980.

العماري، أحمد : مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب (1830 — 1902) من خلال رحلة علي السوسي — منتهى القول — مساهمة في محاولة إبراز أهم المؤثرات التي تحكمت في توجيه تاريخ المغرب خلال مواجهة التغلغل الإمبريالي في القرنين 19 و 20 د.د.ع،ج.1، 2 / ك.أ.ع.إ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1982، إشراف : د. زنيبر محمد.

- العلوي، محمد إسماعيل عبد الحميد : تاريخ وحدة وأتحاد في دوحة الأمجاد، ج.1، ط.1 مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1400هـ/1985م

- عاشور، سعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية، ج.1، ط.1، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر 1963.

- عميراوي، أحميده : دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827 — 1840، ط.1، دار البعث، قسنطينة، 1987.

- فارس، محمد خير : المسألة المغربية 1900 — 1912، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية، 1961.

- فركوس، صالح: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850، د، م، ج، الجزائر، 1993.

- قنان، جمال: نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، د، م، ج، الجزائر،1993.

- كورا ن، أرجمند: السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827 — 1847، ترجمة عن التركية عبد الجليل التميمي، ط.2، الشركة التونسية لفنون الرسم تونس، 1974.

- المريني، عبد الحق: الجيش المغربي عبر التاريخ، في متم يونية، الرباط، 1976.

- (ـــــ، ـــــ): الجيش المغربي وتطوره عبر التاريخ، ط.5، دار نشر المعرفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997.

- المكي، جلول: مسألة الحدود المغربية الجزائرية من (631 — 1263هـ/1234 — 1847م) وأثرها على العلاقات بين البلدين، د.د.ع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1413هـ /1993 م.إشراف : د. مولاي بلحميسي.

- مؤنس، محمد حسين: تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي مج.2، 3، ط.1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت،1412 هـ/ 1992م

- مناصرية، يوسف: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832 — 1847، م.و.ك، الجزائر 1990 م.

- مزيان، أحمد : مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي خلال القرن 19 فجيج ما بين 1845 — 1903، ج.1، د.د.ع / ك.أ.ع. إ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1985.

- المحمدي، علي : المخزن والنظام 1830 — 1894، د.د.ع/ك.أ. ع.إ، جامعة محمد الخامس الرباط. 1997 — 1998، إشراف عبد الله العروي.

- الميلي، مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج.3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1964.

- المنوني، محمد : مظاهر يقظة المغرب الحديث،ج، 1، ط، 1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

: ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر (الوسط الطبيعي، التاريخ والثقافة)، أيام 13، 14، 15، مارس 1986، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1988

-- : ندوة المقاومة في المغرب الشرقي الإسهام و الخصوصية، أيام:5، 6، 7، جمادى الثانية 1415هـ/ 9، 10، 11، نوفمبر 1994م، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ك، آ، ع، إ، جامعة محمد الأول، وجدة.

- معريش، محمد العربي: المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1837 – 1894، د.د.ع جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 5 ربيع الأول 1406 هـ/17 ديسمبر 1985، إشراف أبو القاسم سعد الله.

- مياسي، ابراهيم: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري1881-1912، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1999م.

- نايت بلقاسم، مولود قاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج.1 ط.1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1405هـ/1985 م.

- نوار، عبد العزيز سليمان، النعنعي عبد المجيد: التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية بيروت، 1973.

- هلالي، العربي : فجيج تاريخ ووثائق ومعالم، المطابع المغربية، طنجة، 1981.

- يحي، جلال وآخرون : مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، دار المعارف، القاهرة 1982.

- يحي، جلال : السياسة الفرنسية في الجزائر من 1830 إلى 1960، ط.1، دار المعرفة القاهرة 1959

❖ **الدوريات.**

- إبراهيم، ياسين: (موقف المغرب من الحملة الفرنسية على الجزائر)، المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912م، ج، 1، الجامعة الصيفية من 24 ذي القعدة –4 ذي الحجة1407هـ/21-31 جويلية1987 م، المحمدية، المغرب.

- بوزيان، عمر :(المساعدة المغربية لثورة الأمير عبد القادر الجزائري)، المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912م ، ج، 2، الجامعة الصيفية من 24 ذي القعدة –4 ذي الحجة 1407هـ/21-31 جويلية 1987م، المحمدية، المغرب.

- بورويبة، رشيد : (القلاع والحصون والمؤسسات التي أنشأها الأمير عبد القادر)، الثقافة، ع 75، خاص، السنة، 13، رجب، شعبان، 1403 هـ/ ماي، جوان 1983 وزارة الثقافة، الجزائر.

- بناني سميرس، لطيفة : (مقاومة القبائل للتوسع الفرنسي في القرن 19 من خلال المراسلات الرسمية)، ندوات المغرب الشرقي.

- (ــــــ، ــــــ): (جوانب من مواقف علماء المغرب في القرن 19 من أزمة وأحداث الفترة)، ك.أ.ع.إ، ع.2، خاص، دراسات في تاريخ المغرب، 1406هـ/1985م.

- البوعبدلي، المهدي: (موقف ملك المغرب من الجزائر، إثر الاحتلال الفرنسي)، الأصالة ع.28، السنة، 4، ذو القعدة – ذو الحجة 1345هـ/نوفمبر – ديسمبر 1975، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

- البكراوي، محمد : (مقاومة بني يزناسن للتدخل الفرنسي 1907-1908)، ندوة المقاومة في المغرب الشرقي الإسهام والخصوصية، أيام، 5، 6، 7، جمادى الثانية 1451هـ/1009ن 11، نوفمبر 1994م، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، جامعة محمد الأول، ك، ى، ع، إ، وجدة.

- جوليان، شارل آندري : (التدخل المغربي في الجزائر غداة احتلال العاصمة الجزائرية سنة 1830)، البحث العلمي، ترجمة محمد البوزيدي، ع.3، السنة الأولى، رمضان 1384هـ/1964م.المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط.

- الحسني، بديعة : (حقائق بعيدة عن المغالطات التاريخية)، مسالك، ع.2، جوان - جويلية 1998، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر.

- حساني، مختار : (العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان المغربي مولاي عبد الرحمن من خلال مخطوط محمد السعيد، حياة أسرة الأمير عبد القادر)، مسالك، سداسية، ع.2 جوان، جويلية، 1998، مؤسسة الأمير عبد القادر.

- خرف الله، الطاهر : (التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للريف الجزائري 1830 – 1962)، الذاكرة، ع.2، السنة.2، المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر 1415هـ/1995 م.

- الركاب، بويسف: (معركة ايسلي أسبابها وعواقبها التاريخية والسياسية)، المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912م، ج، 2، الجامعة الصيفية من24 ذي القعدة – 4 ذي الحجة 1407هـ/ 21-31 نوفمبر 1987م، المحمدية، المغرب.

- رزوق، محمد: (جوانب من مواجهة المغرب الشرقي للاحتلال الفرنسي بالجزائر 1830-1847)، ندوة المقاومة في المغرب الشرقي، الإسهام والخصوصية، أيام، 5، 6، 7، جمادى الثانية1415 هـ/9، 10، 11، نوفمبر 1994م، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، جامعة محمد الأول، ك،آ،ع،إ، وجدة.

- شيبوب، عثمان : (هل يعيد التاريخ نفسه ؟ موقف الملوك وموقف الشعوب)، الأصالة ع.28، السنة.4، ذو القعدة، ذو الحجة، 1345 هـ/ نوفمبر، ديسمبر 1975م، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.

- ص، ش، ع، ف: (نزاع بين جمعية وقنصلية الجزائر بمدينة وجدة) الخبر، يومية، ع.2776 السنة.9، 17 شوال 1420 هـ/13 جانفي 2000م.ش.و.ن.ت، الجزائر.

- العساري، أحمد: (المؤثرات الحقيقية وراء موقف المؤرخين الأجانب من التدخل المغربي في تلمسان إثر احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830)، ك.أ.ع.إ، بفاس ع.2،3 1979/ 1980، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.

- (ـــــــ، ـــــــ): (خلفيات الحدود في السياسة التركية والفرنسية)،ك.أ.ع.إ،ع.2 خاص دراسات في تاريخ المغرب، 1406هـ / 1985م، الرباط.

- عميراوي، أحميده : (معاهدة الدوائر والزمالة 16 جوان 1835)، الثقافة،ع.88، السنة.15، شوال ذو القعدة،1405هـ / جويلية، أوت، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1985م.

- العربي، إسماعيل (سفارة ميلود بن عراش لدى الملك لويس فيليب، خلفياتها ونتائجها) التاريخ، ع.6، المركز الوطني للدراسات التاريخية، جويلية، 1978.

- العقاد، صلاح : (الأحوال الاجتماعية والنظم الإدارية في الجزائر قبيل الغزو الفرنسي) المجلة التاريخية المصرية، مج.12، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1964 / 1965.

- الفاسي، الناصر : (محمد بن إدريس وزير مولاي عبد الرحمن وشاعره)، البحث العلمي ع.1، السنة الأولى، شعبان- ذي القعدة 1383هـ/يناير-أفريل 1964،المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط.

- فركوس، صالح : (سر الخلاف بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي) النهضة، ع.7 شهرية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، رجب/ جانفي الجزائر، 1991.

- القادري، عبد القادر: (السلطان مولاي عبد الرحمن والأمير عبد القادر الجزائري)، دعوة الحق، ع.4،5، شهرية، ربيع الثاني 1317هـ/ نوفمبر 1957م، وزارة عموم الأوقاف، الرباط.

- المهناوي، محمد: (مقاومة المولى عبد الرحمان لفرنسي الجزائر من خلال مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام لأبي العلا إدريس)، مركز البحوث والدراسات العلوية، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الخامسة، ديسمبر، 1993م.

- المنوني، محمد: (محاولة السلطان مولاي عبد الرحمان لوضع نواة شبكة إسلامية)، مركز البحوث والدراسات العلوية، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الخامسة، ديسمبر، 1993م.

- مناصرية، يوسف: (ليون روش داخل جيش الأمير عبد القادر 1837-1839)، سيرتا، العداد، 8، 9، السنة الأولى، ربيع الأول، 1404هـ/ديسمبر 1993م، دار البعث، قسنطينة، 1983م.

- مياسي، إبراهيم: (من تاريخ أولاد سيدي الشيخ 1864-1881م)، الثقافة، ع، 5، السنة 22، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 1997م.

- ناصر الدين، سعيدوني: (الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827-1830) الثقافة ع.28، السنة.5، رجب، شعبان، 1395هـ/ أوت، سبتمبر 1975 م.

- هلال، عمار : (العلماء الجزائريون في فاس ما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين، 1414 هـ)، الدراسات التاريخية، ع.9، معهد التاريخ، بوزريعة، الجزائر 1415 هـ/ 1995 م.

-وزارة الإعلام والثقافة: سلسلة الفن والثقافة الأمير عبد القادر، ش، و،ن،ت، النص لمحفوظ قداش، الطبع التاميرا روتيريس، ش، م، مدريد ماي، 1974.

- اليوبي، حسن : (المغرب و الجزائر و مواقفهما في مواجهة الزحف الاستعماري في عهد السلطان المولى عبد الرحمن العلوي و الأمير عبد القادر الجزائري في النصف الأول من القرن 19، دعوة الحق، ع، خاص 289، السنة،33، رمضان-شوال، 1412هـ/أفريل 1992م، المغرب.

- مجهول : (كتاب المصالحة المنتظمة بين سلطان مراكش ولويز الخامس عشر ملك فرنسا)، المنار، مج.7

❖ الموسوعات والأطالس والقواميس.

- ابن، منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشـــر،1388هـــــ/1968م، لبنان.

- الأيوبي، الهيثم وآخرون : الموسوعة العسكرية ،ط.1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977

- البستاني، كرم وآخرون : المنجد في اللغة والأعلام، ط.31، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1991.

- الحموي، ياقوت: معجم الأعلام،تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،بلا،ت.

- حجي، محمد : موسوعة أعلام المغـــرب (1171 – 1300 هـــــ)، دار الغـــرب الإســـلامي، بـــيروت 1417هـــ/1996 م.

- حسان، حامد وآخرون : أطلس العالم الصحيح، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بلا. ت.

- الزركلي، خير الدين : الأعلام، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشـــرقين، ط.7، دار المعلم للملايين، بيروت، 1986.

- المعهد التربوي الوطني الجزائري: الأطلس العالمي، بلا.ت.

• المراجع باللغة الفرنسية:

1-gaillée, jacques: une mission léon roches à rabat en 1845, casablanca, 1947.

2-(___ , ___): La petite Histoire du Maroc, Casablanca, tome 1,2, 1950.

3-Julien, Charles, André : Histoire de l'Algérie contemporaine,Conquête et colonisation, tome, 1presses, ùniversithires,de france,108,boulevard saint Germain, Paris, 1964 …

-Elie, Lambert: Histoire d'un Table eau L'Abderahman Sultan du Maroc de la crois, la rose éditeur,rue Victor Cousin. Paris, 1953.

5-Grand, dictionnaire, Encyclopédique, la rousse, 10 volumes en couleurs, Librairie La Rousse, 17 Rue du Montparnasse, 75006, Paris. N.D.

6-Henri, Terasse : Histoire du Maroc, des origines à l'établissement du protectorat, français, tome, 2, Editions Atlantide, Casablanca. N.D.

7-Henri, Charles, la Vauzelle : la guerre au Maroc, guerres Franco-Marocaine 1844 et Hispano–Marocaine 1859-1860 deuxième édition , Paris , 1904.

8-Hamet, Ismaïl : Le gouvernement Marocaine et la conquête d'alger, présente, Ali Tablit, Thala éditions, les éditions Chihab, Alger, 1998.

9-Leon, Roches : A travers L'islam, centre Français édition et diffusion Robert-Laffont, 1979.

10-Philippe, Cosse, Brissac : Les rapports de La France et du Maroc pendent La conquête de l'Algérie, 1830 – 1847, la rose, Paris, 11 rue Victor Cousin, 1931.

• الدوريـــــــات:

1- Arnaud: (siege d'ain- madi. Par el- hadj- abd el-kader,B, mohi ed-din) R.A N°08,année 1864,o.p.u. alger, 1985

2-Eldjazairi, Driss: (133e anniversaire de la mort de L'Emir, un certain 26 mai 1883), itinéraires numéro.1. semestrielle.juillet, Décembre, La fondation Emir Abd-el-kader Alger, 1997.

3- Djilali, Sari : (Le rôle de l'espace dans la stratégie de l'Emir Abd-El-Kader) Majallat Et-Tarikh, numéro spécial, centre national, d'études historiques. Alger. 1983.

4- Charles, D : revues des deux mondes, numéro 15/9/1836.

5- Emirit, Marcel : (Le conflit Franco-Marocaine de 1844, d'après les notes de Warnier) R.A. N° 422-423 1er et 2ème trimestre, au siège la société historique algérienne. Faculté des lettre des géographie, Alger 1950.

6- Yver, George : (Abdelkader et le Maroc en 1830)R.A. N°60 année,1919. o, p,u,Alger

7- (___ , ___) : (La question Marocaine en 1846), R.A. N° 60. Année 1950, o.p, u. Alger.

8- (___ , ___) : (Document relatifs à la guerre Franco-Marocaine de 1844). R.A. N° 54, année 1910. O. P. U. Alger

9-Michel Bach, Pierre : (Abd El-Kader guerrier et Mystique),magazine de l'histoire, N° 43, Mars 57 rue de Saine. 75280, Paris, 1982.

10- L. Gognalons : (Proclamation de l'Emir Abd El-Kader, aux habitants du Figuiges en 1836). R.A. N° 57, année 1913.o,p u, Alger

11-Ougest, Cour : (L'occupation marocaine de Tlemcen, septembre, 1830 – janvier 1836) R.A. N° 52, année 1908, O.P.U. Alger.

• جريدة الأخبار :(Journal Alakhbar)

- N° 618 : 31 août 1845.

بشأن إرسال السلطان عبد الرحمان لمحمد بن سلطان سرور إلى الجزائر ليتفاوض مع الجنرال بيجو.

- N° 623 : 11 septembre 1845, jeudi, 9 Ramadan 1261 h,

7eme Année. بشأن اتفاقية مغنية 1845. ص-ص 1-2

- N° 634 : 7 octobre 1845 mardi, 29 Ramadan 1261 h,

7eme année. بشأن معركتي سيدي إبراهيم – جامع الغزوات،ص،1.

- N° 654 : 23 novembre 1845,31,delhaj 1261 h, dimanche, 7eme année.

بشأن تعيين الجنرال بيجو و مطاردته لـــ: الأمير عبد القادر.ص،1.

- N° 655 : 25 novembre 1845, mardi, 31 Ramadan 1261 h,
7eme année.

بشأن ليون روش في المغرب و قضية إرسال السفارة المؤقتة إلى فرنسا.

- N° 631 : 30 décembre 1845.mardi,5 safar 1262 h

بشأن انتصار الثورة في الغرب الجزائري.

- N° 657 : 30 novembre 1845, 31 d'elhadi 1261 h, 7eme année.

بشأن مسيرة عبد القادر في الغرب الجزائري عبر بوغار، بوحمزة ...الخ، ص،1،2.

- N° 833 : 14 janvier 1847, jeudi 24 Moharrem, 1263 h,

9eme année. بشأن البعثة الفرنسية إلى المغرب،ص، 1

- N° 834 : 17 janvier 1847, dimanche 27 Moharrem 1263 h,

9eme année. بشأن البعثة الفرنسية إلى المغرب،ص،1.

- N° 980 : 28 décembre 1847, mardi 19 Moharrem 1264 h,

9eme année. بشأن تسليم الأمير عبد القادر.

- N° 981 : 30 décembre 1847, jeudi, 21 Moharrem 1264 h,

9eme année. بشأن ظروف الاستسلام، الوضع في الجزائر، ص،1، 2.

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ا – الأعـــــلام

– أ –

- ابن الحامري (العامري):39-41-42-43-44-45 .
- ابن دران: 79-85-90 .
- ابن آس (يهودي): 96 .
- ابن خلدون: 87 .
- ابن رويلة: 86 .
- ابن قانة: 87 .
- ابن عزوز: 132 .
- ابنصور: 97 –126 .
- ابن كران: 44 .
- إبراهيم الزيزون: 36 .
- إبراهيم بن شيمول: 37-42-43 .
- إبراهيم بوشناق: 58 .
- إبراهيم ياسين: 58-61-81-165-210 .
- إبراهيم بن عبد الملك: 181-205 .
- إبراهيم حركات: 134-211 .
- إبراهيم بن أحمد الأكحل: 201 .
- أبو الحسن بن علي التُســـولي: 19-32-33-82-83-98-120.
- أبو محمد عبد السلام البوعناني: 34 .
- أبو القاسم سعد الله: 95-136-165.
- أبو العلاء إدريس: 211 .
- أبو محمد الشرقي: 197 .
- أبو ضربة: 90 .
- أبو زيان: 69 .
- أبو عبد الله محمد البوحميـدي: 51-86-125-126-160-168-178-182-186-196-206-207 .
- أبو حفص عمر الفاسي: 54.
- أحمد بن عبد القادر بن الطيب: 17 .
- أحمد بن عبد القادر بن الطاهر:17.
- أحمد (باي): 28-87-96.
- أحمد بن المحجوب: 40.
- أحمد الخضر: 151.
- أحمد بن سالم:165-167-208.
- أحمد القادر: 150.
- أحمد بن المحاطية:210.
- أحمد بن بومهدي:210.
- أحميدة الشجعي: 181-182.
- أحميدة بن علي:151-152.
- إسمـــاعيل العـــربي: 60-61-64-89-165-201.
- إسماعيل مولاي: 52-211.
- أديب حرب:70.
- إدريس الأكبر:53.
- إدريس بن حمان الجراري:24-31-33-40.
- أكنسوس: 200-202-211.
- أوربان الثاني:10.
- أوغست كور:30-49-54-61-62-63.
- أوفراي: 37-38.
- أنطوان دي نيون: 110.
- إمري مارسيل: 97-126.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب

- بديعة الحسني: 81-123.
- بسام العسلي: 165.
- البارون تايلور: 135.
- بلحميسي مولاي: 100.
- بكري:10.
- برتزين: 29.
- براجي دوهيليير (جنرال):115.
- بروسار: 85.
- بوابيه: 29-43.
- بيسكاتوري: 102.
- بيدو (جنرال): 118-125-133.
- بولينياك (دي): 10-015.
- بوشناق:10.
- بوتان: 11.
- بورمون(دي):28.
- بورسييه: 150.
- بوزيان بن الشاوي: 159-168-186-187-191-197.
- بوزيان العبدوني:205.
- بوسلهام بن علـــي: 143-151-152-154-169-171-174-175-177.
- بينيطو:97.
- بيجـــو: 70-74-76-79-97-102-109-110-113-114-115-118-119-120-121-127-130-132-133-134-135-138-143-144-145-146-161-166-169-171-178-179-180.

ت

- تبريزيل: 64-65.
- تيير أدولف: 66-73-101-179.

ج

- الجابري محمد عابد: 86.
- جلال يحي: 60-61-100.
- جوان فيل: 135-137-143.
- جورج إيفير: 96.
- جوليان شارل أندري:18.
- جيزو: 76-130-180-188.

ح

- الحضر بن إسماعيل: 37.
- حسين (باي): 27-28-30-36.
- حسونة مولاي: 28.
- حمدان بن عثمان خوجة: 117.
- حمزة بن أبي بكر: 162.
- حسين (داي): 10-11-12-14-15-17-20.
- حسين مؤنس: 139.
- حمو الروداني: 182.
- حمدون بن عبد الرحمـــان الكرومـــي: 137-144-169-212.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خ

- خير الدين التونسي: 28.

د

- دارلانج: 70-73.
- دلماشيا (مندوب): 100.
- دامر يمون: 11.
- دورموند هاي: (قنصل): 67-137.
- دونمور (دوق): 115.
- دومال (دوق): 119.
- دوفال (قنصل): 10.
- دور لون: 65-66.
- دوماس (قنصل): 94-96-104-107.
- دوسال (مندوب) 100.
- دي شاستو: 154-171-179-189-197-205-206-207-210.
- دي لاري: 150-151-152-153-157-170-175.
- دي فوذا: 42.
- دي كوسي بريساك: 58-61.
- دي ميشال: 59-60-64.
- دي مارينو: 143.
- دي نيون (قنصل): 102-130-131-134-143.

ر

- رابتيل (جنرال): 73-104.

ز

- الزروالي: 54.

س

- السعيدي العربي: 14-73.
- سان لويس: 11.
- سباستياني: 15-38-40.
- سليمان (سلطان): 12-38-46.
- سكوت (كلونيل): 117-121-124.
- سولت(مارشال): 38-135-164-169-171-178.

ش

- الشريف محمد الشرقي: 42.
- الشريف المعاني: 42.
- شارل العاشر: 10-27.
- شارل دي موروناي: 43-44.
- شارل دي ديد: 76.
- شاطو بريان: 11.
- شانغار ييه: 118-119.
- شنيدر (جنرال): 105.
- شوقي عطا الله الجمل: 164.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ص

- صالح العياشي (ولي): 209.
- صموئيل: 97.

ط

- الطيب بن سليمان: 36.
- الطيب الكناوي: 132.
- الطيب بوعشرين: 205.
- الطاهر بن مسعود المغفري: 40.
- الطالب بن جلـــون: 44-57-92-94-96-97-104-105.

ع

- العربي الكبيبي: 127-132.
- العربي الوزاني: 34-192.
- علال الشامي: 158.
- عمر باشا: 9.
- عمر بوزيان: 87-99.
- علي بن عبو: 17.
- علي بن سليمان: 33-34-35-36-37-38-39-40-41-43.
- علي أبو طالب: 61.
- عبد الحفيظ (سلطان): 211.
- عبد الرحمان (سلطان): 12-13-15-17-21-24-30-31-32-33-42-43-46-51-52-54-57-58-61-63-66-67-68-69-70-73-74-76-7-80-82-97-100-141-142-151-159-173-177-201-210-212.
- عبد الرحمان الكرومي: 188-193-206.
- عبد السلام بن مشيش: 206.
- عبد الهادي العلوي(قـــاضي): 31-32-98-99-120.
- عبد المالك الروداني: 205.
- عبد المالك الجزائري: 211.
- عبد المجيد (سلطان): 116.
- عبد القادر محمد الحراق: 120.
- عبد القادر بن الكندوز: 17.
- عبد القادر أشـعاش: 154-155-156-157-169-177-190.
- عبد القادر بن محمد (قاضي): 138.
- عبد القادر الجزائـري: 16-34-45-48-49-50-51-52-53-54-56-57-58-59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-70-73-74-75-77-79-80-81-82-83-84-85-86-87-88-89-90-91-92-93-94-95-97-98-99-100-103-105-106-109-111-114-116-117-119-121-123-124-125-126-127-130-132-133-134-136-137-138-139-141-143-144-145-146-147-152-153-154-156-161-165-167-169-171-174-177-182-186-188-190-191-192-194-208-209-210-212-213.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ف

- الفاضل (شيخ): 167-208.
- فالي (مارشال): 90-91-100-101-102-107-110-114.
- فالنسيانو: 44.

ق

- قدور بن علي: 212.
- قدور بن عبد الباقي البصري: 95.

ك

- كافينياك (جنرال): 69-109-161-168-170-178-179.
- الكردودوي: 84.
- كلوزال (دي): 15-28-29-37-38-.
- كوردو: 97.

ل

- لابورت (دي): 14-15-37-38-74-88-110.
- لامبربير (طبيب): 22.
- لامورسيير: 115-119-132-134-141-145-161-164-170-171-198-.
- لويس فليب: 15-28-189.
- لوفول: 28.
- ليون روش: 85-95-100-105-118-150-152-153-154-156-157-172-173-177-179-180-181-189.

م

- المختار بوتشيش: 209.
- المختار الجامعي: 37-44.
- الميلود بن عراش: 51-60-61-90-91-100-101-126-132-158-160-182.
- المسناوي: 54.
- المزاري بن عوده: 30-37-63-64-201.
- مانو تشي: 97-126.
- محمد أشعاش: 14-16-17-37-58.
- محمد تكرت: 15.
- محمد الطيب الباس: 14-15-43-44-102-103-123-124-125-126-130-143-144-146.
- محمد علي باشا: 117.
- محمد الوالي: 17.
- محمد غريط: 19-84-122.
- محمد أغا ثولاك: 28.
- محمد عُليش: 192-193.
- محمد فاخه: 89.
- موليبه: 88-90-110.
- فقيه بن يوسف: 117.
- فوارول: 59-62.
- فريدريك دي لاري: 74-75-109.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- محمد الصغير: 65.
- محيي الدين الجزائري: 28-29-34-35-41-45-48-49-50-52-56-66-82-86-99-103-119-137-160-162-174-207.
- محمد العربي معريش: 146.
- مختار حساني: 106.
- محمد التوزيني: 188-191-196-200.
- محمد بوزيد: 126.
- محمد الدوكالي: 121.
- محمد مكوار: 121.
- محمد بن اكرو: 158-182.
- محمد بن عبد القادر: 165.
- محمد بن عبد الله (بومعزة): 164-165-166-167-208.
- محمد الرزيني: 154.
- محمد بن العربي: 17-63.
- محمد بن التهامي: 17.
- محمد بن أحمد الهاشمي: 17.
- محمد بن إدريس: 18-19-22-34-37-38-83-89-110-122-136-142-151-152-154-172-175-179-189-191-197-205-206.
- محمد بن نونة: 30-51-58-61-62-64-73.
- محمد بن عيسى البركاني: 65-126-160.
- محمد بن فريحة: 69
- محمد بن عبد الرحمن: 69-158-159-181-193-197-198-202-207.
- محمد بن عبد الله السقاط: 80-82-196.
- محمد بن عبد الله البغدادي: 92.
- محمد بن فرحون الجراري: 40.
- محمد بن عبو: 43-171-172-173-179-182.
- مصطفى باي: 69.
- مصطفى بن إسماعيل: 30-37-38-39-41-42-43-49-58-62-63-64-68-69-70-71-119.
- مصطفى بن التهامي: 81-94-160-182-186.
- ميمون اليزناسي: 159-168-205.
- ميزون: 66-74.
- ميشال بيار (قنصل): 58-59-73-75-109.
- موسى الدرقاوي: 165.
- مارتين باري: 150.
- مارين (ضابط): 163.
- مونتنياك (جنرال): 163.
- محمد بن سالم الأحمر: 191-192-194-195-196-197-207.
- محمد بن عبد الصادق: 174-197-204-205-207.

ن

-نابليون بونابرت: 9.
- الناصري أحمد: 51-54-57-66-140-201-211.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هـ

- الهاشمي بن بومدين بروكش: 17.
- هست (قنصل): 22.
- هنري تشرشل: 29-41-86-95-212.
- هنري لافوزيل: 139.

و

- وارنييه (طبيب): 127.

ي

- يحيى جلال: 165.
- يحيى بوعزيز: 165.
- اليزمي: 54.
- يهودا بن عليل: 54.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

II الأماكن والمدن

أ

- الأغواط: 94-95.
- أمريكا: 68.
- أرزيو: 42-57-60-61.
- أشبار الكبير: 13.
- أكس لا شابيل: 9.
- إسبانيا: 37-142-180.
- إيسلي: 84-113-134-137-138-139-141-142-147-154-159-160-170-211-212.
- إفريقيا: 85-180.

ب

- البحر المتوسط: 9-21-24-119-150-157.
- البيبان (مضيق): 101.
- البليدة: 119.
- باريس: 29-38-64-74-89-90-101-149-154-155-157-172-173.
- بغداد: 83.
- بريطانيا: 67-68-96-180.
- بسكرة: 86.
- بوزنيقة: 13.
- بني سنوس (قلعة): 104.
- بني راشد (قلعة): 104.
- بوغار: 86.
- بوخرشوفة: 86.
- برج حمزة: 86.
- بوغني: 167.

ت

- التافنا: 24-70-76-79-80-83-84-87-89-100-124-152-161-170.
- التينة: 65.
- تازا الجزائرية: 82-86-100-115.
- تازا المغربية: 22-40-41-48-124-126-161-172-181-186-187-190-192-197-201-202-204-205.
- التيطري: 24-26-65-86.
- تاقدامت: 86-92-104-105-115-167.
- تطوان: 14-15-16-17-19-21-37-43-44-54-58-67-82-106-126-170-204-210.
- تلمسان: 21-25-26-30-33-44-45-49-51-52-54-56-57-58-59-61-62-64-68-69-70-71-84-86-87-88-89-97-100-104-105-107-109-110-118-119-121-122-123-126-129-132-133-134-155-158-167-168-169-186.
- تنس: 25.
- تليلات (نهر): 65.
- تريفة (سهل): 179-206-208.
- تافريست: 182-194-195-198.

ث

- ثنية الساسي: 150-157.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج

- الجزائر :8-9-10-11-12-13-14-15-16-18-19-20-21-25-26-27-29-32-33-35-37-38-44-46-48-53-54-55-56-57-58-59-63-66-67-70-71-73-74-75-76-79-80-81-83-84-85-86-87-88-89-90-91-93-94-99-100-102-104-105-113-115-116-120-121-127-128-129-131-133-134-137-142-143-145-146-149-150-151-152-156-166-167-168-171-177-186-192-202.
- جبل طارق: 15-57-68-97-116-121.
- جرادة: 22.
- الجريد: 40.
- الجزر الجعفرية: 131.
- جرجرة: 164-165.

ح

- الحسيمة: 29-43.
- حجوطة: 65.
- حوش عمورة: 65.

د

- الدار البيضاء: 13.
- دمشق: 165.

ر

- الرباط: 13-82-106-136-149-172-180.
- الريف (جبال): 23-119-157-160-162-170-171-181-187-195-197-199-201-205.
- راشقون (ميناء): 61-67-70-84.

ز

- زايو: 206-208.
- زورا (عين) : 119-160-161-187.

س

- السبق (نهر): 63.
- السكاك (واد): 70-73.
- سلوان (قصبة): 205-206-207.
- سوريا: 208.
- سعيدة: 115-132-167.
- سيبو (نهر): 158-182.
- سلا: 13-136.
- سيدي فرج: 11.
- سبدو (حصن): 118-132-167.

ش

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الشام: 13.
- الشلف:24-119-165-166.

ص

- الصّويرة:137-141-145-147.
- صبرا(سهول) :160-161-194.

ط

- طنجة:14-15-16-21-33-37-43-45-54-57-59-62-67-73-74-88-106-113-116-131-141-145-149-150-152-153-156-157-159-170-172-173-180-188-189-192-202-208.
- طولون:43-45-74.
- طرارة:118.
- طاجوين:118.

ظ

- الظهرة(جبال):165-166.

ع

- العراق:13.
- العرائش:14-21-44-106.
- العمور(جبال):24-167.
- العُنجرات(قصبة):13.
- عين الصفراء :23.
- عين ماضي:89-92-93-94-95-96-99-105-108.
- عين تموشنت:162.
- عقبة خده(مضيق):115.

غ

- الغرب الجزائري :16-21-22-23-24-26-27-29-31-33-34-35-37-39-40-41-44-45-46-48-53-55-56-58-60-64-71-75-76-77-84-86-87-93-100-104-111-113-112-160-162-164-168-178-181-201-203-213.
- غريس:36-50-53-88.
- الغزوات:131-169.

ف

- فرنسا:8-9-10-11-12-13-14-24-27-36-37-38-40-43-44-45-46-48-51-53-54-57-58-59-60-61-62-65-66-67-68-70-71-73-74-75-76-79-81-84-85-87-88-89-90-91-100-109-110-111-114-117-120-127-128-130-131-132-133-134-135-136-138-139-142-143-145-146-147-149-150-151-

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-152-153-154-157-167-170-172-173-
-175-176-178-180-181-182-188-189-
191-194-207-210-212-213.
-فقيق:22-69-150-161-162-168.
-فينا: 9.
-فاس: 22-31-32-33-39-40-41-49-50-
53-54-57-67-72-79-80-81-82-83-
84-89-90-91-92-94-95-96-97-98-
100-102-106-108-113-117-120-123-
125-126-127-128-129-132-134-140-
145-152-173-181-182-186-187-188-
190-191-193-197-199-204-205-206-
207-208-211.
-فدان السبع:34.
-فضة(واد):118.
-فرعية(واد):50.

ق

- القسطنطينية:88.
- القصور:24-252.
- القيطنة:115.
- قسنطينة:40-71-79-84-88-91-100-
101-103-115.
- قرطاجنة:11.
- قيس(واد):179.

ل

- لندن:110-118.

م

- المغرب العربي:8.
- المغرب (الأقصى):8-12-13-14-16-17-
18-19-20-21-22-26-27-29-30-
33-35-40-41-43-44-45-46-53-
54-55-56-57-58-59-60-61-63-
64-65-66-67-68-69-71-73-74-
75-76-77-79-80-81-83-84-85-
86-87-89-91-92-95-96-97-98-
99-100-102-103-105-109-110-
111-117-118-119-120-121-123-
126-128-129-130-132-134-136-
137-141-142-143-144-146-147-
150-152-153-154-155-156-157-
158-159-163-168-169-172-174-
176-182-187-189-197-201-210-
211-212.
- المغرب الشرقي :8-13-16-20-21-22-
23-24-25-26-27-41-46-48-51-
53-54-55-57-58-68-69-70-73-
74-76-77-93-95-96-104-111-
113-118-119-120-121-122-124-
125-127-128-129-130-131-134-
138-141-143-144-145-147-149-
150-156-161-166-173-176-179-
182-188-190-194-203-204-208-
212-213.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- المدية:42-57-65-86-101-102-104-115.
- المويلح(واد):133.
- مزغان :189.
- ميسورين(سهل):167.
- المقطع: 65-66.
- المحيط الأطلسي: 21.
- المشور (قلعة): 36-43-64-71-84-86.
- المدينة المنورة: 53.
- مكة: 118.
- مكناسة الزيتون: 13.
- مكناس: 16-31-37-43-44-54-74-126-131-204.
- ملوية (نهر): 21-23-143-160-161-166-169-178-179-186-187-205-206-207-208-212.
- مليلية: 22-191-193.
- مليانة: 42-57-65-86-101-102-104-115-119.

ن

- نافارين: 9.
- الناظور: 22-101.
- ندرومة: 118.
- نون(واد): 44.

و

- الونشريس(جبال): 118-119-165-166.
- واترلو: 10.
- الولايات المتحدة الأمريكية: 67.
- وجدة: 22-24-31-33-38-57-70-71-73-75-124-125-126-129-132-133-134-135-141-143-145-146-147-151-158-161-169-170-172-181-182-197-198-205.
- وهران: 25-27-28-29-30-36-37-40-42-43-44-45-51-55-57-60-66-71-103-104-105-115-132-169-171-173.
- مراكش: 16-52-86-98-115-126-127-128-149-155-158-165-170-180-189-196-202.
- مصر: 13-17-117-192-193.
- مجانة: 24.
- معسكر: 25-30-34-35-36-42-43-50-59-61-62-65-67-68-70-71-72-86-95-99-100-104-107-108-115-119-160-167.
- متيجة(سهل):101-118-167.
- مغنية: 131-132-134-135-149-150-152-157-159-160-170-175-179-180-208.
- موقادور: 88-137-141-143-146-189.
- مازونة: 119.
- مستغانم: 25-30-36-42-45-57-68-103-115.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

III القبائل والجماعات

أ

- الأحلاف: 63-176-191-194-197-198-205-212.
- الأجناد: 63-73-121-126-131-137-167-176-178-208.
- أولاد أحمد بن إبراهيم: 167.
- أولاد أمباصو: 16.
- أولاد بني مرزوق: 16.
- أولاد بلاغ:167.
- أولاد تافجيرت: 209.
- أولاد جرير: 135.
- أولاد رياح: 34-166.
- أولاد زائر: 25-27.
- أولاد ستوت: 22-160.
- أولاد سيدي الشيخ: 25-27-131-155-162-167-168-199.
- أولاد الصابوني: 16.
- أولاد العشعاشي: 16.
- أولاد الغازي: 209.
- أولاد ملوك: 134-166-182.
- أولاد مطر: 167.
- أولاد مولاي عبد القادر: 16.
- أولاد منصور: 182.
- أولاد مختار: 209.
- أولاد نايل: 23-167.
- أولاد نهار: 25-119-131.
- أولاد مجاهر: 34.
- أولاد إبراهيم: 115.
- أولاد فراج: 119.

ب

- البرجية: 62-115-119.
- البرانس: 158-187-203.
- البلاليين: 158.
- بنو أوليشك: 161-192-194.
- بنو بو يحي: 22-160-195.
- بنو توزين: 161.
- بنو خالد: 208.
- بنو سناسن (يزناسن): 22-70-73-121-125-155-163-166-169-176-178-181-182-186-187-188-190-195-197-205-206-208.
- بنو سعيد: 22-134-161-194-199.
- بنو سنوسن: 25.
- بنو شقران: 36-115.
- بنو عامر: 25-27-34-62-119-158-159-160-182-198-200-201-202.
- بنو ماطر: 25-191.
- بنو مجاهد: 34.
- بنو مديان: 50.
- بنو مدرار: 169.
- بنو هاشم: 34-182.
- بنو يعلي: 187.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- بنو واسين: 121-182.

ت

- التسول: 158-187-203.
- تحليت: 34.
- تمسمان: 198.

ج

- الجويدات: 34.
- الجعافرة: 115-160.

ح

- الحياينة: 22-204.
- الحميان: 25-34-128-191.
- الجساسنة: 25-115.
- الحشـــم: 36-158-159-160-198-200-201-202.

د

- الدوايـر: 25-37-38-39-41-42-43-63-64-65-66-70-71-115-119-161.

ذ

- ذوي منيع: 25-34.
- ذوي يحي: 155.

ر

- الرحامنة: 158.

ز

- الزمالـــة: 25-38-39-41-43-63-64-65-66-70-71-115-119.

س

- السواحلية: 27.
- السبع: 198.
- سيدي ملوك: 137.

ش

- الشراردة: 140-202.
- الشلح: 160.

ع

- العرب الغرابة: 34-115.
- العرب الشراقة: 115.
- عكرمة: 50.
- عطية: 134.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

غ

- الغسال: 166.
- غيانة: 197.

ف

- فليتة: 50.

ق

- قلعية: 22-160-198-200-201-202.
- قارت: 160.
- القلايا: 188-195.

ك

- كبدانة: 22-188-207-208.
- الكرارمة: 137-169-187-188-193.

م

- المنهاية: 22-73-121.
- المطالسة: 22-160-161-186-187-188-191-194-195-198-205-207.
- المشاشيل: 36.
- المزاوير: 167-169.
- مكناسة: 187.
- مسيرة: 134.

ن

- النحوع: 169.

هـ

- الهازج: 182.

و

- الودايا: 40-41-63-64.
- الوهاصة: 126.
- ورغية: 36.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المحتـــــــــــوى — الصفحة

الإهـــــــداء ..... أ

الشكر والتقدير ..... ب

المختصرات المستخدمة في البحث ..... ت

معاني بعض المفاهيم الواردة في البحث ..... ث

المقدمـــة 1

الفصل الأول

الاحتلال الفرنسي وأثره على الغرب الجزائري (1830–1832) 7

مقدمـــة 8

لمحة مختصرة عن الحملة الفرنسية على الجزائر 9

أسبابها 9

حجم الحملة الفرنسية ونتائجها الأولية 11

موقف سلطان المغرب من الحملة الفرنسية على الجزائر 12

موقف سلطان المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر 15

مدى احتلال الجزائر في المغرب 18

التعريف بالمغرب الشرقي والغرب الجزائري وأوضاعهما أثناء الاحتلال 21

المغرب الشرقي: الموقع الجغرافي والفلكي، تركيبته البشرية، أوضاعه الإدارية والاقتصادية 21

الغرب الجزائري: الموقع الجغرافي والفلكي، تركيبته البشرية، أوضاعه الاقتصادية والإدارية 24

آثار الاحتلال الفرنسي على الغرب الجزائري 27

الزحف الفرنسي على وهران 27

تدخـــل البـــاي التونســـي 28

مبايعة سكان الغرب الجزائري لسلطان المغرب 29

– دوافعهـــا 29

– مراحلهـــا 33

المرحلة الأولى: أحداثها، ردود الفعل الفرنسية، نتائجها 33

المرحلة الثانية: أحداثها، ردود الفعل الفرنسية، نتائجها 41

الخاتمـــــة 46

الفصل الثاني

علاقة الأمير عبد القادر بالمغرب (1833 – 1836) 47

مقدمـــة 48

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- مبايعة عبد القادر بالغرب الجزائري 49
- علاقته بالمغرب 51
  1- دوافعها 53
  2- موقف المغرب من ظهور حركة الجهاد بالغرب الجزائري 56
  3- ردود الفعل الفرنسية 57
- أثر معاهدة دي ميشال 1834 على التقارب الجزائري المغربي 60
  - الرأي الأول 61
  - الرأي الثاني 61
- المساندة المغربية لحركة الجهاد الجزائرية (1834-1836) 62
- الموقف الفرنسي من التضامن الجزائري المغربي 73
- خـــاتمـــــة 77

الفصل الثالث

التعاون المغربي-الجزائري (1837 - 1840) 78
- مقدمة 79
- دور علماء فاس في حركة الجهاد الجزائرية بالغرب الجزائري 80
- أثر معاهدة التافنا 1837 على أطراف الصراع بالغرب الجزائري 84
  - بالنسبة لفرنســـا الاستعمارية 84
  - بالنسبة لحركة الجهاد الجزائرية 85
  - بالنسبة للمغرب 87
- دور السلطان المولى عبد الرحمن في حملة الأمير على عين ماضي 1838 92
- دور وسطاء حركة الجهاد الجزائرية في المغرب 96
- البعد الروحي لعلاقة عبد القادر بسلطان المغرب 98
- تجدد حركة الجهاد الجزائرية 1839 100
- ردود الفعل المغربية 102
- الإمدادات العسكرية المغربية للمجاهدين الجزائريين 1837-1840 104
- الموقف الفرنسي من التعاون المغربي الجزائري 1837-1840 109
- خاتمـــــة 111

الفصل الرابع

دور المغرب الشرقي في الجهاد الجزائري (1841-1844) 112
- مقدمة 113
- السياسة الفرنسية تجاه حركة الجهاد بالغرب الجزائري 1841-1843 114

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محاولات عبد القادر الاتصال بالعالم الخارجي 116
اللجوء إلى المغرب الشرقي 119
ردود الفعل المغربية الرسمية والشعبية 1841-1843 121
المغرب الشرقي قاعدة خلفية لحركة الجهاد الجزائرية 124
الصراع المغربي الفرنسي من خلال وثائق نادرة (1843-1844) 130
- المدخل إلى هذه الوثائق 130
التحرشات الفرنسية عبر التخوم الجزائرية المغربية وردود الفعل المغربية 130
معركة واد إيسلي 1844: 137
- الجبهة البحرية 137
- الجبهة البرية 138
نتائجـــــــــــها: 141
- بالنسبة للمغرب 141
- بالنسبة لفرنسا 143
- بالنسبة للمهاجرين الجزائريين في المغرب الشرقي 144
أثر اتفاقية طنجة 1844 على التواجد الجزائري في المغرب الشرقي 145
خاتمـــــــة 147

الفصل الخامس

التقارب المغربي الفرنسي وأثره على حركة الجهاد الجزائرية (1844 - 1846) 148
مقدمة 149
المواقف المختلفة من اتفاقية مغنية 1845م 150
موقف فرنسا 151
موقف السلطان 151
موقف قبائل المغرب الشرقي 155
أثرها على حركة الجهاد الجزائرية في المغرب الشرقي 156
موقف المغرب الشرقي من الجهاد الجزائري (1844-1846): 157
الموقف الرسمي 157
الموقف الشعبي: 159
مرحلة ما بعد إيسلي 1844 - سبتمبر 1845 160
مرحلة ما بين أكتوبر 1845 - جويلية 1846 164
التعاون الفرنسي المغربي وتصفية حركة الجهاد بالغرب الجزائري (1844-1846): 170
المرحلة الأولى (سبتمبر1844- ديسمبر1845): 170

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجهود الفرنسية 170
الجهود المخزنية 173
المرحلة الثانية (جانفي – جوان 1846): 178
الجهود الفرنسية 178
الجهود المخزنيـــة 181
خـــــــاتمة 183

الفصل السادس

التعاون المغربي الفرنسي وتصفية حركة الجهاد الجزائرية بالمغرب الشرقي 1846-1847 184
مقدمة 185
عودة عبد القادر الجزائري إلى المغرب الشرقي 1846 وردود الفعل المزدوجة 186
المغربية – الشعبية – 186
الفرنسية 188
المغربية – المخزنية – 190
موقف عبد القادر من تحركات المخزن 192
التصادم المغربي الجزائري (جوان – ديسمبر 1847)وتصفية حركة الجهاد الجزائرية بالمغرب الشرقي: 194
معركة تافريست: أسبابها، أحداثها، نتائجها 194
معركة قلعية: أسبابها، أحداثها، نتائجها 198
معركة الحشم وبني عامر: أسبابها، أحداثها، نتائجها 200
الحملة العسكرية المخزنية وتصفية حركة الجهاد الجزائرية(أكتوبر–ديسمبر1847) 203
التسليم وردود الفعل المزدوجة: 208
الفرنسيـــــة 209
المغربيـــــة 210
خـــــاتمة 214
الخاتمـــــة العامـــــة 215
الملاحـــــق 217
المصادر والمراجع 237
فهرس الأعلام 248
فهرس الأماكن والمدن 255
فهرس القبائل والجماعات 260
فهرس المحتوى 263

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية